التاريخ العربي القديم

تأليف

"ديتلف نيلسن" و "فرتز هومل"

و "ل. رودوكاناكيس"

و "أدولف جرومان"

ترجمه واستكمله

الدكتور فؤاد حسنين علي

راجع الترجمة المرحوم

الدكتور زكي محمد حسن



١٩٥٨

ملتزمة الطبع والنشر

مكتبة النهضة المصرية

٩ شارع عدلي بالقاهرة

اهداءات ٢٠٠٠
المرحوم ا.د. فريد شافعي
استاذ العمارة الاسلامية
جامعة القاهرة

التاريخ العربي القديم

تأليف
"ديتلف نيلسن" و"فرتز هومل"
و"ل. رودوكاناكيس"
و"أدولف جرومان"

ترجمه واستكمله
الدكتور فؤاد حسنين على

راجع الترجمة المرحوم
الدكتور زكى محمد حسن



١٩٥٨

ملتزمة الطبع والنشر
مكتبة النهضة المصرية
٩ شارع عدلى بالقاهرة

مطبعة لجنة البيان العربي
٤ شارع مصطفى كامل - بطرزلي ت ٢٧٠٧٩

مقدّمة

في العام التسعين سمعت عن كثير من النقوش الجديدة التي أحضرها الدكتور إدورد جلازر من داخل بلاد العرب ، فأدركت آنذاك أن دراسة الساميات أخذت تدخل في دور جديد لذلك لم يبق أمامي ، وقد علمت أن هذه النقوش ما زالت ملكا خاصا لجلازر ، إلا أن أرحل عام ١٩٠٠ إلى ميونخ حيث أخذ الأستاذ (هومل) يعدني لدراسة هذه النقوش ، وحيث يقيم (جلازر) نفسه . وفي ميونخ أقمت عدة سنوات استطعت في خلالها الإطلاع على هذه الكنوز المخبوءة في صناديق مغلقة .

وقد نشرت في أيام شبابي بعض الأبحاث التي قوت عندي فكرة وجوب العناية بدراسة مثل هذه النصوص كما أدركت أيضاً وجوب إعداد العدة لمثل هذه الدراسة ، لذلك فكرت في هذا الكتاب ، وفكرت أيضاً في أن يكون الجزء الأول منه قاصراً على مقدمة عامة على أن يتلوه جزءان ثان وثالث يتضمنان أهم النقوش العربية الجنوبية ومعها ترجمتها وشرح مختصر ومعجم للالفاظ وقواعد .

وقد لاقت هذه الفكرة تعضيداً عاماً كما أقبل على تحقيقها معي هؤلاء العلماء الذين نجد أسماءهم في صدر هذا الكتاب ، ومن حسن الحظ أن الأستاذ بوهل Buhl تبين أهمية هذا المشروع فتبرع بالمال الضروري لإصداره . وعقب وفاة (جلازر) عام ١٩٠٨ اشترى مجمع فينا مجموعة نقوشه ووضعها تحت تصرفي وبفضل مساعي الأستاذ (ن . رودوكانا كيس) استطعت الاطلاع على النصوص الأخرى التي لم تكن قد نشرت بعد ، كما أبدت مؤسستا (رسك: أورستدفند) و (كارلزبرج فند) استعدادهما لتقديم المال اللازم لإخراج هذا المشروع إلى الوجود لذلك لا يسعني إلا أن أتقدم لجميع أصحاب هذه الأيادي البيضاء بالشكر الجزيل .

ويستحق هذا الشكر أيضاً طالب اللاهوت (س . ا. إبراهامز) بكوبنهاجن الذي ساهم بمجهود عظيم في وضع الكشاف .

كوبنهاجن يناير ١٩٢٧ — ديتلف نيلسن

الفصل الأول
تاريخ العلم
ونظرة حول المادة

بقلم ديتلف نيلسن

بلاد العرب الجنوبية

حوالى منتصف القرن الثامن عشر طلب مستشرق دانيمركى وهو « كريستنسن ف. هافن Chr. V. Haven » ، العالم فى جامعة جوتنجن الألمانية التى كان يحاضر بها فى ذلك الوقت الأستاذ «ميخايليس» ، والذى كثيراً ما وجه الأنظار إلى جنوب بلاد العرب كصقع من الأصقاع العالمية وأعجبها ، وكثيراً ما نوه هذا العالم الجليل بالصلات القويه التى تربط بين هذا الإقليم من ناحية ، وبين العلوم المتصلة بالكتاب المقدس من ناحية أخرى . ولم تقف مجهودات هذا العالم عند هذا الحد بل اتصل بنبيل دانيمركى ألا وهو الجراف برنشتورف وحدثه عن الفوائد التى تعود على العلم من وراء إرسال بعثة علمية إلى بلاد العرب الجنوبية ، فاقتنع الجراف بوجاهة هذه الفكرة وبالفائدة المنتظرة للدانمارك أولا والعالم ثانياً ، ولم يتردد فى أن يفاتح فريدريك الخامس (ملك الدانيمرك فى ذلك الوقت) فى أمر هذا المشروع فأجابه إلى رغبته وأصدر أمره بوجوب تأليف البعثة ، وقد تم هذا فعلا ، وفى أواخر عام ١٧٦٠م اجتمع أعضاؤها فى كوبنهاجن ، وتولى الجراف برنشتورف وملتكه ، بناء على أمر ملكى ، تجهيز هذه البعثة بكل مايلزمها . وكانت على الوجه الآتى : —
كريستنسن ف . هافن لعلوم الاستشراق و« بتر فورسكول Peter Forskal » للعلوم الطبيعية و« كارستن نيبور Carsten Niebuhr » الضابط و« كريستنسن

المحتويات

كارل كرامر Chr. Carl Cramer » الطبيب ، و « جورج فلهلم بورنفيند Georg Wilhelm Baurenfeind » الرسام .

بعد أن أصبحت على تمام الأهبة للسفر .

وفى ٤ يناير ١٧٦١ تركت البعثة كوبنهاجن على ظهر طراد حربى دانيمركى إلى أزمير فاستنبول فمصر فبلاد اليمن حيث بيتت النية على تمضية عدة سنوات هناك والعودة عن طريق البصرة فحلب ، أرادت البعثة هذا وأراد القدر شيئاً آخر ؛ لقد بلغت البعثة اليمن حوالى أواخر عام ١٧٦٢ لكن لم يأت شهر مايو من عام ١٧٦٢ إلا وذهب المستشرق ضحية حمى من حميات المناطق الحارة ، وتوفى فى (مخا) ، ودفن فى المقابر الألمانية الموجودة بها ، ولم يكد زملاؤه ينفضون أيديهم من تراب القبر حتى شيعوا عالم الطبيعيات فى يوليه ١٧٦٣ إلى مقره الأخير بمدينة (يريم) بعد أن صرعته متاعب الأسفار خاصة فيما بين (مخا) و (صنعاء) عاصمة اليمن وبعد أن حاول أكثر من مرة تسلق جبل (صبر) من جهة (تعز) . ولعل السبب الذى دفعه إلى الإلحاح فى تسلق هذا الجبل اعتقاد اليمنيين أن سائر النباتات العالمية تنمو فوقه . وبعد أن فقدت البعثة اثنين من أعضائها واصلت السير إلى صنعاء ، ولما بلغتها استقبلها الإمام واحتفى بأعضائها ، وبعد إقامة قصيرة عادت أدراجها إلى (مخا) واستقلت البحر ووجهتها (بومباى) . وفى طريقها ألقت مراسيها بجزيرة سقطرة حيث شيعت البعثة الرسام وخادمه الدانيمركى اللذين لفظا النفس الأخير فوق مرتفع من مرتفعات الجزيرة ، وكان ذلك فى أغسطس عام ١٧٦٣ . وفى بومباى مرض الطبيب مرض الوفاة ودفن هناك فى فبراير ١٧٦٤ .

لم يبق من أفراد البعثة إلا (نيبور) الذى أخذ على نفسه تنفيذ الخطة التى رسمت للبعثة وقرر ألا يعود إلى وطنه إلا بعد أن يحقق الرسالة ، وقد بر بوعده ولم تطأ قدماه أرض كوبنهاجن إلا عام ١٧٩٧ بعد أن قطع رحلة طويلة مارا بالبصرة وبغداد والموصل وحلب وأورشليم وقبرص واستنبول ، وبالرغم من أن أربعة من الباحثين لقوا حتفهم إلا أن النتائج التى وصلت إليها هذه البعثة كانت فى رأى « ريتر

Ritter » أعظم نتائج علمية جاءت بها بعثة أوروبية من اليمن[1] فقد أتت هذه البعثة بكثير من الفوائد . فإلى جانب نماذج الخرائب ونقوش بلاد ما بين النهرين قدمت لنا كتاب رحلة نيبور الذى مازال إلى يومنا هذا مصدراً هاماً من مصادر هذا النوع من الدراسات[2] بالرغم من ظهور الجزء الثانى منه بعد وفاة المؤلف .

ومن الجدير بالذكر هنا أن بعثة نيبور بلغت أماكن عنية لم تطأها قدم أوربى من قبل أو من بعد كما أن ملاحظات اللافتنت الطوبوجرافية والكرتوجرافية وخريطته الخاصة للجهات المجهولة من بلاد العرب البعيدة قوبلت فيما بعد بتقدير عظيم من الرحالة المتأخرين[3] .

(1) "If he (Niebuhr) was not the most brilliant of the party, if any of his fellows surpassed him in energy, courage and endurance, in intelligence, or in his measure of that scientific temper which is equally free from prejudice and laxity, then a more remarkable mission was never despatched to any land"-"He and his party undertook a double task, to explore the most fertile part of Arabia known to Europe, and to collect there the best possible information about all the rest of the peninsula. Both tasks were carried out in a way which, when all circumstances are considered, is beyond criticism"-"The General characteristics of the man prepare us for the particular merits of a book of travel which... has supplied a basis and a standard to every subsequent inquirer about Arabia. Its great excellence as an authority is due, before all things, to the author's severe suppression of himself."

ولو أن نيبور لم يكن أذكى أعضاء البعثة أو أنشطهم أو أشجعهم أو أكثرهم تحملا للمصاعب أو أكثرهم تحليا بصفات وخصائص البحث إلا أنه لم توفد بعثة لاقليم ما لها من حسن الاستعداد ما لتلك البعثة فقد قام ورفاقه بعمل مزدوج : اكتشاف أورنا لا خصب بقاع بلاد العرب وجمع أكثر المعلومات عن بقية شبه الجزيرة وقد تحقق الشطران على نحو كامل ، بالنظر إلى كل الظروف والملابسات . فالصفات العامة التى يتصف بها الرجل تعاوننا على استقبال كتاب يصلح لأن يكون أساسا ومشكاة لكل من يريد أن يبحث فى بلاد العرب ، ويدين هذا الكتاب فى قيمته قبل كل شىء لشخصية المؤلف .

D. G. Hogarth : The Penetration of Arabia, London 1905 S. 40,52,58.

(2) Carsten Niebuhr : Beschreibung von Arabien, Kopenhagen 1772. Französische Ausgabe :

Description de l'Arabie Copenhague 1773, Nouvelle Edition, Tome 1-2 Paris 1779. Reisebeschreibung nach Arabien und anderen umliegenden Ländern, I. Bd Kopenhagen 1774, II. Bd. Kopenhagen 1778, III. Hamburg 1837.

٣ — يذكر جلازر أن نيبور هو الدقه والصدق والتواضع تحسده راجع .

(3) Glazer : Reise nach Marib, Wien 1913 S. 129-130.

ولم يكن الوقت متسعا أمام نيبور بحيث يسمح له بنسخ بعض النقوش العربية الجنوبية ، وبالرغم من ذلك فقد لفت نظر الذين جاءوا بعده إلى تلك الخرائب وما تشتمل عليه من نقوش حميرية باشارته اليها فى خريطته [1] .

كذلك يظهر أن نيبور الدانيمركى هذا هو أول عالم أوربى رأى نقشا عربيا جنوبيا ، وذلك لأنه لما مرض فى (مخا) زاره هولندى اعتنق الاسلام واطلعه على نقش دوّن فى ابجدية غير معروفة . فقال نيبور : لا اشك أبداً فى أن الانسان ليجد فى الجهات الجبلية باليمن خاصة فيما بين تعز وصنعاء وتهامة نقوشا فى اللغة الحميرية ، وفى الوقت الذى اطلعنى فيه الهولندى على النقش كنت مصاباً بحمى عالية الحرارة . وكنت أستعد لاستقبال الموت لا لجمع النقوش غير المعروفة ، ومن هنا ضاعت علىّ فرصة نسخ هذه النقوش . وأذكر أيضا أن الابجدية التى دونت فيها هذه الكتابة كانت عبارة عن خطوط مستقيمة (المرجع السابق ص ٩٣ — ٩٥) .

والآن وقد أصبح بين أيدينا عدد من النقوش قد يبلغ الالفين ، وأصبحنا على علم تام بالابجدية التى دونت فيها هذه النقوش ، وأن هذه الابجدية تتكون من خطوط مستقيمة تيسر لنا القـــول بأن النقش الذى عرض على نيبور كان نقشا حميريا .

عن طريق هذه البعثة عرف العلماء هذه الكنوز التى تنتظرهم والتى تتصل بالآثار القديمة لبلاد العرب الجنوبية ، ومن ثم نجد كثيرين من الرحالة يقتفون أثر الرحالة الدانيمركى جريا وراء هذه النقوش التى أشار اليها لذلك كانت حملة نيبور هى فاتحة البحث وراء الآثار العربية الجنوبية ولو أن عدداً من الأوربيين كان قد زار بلاد اليمن من قبل [2] .

---

(1) Niebuhr : Bescheroibung S 94, Reisebeschreibung S 400,409,427.

(٢) نجد وصفا جغرافيا لأعمال البعثات التى ذهبت إلى بلاد اليمن قبل عام ١٨٤٥ فى

(2) Carl Ritter; Die Erdkunde, 12. Teil, Berlin 1846 S. 268ff., S. 312ff., S. 738-766

هكذا فى ص ٢٦٨ ومابعدها و ص٣١٢ ومابعدها وكذلك فى ص ٧٣٨ — ٧٦٦ . ونجد نظرة عامة عن الرحلات حتى عام ١٨٨٢ ومصحوبا بخريطة بين الأماكن التى طرقها الرحالة عند

Fr Buhl in "Historisk Arkiv", Kobenhaven 1884.

Sdarabien og dets aeldeste Historie, S. 321-334, 423-437

فنحن نعلم أنه في عام ١٥٠٨ بلغ البحّار الإيطالي (لودوفيشو دى برثيما Lodovicho di Barthema) ميناء عدن ؛ ولإساءة الظن به وضع فيه القيد وحمل إلى جبل على مسيرة ثمانية أيام حيث مقر السلطان الذى كان فى حالة حرب مع ملك صنعاء ، وحاصر هذه المدينة ثمانية شهور دون توفيق إلى الاستيلاء عليها ولما عاد السلطان أطلق سراح برثيما بعد أن قضى ثلاثة شهور فى الأسر . ولما أفرج عنه أخذ يتجول فى البلاد اليمنية وزار عدة مدن منها صنعاء والمدينة الجبلية ضمار ثم عاد إلى عدن ليبحر منها إلى الهند . أما تقريره عن البلاد فيغاير تقرير نيبور وذلك لأن البحار الإيطالى اهتم قبل كل شيء بالمسائل الشخصية وقليلا ما اهتم بذكر أحوال البلاد وصفاتها .

وفى عام ١٧١٢ أرسلت شركة تجارية فرنساوية سفينتين مسلحتين تجاريتين إلى مخا ، ولما علم حاكم اليمن فى ذلك الوقت ، وكان شيخاً ضعيفاً بلغ من العمر تسعين عاماً ، بنزول الأوربيين فى مينائه رجا أن يرسل إليه طبيب فقرر الفرنسيون استغلال هذه الفرصة وأرسلوا بعثة تحت رئاسة الميجر دهلا جرلودير Major de la Grélaudiére) إلى القصر الملكى بالقرب من ضمار . وقد بلغت البعثة هذا القصر بعد مسيرة ثمانية أيام على ظهور الخيل مارة بالطريق المعروف بطريق اليمن فى الدرب الجنوبى الذى اخترقه الدانيمركيون فيما بعد مارة بتعز ويريم حتى ضمار فاستقبلت البعثة فى القصر استقبالا عظيما ونجح الطبيب فى شفاء الملك من مرض أصابه فى أذنه لذلك بالغ الملك فى إكرام البعثة واستضافها نحو شهر ، ثم قفلت

كذلك نجد عرضا جديداً لكشف بلاد العرب الجنوبية للعلامة .

Fr. Hommel in Hilprechts. Explorations in Bible Lands, Philadelphia 1903, S. 691-752. D G. Hogarth.:

The Penetiation of Arabie, London 1905. ( ). Ditlef Nielsen. Studier over oldarabiske Indskrifter, Kobenhavn 1906, Reiserne til Sydarabien, S. 1-35. Otto Weber : Forschiungsreisen in Sud-Arabien bis zum Auftreten Eduard Clasers, Leipzig 1907 (Der Alte Orient 8. Jahrg. Heft 4).

Dersllbe : Eduard Glasers Forschungsreisen in Südarabien,. Leipzig 1909 (Der Alte Orient 10. Jahrg Heft 2).

راجعة محملة بكثير من الهدايا ، وسلكت عند أوبتها نفس الطريق الذى سلكته من قبل . وفى هذه البعثة نقرأ كثيراً عن حريم الملك وحفلات الزفاف . ولم يهتم الفرنسيون أو برثيما بخرائب البلاد ونقوشها[1] .

وفى صيف عام ١٨١٠ نجد الدكتور (و . ى . ستزن U. E. Seetzen) يحاول البحث عن النقوش التى أشار إليها نيبور ، فسافر من الحديدة ، فى أحوال سياسية مضطربة ، وأخذ يتجول فى داخل بلاد اليمن . وما كاد يترك صنعاء ويتجه إلى الجنوب حتى عثر على النقوش التى أشار إليها نيبور واستطاع أن ينسخ بالقرب من المدينة الحميرية ظفار النقوش العربية الجنوبيـة الأولى ، وهى عبارة عن خمس قطع صغيرة من نقوش غير واضحة ، ومن ثم أخذ يواصل السير ماراً بمدن حتى بلغ مخا وهناك اعتقد القوم أنه ساحر لما وجدوه معه من ثمابين وكائنات أخرى كان يحفظها فى كحول . ولما ترك وقافلته المحملة بمجموعاته مخا قاصداً داخل البلاد اختفى نهائياً ، واختلفت الآراء حول مصـيره فمن قائل إن العرب قتلوه بالقرب من مدينة تعز ، ومن قائل أن الإمام أمر بدس السم له فى صنعاء وهناك لقى حتفه .

ثم جاء رحالة آخر وهو (أرنود Arnaud) وعلم من سكان مأرب أن رحالة من الجنس الأبيض نسخ هنـاك بعض النقوش وتأكد أن بقايا مخلفات هذا الرحالة تتداولها الأيدى فى بلاد اليمن ، ولو أنه لم يعرف على وجه التحقيق النتائج العلمية لمخلفات (ستزن) إلا أنه علم أنها عبارة عن رسوم وأوراق وكتب ممهورة بإمضائه إلى جانب بعض الرسائل والنقوش الخمسة التى سبق ذكرها والتى تسربت عن طريق مخا إلى أوربا ونشرت فيما بعد[2] .

(1) Lodovicho di Barthema : Itinerio, Libro 11, dell'Arabia felice c. I-XV, fol. 152-155 in G. B, Ramusio : Raccolta delle Navigationi etc, Venetia 1563, fol. Tom 1, (De la Grélaudière) Relation du Voyage de Moka à la Cour du Roy d'Yemen (1712), in Jean de la Rocque, Voyage de l'Arabie heureuse, Paris 1716, 8, p 222-294 Nach Carl Ritter : Die Erdkunde, 12 Teil S 739 ff.

(2) v. Zach : Monatliche Correspondenz, 1813, Bd. 27 u 28. Fundgruben des Orients Wien 1811, Bd. 2, S. 275 ff. Ritter: Erdkunde, S. 744 ff

لم يمر حادث اختفاء (ستزن) دون أن يترك أثرا فى نفوس المغامرين الأوربيين فقد احجم الغرب عن الأقدام على السفر إلى جنوب بلاد العرب ، واستمر الحال كذلك زهاء الثلاثين عاما ، وحدث بعد ذلك أن الانجليز كانوا يقومون ببعض الأعمال العربية على شواطىء بلاد العرب الجنوبية فعثر بعض ضباط البحرية على نقوش عربية جنوبية اضافت إلى ثروتنا العلمية ثروة أخرى . فقد استطاع مثلا فى صيف عام ١٨٣٦ كل من (هلتون Hulton و (كروتندن Cruttenden) الوصول على ظهر سفينة من سفن قياس الشواطىء إلى جهة بدآ منها رحلتهما إلى صنعاء ، وبالرغم من وفرة السلاح لديهما إلا أنهما اضطرا إلى أن يسلكا الطريق الشمالى المعروف باسم — طريق الشام — وذلك لأن بعض البدو كانوا يهددون الطريق الجنوبى ، وحتى الطريق الآخر فقد كان السير فيه صعبا شاقا لجفافه أولا وشدة حرارته ثانياً لذلك مرض (هلتون) مرض الوفاة كما نجح (كروتندن) فيما بعد فى نشر النتائج التى وصلت اليها هذه البعثة ومن بينها خمسة نقوش قصيرة سبائية وجدها فى صنعاء[١] .

وكذلك عرفت الحدود بين بلاد اليمن وحضرموت عن طريق اهتمام الانجليز بالشواطىء فقد اكتشف اللفتنت الانجليزى ولستد (Wellsted) عام ١٨٣٤ الحصن المعروف باسم حصن الغراب الواقع على الشاطىء شرق (بال حاف) كما وجد فوق الصخر الأسود الذى بنى عليه الحصن بعض النقوش المدونة فى الحائط الصخرى ومن بينها النقش المشتمل على عشرة اسطر والمعروف باسم نقش حصن الغراب وتاريخه يرجع إلى عام ٦٤٠ ويعتبر هذا النقش أول نقش طويل كامل واضح عثر عليه . وفى العام التالى انتهز (ولستد) فرصة رسو السفينة فى خليج قبة العين وقام برحلة فى غرب وادى ميفعة شمال قبة العين وهناك بعد مسيرة يومين فى الصحارى عثر فى أراضى خصبة جدا على بقايا مدينة أو حصن من حجارة كبيرة

(1) Charles J Cruttenden : Narrative of a Journey from Mokka to San'a in Journ. of the London Roy. Geogr. Soc. 1838, vol. 8 p 267 ff Journal of an Excursion to Sana'a in Proceed of the Bombay Geogr. Soc 1838, p. 39 ff. Ritter : Erdkunde, S. 747 ff I. R. Wellsted : Travels in Arabia, London 1838.

Roediger : Wellsteds Reisen in Arabien, Halle 1842.

ويطلق على هذه الدمن اليوم (نقب الهجر) وهى تسمية متأخرة . أما الاسم الأصلى فهو (ميفعة) وقد ورد فى نقش بحائط نقله الانجليزى ، واسمه نقش نقب الهجر ، وتطلق هذه التسمية بعينها حتى اليوم على الوادى[٢].

وقد أثبتت هذه الرحلات أن خلف صحارى بلاد العرب الجنوبية توجد أراض زراعية ، وأن هذه الأراضى الزراعية غاية فى الخصوبة وأنها كانت فى العصور الخالية وطنا لحضارة رفيعة فبقايا الحائط مثلا قد تكون أثرا لبعض أعمال تحصين قديمة اقيمت فى الماضى لحماية الطريق التجارى بين الأسواق الهندية وحضرموت ، والمدينة التجارية البحرية القديمة الشهيرة باسم (كانى Kane) يرجح أن بقاياها هى المعروفة اليوم باسم حصن الغراب أو بالقرب منه .

وفى عام ١٨٣٦ نجد المبشر (ولف Wolf) يقوم برحلة من مخا إلى صنعاء ويعود بخفى حنين ، وما يقال عن (ولف) يقال أيضاً عن عالم النبات (بوتا Botta) الذى قام عام ١٨٣٧ برحلة إلى الجهات الغربية الجبلية . ومن الجدير بالذكر هنا أنه عقب هاتين الرحلتين ادرك العلماء أن ما لديهم من نقوش وغيرها يصلح لأن يكون أساساً لدراسة اللغة العربية الجنوبية فاتجه العلماء خاصة الألمان إلى الاضطلاع بهذه المهمة فظهر (جزنيوس Gesenius) و (روديجر Rodiger)[١].

ويمضى الزمن ، وتخطو هذه الدراسات خطوات واسعة ، وذلك بفضل الرحالة الألمانى (أدولف فون فريده Adolph V. Wrede) الذى سار عام ١٨٤٣ من ميناء مكلا متجهاً شمالا غربياً حيث حضرموت واستطاع بعد مسيرة ستة أو سبعة أيام من الشاطئ أن يعثر على جنة غناء وواد غاية فى الخصوبة يعرف بوادى دوعن ، كما توغل فى بقاع أخرى غنية بالزراعة والفواكه ووصف داخل بلاد حضرموت فخرجنا من هذا الوصف بأن الإقليم غنى بالحاصلات الزراعية ، وآهل بالسكان . واجتاز فون فريده أيضا الصحراء المعروفة باسم بحر الصافى أو

---

(١) وأعاد نشره بالألمانية وقدم للنقوش الحميرية .

(2) Wilhelm Gesenius : Ueber die Himjaritische Sprache und Schrift. Halle 1841. E. Rödiger : Versuch über die Himjaritischen Schriftmonumente, Halle 1841.

الأحقاف ، وهى تقع شمال حضرموت . وبعد أن نجح فى اجتياز هذه الصحراء عثر فى سهل ميفعة الشرق فى الوادى المعروف باسم وادى أوبنه على بقايا حائط قديم وعليه نقش حضرمى من خمسة سطور ويعرف باسم نقش أوبنه [1] .

وفى نفس العام وفق الصيدلى الفرنسى (توماس يوسف أرنود Thomas Joseph Arnaud) وبلغ مارب عاصمة الدولة السبأية المحاطة بكثير من القصص ورحل فى صيف عام ١٨٤٣ كطبيب السفارة التركية إلى صنعاء ، وهناك هرب من رفاقه وغامر سائراً شرقاً ، ومما يؤسف له حقاً أن معالم الحضارة الاقتصادية التى بلغت فى تلك البلاد شأواً بعيداً درست ، ولم يبق منها حتى عهد (أرنود) إلا بقايا طريق القوافل الذى كان ممتداً بين مارب وصنعاء ، والذى تستخدمه مارب فى تجارة الملح الجبلى مع صنعاء ، وكانت الأخيرة تصدر الأذرة التى تنتجها أرضها وأرض البلاد المحيطة بها إلى الجهات الشرقية القاحلة على ظهور الإبل . وهذا دليل قوى يبين مدى التغيير الذى طرأ على تلك الجهات بين الأمس واليوم ، فبالأمس كانت المروج الخضراء التى تنساب فيها الأنهار حاملة إليها الحياة ، فتنتج حباً ونباتاً وجنات ألفافاً ، فاكتسبت مأرب شهرتها التى طبقت آفاق العالم القديم . وقد حاول (أرنود) بلوغ مأرب فى قافلة من هذه القوافل فوضع نفسه تحت حماية أحد أفراد هذه القافلة نظير مبلغ من المال ورافقه من صنعاء ، وكان ذلك فى ١٢ يوليه ١٨٤٣ وقطعت القافلة الطريق بين صنعاء ومارب فى مدة تتراوح بين خمسة وستة أيام ، إذ بعد سفر يومين كانت القافلة قد قطعت الهضبة الغربية وبلغت ممراً موصلا إلى سهل . وبعد ستة أيام استطاع (أرنود) بتصريح خاص من أمير المدينة أن يدخل مارب وخلفها تاريخها الغنى المجيد .

وعلى امتداد نهر (ضن) كان يسير الطريق مخترقا جبال بلق حتى بقايا سد مارب الذى يرجع تاريخه إلى عصر مارب الذهبى . وشرقيه يوجد سهل فسيح

---

(1) Heinr. V. Maltzan : Adolph V. Wredes Reise in Hadramaut, Braunschweig 1870, hrsg. nach Wredes hinterlassenen Papieren mit einer Kommentar zur Obneuschrift.

كانت تقوم فيه قرية متواضعة تحمل اسم العاصمة الشهيرة للسبئيين ، وقبل أن يدخل (أرنود) مدينة مارب سارع ورسم تخطيطاً يبين السد كما نسخ عدداً من النقوش بقدر ما سمحت له ظروف دليله . وقد استقبل الأمير (أرنود) استقبالا عظيما ووضعه تحت حمايته ورعايته لذلك استطاع أن يفحص خرائب مارب القديمة وهي عبارة عن طبقة أرضية من بقايا سور المدينة المحيط بها ، وكذلك معبد المقة الواقع خارج المدينة ، والذى يطلق عليه العرب اسم (حرم بلقيس) كما نجح (أرنود) أيضاً فى نسخ بعض النقوش إلا أن حب استطلاع السكان والحاحهم عليه وشدة تعلقهم بخرافاتهم القديمة جعل إقامته بينهم شاقة عسيرة ، لذلك اضطر فى اليوم الثالث إلى مرافقة قافلة كبيرة كانت تحمل ملحا جبليا ، وكانت تقصد صنعاء . وفى مساء نفس اليوم بلغت القافلة مكانا قريبا من (خربة) غنيا بالخرائب ، وما كان (ارنود) يستطيع زيارتها عند مروره بها من قبل لذلك انتهز فرصة نزول القافلة عندها ، وسار اليها ليلا برفقة دليله ، واستطاع أن ينسخ بعض النقوش ولما يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود . وتتحدث هذه النقوش عن بناء العاصمة السبأية الأولى (صرواح) . ثم واصل السير على ظهور جواد حتى لحق بالقافلة بعد ساعتين ، وبلغ سهل خربة ، ووصل (ارنود) إلى مدينة صنعاء فى ٢٥ يوليه بعد أن نجح القوم فى تهريبه من قرية كان اميرها يتقاضى حسب التشريع القديم ضريبة على الملح المصدر إلى صنعاء[1] .

وقد قاسى (انود) كثيرا من الأهوال فى الطريق الممتد من صنعاء إلى شاطىء تهامة ، وذلك بسبب كثرة نزول الأمطار التى افقدته بصره زمنا طويلا الا أن وصفه للرحلة والنقوش السبأية التى يبلغ عددها ٥٦ نقشا والتى نسخها فى صنعاء وصرواح (خربه) ومارب وصلت الى القنصل الفرنسي (فرسنل Fresnel) فى جده . وكان هذا القنصل من المعنيين بمثل هذا النوع من الدراسات خاصة اللهجات العربية الجنوبية حول ظفار ومرباط (اكيلى واكروى) . وكان يعتقد انها من بقايا اللغة

---

(١) تذكرنا هذه الأخبار بما جاء عند المؤلفين الكلاسيكيين خاصا بأمراء جنوب بلاد العرب ووسائل ابتزاز الأموال من المحطات التجارية ومن المصدرين .

القديمة للكتابة لذلك كرس جزءا كبيرا من وقته لهذه النقوش الجديدة . ولما كانت ترجمة مثل هذه النقوش فى ذلك الوقت من المسائل الصعبة ارسلها (فرسنل) ومعها شرح الى (جورنال ازياتيك) (المجلة الأسيوية) . ومن بعض ملاحظاته التى ضمنها شرحه ، والتى تتعلق ببعض اسماء الأعلام يتبين لنا انه كان على حق كما كان على شىء من الخبرة فى النقوش العربية الجنوبية . ولما نشرت هذه النقوش فى المجلة الأسيوية عام ١٨٤٥ استخدمت الحروف العربية الجنوبية للمرة الأولى كما ظهرت للوجود اول مجموعة آثار أصلية من مملكة سبأ بلاد القصص والخيال(١) .

وحدث أن خادما للانجليزى (لوفتوس Loftus) الذى كان يعمل فى الحفائر البريطانية فى بلاد بابل كان يركب جوادا بالقرب من ورقاء ، وكان ذلك حوالى عام ١٨٥٠ فكبا به الجواد فى قبر وجد فيه نقشاً عربياً جنوبياً لشخص يدعى (هنتشر بن عيسو)(٢)

وبعد ذلك نجد الضابط الإنجليزى (كوجلان Coghlan) يحصل من العرب على مجموعة قيمة من الألواح البرنزية السبأية التى زادت من ثروتنا فى الكتابات العربية الجنوبية . ومن حسن الحظ أن المتحف البريطانى حصل فى نفس الوقت على بعض الأحجار من مارب وبعض قطع من الكتابات تبلغ حوالى اربعين قطعة . اما الألواح فهى — مع استثناء لوح واحد فقط — من معبد من معابد عمران شمال غرب صنعاء ، وهى تشتمل على نصوص للتقرب الى الآله المقه وهى وثائق قيمة لمعرفة العبادة فى ذلك العصر . كما يوجد لوح (Os.29) من مدينة شبوة بحضرموت وهو يشتمل على وثيقة تقرب وإهداء إلى الآله سين . وهذا النقش كنقشى أوبنه ونقب الهجر من النقوش الحضرمية . وأول من أهتم

---

(1) Journal Asiatique 4. Série 5. Tome, Paris 1845 : Relation d'un voyage à Mareb (Saba) dans l'Arabie Méridionale, entrepris en 1843 par M Arnaud, p 211 - 245, 309 - 345, 6. Tome, Inscriptions, Transcription Arabe et Remarques de M Fresnel d. 169 - 237.

(3) William Kennet Loftus : Travels and Researches in Chaldaea and Susiana in 1849 - 1852, London 1857, d. 233 - 234.

ببحث هذه المجموعة هو أرنست أوسيندر الذى سبق له أن قام ببعض البحوث حول نقوش أرنود إلا أن الموت أختطفه من علمه عام ١٨٦٤ . لكن شرحه الكامل لهذه النقوش للذى كان قدأعده للنشر قبيل وفاته نشر بعد عام ،ومنه نتبين مدى الجهد الذى بذله هذا العالم [1] .

وإذا استثنينا نقوش أرنود فمعظم النقوش التى وصلت أوربا كانت على يد انجليز أو بتوجيه انجليزى لذلك نجد فرنسا تهتم بالأمر وتعد بعثة إلى تلك البلاد استطاعت أن تغير مجرى الأبحاث العربية الجنوبية فقد تقرر فى باريس فى عام ١٨٦٩ إصدار المدونة المعروفـــة باسم (كوربوس انسكريبسيونيم سميتيكاروم Corpus inscriptionum Semiticarum) كما قررت اكاديمية الفنون الجميلة Académie des Inscriptions et belles-lettres إرسال الاستاذ الشهير المستشرق (يوسف هلفى Joseph Halévy) فى بعثة إلى بلاد اليمن لجمع بعض نقوش لهذه المدونة ، وكان قد سبقه إلى اليمن يهودى آخر يدعى يعقوب سفير (Jacob Sapnir) واستطاع أن يتصل هناك باليهود اليمنيين كما تبين له أنه من السهل على اليهودى أن يتجول بين أفراد القبائل العربية المستقلة ، وذلك لأن العرب يعاملون اليهود اليمنيين المنتشرين فى مختلف الجهات معاملة المنبوذين فلا ، يسمح لهم بحق من الحقوق إلا ما تجود به النفس العربية مدفوعة بعامل الرفق والعطف فلا يسمح لليهودى مثلا بحمل السلاح أو اقتنائه كما ينظر المسلم إلى اليهودى نظرة كلها احتقار . كما تقتضى الشهامة العربية عدم الاعتداء على اليهودى الاعزل فذلك الأعتداء يشين الشهامة العربية ويمتهن الكرامة البدوية ، وذلك لأن قتل اليهودى لا يختلف عن قتل المرأة أو الطفل . لذلك استغل اليهودى هاليفى هذه التقاليد وتزيا بزى يهودى فقير حضر من القدس إلى اليمن عام ١٨٧٠ وأخـــذ يتنقل فى مختلف الجهات ، ويذهب إلى الأماكن التى كان من المسير على غيره بلوغها

---

(1) Ernst Osiander : Zur himjarischen Alterthums-und Sprachkunde, ZDMG 10 Bd. 1856, S. 17-73. Zur himjarischen Altertumskunde, ZDMG 19, Bd. 1865, S. 159 - 293; 20. Bd. 1866, S. 205 - 287

فمن صنعاء بدأ رحلته مخترقاً الجوف معارضاً الطريق الذى سلكه (اليوس جللوس Aelius Gallus) إلى نجران ، ومن هناك نجد هليفى يتجه إلى واد خصيب. ويقف أمام خرائب نجران ثم يتركها متجها جنوباً مارا بما رب وصرواح عائدا إلى صنعاء ، وقد قامت فى وجه هليفى فى هذه الرحلة عدة صعوبات فالى جانب الحرمان لاقى فنونا من ضروب الذلة التى يعامل بها اليهودى هناك لذلك فقد لذة العمل والرغبة فى البحث والجرى وراء جمع آثار العرب الأولين . ولعل السر فى هذا هو أن العرب ينظرون إلى تلك الآثار القديمة نظرة تقديس واحترام . فهم يعتقدون مثلا أن بقايا المبانى العظيمة المنتشرة فى أماكن كثيرة فى الصحارى هى من تشييد قوى غير طبيعية ، ويعتقد بعض العرب أن نقل هذه النقوش من مواضعها أو اطلاع غير المؤمنين عليها يسبب للبلاد الخراب والدمار . وأخيراً عاد هليفى بعد أن قاسى ما قاسى من ضروب الذلة والاهانة . لكنه عاد يحمل كثيرا من المواد العلمية الهامة ، وعاد سليما إلى فرنسا وقدم للاكاديمية ما لا يقل عن ستمائة وستة وثمانين نقشا لم يعرف العالم منها من قبل الا خمسة عشر نقشا . وقد جمع هذه النقوش من سبعة وثلاثين مكاناً ونشرها (هليفى) عام ١٨٧٢ مع تقرير عن رحلاته وترجمة لها تتفق والمستوى العلمى لعصره ، وفى الأعوام التالية نشر المستشرق هليفى بحثاً حول لغة النقوش ، كما راجع كثيراً من النقوش التى كانت معروفة حتى ذلك العصر(١) .

---

(1) Journal Asiatique, 6 Série, 19. T. 1872 : Rapport sur une mission archéologique dans le Yémen, par M. Joseph Halevy, p. 5 - 98. Inscriptions Sabéennes, p. 129 - 266, Traduction des inscriptions, p.480 - 547. 7. Série, 1. Tome, 1873 : Etudes Sabéennes par M. Halévy, Examen critique et philologiqué des inscriptions Sabéennes, connues jusqu'a ce jour, p 434 - 521; 2. Tome 1873, p 305 - 365; 4 T., 1874, p. 497 - 585; Bulletin de la Société de Géographie, 6. Série, 6. Tome 1873 : Voyage au Nedjrân, p. 5 - 31, 249 - 273, 581 - 606, 13. Tome, 1877, p. 466 - 479.

ويوجد تقرير آخر لم ينشر حول رحلة (هليفى) كان فى حيازة الدكتور جلازر ، وقد وضعه فى العبرية والعربية دليله فى السفر وهو يهودى صنعانى اسمه حاييم حبشوس ولم يشر إليه (هليفى) فى تقريره ، وفيما يتعلق بخط سير كل من هليفى وأرنود قارن ملاحظات

Glasers Bemerkungen in seiner "Reise nach Mârib", Wien 1915 Anhang S. 161 - 165, S. 165 - 167.

والقيمة العلمية الكبرى لهذه الرحلة يجب ألا ينظر إليها من ناحية كمية النقوش التي أسفرت عنها بل من ناحية المعلومات الجديدة التي جاءت بها ، فقد علمنا بمقتضاها أن هناك حضارة رفيعة راقية لشعب ضرب في المدنية بحظ وافر ، وهذه المعلومات كانت حتى قبيل تلك الرحلة مجهولة . ففي الجهات الخصيبة الواقعة حول نهر (خرد) في الجوف العربي الجنوبي وشمال شرق صنعاء إكتشف (هليفي) آثار تلك الحضارة الرفيعة في ظلال دمن الأبنية العظيمة والمدن الكبرى التي يقع معظمها فوق مرتفعات حصينة . فقد كانت هذه المدن كما تبين فيما بعد من النقوش مدناً معينية قديمة ، وفيها نقوش معينية ؛ بينما النقوش الأخرى التي عرفت من قبل يرجع معظمها إلى أيام الدولة السبأية ، وهي في اللغة السبأية ، وقليل منها في اللهجة الحضرمية وهو يرجع إلى دولة حضرموت الواقعة في الجهة الشرقية .

ففي خرائب تلك المدن المعينية وجد (هليفي) لا بقايا حصون عظيمة وأسوار وأبراج تكسوها النقوش فحسب ، بل عرف العالم بمعابد على جانب عظيم من البهاء ، وداخلها تقوم أعمدة كثيرة ونصب متعددة كما عثر على مرتفع يظهر أنه كان مكاناً مقدساً خاصاً ، كما نسخ هناك مائة وأربعة وخمسين نقشاً دينياً تتصل بالحياة الدينية العامة ، ومنها يتبين لنا أيضاً أن المدينة التي يطلق عليها الآن (براقش) تسمى في العصور القديمة (يطيل) كما أنها كانت مدينة عظيمة ومركزاً هاماً من مراكز الثقافة المعينية ، ووجد مدينة أخرى تعرف اليوم باسم السوداء ويعتقد هليفي أنها كانت قديماً مدينة صناعية بالرغم من أنها اليوم عبارة عن خرائب وأنقاض ، كما اهتدى إلى أحد وسبعين نقشاً تبين لنا الماضي السعيد والعصر الذهبي الغابر .

وأكبر مدينة لم تصلنا إلا خرائبها هي عاصمة الدولة المعينية المعروفة باسم (قرناو) واليوم (معين) وهي في بقاياها رمز لمجد الدولة المعينية الغابرة ، وهي تقع على مرتفع حصين طوله ٢٨٠ متراً وعرضه ٢٤٠ ويحيط به سور عظيم به كثير من الأبراج ، وقد وجد هليفي على هذا السور ، وعلى غيره من الأبنية العامة ثمانين نقشا .

وفي تلك الفترة التي كان هليفي يتجول فيها في الربوع اليهودية اليمنية طرأ

حادث سياسى غيّر مجرى مستقبل البلاد السياسى ، وأصبحت بلاد اليمن منذ عام ١٨٧٠ حتى الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ — ١٩١٨) أيالة تركية خاضعة لسلطان الأتراك ، ولو أن التغيير فى الحقيقة والواقع لم يطرأ إلا على مدينة صنعاء التى أصبحت مقراً لحامية تركية تقوم بحماية طريق الحديدة — صنعاء . أما بقية البلاد اليمنية فقد ظلت مستقلة كما كانت واقتصر سلطان الأتراك على العاصمة وبعض ماحولها .

أما موقف العرب العدائى تجاه الأجانب فلم يتغير وظلت القبائل البدوية المحبة للحرية طليقة اليد ، وإن أدركت بالرغم من كل ذلك أن وجود الأتراك حمل ثقيل وأنه سبب للبلاد كثيراً من الأزمات والمتاعب لذلك كثيراً ما أضطر الأتراك إلى خوض غمار معارك عديدة مع القبائل بسبب تحصيل الضرائب . ومما يؤسف له أن الأماكن الغنية بنقوشها لم تصبح أكثر منالا للاوربيين من ذى قبل حتى بعد وجود الجنود الأتراك . وذلك لأن هدف الجندى ليس جمع النقوش .

والنتيجة أن رحلة (ملتزن Maltzan) إلى عدن (١٨٧٠ — ١٨٧١) ورحلة (منزونى Manzoni) لم تأتيا بالثمرة المرجوة من حيث الحصول على نقوش هامة ، لذلك استغل (ملتزن) فرصة وجوده فى بلاد اليمن التركية وعكف على دراسة اللهجة العربية ، وكانت النتيجة إن ظهرت إلى الوجود لهجة عربية جنوبية ألا وهى لهجة (مهرى) وهى لغة إقليم (مهرة) شرق حضرموت . وهذه اللهجة العربية الجنوبية الحديثة تذكرنا ببعض الخصائص الصوتية التى نجدها فى النقوش القديمة فى اللغة الحضرمية كما احتفظت أيضاً ببعض الصيغ السبأية الحميرية[1] .

---

(1) Heinrich Freiherr von Maltzan : Ueber den Dialekt von Mahra, genannt Mehri, in Südarabien, ZDMG Bd. 25, 1871, S 196 - 214 Dialektische Studien über das Mehri in Vergleich mit verwandten Mundarten, ZDMG Bd. 27. 1873, S. 225 - 231. Arabische Vulgaerdialekte l c S.232-294' Reise nach Südarabien und geographische Forschungen in und über den südwestlichen Teil Arabiens; Braunschweig 1873. Renzo Manzoni : El Yemen, tre anni nell'Arabia felice. Escursioni fatte dal Settembre 1877 al Marzo 1880, Roma 1884, und die späteren Arbeiten Jahns, D. H. Müllers und Bittners in den Schriften der Wiener Akademie.

والخبر الجدير بالذكر أن الوظفين الأتراك كثيراً ما كانوا يشترون بعض النقوش التى كان العرب يجلبونها إلى صنعاء . وهكذا أصبح المتحف التركى الامبراطورى فى القسطنطينية يشتمل على مجموعتين عربيتين قديمتين تضمان خمسين قطعة معظمها سبأية ، وقد نشرت هذه المجموعة كلها كما هى فى هذا المتحف المعروف باسم (Tchinili Kiosk) فيما بعد[1] .

وكانت نتيجة رحلة هليفى ومشتريات الأتراك أن زاد الاهتمام بآثار البلاد العربية الجنوبية . لذلك قام كثيرون وأخـذوا يقلدونها ويبيعونها للمتاحف الأوربية فأثرت هذه القطع المزيفة فى النشاط العلمى ، كما أخذت تشكك العلماء والباحثين فى قيمة النتيجة العلمية لأبحاثهم ، ومما زاد الطين بلة أن رجلا من سكان صنعاء كان يجيد صناعة النحاس ، وكان ماهراً فى تقليد الألواح القديمة ، فأتخذ من هذه المهنة تجارة رابحة . وقد وجدت هذه الألواح المزيفة طريقها إلى القسطنطينية إلا أن الاختصاصيين تبينوها كما أن عددا كبيراً من النقوش التى نشرها هليفى (ورتوريوس) مزيفة . كذلك الحال مع كثير من النقوش التى حصل عليها (بريدو Prideaux و (ميـــلز Miles) أو بعض تلك نشرها (رهتسك Rehatsek) والمحفوظة فى متحف بومباى . كذلك اشترى اللوفر آثارا مزيفة نشرت فيما بعد مع أربعة نقوش أصلية لجلازر . وقد أهتدى العلماء إلى هذا التزوير عن طريق جمل مقطعة أو كلمات مكتوبة على مادة جيدة وعلى كل فقد أفادت هذه اللوحات المزورة من جهة أنها كانت تقليداً لأخرى أصلية .

وبعد فترة الركود التى انتابت المغامرين دب النشاط ثانية ، وقويت الرغبة فى سبيل جمع النقوش . فأقدم العالم المستشرق النمساوى أستاذ اللغة العربية وفلكى المرصد القيصرى بفينا وهو أدورد جلازر عام ١٨٨٠ على رحلة من قبل الاكاديمة

---

(1) Dr. J. H. Mordtmann und Dr. D. H. Müller: Sabaische Denkmäler, Wien 1883, Separatabdruck aus dem 33. Bd. der Denkschriften der Philosoph. Histor. Klasse der kais Akademie der Wissenschaften). Vgl. Musée Impérial Ottoman. Antiquités Himyarites et Palmyriennes. Catalogue sommaire, Constantinopel 1895 (152 Nummern).

الباريسية فسافر إلى تونس فمصر ليتزود من اللغة العربية ، والعـادات العربية ، والتقاليد العربية ، وبينما كان يعد جلازر نفسه لرحلة اليمن اقترح مستشرقو فينا عام ١٨٨٢ المستشرق الشـاب اخصائى اللغة العربية إلا وهو (سيجفريد لنجر Siegfried Langer) ليسافر إلى اليمن ، فغادر هذا المستشرق البلاد ، وبعد إقامة قصيرة فى سوريا سافر بحراً إلى جدة وقنفدة . ومن هناك رافقـه الاتراك إلى الحديدة . وفى طريقه إلى صنعاء مخترقا بلاد حمير القديمة عثر بالقرب من (ظران) على نقش حميرى كبير ، كما اهتدى إلى الخرائب الحميرية التى أشار إليها (نيبور) ونقوشاً بالقرب من المدينة الصغيرة (ضاف) التى بحث عنها (ستزن) عبثاً . وفى صنعاء استطاع نسخ نقشين (لنجر ١٠ — ١٣) إلا أن الترك لم يسمحوا له بالتقدم بعيداً فى داخلية البلاد وأعادوه ثانية إلى الحديدة . لـكن (لنجر) لم يفقد الرغبة فى المغـامرة ، وتوجه إلى عدن وهناك نجح فى الوصول إلى نماذج لبعض النقوش التى لم يعرف بالضبط من أى الجهات وصلت إلى عدن (لنجر ١٤ — ١٨) . ومن بين هذه النقوش نقش هام جداً من الناحية اللغوية بالرغم مما به من تلف ، وهو فى اللهجة الحضرمية (لنجر ١٤) . ومن عدن حاول متنكرا فى زى أحد الأعراب الوصول إلى الخرائب الموجودة فى داخل البلاد لـكن حيلته لم تفلح وكشف أمره وقتله دليله بعد مسيرة أيام قلائل من عدن . ويتبين من التحريات التى قام بها جلازر فيما بعد أن (لنجر) هذا خلع مرة ملابسه واسلحته ونزل فى نهر (بنا) يسبح فاطلق عليه الرصاص وهو فى المـاء وقتل بسلاحه الخاص ، وكانت كلمته الأخيرة التى لفظها ولفظ معها الحياة (امان) . ومن حسن الحظ أن (لنجر) كان قد أرسل من قبل نسخ هـــذه النقوش التى توصل إليها ، وبلغ عددها اثنين وعشرين نقشاً ، وقد نشرت فى فينا بعد وفاته [1] .

وفى نفس العام الذى قتل فيه لنجر وذهب ضحية العلم ، وصل جلازر إلى صنعاء إلا أن الترك احتجزوه فيها محتجين بمصير (لنجر) . لـكن (جلازر) نجح

---

(1) D. H Müller : Sabäische Inschriften, entdeckt und gesammelt von Siegfried Langer, in ZDMG Bd. 37, 1883, S. 319-421.

فى اقناع كبار الموظفين هناك ، وأبان لهم أهمية المهمة التي وفد من أجلها ، وبذلك استطاع أن يقوم فى الفترة الممتدة من ١٨٨٢ — ١٨٨٤ بثلاث رحلات فى شمال بلاد اليمن .

ففى الرحلة الأولى رافق حملة تركية حربية جردت لفتح مدينة (سودة) التى كانت تناصب الحكومة العداء ، وكانت هـذه الحملة مكونة من أربع جماعات فيها نحو ١٣٠٠ جندى ومعها ثلاثة مدافع ، وواصلت هـذه الحملة كفاحها ضد القبائل المحيطة بصنعاء مخترقة الطريق الشمالى الغربى حتى بلغت (سودة) . وقد لاقت هـذه الحملة كثيراً من الصعوبات التى اضطرتها إلى التقهقر احياناً .

نجح جلازر فى ظلال الترك وحمايتهم فى القاء نظرة عامة على البلاد ،ومن ثم قرر القيام برحلة فى رفقة بعض اليمنيين إلى شيام وكوكبان رهجه وعمران وجميعها بالقرب من همدان ، وهناك فحص خرائبها ونسخ نقوشها . ومن ثم دنت له فرصة ثمينة فاستغلها وتوجه إلى داخل منازل قبائل حاشد وبكيل . فهاتان القبيلتان الأختان واللتان طالما جاء ذكرهما فى النقوش القديمة كانتا فى نزاع متصل ، وخصومة مستمرة ، ورغبة جامحة فى سبيل الانتقام والثأر . ونجح الحاكم التركى بدهائه ومكره فى كسب ثقة أهل القبيلتين واعترف له رجالها بحق الفصل بينهما وانتهز الحاكم التركى هذه المناسبة وأرسل جلازر إلى حاشد فسارع هذا المستشرق إلى انتهاز هذه الفرصة . وفى يناير ١٨٨٤ بدأ رحلته مع بعض شيوخ ارحب الذين اتفقوا فيما بينهم على اغتياله متى أتيحت لهم الفرصة ، إلا أن جلازر نجا واستطاع فى نهاية هذه الرحلة الثالثة أن يرسل النتائج التى وصل إليها فى رحلاته الثلاث إلى الاكاديمية الفرنسية . وهـذه النتائج تلخص فى أربعة أحجار بها نقوش سبائية وما يقرب من مائتين وثمانين نسخة لـكتابات شاهدها . وقد نشر (درينبورج Derenbourg) الأخيرة فى المدونة الخاصة بالنقوش السامية ، وقد استغرق نشرها زمناً طويلا . أما ملاحظات جلازر الجوية والفلـكية والجنسـية

والطوبوجرافية التى جمعها سواء فى هذه الرحلات أو فى تلك التى تلتها ، وكذلك الخريطة التى رسمها فما زالت إلى اليوم غير منشورة[1] .

وفى عام ١٨٨٥ نجد جلازر يعاود السفر إلى بلاد العرب الجنوبية مرة أخرى لكنه فى هـذه الرحلة يختص المنطقة الواقعة بين عدن وصنعاء بعنايته، وذلك لأنه كان يرمى إلى زيارة الخرائب التى أشار إليها نيبور ، والواقعة بالقرب من (ضمر) و (يريم) وزار العاصمة القديمة لحمير إلا وهى ظفار . ومن يريم اتجه شمالا شرقياً إلى (رداع) وحصل فى هـذه الرحلة على سبعة وثلاثين نقشاً أصلياً ومعظمها فى اللغة الدينية المعينية ، ومن إقليم جوف . وهى من نوع النقوش المحفورة فى الأحجار ، والتى تعرف عادة باسم الضامنة . وقد أضيفت هـذه المجموعة إلى محتويات المتحف البريطـــانى كما أصبحت أكبر مجموعة معينية وصلت إلى أوربا بعد مجموعة هليفى . وهذه النقوش رغماً من كثرة العلماء الذين انصرفوا إليهـــا مازالت فى حاجة إلى من يعاود دراستها[2] . ومن الجدير بالذكر هنا أيضاً أن جلازر عاد من هذه الرحلة ومعه ما يقرب من مائة وخمسين نسخة من النقوش الجنوبية .

وفيما بين عامى ١٨٨٧ و ١٨٨٨ قام جلازر برحلة أخرى قاصداً مارب العاصمة القديمة لسبأ وهى واقعة فى وادى (ضنه) شرق صنعاء ولكى يستطيع اجتياز هذا المكان الخطير اضطر إلى التزيى فى صنعاء بزى فقيه عربى، وبدأ رحلته فى رفقة أصدقاء له من بينهم شريف من أشراف مارب . وقد وفق جلازر هنا وعاد إلى

---

(1) Dr. A. Petermanns Mitteilungen 30. Bd., 1884. Eduard Glaser : Meine Réise durch Arhab und Haschid. II. Krumpholz : Ed. Glaser's astronomische Beobachtungen im Yemen i. J. 1883 und J. von Hann: Ergebnisse aus Dr. E. Glaser's meteorologischen Beobachtungen in San'a (El Jemen) in den Sitzungsber der Akademie d. Wissensch in Wien math -naturwissensch. Klasse, Bd. 120 Abt. 11, a, Dez 1911.

(2) Hartwig Derenbourg , Yemen inscriptions. the Glaser Collection in "The Babylonian and Oriental Record" 1887, Vol 1 D. H. Müller : Kritische Beiträge z südarab Epigraphik in Wiener Zeitschr f d. Kunde des Morgenlandes, 1888. 11. Bd J. H. Mordtmann : Beiträge zur minaeischen Epigraphik, III Zur Glaser Collection S. 95 - 104 (12 Ergänzungsheft zur Zeitschr. für Assyriologie, Weimar 1897)

مارب سليما بعد أن قضى بها ستة أسابيع وسط خرائبها ومعالمها التاريخية .

عاد من مارب إلى صنعاء وقام بعمل جليل جداً سجل فيه لنفسه كرجل أوربى أثراً خالداً . ففى مارب استطاع جلازر أن يرسم تخطيطا لآثار القنوات القديمة وسدود مياهها العظيمة التى كانت مصدر خصوبة مملكة سبأ ، وسببا قويا من أسباب حضارتها . ونسخ جلازر الكتابات التى كانت على السدود كما ذرع المعبد العظيم لإله القمر ، ووجد أن محيطه يبلغ حوالى ثمانمائة قدم . وقد ظل هذا المعبد قرونا عديدة يصارع عوادى الدهر صامداً أمام قوة الصحراء وجبروتها كما يحمل فى بنيانه دلائل الحضارة ومعالم الرقى . وقد أتت هذه الرحلة أكلها ، وعادت على العلم بما يقرب من أربعين نقشا سبائياً عدا القطع الأثرية الأخرى والنقود والخواتم وما إليها وجميعها محفوظة فى برلين ونشرت فيما بعد(1) . وليست هذه هى جميع الغنائم العلمية ، فقد أحضر جلازر معه ما يقرب من أربعمائة نسخة لكتابات عربية جنوبية لم يتقدم أحد حتى اليوم لنشرها (٢) .

عاد جلازر إلى أوربا ، وقضى عدة أعوام صرفها فى الأبحاث العلمية الخاصة أعنى فى دراسة هذه النقوش التى عاد بها وفى عام ١٨٩٢ عاود الكرة ثانية بمساعدة أكاديمية براج إلا أن الظروف السياسية فى بلاد اليمن كانت غير مواتية ، ولا ترغب فى التوغل فى داخلية البلاد ، وذلك لأن القبائل كانت ثائرة أو محرضة على الثورة ضد الأتراك ، فتجمعت وحاصرت صنعاء ، لذلك أدرك جلازر أن مغادرة

(1) Dr. J. H. Mordtmann : Himjarische Inschiften und Altertümer in. Königliche Museen zu Berlin, Mittheilung aus den orientalischen Sammlungen," Heft VII, Berlin 1893.

(٢) نشر — جلازر — النقشين الخاصين بالسد وهما على جانب عظيم من الصعوبة :

Ed. Glaser : Zwei Inschiften über den Dammbruch v, Mârib in Mitth. d vorderas. Ges. Berlin 1897.

وقد نشر وصف — جلازر — لهذه الرحلة بعد وفاته :

Ed. Glasers Reise nach Mârib hrsg. von D. H. Müller und N. Rhodokanakis, Wien 1913.

المدينة من المسائل العسيرة ، ففكر فى وسيلة أخـــــرى وهى ان يعلم بعض البدو طريقة طبع النقوش على الورق ، ومن ثم أرسلهم من صنعاء إلى الجهات المختلفة . وقد اسفرت هذه المحاولة عن نتائج باهرة ، وذلك لأن أبناء الصحراء النابهين الذين كانوا يتقاضون عن كل نقش يطبعونه على الورق مبلغاً مغرياً من المال تركوا صفوف القتال وأخذوا يبحثون عن الخرائب التى لم يصل إليها أوربى من قبل ويطبعون النقوش فى الظلام الحالك . واستطاع جلازر عن طريق هؤلاء البدو الحصول على كثير من النقوش المعينية من إقليم الجوف . ومن بين هذه النقوش كثير من تلك التى أحضر هليفى أجزاء منها أو أحضرها غير واضحة . كما حصل جلازر أيضاً على نقش صرواح العظيم والذى يرجع إلى أقدم عصور الدولة السبائية . وهو يشتمل على أكثر من ألف كلمة وعلى ما يقرب من مائة نقش ظهر أنها ترجع إلى الدولة القتبانية .

وعن طريق رحلة (أرنود) و (هليفى) إلى مارب والجوف ظهرت دولتان إلى الوجود ، وذلك بفضل النقوش السبائية والمعينية التى كشفت القناع عن شعبين كنا نعرفهما حتى ذلك الوقت عن طريق العهد القديم ، والنصوص الكلاسيكية . ويحدثنا الكتاب الكلاسيكيون أيضاً عن أربع دول عربية جنوبية عظيمة المعينيين والسبائيين والحضرميين والقتبانيين لكن النقوش التى عثر عليها لا تتحدث إلا فى ثلاث لهجات لثلاث دول . أعنى المعينية والسبائية والحضرمية . أما الدولة القتبانية فلم يرد ذكرها أو ذكر ملكها إلا فى نقش واحد فقط ومن هذا النقش يتبين لنا وجود دولة بهذا الاسم . ولم نعرف شيئاً عن لغتها أو دينها أو ثقافتها أو موقعها . وظل العلماء يجهلون هذه الدولة حتى ظهرت بغتة وثيقة منحوتة فى الحجر تتحدث عن سكان تلك الدولة . أما الفضل فى الحصول على هذه الوثيقة فيرجع إلى البدو الذين أحضروها إلى جلازر .

فهذه النقوش البالغة المائة والتى تتحدث عن الحياة التاريخية والسياسية والدينية ، ترجع إلى قرون بعيدة جداً كما أنها تضم زمناً طويلا ووجدت فى أماكن عديدة فى الدولة القتبانية وبذلك أزاحت لنا الستار عن هذه الدولة من الناحيتين التاريخية والثقافية .

وثمرة أخرى من ثمار هذه الرحلة الأخيرة لجلازر فى بلاد العرب (١٨٩٢ — ١٨٩٤) أربعون نقشاً تقريباً وجدت على أحجار مختلفة النحت والأحجام. ومجموعة أخرى من النقود العربية القديمة، وقد اقتناها جميعها المتحف الخاص بتاريخ الفنون فى فينا كما نشرت جميعها وأصبحت فى متناولنا [1].

أما القيمة العلمية لرحلات جلازر فلم تصل إليها رحلات أخرى خاصة فى بلاد العرب الجنوبية، ويكفى أن توصف رحلات جلازر بأنها فتحت عهداً جديداً لمعلوماتنا عن بلاد العرب السعيدة كما أغنتنا فى تاريخ الشرق القديم. وإذا استثنينا أعمال الحفر والتنقيب القائمة فى بلاد ما بين النهرين فرحلات جلازر هى خير ما حدث فى ذلك الصقع من الأرض. أما السر فى نجاح هذا العالم وتوفيقه فيرجع ولا شك إلى إعداده العلمى، فقد امتاز به عن سائر رفاقه الذين سبقوه، فقد درس التقاليد والعادات. الديانة واللغة ثم إنه كان يحدد هدفه قبل البدأ فى الرحلة بخلاف الرحلات الأخرى التى نظمتها بعثات كبرى كان يتجول أفرادها فى ربوع قبائل اشتهرت بالحرب، وعرف أفرادها بحمل السلاح. فجلازر، إذا استثنينا فترات قصيرة متقطعة، قضى حوالى عشرة أعوام بين العرب فاكتسب صداقتهم وأمن جانبهم كما كان محببا إلى كثيرين من أفراد قبائلهم وإلا ما استطاع أن يحصل على ما حصل عليه، ولكان جزاؤه جزاء غيره من الأوربيين أعنى القتل. وهكذا نجد جلازر يعود إلى وطنه ثانياً بعد أن أهدى العلم هذه الثروة العظيمة، وأفادنا بكثير من النتائج القيمة والخبرة النادرة التى جمعها أيام إقامته هناك واختلاطه بالقوم.

برحلات جلازر تكاد الأبحاث حول بلاد العرب الجنوبية تبلغ نهايتها خاصة فيما يتصل بالنقوش والكتابات لذلك نستطيع تلخيص هذه المجهودات التى بذلت فى سبيل بلاد العرب السعيدة فى أعمال ثلاثة رجال (نيبور) و (هليفى) و (جلازر) ولو إننا نذكر بالخير الكثير عددا آخر من العلماء والمغامرين الذين قاموا برحلات أخرى تتصل اتصالا وثيقا بأعمال الأبطال السابقين.

(1) D. H. Müller: Südarabische Alter tümer in Kunsthistorischen Hof. museum, Wien 1899.

فمثلا رأت أكاديمية فينا النتائج الباهرة التى عادت بها رحلات جلازر على العلم
،ررت عام ١٨١٨ إعداد بعثة تحت إشراف كل من (د . ه . ملر D H.Muller)
(ك . لندبرج C . Landberg) إلى بلاد العرب الجنوبية ، وكان جلازر فى ذلك
وقت مشغولا بنقوشه فى ميونخ ولم يجد من اوقت ما يسمح له بالإشتراك فيها
، الإشراف عليها وقد أبحرت البعثة على ظهر الباخرة السويدية (جوتفريد
Gottfrie) التى استأجرتها الأكاديمية خصيصا لهذه البعثة . لكن ما كادت
سفينة تلقى مراسيها فى الميناء الإنجليزى عدن حتى بدأت الصعوبات التى لم تكن
، الحسبان ، وذلك لأنه فات البعثة أن تحصل على الإذن الخاص من الحكومة
بريطانية بالسماح لها بالتوغل فى داخلية البلاد ، وذلك لأن بريطانيا لا تسمح
ا'تا بالذهاب إلى داخل البلاد اليمنية عن طريق الممتلكات البريطانية ببلاد العرب
لجنوبية ، فلم يبق أمام البعثة إلا أن تستقل الباخرة ثانية ، وتحاول الوصول إلى
كان آخر فى الجهة الشرقية تنفذ منه إلى داخلية البلاد ، وهكذا نجد الباخرة
جوتفريد) تترك عدن وتبحر حيث (بال حاف) بحضرموت وهناك قررت
بعثة زيارة الخرائب الواقعة بالقرب من شبوة عن طريق عزان ،أنصاب،وحبان .

لكن العرب أقاموا بعض العقبات فى وجه رجال البعثة مما اضطرها عندما
ضت عزان إلى العودة ثانية بعد أن طبعت النقش الموجود فى نقب الهجر بالقرب
ن عزان التى سبق أن زارها (ولستدت) وطبعت نقشى (أوبنه) و (حصن
راب) أيضاً .

وفى يناير ١٨٩٩ توجهت البعثة إلى جزيرة سقطرة لدراسة اللهجة الموجودة
ناك ، كما درست فيما بعد اللغات الحديثة فى السومال ومهرة وسقطرة وشخورى
نشرت أبحاثا فيها فيما بعد .

وفى الأعوام الأخيرة ساهم أمثــــال (فان دن برج Van den Berg)
(ا . دفلرز) و (و . ب . هريس) و (ليوهرش Leo Hirsch) و (كرلو
ـــدبرج C. Landberg) و (تيه . بنت Th . Bent) و (ج و . برى
G . W . Bu) وآخرون فى زيادة معلوماتنا عن بلاد العرب الجنوبية ،

وذلك لأن الساحل الجنوبى لبلاد العرب وإقليم حضرموت الخصيب والغنى بالسكان تم كشفه تحت حماية النفوذ البريطانى الذى كان أخذا فى الزيادة . ونحن نعلم أيضا أن حضرموت غنية بالنقوش والآثار . لكن الحصول على هذه النقوش وتلك الآثار ما كان يستطاع عن طريق الرحلات فقط[1] .

والأمر على خلاف هذا مع الرحالة الألمانى (هرمن برخردت H. Burchardt (١٩٠٦ — ١٩٠٧ فقد استطاع أن يصور فى اليمن كثيرا من الآثار ويرسلها إلى ألمانيا [2]

ولما نشبت الحرب العالمية الأولى دب الكسل ، وخمل النشاط ، وتقاعد العلماء عن الاهتمام ببلاد العرب الجنوبية . لكن شخصا آخر إلا وهو (أولف هوير Oluf Hoeyer) كان دائم النشاط فى عدن كمبشر دانيمركى انتهز فرصة إعلان الحرب وأغلق أبواب مدرسته هناك ، وعاد إلى بلاده ومعه طبعات لبعض النقوش العربية الجنوبية ، كما تمكن زوج ابنته الماجور الإنجليزى (يعقوب) من الحصول على مجموعة صغيرة من الآثار أرسلت إلى دلهى بالهند كما وصلت إلى أوربا فى الأعوام الأخيرة بعض الآثار الحقيقية والمطبوعات الأثرية لبعض النقوش .

ومن الجدير بالذكر هنا أن دراسة بلاد العرب الجنوبية كانت قد خطت فى أوربا قبل حرب ١٩١٤ — ١٩١٨ خطوات واسعة ، وذلك بفضل أمثال (جزنيوس Gesenius) و (أوسيندر Osiander) و (هليفى) كما جاء بعدهم أستاذ جامعة برسلاو الا وهو (برتوريوس Braetorius)وأستاذ جامعة فينا (د . ﻫ . ملر D . H . Muller) الذى نشر كثيراً من النقوش كما عنى بالقواعد أيضا ، وحاول ترتيب النقوش ترتيباً زمنياً ، ووجه اهتماما كبيرا لدراسة المصادر العربية الشمالية الإسلامية التى عنيت ببلاد العرب الجنوبية .

---

(١) لقد صور مدبحا لآله القمر (سين) وبه نقش حضرى غير واضح ونشره .
Th. Bent : A Journey in Southern Arabia, London 1900, S. 144·

(2) H. Burchardt : Reiseskizzen aus dem Jemen (Zeitschr. d Gesellsch. f. Erdkunde. Berlin 1902, S. 593 - 610. mit 11 Abb) M. Hartmann: ·Orient. Lit Zeit. 1907.

لم تقف العناية ببلاد العرب السعيدة عند هذا النوع من العلماء فنحن نجد مثلا القنصل الألمانى فى القسطنطينية إلا وهو الدكتور (ی. ه. مورتمان J. H. Mordtmann) ، يشاركه (مارك ليدزبرسكى Mark Lidzbarski) فى جوتنجن فى دراسة كثير من النقوش ومعالجتها علاجاً علمياً دقيقاً[1] . وقد وجد هذا النوع الجديد من البحث صدى فى باريس فنشر النقوش (يوسف درنبورج J. Derenbourg) و (هرتيج درنبورج H. Derenbourg) . (ومايرلبرت M. Lambert) كثيراً من النقوش الحميرية والسبائية فى مدونة النقوش السبائية[2] وأخيراً نجد الأستاذ (فريتز هومل Fr. Hommel) فى ميونخ يضع كتاباً فى قواعد اللغة العربية الجنوبية مع ثبت بالمراجع ، والنصوص ، ومعجم[3] .

ومن حسن الطالع أن الله وهب الدكتور جلازر منذ عودته من رحلاته فى بلاد العرب الجنوبية إلى وفاته فسحة فى الوقت مكنته من العناية بالنقوش ودراسة مشا كلها كما استغل بعض الإشارات الواردة فيها لوضع تاريخ لبلاد العرب الجنوبية[4] .

---

(1) Lidzbarski : Ephemeris für semitische Epigraphik قارن خاصة Bd. 1 — 3, Giessen 1902 - 1915, und Mordtmanns abh. in ZDMG, in WZKM und in Zéitschr f. Assyriologie

(2) Pars quarta, Inscriptiones Himjariticas et ظهر حتى اليوم Sabaeas contine, Tomus I وهو يشتمل ، فى حروف عبرية ، على ترجمة لاتينية وشرح لـ ٣٦٢ نقشا سبائيا من صنعاء وما حولها (ضوران وعمران وهمدان) . Tomus 2 Fasc. 1 — 4 Nr., 363 - 595, Paris 1911 - 1920. نقوش سبأية أخرى

(Fasc. I de Jlmakaho dedicatae - Nr· 363 - 412, مرتبة حسب أسماء الآلهة Fasc. 2 deis ʻAtharo, Waddo et Haubaso dedicatae (Nr. 413 - 491) Fasc 3-4 ceteris deis dedicatae (Nr. 492 - 595) Tomus 3

لم يظهر بعد وسيحتوى على نصوص معينية وقتبانية

(3) Fr. Hommel : Südarabische Chrestomathie (minäo - sabäische Grammatik — Bibliographie— minäische Inschriften nebst Glossar), München 1893

(4) Ed. Glaser : Skizze der Geschichte Arabiens von den راجع خاصة, ältesten Zeiten bis Muhammed ausschliesslich nach Inschriftlichen Quellen München 1889 Bd. 2 Skizze der Geschichte und Geographie Arabiens Berlin 1890. Ders. Die Abessinier in Arabien und Afrika München 1895.

كذلك الحال مع أستاذ جامعة برلين (مارتن هرتمان M. Hartmann) فإنه بعد أن سبق ونشر بعض النصوص أخذ يوجه عناية أخرى لدراستها وكتابة بعض البحوث حول الحياتين الرسمية والإجتماعية فى بلاد العرب الجنوبية معتمداً على الآثار (١) :

ونذكر هنا أيضاً الأستاذ (هوجو فنكلر H. Winckler) أستاذ جامعة برلين فقد بذل جهدا يشكر عليه فى دراسة بعض النصوص العربية الجنوبية ونشرها فخدم بذلك تاريخ الشرق الأدنى وثقافته وعقائده .

* * *

والآن يتساءل القارئ ما هى الفوائد التى عادت على العالم من تلك الرحلات إلى هذه البلاد النائية ، وما ذا أفادتنا هذه وعما تحدثنا هذه الآثار التى جئ بها من تلك البرارى والقفار ؟ إن الآثار التى عثر عليهـا فى صحارى بلاد اليمن قد دونت فى لغة واحدة مثل تلك التى عثر عليها فى الأبراج ، أو بقايا المدن ، أو أودية دجلة والفرات، أو فى الاهرامات وبقايا المعابد على ضفاف وادى النيل . إنها لغة تحدثنا عن عظمة غابرة لبلاد تمكن أبناؤها أن يبوؤها مكاناً بين الأمم علياً . وقصة هذه المدنية القديمة كغيرها من القصص تنمو وتزدهر مادامت عوامل النمو وأسباب الإزدهار متوفرة ، أما إذا زالت الأسباب انعدمت النتائج، فالمدنية العربية الجنوبية ظلت قوية زاخرة حتى أفلتت الطرق التجارية من يد العرب الجنوبيين فذبلت وقضى عليها . أن اللغة العربية الجنوبية تحدثنا عن ثقافة سطعت أنوارها ثم خبت فـكما أن حل رموز الهيروغليفية المصرية فتح صفحة جديدة فى تاريخ العالم كذلك حل رموز المسمارية الأشورية البابلية أضاف فصلا جديداً على فصول سجل العالم،

وكذلك خاصة التاريخ والجغرافية Fr. Hommel: Grundriss der Gegoraphie und Geschichte des Alten Orients, I. Hälfte, München 1904.

وظهر فى اللغـة الدانيمركيـة Fr. Buhl : Sydarabien og dets aeldste Historie, in der Zeitschrift Historisk Archiv, 1884.

M. Hartmann : Der islamische Orient, Bd, 2. Die arabische Frage mit einem Versuche... 1909.

القديم . وهكذا الحال مع بلاد العرب الجنوبية أو بلاد العرب السعيدة فقد كشفت هـذه الآثار عن حضارة عربية قديمة لا تقل عن أختيها المصرية أو البابلية الأشورية . وقد عادت هذه الآثار بتاريخ الجزيرة العربية ألف عام قبل الهجرة او بتعبير آخر قبيل البعثة المحمدية .

الـكتابة

أما حل رموز تلك النقوش فقد كان بفضل علماء غربيين، وقد نجحوا فى تأدية رسالتهم فى وقت قصير ، وذلك لأنه تبين لهم أن لغة هذه النقوش لم تدون فى إشارات تعبر عن أفكار (ايديوجرام Ideogramm)أومقاطع Silbenschrift كما هو الحال مع اللغة السامية الشرقية أعنى البابلة الأشورية بل جاءتنا فى كتابة أبجدية تعبر عن تسعة وعشرين صوتا فقط، وهى تقابل حروف الأبجدية العربية الشمالية، مع مراعاة أن الأبجدية العربية الجنوبية تشتمل على ثلاثة أصوات (س) وهى (س) ، و (س) بين السين والشين ، و (ش) وهذه الأصوات الثلاثة تقابل فى العربية الشمالية الصوتين (س) و (ش) . والـكتابة من نوع الـكتابة السامية العربية أعنى كتابة حروف فقط ، ونادراً ما تستخدم الحركات . وهى مع استثناء نقشين فقط تقرأ من اليمين إلى اليسار، ويفصل بين الـكلمة والتى تليها بخطيط عمودى . وتشبه هذه الـكتابة بخطوطها المستقيمة الـكتابة التى عثر عليها فى شمال أوربا والتى تعرف باسم (Runen)، والشبه بين العربية الجنوبية والسامية الشمالية (الآرامية والـكنعانية) ضعيف جداً . ولو أنها ترجع جميعها تقريباً إلى عصر واحد . كما أنها الأبجدية الأم للابجدية الأوربية . ويلاحظ أن الأبجدية العربية الجنوبية أقرب الأبجديات السامية إلى الحبشية إلا أنها مع مرور الزمن أخذ يطرأ عليها بعض التحول إذ أن الحروف القديمة مستقيمة عادة ، ومن السهل التمييز بينها وبين الحديثة المعوجة لحد ما . فهذه الفوارق هامة جداً لأنها تؤرخ هذه النقوش وتميز بينها .

مادة الكتابة

غالباً ما استعمل العربى الجنوبى مادة الحجر كمادة للكتابة فاستخدم الحجر الرملى ، والحجر الجيرى أو الحجر الطبيعى . أما النقوش فتوجد عادة فى المبانى ، وقد حفرت بعناية ودقة وجمال . أما الكتابات التى عثر عليها فى المبانى العامة كالمعابد مثلا فحروفها كبيرة يمكن قراءتها من مسافات بعيدة . وقد عثر أيضاً على ألواح مدفونة مكتوبة ونصب ومذابح وحجارة مقابر عليها مناظر مصورة ضامنة (داخلة فى الحجر) كما وجدت رؤوس لتماثيل من الرخام وطلاسم من الخشب والحجر وموازين وخواتم وأختام وقطع نقود ذهبية وفضية ونحاسية وقطع أخرى صغيرة كثيرة .

اللغــــة

ثبت أنها لهجة سامية ، وهى قريبة جداً إلى الحبشية ، واللغة العربية الشمالية لغة القرآن الكريم ، ولا تنقصها العناصر المكانية التى تكيف اللهجة ، وهى فى مفرداتها،وفى تعبيراتها الدينية وما إليها تذكرنا بالعبرية ، وإن كانت تختلف كثيراً فى ثروتها اللغوية عن سائر اللهجات السامية حتى أن كثيراً من نصوصها خاصة المعينية منها لم تترجم بعد . أما الطريقة المتبعة عند شرح النصوص فتعتمد على قراءة النص والتثبت منه ثم شرحه الشرح الذى يتفق والنص أولا مع مراعاة اللغات السامية الأخرى، والاستعانة بالنصوص العربية الجنوبية القريبة منها ثانيا، وسياق النصوص ثالثاً ، وذلك لأن جميع النصوص التى وصلتنا لم نعثر عليها كاملة بل جاءتنا أجزاء فقط لذلك لا غرابة إذا وقف الباحث منها موقف الإنسان أمام لغز من الألغاز ، ولا شك فى أن ترجمة مثل هذه الأجزاء ، تحتاج إلى جهد عظيم، كما قد يفهم جزء منها فقط، وحتى هذا الفهم قد يكون ناقصاً . لكن هذه العقبات لم تحل دون إدراك خصائص هذه النقوش وفهم تركيبها فقد نجح العلماء فى التفرقة بين أربع لهجات تمثل كل منها دولة من الدول التى قامت فى بلاد العرب السعيدة ،

والتي يحدثنا عنها المتقدمون . لكن ليس معنى هذا أن دراسة اللغة العربية الجنوبية بلغت مرحلة الكمال فالعكس هو الصحيح ، وذلك لأن وسائل البحث مازالت إلى اليوم فى حاجة إلى استكمال ، ولعل أول من حاول سد هذا النقص هو (فريتز هومل) الذى وضع كتاباً فى القواعد السبائية

Hommels Süd arabische Chrestomatie S. 1-58 :

لكن نحن فى حاجة إلى مجهود آخر ينصرف إلى اخراج معجم لغوى للعربية الجنوبية ، فالحاجة إليه ماسة . وبالرغم من قيام بعض الصعوبات إلا أنه من المستطاع جمع سائر المفردات الواردة فى النصوص المختلفة وترتيبها ابجديا مع ذكر المصادر المختلفة التى جاءت فيها هذه الكلمات . ومثل هذا العمل لا يفيد العربية الجنوبية فقط بل سائر اللغات السامية ولما كانت هذه النقوش تقرب من الألفين فمحتوياتها قد تكون مفيدة لنا لغويا فقط . أما حظ العلوم الأخرى فضئيل : وذلك لأن الكتب والآثار التى وصلتنا فى العلوم قليلة جداً ،وإذا اضفنا إلى ما تقدم عدم الاقبال على هذه الدراسات وصعوبة تداول النصوص سواء تلك التى نشرت أو لم تنشر بعد ادركنا الرغبة الملحة فى وجوب المبادرة إلى نشر أهم النقوش العربية فى المدونة .

المحتــويات

تعبر الآثار التى وصلتنا عن مواضيع مختلفه ، ولو انهـا غالباً ماتتحدث عن العبادات، فهى من هذه الناحية ذات صيغ دينية تختتم عادة برجاء المعبود أن يحقق الرغبة التى يشتمل عليها النص . وقد جاءت هـذه النصوص كثيرة فى المعابد ، والقبور ، والآثار ذات الصفة السياسية أو الدينية ، كما وجدت أيضاً على بعض المبانى . أما كتابات المعابد التى تتصل عادة بتقديم القرابين إلى المعبودات فتكاد تكون ذات صيغة واحدة نجدها مكررة فى نقوش كثيرة وغالبا مايكون النص كالآتى :

فلان بن فلان قدم للآله (عثتر) مثلا ، أو (ود) أو (شمس) ما يأتى —

منذ خ.تماثيل، ألواح، معبد، هدايا من معادن نفيسة وهلم جرا — شكراً للآلهة الذين الذين استجابوا دعاءه، أو حفظوه، أو لأنهم طلبوا إليه ذلك. وبعد الفراغ من ذكر السبب أو الأسباب التى دعت إلى تقديم هـذه الأشياء نجد غالباً التاريخ. وكانوا يؤرخون عادة بذكر اسم الملك الحاكم، ويختتم النص بدعاء موجه للآلهة كما أن النصوص التى لدينا لا تفصل الحديث عن الدين بينما اطنبت فى ذكر اسماء الآلهة واسماء الاعلام المستمدة من اسماء الآلهة. وكلها تمدنا ولاشك على فهم الدين ونوع الآلهة، والعبادات:

فمن هذه الصورة المتعددة الألوان التى تكونها من مجموعة هذه النقوش تتبين الثقافة الحقيقية التى نمت وازدهرت فى الشرق الأدنى كما نتبين أيضاً هذه اللغة الغامضة الواردة فى كتاب العهد القديم، والتى كثيراً ما تحدثنا عن السبائيين وثروتهم من الذهب والأحجار الكريمة، ومختلف أنواع البخور. ويكفى أن نشير هنا إلى قصة زيارة ملكة سبأ لسليمان والواردة فى سفر الملوك الأول الاصحاح العاشر كما تمكننا هذه الآثار العربية الجنوبية أيضاً من معرفة بلاد العرب السعيدة التى شـــاد بذكرها اليونان والرومان حتى أن روما رغبت يوماً فى الاستيلاء عليها فسيرت قبل الميلاد جيشا لقى حتفه فى الصحارى المترامية فى بلاد العرب. ولولا هذه الآثار ما استطعنا إدراك كنه ما جاءنا فى المصادر العربية، وما يحدثنا به العرب عن اليمن وحكامها، أبراجها وقصورها.

الحبشـــة

ليس الساميون الذين خلفوا لنا فى بلاد الحبشة آثارا وآدابا ، والذين ما زالوا حتى اليوم يقيمون فى البلاد هم العنصر الأصلى الذى يتكون منه السكان الأصليون بل هم فيما يعتقد كغيرهم من الساميين الشماليين قد هاجروا إليها من بلاد العرب وذلك لأن لغتهم عبارة عن لهجة عربية جنوبية ، وما زالت إلى اليوم قريبة إلى العربية بالرغم من دخول بعض العناصر الحامية فيها . أما اللغة . أما الخط . أما الثقافة فسبائية منذ البداية ، وذلك لأن بعض المهاجرين من بلاد العرب الجنوبية نزحوا إلى البلاد فيما يظهر فى قرون بعيدة ق . م . وأسسوا هناك مستعمرات ، ووضعوا الأساس لدولة الحبشة التى اخضعت فيما بعد فى القرن السادس الميلادى بلاد العرب الجنوبية لسلطانها [1].

وحدث فى القرن التاسع عشر أن نجح (سل Sall) و (ريبل Rüppel) و (بنت Bent) وغيرهم من الرحالة الأوربيين فى وصف وطبع بعض المبانى والنقوش الحبشية القديمة ، كما نجد فى عام ١٩٠٥ القيصر منليك الثانى يظهر اهتماما كبيرا بأعمال الحفر التى كانت قائمة فى بلاد بابل ، ويرجو القيصر الألمانى أن يرسل إلى بلاده بعثة لدرس خرائب أكسوم كما وعد بكبح جماح أية معارضة تأتى من

---

(1) E. Renan . Histoire générale des langues sèmitiques I, Paris 1855, S. 304 - 319 A. Dillmann : Uber dir Anfänge des axumitischen Reiches in Abhandl. der Kön. Akad. der Wissensch zu Berlin, 1878, S. 236 - 238. E. Glaser : Die Abessinier. in Arabien und Afrika. München 1895. Th. Nöldeke : Die semitischen Sprachen, 2. Aufl. Lepzig 1899, S. 68 - 76. Conti Rossini : Sugli Habasat, Reale Accademia dei Lincei. Estratto dei Rendiconti (Vol. 15 fasc. 1), Roma 1906. Ders. Notes sur l'Abyssinie avant les Sémites in Florilegium Melchior de Vogüé S. 137-149, Paris 1909. Enno. Littmann : Deutsche Aksum Expedition Bd. I. Berlin 1913. III. Zur Geschichte Aksums S. 41 ff. Ditlef Nielsen : ZDMG Bd. 66, 1912, S. 589 ff, Bd. 68, 1914, S. 707 ff. Conti Rossini : Expéditions et possessions des Habasat en Arabie, Extrait du Journal Asiatique Paris 1921.

جهة رجال الدين . وأجاب القيصر الألمانى رغبة نجاشي الحبشة وتكونت بعثة ألمانية برئاسة أنو ليتمان و د . كرنكر وكانت فى ربيع عام ١٩٠٦ تقوم بدرس آثار شمال بلاد الحبشة ، ولم يقف نشاط البعثة على المبانى والآثار التى كانت قد عرفت من قبل بل اهتمت أيضا بآثار أخرى كثيرة ، وقد نشرت نتيجة أعمالها فى أربعة مجلدات تشتمل على خريطة وأحد وخمسين لوحا وثلاث وسبعين وثمانمائة صورة للنصوص[1] .

والآثار الحبشية لا تبلغ فى الكثرة تلك التى وجدت فى بلاد العرب الجنوبية، وبالرغم من هذا فبلاد الحبشة معروفة الآن تماماً ، وفى صورة أوضح بكثير من تلك التى لدينا عن بلاد العرب الجنوبية ، السر فى ذلك هو الاضطرابات السياسية فى بلاد العرب الجنوبيه ، فكثيراً ماحالت هذه الاضطرابات دون إرسال البعوث العلمية التى يتطلب أعضاؤها قبل كل شئ الأمن والنظام . وقد جاءنا من بلاد الحبشة أحد عشر نقشاً طويلا وأربعة قصيرة وعشرة بقايا نصوص وجميعها وثائق تاريخية هامة . وهذه الوثائق تشمل عصراً يبلغ نحو ١٥٠٠ عام وتكشف لنا اللثام عن حضارة كانت مجهولة تماماً . أما المؤلفون الأجانب فلا يعرفون كثيراً

---

(1) Deutsche Akusum Expidition, Berlin 1913. Bd.I.
Bd. II Altere Denkmäler Nordabessiniens
Bd. III Profan und Kultbauten Nordabessiniens.
Bd. IV : Sabäische, Griechische und Altabessinische Inschriften von E. Littmann.

أما المادة الأخرى السابقة لأعمال البعثة فقد جمعها

A. Dillmann : Uber die beiden äthiopischen. Inschriften von Aksum. ZDMG, 1853, Bd. 7, S. 355 - 364. D. H, Müller, Epigraphishe Denkmäler aus Abissinien in Denkschriften der kais. Akad. d. Wissensch. in Wien, phil-hist Classe, Bd.43, Wien 1894.

وغير النصوص الواردة فى أعمال هذه البعثة يرجع الى :

Lidzbarski: Ephemeris für semit. Epigraphik Bd. II, S. 396 - 400.

عن هذه البلاد البعيدة ، والمعلومات الحبشية لا تكاد تذهب إلى أبعد من القرن الثالث عشر الميلادى[1] .

ونستطيع عن طريق هذه الآثار التميز بين عصور مختلفة فى تاريخ الثقافة الحبشية القديمة ، وأقدم هذه النقوش ما جاءنا فى اللغة السبائية والخط السبائى . وهى نقوش ترجع تقريباً إلى منتصف الألف الأول ق م . ومن هذا العصر وصلتنا قطعة حجرية محفوظة فى حائط كنيسة قائمة على قمة جبل الأنبا بنتليون بالقرب من اكسوم . فهذا الحجر يتحدث عن مكان سبائى مقـــدس مازالت بقايا بعض حيطانه قائمة ، وفيهـــا ذكر للآلهة السبائية (ذات بعدن) كذلك توجد بقايا بعض الأعمدة فى (يح) شمال شرق عدوه ، وهى تدل دلالة واضحة على وجود موضع مقدس سبائى فى ذلك المكان . كذلك عثر هناك على مدبح صغير مقدم للآله (سين) كما وجد جزء من نقش سبائى لتقديس الآله العربى الجنوبى (عثتر) وربما جاء ذكره مع الآله (نرو) . وقد قامت البعثة الألمانية هناك بعمل حفائر ، واكتشفت بقايا بناء يشتمل على عناصر زخرفية سبائية (مجارى وشكل سن وعرض لنوافذ) وفى نقش سبائى صغير على شكل سهم وجدفى (كسكسى) وفى ثلاث مخربشات سبائية وجدت فى (توكوندا) لم يذكر فيها اسم آله . وعلى العكس من ذلك يوجد فى بقايا بعض الأبنية والزخارف (أشكال سهام أو مخازن مياه أوتماثيل وغيرها) شبه قوى بينها وبين تلك التى توجد فى جنوب بلاد العرب وشمالها مما يؤيد قيام وحدة بينها وبين الديانة العربية الجنوبية بل دليل على الوحدة المعمارية بين الساميين الشماليين والساميين الجنوبيين . هذا إلى جانب الوحدة الفنية بين الشعبين الجنوبيين[2]) .

---

(1) راجع A. Dillmann : Zur Geschichte des abyssinischen Reichs, ZDMG Bd 7, 1853 S· 328 - 355. Joseph Halévy : Mélanges d'eprgraphie et d'archéologie semitique, Paris 1874, S. 127 - 133. M. E Drouin : Les listes royales èthiopiennes. Extrait de la Revue archéologique Paris 1882. Conti Rossini : Les Listes des rois d'Aksoum Extrait du journal Asiatique, Paris 1909. E. Littmann. Deutshe aksum Expedition Bd. 1, 1913. III. S. 37 - 60.

(2) راجع Aksum Expedition, Bd 2, S. 28 ff., S. 74.S. 78 — 106.

وقد نجح هؤلاء الساميون الجنوبيون الأفريقيون فى أوائل العهد المسيحى فى إقامة مملكة اكسوم التى تأثرت بالنفوذ اليونانى ، وفى حوالى القرن الرابع وجدت طريقها إلى البلاد .

ونقش عدولية الذى وجده الرحالة اليونانى (كوزماس Kosmas) على عرش من الرخام الأبيض ، والذى يرجع إلى القرن السادس الميلادى ، وطبعه ربما يرجع إلى ملك من ملوك أكسوم الذين عاشوا فى القرن الأول الميلادى . أما لغة هذا النقش فاليونانية، ولا يشتمل إلا على أسماء المعبودات اليونانية (زويس Zeus) و(أريس Ares) و بوسيدن(Poseidon) كما يذكر(أريس) ككبير للآلهة (ديوس مجيستوس δεός υέγιστος).

وإلى ذلك العصر يرجع أيضا نقش يونانى آخر وصلنا جزء منـــه فقط (ليتمان ٢) وهو مستخدم فى بناء حائط لمكان مقدس على (أنبا بنتليون) ، وقد جاء فى هذا النقش ذكر الآله (أريس) إله أكسوم الذى لا يهزم ، كذلك عثر على نقش قصير يونانى الملك الأكسومى (سمبروتس Sembruthes) ، ولا نجد فى هذا النقش ذكرا لمعبود ما والفضل فى اكشاف هذا النقش يرجع إلى المبشر السويدى (ر . سندستروم R . Sundstrom) الذى وجده فى مكان بالقرب من أسمرة ، كما عثر أيضا على بعض النقود التى عليها إشارات بعض الآلهة الوثنية (هلال وأسطوانة) ، وأساطير يونانيه .

أما الوثائق الملكية الأكسومية التى تأتى بعد هذه ، والتى يرجح أنها ترجع إلى القرن الرابع الميلادى فتثبت أن ملوك ذلك العصر كانوا ملمين باللغة اليونانية كما يتحدث(ريبلوس) فى الفقرة الخامسة عن الملك الحبشى (زوسكالس Zoskales)(١) إلا إننا نلحظ أن الأثر اليونانى أخذ فى الضعف والزوال بينما نلمح نمو الكتابة السامية القومية واللغة والدين من جديد .

---

(1) B. Fabricius : Der Periplus des Erythräischen Meeres von einem Unbekannten Griechisch u. Deutsch Leipzig 1883. S. 40 — 41

وقد وجدت وثيقة هامة تتصل بالملك عزانا ، وهى على لوح من الجرانيت الأسود ، وترد فى ثلاث روايات (ليتمان ٤ و ٦ و ٧) وتذكر هذه الوثيقة فى اللغة القومية آلهة الأكسوميين فى ذلك الوقت ويجب أن ترجع هذه الوثيقة إلى القرن الرابع الميلادى ، وذلك لأن الملك (عزانا Ezana) يذكر فى نفس النقش أخاً له هو سيزانا (Seazana) ، وخطابا من الملك قنسطنطين إلى الأخوين (أيا ناس Ἀζανας) و (سيزانا Σαξανας) وقد وصل هذا الخطاب عام ٣٥٦ م .

وفى نقشين آخرين ملكيين يرجعان إلى نفس العصر (ليتمان ٨ و ٩) نجد اللقب الملكى الوحيد هو آله الحرب القوى (محرم Mahrem) ، لكن فى نقوش أخرى (ليتمان ١٠) و (ريبل Ruppell) و (بنت Bent ٣ شكل ٢٣) أسماء سائر آلهة أكسوم . فبعد حرب انتهت بانتصار عزانا أقام ذلك الملك أعنى عزانا ابن (اللا) عميدا من قبيلة (ه) لين ملك أكسوم ، وحمير وريدان وسبأ وسلحين الخ بن محرم الذى لا يقهر أقام عرشا (منبرا) وقدسه للآلهة عشتر وبحير ومدر . وقدم لمحرم الذى منحه النصر وولدا من صلبه مائة ثور من الأسلاب وخمسين من أسرى الحرب قربانا . (السطر ٣٠) .

ويغلب على الظن أن هذه الوثيقة كانت آخر وثيقة للوثنية الحبشية فى أكسوم بدليل إننا فى النقش الآخر (ليتمان ١١) (ريبل Ruppell ٢) و (بنت Bent ٤) والذى ينسب لنفس الملك نجد أثر المبشرين المسيحيين ،لموسا[1]) .

أما النقوش الحبشية التى ذكرت ، فقد كان يعتقد أنها لأشخاص مختلفين إلا أن ليتمان رجح أخيرا إنها جميعها لملك واحد إلا وهو عزانا ، وأنه أى عزانا أدخل المسيحية إلى أكسوم فى القرن الرابع ومما يؤيد هذا الرأى أن لهذا الملك نقودا وثنية وأخرى مسيحية جاءنا بعضها .

---

(١) يبين دلالى هذا الأثر المسيحى (راجع فى ZDMG Bd. 7.1853 S.356-359) راجع أيضاً D. H. Müller : Epigraph. Denkm. aus Abessinien 1894. S. 37, S. 44-55 Aksum. Expedition, 1913, Bd. I V S. 32 - 42.

وقد عثر (روسيني Rossini) على نصب به هلال وقرص وذلك فى (مطرا Matara) — بعثة أكسوم المجلد الثانى شكل ٢٩٦ والمجلد الرابع رقم ٣٤ — وهذا النصب يجب أن يرجع إلى العصر الوثنى، بينما سائر النقوش وقطع النقود التى عثر عليها فيما بعد يجب أن تكون مسيحية إذ جاء عليها رسم الصليب كما ذكرت. بها أسماء يهودية مسيحية وصيغ عرفت بها المسيحية اليهودية . ففى مطلع النقشين الكبيرين ليتمان ١٢ و ١٣ نقرأ مثلا العبارة باسم الآب والابن والروح القدس .

هذا وقد بلغت العبقرية الحبشية أوجها فى العصر الوثنى ، فالوثنية التى قدست الآله الذى لم يهزم ذلك الآله القوى القوي ، والذى انحدر من صلبه الملك الحبشى، هى التى مدت الشعب بعناصر الحيوية والقوة لا فى العصر الوثنى فحسب بل فى العصور المتأخرة أيضا .

بلاد العرب الشمالية

إذا ما تتبعنا سير الثقافة السامية الجنوبية واتجاهها نحو الشمال استولت علينا الدهشة ، وذلك لأننا حتى وقت قريب لم تكن لنعثر على شاهد ما فى الصقع الشرقى لشبه جزيرة العرب يشير إلى بقايا تلك الحضارة الذهبية الغابرة وهذه الحقيقة ، أعنى عدم العثور على شئ من بقايا الحضارة السامية الجنوبية السائدة ، صادقة سواء فى عمان المشهورة بالخصوبة أو شمال شرق بلاد العرب،علماً بأن تقارير كل من (بلجراف Palgrave) و (بلى Pelly) و (رونكير Rounkioer) أثبتت أنه على جانبى صحراء النفود أو دهناء توجد أراضى خصيبة ، وتوجد خرائب أو وثائق ترجع إلى ما قبل الإسلام[1]) . أما الآثار التى وجدت خارج بلاد العرب الجنوبية فمعظمها فى الجهات الصحراوية القاحلة ، والجبلية الحجرية فى شمال غرب بلاد العرب . حيث تكشف لنا القناع عن الحالات المختلفة التى مر بها الطريق التجارى العربى المار بمكة والمدينة ؛ والذى كان يمتد حتى يبلغ البلاد المطلة على البحر الأبيض المتوسط ودمشق . وأكثر ما توجد هذه الآثار فى المدن التى فقدت كثيراً من أهميتها القديمة أعنى العلا والحجر (مدائن صالح) وبطراء وبصرى ففيها نجد كثيراً من الخرائب التى ترجع لا إلى قبل الإسلام فحسب بل إلى ما قبل الميلاد أيضاً،مما يؤيد أنها كانت قديماً مركزاً هاماً من المراكز التجارية ، وملتقى للقوافل . وليست هذه القواعد التجارية هى الوحيدة الغنية

(1) W. G. Palgrave : Observations made in Contral, Eastern and Southern Arabia. in 1862 and 1863 Journal of the Royal Geogr. Society, Vol 34, 1864 S. 111 - 154. Narrative of a Years Journey through Central and Eastern Arabia 1862—1863 Vol. I - II, 3. Edit., London and Cambridge 1866 Chapter VII ff L Pelly : A Visit to the Wahabee Capital, Central Arabia Journ. of the Royal Geogr. Society, Vol, 35, 1865, S. 169-191. Barclay Raunkioer : Gennem Wahhabiternes Land paa Kamelryg, Forskninqsrejse Ost - og Centralarabien 1913 S. B. Miles : The C untries and Tribes of the Persian Gulf Vol. 1 — 2 London 1919.

اكتشف حديثاً بالقرب من الكويت الإنجليزى الكابتن ارفين شكسبير شاهدين عربيين جنوبيين .

(Geograph Journal Vol. 59, London 1922, S. 321 ff.)

بالآثار القديمة ، فقد عثر العلماء على كثير منها فى قلب الجزيرة (نجد) والجانب الغربى لبادية الشام، وفى شبه جزيرة سيناء ، وفى تلك الجهات تكثر كتابات الذكريات . ويظن أن هذه الكتابات أيضاً انتشرت إلى قلب الجزيرة عن طريق القواعد التجارية التى كانت قائمة على طول الخط التجارى . ومما يؤيد هذا الرأى الكتابات التى عثر عليها فى بعض أغوار شبه جزيرة سيناء فهذه الجهات لم تكن يوما من الأيام مركزاً للقوافل ، كما أن تلك الخربشات النبطية التى وجدت هناك هى من مخلفات تجار نبطيين كانوا يمرون ببطره ، وكانوا ينتجعون تلك المراعى الواسعة طلباً للراحة ، وحرصاً على سلامة إبلهم . وأول من قال بهذا الرأى ورجحه (اويتنج) فى كتابه : الكتابات السينائية : المقدمة ص ١٠ — ١٢ ، (Euting, Sinaitische Inschriften)[1] .

أما الفضل فى الحصول على كثير من النقوش العربية الشمالية فيرجع ولا شك إلى أمثال (دوتى Doughty) و (هوبر Huber) و (اويتنج Euting) ، الذين غامروا بحياتهم وقاموا برحلات شاقة فى شمال غرب بلاد العرب ، فى الفترة الممتدة من ١٨٧٦ — ١٨٨٤ وقد بلغ ثلاثتهم حايل فى شمال قلب الجزيرة . وفيما بعد لما عبد طريق الحجاج الواقع فى الجهة الشمالية العربية وأصبح صالحا للسير فيه بفضل مد سكة حديد مكة استطاع أمثال (جوسن Jaussen) و (سافنياك Savignac) الوصول إلى خرائب الحجر (مدائن صالح) والعلا وتيماء ، كما نجح (برينو Brunnow) و (دوماسفسكى Domaszewski) و (موصل Musil) و (دلمان Dalman) وآخرون فى الكشف عن بطرا وما جاورها)[2] .

---

(١) يعتقد (مورتز) أن الحجاج النطبيين كانوا يقدسون هذا الآله منذ عام ١٤٩ م راجع :
Moritz : Der Sinaikult in heidnischer Zeit, Berlin 1916.

(٢) C. Doughty : Documents épigraphiques... Paris 1884.
C. Huber : Inscriptions recueillis dans l'Arabie centrale, 1878-1882, Bulletin de la société de géographie, 1884, III, S. 289 — 303. Journal. d'un voyage en Arabie (1883 — 1884), Paris 1891. Julius Euting. Nabataische Inschriften aus Arabien Berlin 1885. Sinaitische Inschriften, Berlin 1891. R. E. Brünnow und A. v. Domaszewski : Die Provincia Arabia, Bd. 1—111, Strassburg 1904—1909. Alois Musil : Arabia Petraea, 11. Edom, Wien 1907 Gustaf Dalman : Petra und seine Felsheiligtümer, Leipzig 1908, Neue Petraforschungen Leipzig 1912. Jaussen et Savignac :

أما الآثار التى عثر عليها فى سوريا فتبين امتداد الخط التجارى الذى كان يسير شمال غرب بلاد العرب ، ومن ثم يتصل بالطرق الشمالية للقوافل المارة بدمشق وتدمر إلى بابل من ناحية ، وتخترق آسيا الصغرى إلى أوروبا من ناحية أخرى . أما الأشياء الأثرية التى وصلتنا فالفضل فيها يرجع إلى رحلات أمثال (فوجيه Vogué) و (ودنجتون Waddington) (١٨٦١ — ١٨٦٢) وقد أتم ما بدأه هاذان العالمان فيما بعد بعثتان فرنسيتان وأخريان أمريكيتان [١] .

وإذا ما قارننا هذه الآثار بتلك التى وجدت فى جنوب بلاد العرب أو الحبشة أدركنا أننا فى شمال بلاد العرب أمام مجموعة متنوعة من الآثار ، فلو وقفنا عند تلك التى ترجع إلى عصر ماقبل الإسلام سواء تلك التى وجدت فى بلاد العرب ذاتها أو تتصل بالعرب أنفسهم ظهر لنا لأول وهلة أنها تختلف فيما بينها من حيث اللغة والكتابة كما أن أثر الثقافة السامية الشمالية فيها ظاهر واضح ، والسبب فى قيام هذه العلاقات الثقافية الصلات الجغرافية التى تكيف الثقافات وتخضعها لسلطانها .

كانت الثقافة العربية الجنوبية قاصرة على إقليم ضيق غاص بالسكان قامت فيه دول تعتبر أكبر ما رأتها بلاد العرب قاطبة قبل الإسلام ، وذلك لأن القبائل العربية الجنوبية أجمعت أمرها على أن تتحد ، وتكون دولا لها لغاتها الخاصة ، وكتاباتها

=Mission archeologique en Arabie, Bd. I. De Jerusalem au Hedjaz, Medain-Sâleh (1907), Paris 1909, Bd II El-Ela d'Hegra, a Teima, Harrah de Tebouk (1909 et 1910). Texte et Atlas, Paris 1914, Julius Euting : Tagebuch einer Reise in Inner-Arabien 1. Teil, Leiden 1896, 2. Teil von Enno Littmann hrsg. Ibid. 1914.

(١) Vogüé : Syrie centrale, Tome 1—11 : Architecture civile et religieuse du 1er au VII siécle Tome III : Inscriptions sémitiques Paris, 1865—1877. Ph Le Bas et W. H Waddington : Voyage archéologique Inscr. grecques et latines, Tome 'II, Paris 1870, 1. Partie S. 449—625, 2 Parie, S. 435—631 : R. Dussaud et Fr. Macler : Voyage archéologique au Safa et dans le Djebel — ed Druz Paris 1901. Mission 'dans les [régions désertiques de la Syrie moyenne, Paris, 1903. Publications of an American Archaeological Expedition to Syria in 1899 — 1900, Preliminary Report of the Princeton University Expedition to Syria (Amer. Journal of Arch. 2. Series, IX, (1905, S. 389 — 410).

الخاصة ودياناتها الرسمية الخاصة . هــذه الثقافة هى ثقافة سامية جنوبية خالصة بعيدة عن المؤثرات الأجنبية ، وذلك بفضل الصحارى الواسعة الممتدة فى الشمال والشمال الشرقى، ووجود تهامة برمالها الشاطئية الممتدةعلى طول البحر الأحمر .

كذلك فى بلاد الحبشة النائية ، وعلى قمم جبالها العالية نجد دولة كبيرة موحدة، وثقافة سامية واحــدة كما ظلت أختها فى بلاد العرب الجنوبية طاهرة نقية من المؤثرات الأجنبية ، وذلك لبعد الحبشة واليمن عن دولتى العالم القــديم العالميتين ألا وهما بابل وأشور من ناحية والدولة المهيمنة على البحر الأبيض المتوسط من ناحية أخرى .

وعلى النقيض من هــذه الآثار العربية الشمالية ، فهى منتشرة فى كثير من الجهات والبقاع بعضها قفر ، والبعض الآخر آهل بالسكان ، ومن حسن الحظ أن تلك الأماكن المتباينة لم تكن خاضعة لحكومة مركزية واحدة بل كانت ملكا مشاعا بين كثير من القبائل التى ظلت حرة طليقة . ويزيد فى أهمية هــذه الآثار أن قلب الجزيرة لم يعرف الوحدة السياسية قبل الإسلام . وقد أدى هذا إلى قيام فوارق محلية فى الآثار التى عثر عليها بخــلاف الحال فى جنوب الجزيرة . ويلاحظ أيضاً أن الثقافة السامية الشمالية لم تقتصر على وطنها الأصلى بل تسربت إلى قلب الجزيرة ، ووجدنا من الآثار ما ينطق بصحة هذا الأمر ، وذلك التغلغل سواء كان فى المعمار أو الفن أو الـكتابة أو اللغة أو الدين حيث الطقوس الجديدة والمعبودات الدخيلة .

لـكن سهول شمال بلاد العرب بما فيها الشام كانت منذ زمن بعيد مرتعاً خصيباً ، ومنتجعاً غنياً للبدو وماشيتهم ، وذلك بفضل التقاء تلك السهول ، وهذه البوادى باطراف بلاد وأن تـكن سامية إلا أنها كانت تحيا حياة نصف بدوية . فهناك نجد الفلاحين ، والتجار ، والجنود المرتزقة الذين كانوا فى خدمة الدول الأجنبية ، وكانوا يقومون بحماية حدود املاكها ، فبفضل هؤلاء الجنود وأولئك التجار الذين كانوا على اتصال مستمر بعرب قلب الجزيرة تزاوجت الحضارة السامية الشمالية بأختها فى قلب الجزيرة ، وقوى هــذا التزاوج عندما انتقلت التجارة

السامية الشمالية قبل الميلاد إلى داخلية البلاد العربية . أما هـذه الثقافة السامية الشمالية فهى الثقافة الآرامية كما أن الساميين الشماليين كان جلهم من الآراميين .

وهذا الأثر الآرامى سواء فى الآثار العربية الشمالية أو الآداب العربية الشمالية معروف وأهدى إليه العلماء منذ عهد بعيد . ففى الوثائق الآرامية القديمة التى عثر عليها فى تيماء فى شمال غرب بلاد العرب (بين المدينة وبطوة) نقرأ مثلا كيف إنه قامت هناك حوالى القرن الخامس ق . م . مستعمرة آرامية تجارية كما أن كثيراً من الآثار والنقوش النبطية التى يرجع تاريخها إلى ما قبل الميلاد وبعده ، والتى عثر عليها فى شمال غرب بلاد العرب ، وفى شبه جزيرة سيناء وحوران ناطقة بالعرب والعروبة ، إلا أن العرب هنا كانوا تجاراً يتكلمون الآرامية ويكتبون بها كما كانوا أصحاب فن آرامى وديانة آرامية .

لذلك فإننا نستبعد هذه الآثار إذا ماأردنا دراسة الخطوط والكتابات السامية الجنوبية . ومن هنا نفهم سر نشرها فى المدونة وغيرها ضمن النقوش الآرامية[1] .

وتنقسم الوثائق العربية الشمالية إلى أربعة أقسام :

١ — الكتابات المعينية الشمالية التى وجدت فى العلاء .

٢ — الكتابات اللحيانية .

٣ — الكتابات الثمودية

٤ — الكتابات الصفوية .

أما مركز الثقافة العربية قبل الإسلام، فيظهر مما جاءنا من آثار انه كان يقع فى الجنوب ، وذلك ليس لأسباب جغرافية فحسب بل لعوامل أخرى تجارية واقتصادية

---

(١) Corpus inscriptionum semiticarum, Pars 2. Inscriptiones aramaicas continens Tomus 1 Sectio 1, Cap. 5, Nr. 113 ff., S. 107 ff. Sectio 2 Inscriptiones Nabataeae, Nr. 157 — 1471. S. 181— 486 von M. de Vogüé, Paris 1888 — 1902, Tomus 2, fasc. 1, Paris 1906 — 07. Mark Lidzbarski : Handbuch der nordsemitischen Epigraphik nebst ausgewählten Inschriften 1. Text, II Tafeln, Weimar 1898. 1. Teil IV 1. Aramäische Inschri ten, D. Aus Arabien, S 447. IV 2. Nabatäische Inschriften, S. 448 — 457. G. A. Cooke : A Text-Book of North-Semitic Inscriptions... Oxford 1903.

عرف بها الصقع العربى الجنوبى . ففى الجنوب نجد بضائع هندية ، ومحصولات محلية كالعطور والبخور ، وهذه وغيرها قامت بدور هام فى قيام الثقافة القديمة وتطورها ، فقد كانت هذه السلع تحمل على ظهور القوافل العربية الجنوبية إلى الشمال قاطعة الطريق على طول امتداد شواطىء البحر الأحمر مخترقة مكة والمدينة والعلا ومعان إلى بطرة حيث توردها لشعوب البحر الأبيض المتوسط . وكان هذا الطريق فى حاجة إلى من يحرسه ، ويعمل على ضمان حفظ الأمن فيه ، وتأمين القوافل من سطو البدو ، لذلك اضطر العرب إلى انشاء قواعد يقوم على حراستها جنود مسلحون ببلاد العرب الشمالية، واستتبع هذا النظام خلق المستعمرات المعينية التى نجدها فى العلا شمال المدينة .

ففى ذلك المكان اكتشف (أويتنج Euting) خمسا وعشرين قطعة من نقوش معينية كبيرة ، ومايقرب من خمسين مخربشة تنسب المستعمرة المعينية المعروفة باسم (معين مصران) التى جاء ذكرها فى النقوش العربية الجنوبية . لكن مما يؤسف له أن ما جاءنا من هذه النقوش فى الشمال قليل، وعبارة عن بقايا نقوش أو أجزاء منها لذلك لا نستطيع أن نستفيد منها كثيراً من الناحية اللغوية إلا أنه يستدل منها على أن المعينين الشماليين كانوا يستخدمون الكتابة المعينية ، والديانات المعينية التى عرفها المعينيون الجنوبيون واستخدموها فى وطنهم الأصلى . فعند المعينين الشماليين نجد نفس الثالوث (عثتر) و (ود) و (نكرح) الذى نجده عند الجنوبيين كما أن (ود) يرد ذكره عند الشماليين ككبير للآلهة شأنه فى ذلك شأنه فى الجنوب (M E. 11) وقد ورد ذكر معبده فى (دادان) كما جاء الاسم القديم للعلا وقدم له لاويون ولاويات (M E. 17,24)[1] .

---

(١) ذكر J. H. Mordtmann فى Beiträge zur Minäischen Epigraphik Weimar 1897 uach deu Meuen Nummern in D. H. Müllers Ausgabe (Epigraphische Denkmäler aus Arabien, Wien 1889) als M E (Müller - Euting) citiert.

أما أرقام (أوتنج) فإننا نجدها فى نسخة (مللر) إلى جانب الأرقام الحديثة . وفى عصر متأخر نجد (جوسين وسافنياك) يطبعان عدداً كبيراً من النقوش المعينية وأكثر من مائة مخربشة معينية أيضاً . وهى تكون فى مجموعها أكثر من مائتى نقش معينى شمالى .

أما العصر الذى دونت فيه هذه النقوش المعينية الشمالية فيتوقف على الزمن الذى يعينه العلماء لإقامة أولئك المعينيين وحياتهم أعنى أن هذا العصر لن يكون أحدث من منتصف الألف الأول ق . م. كما يستنتج أيضاً من اسماء بعض الملوك الواردة فى تلك النقوش أن تلك المستعمرة عمرت فى الشمال حوالى قرنين .

* * *

فى العلا أيضاً وجد ما يقرب من أربعمائة نقش من نوع آخر يعرف باسم اللحيانى ، وترجع هــذه النقوش التى وجدت فى العلا ، وما جاورها إلى شعب أو قبيلة يعرف باسم لحيان . وقد جاء فى تلك النقوش ذكر كثيرين من ملوكه كما وجد تمثالان حجريان كبيران بالقرب من محطة السكك الحديدية الحالية فى العلا وقد يمثلان ملكين لحيانيين .

أما الكثرة المطلقة من هذه النصوص اللحيانية فعبارة عن خربشات صغيرة، وبعضها كما هو الحال فى المعينية الشمالية عبارة عن اجزاء صغيرة من نقوش ، وذلك لأن معظم هــذه الأحجار التى دونت عليها هذه النقوش وجدت فى أماكن غير أماكنها الأصلية . وقد استخدمها القوم أخيراً كمواد للبناء إذ نجدها فى جدران المنازل ، وأسوار الحدائق فى المدينة الحالية . فنصوص هــذه أوضاعها لا يمكن الاستفادة منها كثيراً لذلك لم يتمكن إلا العدد القليل من العلماء من ترجمة بعض جملها . لكن من حسن الحظ اننا نجد فيها بعض اسماء الآلهة والأعلام الدينية .

وقد اهتم رجال الكتابات السامية الجنوبية بدراسة هذه الاجزاء من النقوش والخربشات العربية الشمالية اهتماما بالغاً خاصة ماروى لنا فى المصادر العربية لا يشفى ولا ينفع . ولم يبق أمامنا لدراسة العصر الجاهلى الشمالى إلا الرجوع إلى مثل هذه النقوش العربية الأصلية . ولتكن هذه الوثائق ناقصة إلا أنها تفضل هــذه الخرافات الكثيرة التى جاءتنا . كما أن الفائدة اللغوية والثقافية لهذه النقوش عظيمة جداً .

الكتابة اللحيانية كتابة محلية حروفها سامية جنوبية ، وهى قريبة جداً إلى الكتابة العربية الجنوبية والحبشية . أما اللغة فلهجة عربية شمالية ، وهى

أيضاً سامية جنوبية،والدين كما يتبين لنا من اسماء الآلهة ، واسماء الأفراد سامى جنوبى أيضاً فنحن نجد علاوة على الاسماء السامية المشتركة لبعض المعبودات مثل (آل) أو آله) أو (آلهة) الواردة مع بعض اسماء الأعلام مجموعة أخرى من الاسماء الخاصة بالآلهة الساميين الجنوبيين مثل (ود) و (سميع) و (نسر) و (مناة) . أما كبير الآلهة هنا فيظهر انه المسمى (ذو غبت) .

وفيما يتصل بالعصر الذى ترجع إليه هـذه النقوش ، فقد اختلفت الآراء ، وتعددت . فبعض العلماء يرى انها لن تكون أحدث من القرن الخامس أو السادس ق . م . ، وبعضهم يعتقد انها مسيحية،لكن من الثابت انها عربية جاهلية وضعت قبل ظهور الاسلام (١) .

* * *

فى قلب الجزيرة وشمالها الغربى لا يكاد يخلو حجر من الأحجار صغر أو كبر من نقش تذكارى . وقد نسخ من هذه النقوش حتى الثلث الأول من القرن العشرين أكثر من ألفى نقش (٢) .

وهنـاك خربشات صغيرة خربشها قوم من الرعاة أو رجال القوافل العابرة فى وقت الراحة رغبة فى تسجيل أسمائهم وتدوينها ، وغالباً ماتكون هذه الكتابات مصحوبة بنداء لإله من الآلهة . وليس معنى هذا أن هذه الخربشات عديمة الجدوى للغة السامية الجنوبية كما يتبادر إلى الذهن لأول وهلة إذ أنهـا تشتمل على أسماء آلهة وثنية تعاوننا كثيراً على معرفة مجمع الآلهة العربى الشمالى . لكن مما يؤسف له حقاً أن ما نعرفه عن هذه النقوش العربية الجاهلية ضئيل جداً (٣) . وقد أراد

---

(١) نقوش معينية شمالية ولحيانية نشرها D. H Müller : Epigraphische : Denkmäler aus Arabien, Wien 1889. J. H. Mordtmann : Beiträge zur Minäischen Epigraphik Weimar 1897 Jaussen et Sauvignac : Mission Archéologique en Arabie, Paris 1909. M. Lidzbarski : Ephemeris für semit. Epigraphik 1911—12.

(٢) اهتم بها (دوتى) وكذلك (جوسين وسفنياك) و Ch. Huber : Inscriptions recueillies dans l'Arabie Centrale 1878—1882.

(٣) راجـع أيضاً E. Littmann. Zur Entzifferung der thamudischen Inschriften Paris 1911.

العلماء فى العصور الحديثة إطلاق لفظ ثمودى عليها ، وذلك لأن القرآن كثيراً مايذكر الثموديين فى السورة السابعة (الأعراف) آية ٧٣ والتوبة آية ٧٠ وهود آية ٦١ و٦٨ و٩٥ وفى مواضع أخرى كثيرة وهو يذكرهم كوثنيين.

وكل ما نعرفه عن هذه النقوش وأصحابها هو أنها تشتمل على كثير من أسماء المعبودات الوثنية مما يشير إلى أنها ترجع إلى ما قبل الإسلام كما أنه وجد من بينها نقش كتب فى لغتين : النبطية والثمودية : ويرجع تاريخه إلى عام ٢٦٧م [١] لكن يستدل من كتابة النقش التى لم تتأثر بالعوامل المحلية فقط بل بالعوامل الزمنية أيضاً أنها ترجع إلى ما قبل الميلاد .

والشيء الجدير بالذكر أن هذه النصوص تؤيد أن شمال بلاد العرب كانت له كتابة جاهلية خاصة، وثقافة وثنية خاصة وذلك لأن الكتابة ظهر أنها مشتقة من ذلك النوع الذى عرفناه فى العربية الجنوبية ، وليست من نوع الكتابة العربية الشمالية المتأخرة التى دون فيها القرآن الكريم وسائر الآثار الإسلامية فى صدر الإسلام . فالكتابة الأخيرة مشتقة من الأبجدية السامية الشمالية من الآرامية .

وأكثر أسماء الآلهة وروداً إسم (إله) (آل) و (الهة) (الات) و (رضى) .. أما الإسمان الأولان فلا يردان كما هو الحال فى النقوش العربية الجنوبية والحبشية واللحيانية فى أسماء الأعلام فقط بل فى النصوص أيضاً ، وهما يقومان بدور كبير جداً خاصة أن المعبود (إله) (ال) أصبح ينادى غالباً بلفظ (ه ال ه) أى (الله) بينما نجد ذكره نادراً عند الشعوب السامية الجنوبية الأخرى حيث طغت عليه فى الطقوس معبودات أخرى .

وفيما يتصل بهذه الأسماء وغيرها من أسماء الآلهة عند الثموديين فسنعود إليها مرة أخرى خاصة إذا علمنا أن المجهودات التى بذلت بخصوصها قليلة جداً شأنها فى ذلك شأن المعبودات الحبشية واللحيانية .

* * *

(١) Jaussen et Savignac : Mission Archéologique

مجموعة أخرى من النقوش العربية الشمالية هى تلك التى وجدت خاصة فوق جبال الصفا جنوب شرق دمشق ، وهى التى يطلق عليها اسم النقوش الصفوية وهى عبارة عن نقوش صغيرة نقشت فى الأحجار والصخور أو خربشت ، وهى قريبة جدا من حيث الخط واللغة وأسماء الآلهة من الخربشات الثمودية ، وقد عنى فى العصور الأخيرة كثيرون من العلماء بتلك المنطقة وعثروا فيها على كثير من النقوش التى تبلغ نحو ثلاثة آلاف نقش[1].

ومن بين هذه النصوص ما يرجع تاريخه إلى عام ١٠٦ م ، ومنها ما يرجع إلى ١٢٤ م ، ومنها ما يرجع إلى عام ٢٠٦ م ، وهى فى مجموعها قريبة خطا ولغة من الثمودية ، وحتى فى أسماء المعبودات فإننا نقرأ فيها أسماء (آلـه) (ه ا ل ه) و (آلت) (ه ا ل ت) و (رضى) إلى جانب أسماء معبودات سامية شمالية .

ونستطيع أن نقول إننا فى تلك المنطقة نقف على الحدود الفاصلة بين ثقافتين ثقافة سامية جنوبية ، وأخرى سامية شمالية . فالذى حدث هو أن قبائل سامية جنوبية انتقلت إلى الشمال ، وأخذت تستقر تدريجيا ، وتصطبغ بالصبغة الثقافية الشمالية ، ومع مرور الزمن غلبت عليها المسحة الشمالية ، وتظهر هذه الظاهرة واضحة جلية فيما تركته لنا من نقوش وآثار .

ويعتقد نفر كبير من العلماء أن سائر الشعوب السامية الشمالية المتمدينة كالبابليين والأشوريين والآراميين والعبريين خرجوا فى الأصل من البوادى العربية الشامية متجهين نحو البلاد الزراعية المجاورة . فالساميون الشماليون كما يعتقد (شبرنجر Sprenger) هم ساميون جنوبيون انتقلوا إلى الشمال ، وما بلاد العرب إلا المستودع الذى خرج منه سائر الساميين[1]. قد ينظر إلى هذا القول كرأى من

---

(١) زار هذا المكان القنصل الألمانى G. Wetzstein عام ١٨٥٨ ونسخ حوالى ٢٦٠ نقشاً Reisebericht über Hauran und die Trachonen, Berlin 1860, D. H. Muller in ZDMG., Bd 30, 1876, S 5 4 — 524 Vogüé : Syrie centrale, Paris 1868 – 1877. Halévy : Essai sur les inscriptions du Safa, (J A 7. Serie Tome 10, 1877) Tome 17, Tome 19 Praetorius in ZDMG, Bd. 36, 1882, E Littmann (Semitic Inscriptions Prat IV.

(٢) Hugo Winckler : Die Volker Vorderasiens (Der alte Orient 1. Jahrg, Heft. I)

الآراء لكن الحقيقة التي لا يمكن إنكارها هي أن البدو قديما كما هو الحال حديثا ينزحون من الصحارى إلى المراعي .

ومثل هذه الهجرات ما حدث في الألف الثالث ق . م . حيث نجد جماعة من البدو ، خرجت منهم الأسرة التي عرفت فيما بعد باسم أسرة حمورابي ، نزحوا إلى بلاد ما بين النهرين وكونوا ملكا كبيرا . وتحدثنا الروايات العبرية ، وتؤيدها رسائل تل العمارنة إن قبائل عربية شمالية غزت في أواخر الألف الثاني ق . م . أرض كنعان وهناك أسست المملكة اليهودية الإسرائيلية ، وما يقال عن هؤلاء يقال أيضا عن الآراميين فهم قبائل بدوية هاجرت في العصر التاريخي من البوادي العربية الشامية .

فالصفويون إذن كما يرى (ديسو Dussaud) في بحثه عن هذه القبائل لم يكونوا أول أو آخر من سار في هذا الطريق إلى البلاد الموعودة بل هم أول من خلف لنا آثاراً في هذا الطريق ، وهذا ما يجعل لهذه الوثائق قيمة خاصة ، فالصفويون هم الوحيدون الذين نعرف شيئاً عنهم قبل أن يمتزجوا في الشعوب السامية الشمالية . فقد عرفناهم عن طريق هذه النقوش ، وهم ما زالوا محتفظين بالخط السامي الجنوبي ، واللغة السامية الجنوبية والعقائد السامية الجنوبية[1] . أما النبطيون والتدمريون والموآبيون والعبريون وغيرهم من الشعوب السامية الشمالية فقد كانوا ، فيما بظن ، عربا إلا أنهم في الوقت الذي عرفناهم فيه كانوا قد أخذوا كتابة ولغة وعقائد الساميين الشماليين ، وكل ما نجده في الوثائق التي خلفوها لنا مع استثناء بعض الحالات الفردية خاصة فيما يتصل باللغة والدين فسامي شمالي . أما الصفويون فالحال معهم يغاير هذا تماما حيث نجد العربية السامية الجنوبية واضحة قوية ، وذلك لأن الصفويين كما يتبين لنا من آثارهم لم يتركوا حياة البداوة نهائيا بل كانوا يحيون حياة تجمع بين البداوة والحضارة إذ كان منهم الرعاة ومنهم الزراع ، ومن هنا ندرك كيف أن تأثرهم بالحضارة السامية الشمالية لم يكن سريعا بل تدريجيا ، ومع مرور الزمن نراهم كغيرهم من القبائل الأخرى يمتزجون مع القبائل

(١) René Dussaud : Les Arabes en Syrie avant l'Islam Paris 1907

الشمالية المستقرة ونستطيع تتبع ظاهرة التزاوج والإمتزاج فى النقوش التى وصلتنا كما نستطيع إدراك التطور التاريخى الدينى لهذه القبائل . وهذا التطور يتصل ولا شك اتصالا قويا بتطور هذه القبائل الإجتماعى ، وفى هذه المرحلة نجد كثيراً من المفردات والتراكيب السامية الشمالية التى تطابقها الحياة الجديدة بما فيها من تقاليد وعادات وعبارات تشق طريقها إلى هذه الوثائق الصفوية [١].

ومن الجدير بالملاحظة أيضا أن الصفويين كغيرهم من الساميين ينفرون من المؤثرات الثقافية الأجنبية ، فنحن نعلم أن ذلك القسم من المعمورة كان عرضة لتيارات ثقافية أجنبية ، ففى العصر الذى دونت فيه النقوش الصفوية كانت الثقافة الهللينية جامحة قوية . فقد عثر العلماء مثلا على نقوش تذكارية ترجع إلى القرن الرابع الميلادى فى اللغة اليونانية جاء فيها ذكر للآلهة الصفوية التى أطلق عليها اليونان (أثينا Athene) كما أطلق على كبير آلهة الصفويين اسم (زويس صفاثنوس Zeus Safathenos) [٢].

وليس الصفويون هم الرعيل الأول الذى نزح من بلاد العرب الجنوبية إلى إلى الشمال كما أنه توجد هناك نقوش سامية جنوبية تتحدث عن الوثنية السامية الجنوبية ، ومن بين هذه النقوش بعض الوثائق العربية الشمالية التى ترجع إلى عصر ما قبيل الإسلام . ومن الجدير بالملاحظة أنها ليست فى الخط السامى الجنوبى بل دونت فى الكتابة الآرامية السامية الشمالية التى تطورت عنها فيما بعد الكتابة العربية الأدبية التى استخدمت فى التدوين . أما لغة هذه النقوش العربية الشمالية فتتفق واللغة العربية الأدبية التى نعرفها .

---

(١) Ditlef Nielsen : Uber die nordarabischen Götter in Mitteil. der Vorderas. Gesellsch. Bd. 21, 1916. Der dreieinige Gott in religionshis torischer Beleuchtung, 1922.

(٢) R. Dussaud : Voyage Archéologique. Les Arabes en Syrie
E. Littmann : Semitic Inscriptions.

وأهم هذه النقوش هو نقش النمارا الذى عثر عليه (رنيه ديسو R. Dussaud) جنوب شرق دمشق على جبل الصفا ، وهو نقش على قبر الملك أمرؤ القيس بن عمرو ملك جميع العرب[1] فهذا الأخير كما يعتقد كل من (بيزر Paizer) و (كليرمونت جنيو Clermont Ganneau) بحق ، شبيه بالملك الذى تحدثنا عنه الروايات العربية كملك للحيرة غرب مدينة بابلون ، وقد توفى كما يدل النقش ، عام ٣٢٨ م ويختتم هذا النقش بنص يفيدنا فى تاريخ الأديان وهو ب ا ل س ع د ذ و ل د هـ .

ومعنى هذه العبارة بالاله سعد الذى ولده (أى ولد امرؤ القيس) .

وإلى القرن السادس الميلادى أى الذى ولد فيه النبى (صلعم) يرجع نقشان عربيان شماليان مؤرخان أحدهما فى ثلاث لغات ، وهو نقش زبد جنوب شرق حلب ، وقد كتب باليونانية، والسريانية، والعربية ، وهو يرجع إلى عام ٥١٢م. أما النقش الثانى وهو نقش حران فقد دون فى لغتين : اليونانية والعربية . وحران هذه تقع جنوب دمشق ، ويرجع تاريخ النقش إلى عام ٥٦٨ م[2]) .

وقد عثر على نقوش جديدة سينائية ، وهى غير الخربشات التى عثر عليها فيما بعد ، والتى تعرف باسم الخربشات السينائية النبطية ، وقد أثارت النقوش السينائية اهتماما عظيما .

ففى عام ١٩٠٥ عثر (فلندرز بترى Flinders Petrie) فى مناجم النحاس المصرية

---

(١) R. Dussaud in Revue Archéologique 1902. J. Halévy Revue Sémitique 1903. M. Lidzbarski : Ephemeris für sémet Epigraphik 1903. R. Dussaud Mission 1903 Clermont - Ganneau : Recueil d'archéologie oriental. F. Peiser : Oriental. Literatur zeit. 1903 Nr 7. Fr. Hommel Grundriss der Geographie und Geschichte 1904.

(٢) E. Sachau : Eine dreisprachige Inschrift aus Zebed, Monats bericht der Berl. Akad., 1881 S. 169 -- 190. Zur Trilinguis Zebedaea ZDMG Bd. 36, 1882, S. 345 — 352. Nr Prätorins Zur dreisprachigen Inschrift von Zebed, ZDMG, Bd. 35, 1881 S. 530 — 531. M. Lidzbarski : Handbuch der nordsemitischen Epigraphik, S 484. R. Dussaud : Mission dans les régions désertiques de la Syrie moyenne, S. 324 -- 325. E. Littmann : Osservazioni sulle iscrizioni di Harrân edi Zebed in Revista degli Studi Orientali Vol. IV 1911

وادى مغارا ، فى الجانب الغربى من شبه جزيرة سينا ، وفيما يقرب من منتصف الطريق بين السويس ورأس محمد ، على مجموعة من الرسوم البدائية وأحد عشر نقشا فى أبجدية جديدة لم تكن معروفة من قبل وهى خليط من الهيروغليفية المصرية وإشارات أخرى أجنبية .

فهذه النقوش الفريدة التى فهم بعضها فقط ، والتى يظهر فيها لفظ (ب ع ل ت) أى (بعلة) أى (سيدة) واضحا جليا هى التى وضعت ولا شك مسألة نشأة الأبجدية السامية أو بتعبير أدق الآراء حول أصل الشكلين المعروفين للأبجدية السامية أعنى للأبجدية السامية الشمالية والأبجدية السامية الجنوبية تحت ضوء جديد للبحث والدرس .

وقد أصبح من السهل التسليم بأن هاتين الصورتين للأبجدية اللتين نشأتا فى الألف الأول ق . م . وأصبحتا مختلفتين قد ترجعان إلى أبجدية واحدة كانت معروفة فى الألف السابق لإنقسامهما ، وإن هذه الأبجدية الام تشير فيما يرجح إلى الأصل المصرى كما أن هذه النصوص السينائية التى ترجع إلى الفترة الممتدة فيما بين ١٨٠٠ — ١٥٠٠ ق . م . هى الحلقة المفقودة فى تطور أبجديتنا .

وشبه جزيرة سيناء كانت منذ عصور غابرة جدا ، بلادا سامية ، وكانت على اتصال دائم بمصر كما يظهر أن جماعات سامية بدوية أو متحضرة حاولت استخدام نفس الإشارات التى استخدمها جيرانهم فى البلاد الزراعية فى تدوين لغتهم .

ولكى نستطيع تتبع هذا الموضوع يجب أن نتجاوز الحدود المرسومة لهذه الكلمة الإجمالية ، وندرس العلاقة بين هذه النصوص الجديدة والنصوص الأخرى التى عثر عليها فى قلب الجزيرة وشمالها من ناحية استخدامها الخطوط المستقيمة أحيانا[1].

---

(١) Flinders Petrie : Researches in Sinai, London 1906.
Alan H. Gardiner und T. Eric Peet : Egypt Exploration Fund.
„ „ The Egyptian Origin of the Semitic Alphabet : in Journal of Egyptian Archaeology 3 Bd. 1916 Kurt Sethe : Die neuentdeckten Sinai - Schrift. 1917. H. Bauer : Zur Entzifferung der neuentpeckten Sinaischrift Halle. 1918.

الثقافة العربية القديمة

ها هى كلمة ختامية فى وحدة ، وقيمة هذه الآثار لا بد من اثباتها .

إن الأسماء المختلفة الواردة فى هذه النقوش تدلنا على مدى أهمية هذه النقوش وإلا ما ألحت ضرورة فى استخدامها وتدوينها، ومن الجدير بالذكر أنه منذ مائة عام خلت ، كان الاهتمام متجها إلى قسم صغير فقط فى بلاد العرب الجنوبية ، أما الآن فقد اتسع أمامنا الأفق، وأصبحنا نقف أمام ثقافة عربية موحدة أو سامية جنوبية يمتد أثرها من أقصى جنوب بلاد العرب إلى دمشق ، ومن البحر الأحمر حتى قلب الجزيرة .

وأول نقوش وصلت أوربا تحمل إليها أنباء هذه الثقافة هى النقوش الحميرية ، وحمير أصلا اسم قبيلة عربية جنوبية ، إلا أنها فى عصور متأخرة قدمت لدولة سبأ أسرة جديدة لذلك كثر ورود هذا الاسم فى النقوش التى ترجع إلى تلك الفترة ، والتى عثر عليها فى أماكن كثيرة ، كما اهتدى الرحالة إلى نقوش أخرى ترجع إلى فترات متباينة ، وأقيمت فى أماكن متعددة تحمل هذا الاسم وتخلده .

وقد تركت مجموعة الآثار التى تنتمى إلى مملكة سبأ القديمة فى هذه الدراسة أثراً بعيداً ، وذلك لأن كثرة ورود كلمة سبأ فيها جعلتنا نميل إلى الإعتقاد بأن كلمة سبأى صفة مميزة لجميع آثار بلاد العرب الجنوبية . لكن بعد رحلات (هليفى) بدأ العالم يتحدث عن نقوش معينية سبائية أو يمنية قديمة كما عثر علماء فيما بعد على نقوش أخرى ترجع إلى الدولتين الحضرمية والقتبانية لذلك تغيرت الأسماء التى سبق أن أطلقناها عليها بعض التغيير وأخذنا فى استخدام مصطلحات جديدة هى عربية جنوبية أو عربية جنوبية قديمة .

وحدث أن عثر (أويتنج) فى شمال بلاد العرب على نقوش عربية جنوبية (يعنى معينية) مما اضطر (نيلسن) إلى إطلاق لفظ (عربى قديم) على سائر النقوش العربية ، وقد سجل هذه التسمية فى بحثه الذى تقدم به للحصول على

إجازة التدريس ، وهو يقصد هنا بالنقوش العربية تلك التى عثر عليها قبل الإسلام وقد احتج فى تسميته هذه بأن النقوش التى عثر عليها فى قلب الجزيرة أو شمالها ما هى إلا طلائع للثقافة التى طلعت بها علينا آثار بلاد العرب الجنوبية والآثار الحبشية القديمة التى هى أيضا عربية جنوبية ، مثلها فى ذلك مثل النقوش القرطاجنية التى هى فى نفس الوقت فينيقية أيضا ، فكما أن قرطاجنة مستعمرة فينيقية فى أفريقية كذلك الحال مع الحبشة فهى مستعمرة عربية جنوبية فى القارة الأفريقية .

ويقابل النقوش الشمالية التى عالجها (مارك ليدزبارسكى) فى كتابه حول النقوش السامية الشمالية و (ج . ا . كوك) فى كتابه حول النقوش السامية الشمالية إطلاق اللفظ الجغرافى (سامى جنوبى) على مجموعة النقوش التى عثر عليها مع مراعاة استخدام الإصطلاح (السامى الجنوبى القديم) للتفرقة بين الحدود الزمنية . فجميع الآثار السامية الشمالية ترجع إلى ما قبل الإسلام ، وتختفى بمجيئه وانتشار الفتوحات الإسلامية ، بينما نجد الثقافة السامية الجنوبية واللغة العربية الجنوبية فى حياة مستمرة بعد مجىء النبى .

والواقع أن النقوش المختلفة التى وصلتنا بالرغم من وجود بعض الفوارق الزمنية والمكانية تتبع جميعها دائرة ثقافية واحدة وتجمع بينها لغة واحدة ، وخط واحد ، وعناصر ثقافية واحدة سواء من ناحية الفن أو المعمار أو الدين .

* * *

ومن الجدير بالذكر هنا أن قيمة هذه الآثار ترجع إلى أنها تكشف لنا القناع عن فترة من تاريخ بلاد العرب تبلغ نحو ألف ونصف ألف عام كانت مجهولة من قبل ، وهى سابقة للعصر الذى كنا نؤرخ به البلاد العربية . فهذه الآثار الأصيلة تلقى شعاعاً قوياً على دياجير الظلام فتنيرها ، وتعاوننا على ابصار هذا التاريخ وإدراك كنهه ، وبفضلها نستطيع أن نقرر اليوم أننا نقف فى وسط ثقافة أو بقايا حضارة لم نكن نعلم عنها قبل الإسلام شيئاً أو قل كان المعروف عنها قليلا جداً .

وحتى هذا الكم القليل فقد جاءنا عن طريق شعوب أخرى أو أساطير عربية لا يمكن الاعتماد عليها .

ودراسة هذه الحضارة القديمة ضرورية جداً لفهم الأسرة السامية فهماً صحيحاً وذلك لأنها :

أولا — تطلعنا على الجزيرة العربية واتساعها خاصة إذا ما قارناها ، على ضوء هذه الآثار ، مع الفكرة القديمة القائلة بأن بلاد العرب عبارة عن هذا الصقع الصغير الواقع فى الشمال ، والذى كان يعتقد أنه هو الوطن الأصلى للساميين . وعلاوة على هذا فهذا التراث الأثرى الذى تحتضنه الجزيرة يستحق كل عناية واهتمام . واليوم قد درس جزء صغير من هذه الآثار ، وذلك لأننا ما زلنا فى حاجة إلى القيام بأعمال الحفر والتنقيب ، ونستطيع أن نقول إن ثروتنا الأثرية تتكون من نحو سبعة آلاف نقش تنتمى إلى جهات مختلفة ، وهى تجلو لنا صفحة شغلت من عمر الدهر زمناً يمتد من عام ألف ق . م . حتى ظهور الإسلام .

ثانياً — الجزيرة فيما يرجح هى الوطن الأصلى للعنصر السامى . والشعوب السامية الشمالية ومنها نشأت الحضارات السامية الشمالية الرفيعة . فقد نشر (نيلسن) أخيراً فى كتاب له عالج فيه تاريخ الأديان رأياً قال فيه إن الدين العربى القديم هو الخطوة السابقة للدين البابلى الأشورى المعقد ، كما أن ذلك الدين العربى القديم هو الذى مهد لهذا التطور التاريخى للدين العبرى اليهودى مع حرصه على الاحتفاظ بدين الآباء دين الصحراء البدائى الذى دان به آباء الشعب وأجداده الأولون كما أنه كان زمناً طويلا موضوع نزاع وعراك شديدين بين العقيدتين الدينيتين السامية الشمالية ، والسامية الجنوبية ، والذى تطور أخيراً إلى الثالوث الآلهى (أب وإبن ، وروح) ومن ثم خطا خطوة أخرى إلى التوحيد المسيحى فى صورته القديمة التى نعرفها فى الحضارة العربية القديمة[1] .

---

(١) D. Nielsen : Der dreienige Gott in religionshistorischer Beleuchtung, 1 Band : ie drei göttlichen Personen. Berlin 1922.

وهناك ملاحظات أخرى حول نواحى متعددة من نواحى الحضارة لا تستطيع إدراكها إلا إذا أرجعناها إلى هذه الأصول التى نجدها فى الحضارة الجنوبية القديمة التى تعتبر بمثابة الخطوة السابقة والممهدة للحضارة الزراعية السامية الشمالية الراقية والانتقال من البداوة إلى الزراعة ترك ولا شك أثراً بعيداً فى الحضارة لا يمكننا تتبعه فيما جاءنا من آثار، وذلك لأن البداوة لم تترك لنا أثراً يعتمد عليه فى الوقت الذى خلفت لنا بقايا الحياة البدوية .

بلاد العرب وطن البداوة كما أنها كانت وطن القبائل الرحل ، فالواحات الموجودة التى تنبت الحاصلات النباتية ما هى إلا كالجزر فى وسط بحار من الرمال والصحارى . كذلك حال بعض المراكز الثقافية المتفوقة فأنها استوردت هذه الثقافات من الخارج فالكتابة قديماً مثلا ، والبندقية حديثاً ، لم تتركا أثراً بعيداً فى حياة القبائل الرحل .

ولو ظلت بلاد العرب محافظة طوال تاريخها على نظام حياة القبائل الرحل ما استطعنا أن نخرج منها هذه الآثار ، وتلك الوثائق . ومن حسن الحظ أن التجارة العالمية أثرت فى بلاد العرب أثراً بعيداً ، وذلك بفضل الطريق التجارى الذى كان يخترقها من الجنوب إلى الشمال حتى فلسطين ومصر .

وبدهى أن الذين خلفوا لنا هذه الأبنية الشامخة فى بلاد العرب الجنوبية لم يكونوا من العرب الرحل، ولم يكونوا بدواً إلا أن الحياة العربية القديمة المشتركة التى عرفتها الجزيرة ظلت حية فخلعت على هذه الآثار هذه القيمة الثقافية الخاصة .

الفصل الثانى

التاريخ العام

لبلاد العرب الجنوبية

للأستاذ الدكتور فرتز هومل

مقدمة :

مسرح تاريخ بلاد العرب الجنوبية

لكى نتصور البلاد وموقعها كما تحدثنا النقوش ، وأعنى بالبلاد هنا بلاد العرب الجنوبية ، ولكى نتصور أيضاً حضارتها فى العالم القديم يجب علينا قبل كل شىء أن نقارن بينها وبين دولة أوربية أخرى قريبة إلينا لنجد الصورة التى نريد تصويرها ، وذلك لأن مجرد إلقاء نظرة على خريطة البلاد العربية لا يكفى مطلقا لإدراك المسافات الحقيقية والأبعاد المختلفة التى نتعرف عن طريقها كيف تمت الاتصالات ونمت العلاقات ، بين البلاد العربية الجنوبية ، وبين جاراتها القريبات منها والبعيدات .

فبلاد العرب المترامية الأطراف بما فيها بلاد اليمن التى تحتضن حضرموت والشواطىء الغنية بمختلف أنواع البخور والعطور تعادل بلاد الهند الدنيا ، فالمسافة من خليج العقبة (١٠٠ كم جنوب البحر الميت) حتى باب المندب تبلغ نحو ٢١٠٠ كم وهى تساوى تقريبا المسافة من استكهلم حتى نابلى أو تعادل المسافة من كوبنهاجن حتى الشواطىء الجنوبية لصقلية . أما العرض فيمتد من رأس محمد (الطرف الجنوبى لشبه جزيرة سيناء) حتى البصرة الواقعة فى أقصى شمال الخليج الفارسى ويبلغ طوله نحو ١٣٠٠ كم مع ملاحظة أن طول عرض

الجزيرة العربية جهة الجنوب حيث توجد عمان أى من باب المندب غربا حتى مسقط شرقا فيبلغ نحو ٢٠٠٠ كم وهى مسافة تساوى الطول تقريباً .

والآن ننتقل إلى بلاد اليمن الحقيقية (أى الواقعة يمينا وهى من مكة ناحية الجنوب) فهذا الإقليم الصغير نسبيا والممتد من خليج عدن جنوبا حتى نجران شمالا (حيث يبدأ إقليم عسير الواقع بين مكة واليمن) يبلغ طوله نحو ٥٥٠ كم (المسافة بين كوبنهاجن وليبزج أو بين برلين وميونخ) وعرض البلاد يبلغ تقريبا من الحديدة مثلا ، وهى ميناء صنعاء فى الغرب حتى قلب بلاد حضرموت القديمة بما فيها إقليم مهرة وشواطىء العطور والبخور ، نحو ألف كيلو متر مع مراعاة أنه يجب أن نعتبر أن الطول يمتد من الغرب إلى الشرق ، والعرض من الجنوب إلى الشمال لأن الطول يجب أن يكون أكبر من العرض .

ونفهم تحت لفظ يمن الإقليم الذى وجدت فيه الآثار القديمة التى تشير إلى الدول الأربع والشعوب الأربعة التى أشار إليها (أراتستينيس Eratosthenes) وهم المعينيون والقتبانيون والحضرميون والسبائيون .

نعم أن الأماكن التى وجدت فيها الآثار العربية الجنوبية خارجة عن الحدود الجغرافية لبلاد اليمن ، فقد وجدت آثار فى أقصى الجهة الشمالية الغربية لبلاد العرب أى فى بلاد مدين القديمة حيث وجدت فى العلا نقوش معينية كثيرة ، ولو أنها مع الأسف ناقصة إذ أنها أجزاء من نقوش . كذلك وجدت نقوش أخرى على امتداد مسافة ممتدة حتى الكويت فى الشمال الشرقى بالقرب من حدود بلاد بابل حيث وجد فى العصور الحديثة نقشان من نقوش القبور[1] . كما عثر من قبل فى النصف الأول من القرن التاسع عشر (وليم كنت لوفتوس William Kennet Loftus) فى ورقاء وهى (أرخ Erech) القديمة على نقش صغير من نقوش القبور ، وفى بلاد مدين (قارن فيما بعد تاريخ الدولة المعينية) أراد المعينيون تأمين طرقهم التجارية التى كانت تنقل عليها العطور والبخور ،

(١) Douglas Carruthers, Captain Shakespear's last Journey. London 1922 (Geographical Journal, Vol. 59).

والتي كانت تمتد من غزة حتى مصر من ناحية ، وغزة — الشـآم من ناحية أخرى ، فأسسوا مركزاً خاصاً بهم يبعد نحو ١٠٠٠ كم من بلاد اليمن ، وتفصل بينه وبين البلاد اليمنية بلاد عربية تقع على الطرق التجارية . أما الطريق الشرق الذى كان يتجه نحو بلاد بابل فـكان فيما يظهر أقل أهمية لذلك لم نعثر على شيء من الآثار على امتداده مع استثناء بعض النقوش القليلة الخاصة بالقبور . وفيما يتصل بمعرفة الزمن الذى أصبحت فيه هذه الطرق غير مستعملة فقد نهتدى إليه عن طريق نقشين عربيين جنوبيين أحدهما وجد على نعش عثر عليه فى ممفيس بمصر ، والثانى وجد مدوناً فى اللغتين اليونانية والمعينية . وكلا النقشين يرجعان إلى عصر البطالمة ، ولو أن الأول وجد كما سبق فى ممفيس والثانى فى الجزيرة اليونانية (ديلوس Delos) التى كانت تستورد فيما يظهر البخور من بلاد العرب الجنوبية أما العلاقة بين اليونان ومصر فقديمة جدا[1] كما يتبين لنا ذلك من النقوش المعينية مباشرة والتى سيأتى الحديث عنها فيما بعد .

أما فيما يتصل بعرض شامل ، بعرض تفصيلى للأوضاع الجغرافية فى بلاد اليمن بأبراجها وقلاعها وجميع أماكنها ومعابدها وحيث وجدت النقوش والآثار فلن يستطيع المؤلف أن يتحدث عنه فى هذه العجالة ، ويكفى أن يحيل من يريد المزيد فى هذه الناحية إلى مؤلفه تمهيداً لدراسة جغرافية وتاريخ الشرق القديم (ميونخ ١٩٠٤ و ١٩١٥) ص ١٣٣ — ١٤٧ (فى القدمة الأثنولوجية) وخاصة ص ٦٥٥ — ٧١١ . ومن البدهى أن توجد آثار كثيرة حول صنعاء الواقعة على ارتفاع ٢٠٠٠ متر تقريبا فوق سطح البحر[2] ، وصنعاء هذه كانت عاصمة البلاد أيام احتلال الترك كما عثر أيضا على كثير من النقوش فى عدن الانجليزية . لـكن الجهـات التي جاءتنا منها أكثر النقوش هى تلك التى زارها أمثال (هاليفى) و (جلازر) وخاصة الأخير ، وقد زادت هذه الآثار فى ثروتنا العلمية فعرفتنا

---

(١) فيما يتصل بالعلاقة بين بلاد العرب الجنوبية وبين بلاد اليونان راجع كتاب (هومل عن جغرافية الشرق القديم ص ٧١١ — ٧٢٠) .

(٢) سائر بلاد العرب الجنوبية تشبه فى الواقع البلاد الألبية .

عاصمة المعينيين . والجوف الموجود ببلاد العرب الجنوبية بخرائبه (معين وقرناو القديمة وبراقش ويطيل القديمة وغيرها) وعلى ما يقرب من ١٢٠ كم شمال شرق صنعاء ومقر الذين خلفوهم فى الحكم أعنى السبائيين ومارب القديمة والحديثة (تقريبا ١٠٠ كم شرق صنعاء و ١٠٠ كم جنوب جوف) . والفضل فى معرفتنا لها يرجع أيضا لادورد جلازر . وفى إقليم ثالث ألا وهو إقليم الدولة القتبانية القديمة على بعد ١١٠ كم جنوب شرق مارب[١] استطاع جلازر فقط كما استطاع فى الجوف من قبل أن يرسل بدواً لطبع النقوش القتبانية ، وذلك لأن هذه البلاد لم يقصدها أجنبى من قبل . والبدو فقط بعد أن علمهم جلازر طبع النقوش هم الذين استطاعوا تحقيق هذه الرغبة وجاءوا جلازر بعدد كبير من صور النقوش الكبيرة القتبانية ومعظمها فى اللهجة المعينية . أما فيما يتصل بجغرافية هذا الإقليم فنحن نعتمد على ما جاءنا به جلازر أولا ، وكارلو لندبرج ثانيا ، فمعلومات الأول كملتها معلومات الثانى . وتوجد منطقة رابعة وهى منطقة خرائب فقط ، وتعرف باسم منطقة (شبوه) وهى تقع تقريبا فى منتصف الطريق بين (شيبام) الحالية و (قتبان) (كذلك عاصمتها تمنع) وهى ملأى بالنقوش ولما كانت قديماً عاصمة لحضرموت فإننا ننتظر منها أن تمدنا بكثير من النقوش التى تكشف القناع عن كثير من الحقائق التاريخية خاصة فيما يتصل بأسماء ملوك حضرموت التى ينقصنا الكثير منها فضلا عن تكملة معلوماتنا عن الجهة الشرقية فهى فى حاجة إلى مزيد[٢]، خاصة والنقوش موجودة ؛ ونملك أيضاً نقشين من (أوسان) الواقعة جنوب (قتبان) فى اتجاه البحر ، وكان يجلس على عرشها ملوك إلا أنه مما يؤسف له أننا لا نعرف أين وجد النقشان ، وقد يكونا جزءين من نقش كبير ، وقد لا تكون لهما قيمة تاريخية بخلاف شبوة .

---

(١) أو أبعد ولا توجد لدينا خرائط جغرافية لتلك الجهات .

(٢) النقش الحضرمى الوحيد هو الموجود الآن فى المتحف البريطانى أما لوحة أوسيندر النحاسية رقم ٢٩ تستعالج فيما بعد ، وقد عثر عليها فى (شبوة) ، وقد استحضرت البعثة الفينية لبلاد العرب الجنوبية كثيراً راجع المجلة الأشورية .

.Revue d'Assyriologie 20, 1923.

كذلك وجدت آثار هامة تبين العلاقة بين المعينيين وبين جيران مستعمرتهم فى مدين (قارن مثلا ورود لفظ — د د ن — الذى عثر عليه أيضاً فى نقش قبر فى العلا راجع جوسين سافنياك البعثة الأثرية فى بلاد العرب المجلد الثانى ص ٢٨٣ كما ورد ذكر — موآب — و — عمون — و — قيدر — و يثرب — وهى المدينة و — غزة — و — مصر —) . كذلك جاءت فى مطبوعات النقوش التى أحضرها جلازر قوائم بأسماء خادمات المعبد من قرناو — (خرائب معين) وقد عالجها (هومل) باختصار عام ١٨٩٧ فى مجلة إيبرز اجيبتيا كا (ص ٢٥ — ٢٩ مصر فى النقوش العربية الجنوبية) . كذلك فى كتاب هومل حول مختارات فى العربية الجنوبية ص ١١٧ وما يليها .

٢ — مصادر تاريخ بلاد العرب الجنوبية

علاوة على ماجاءنا من أخبار فى العهد القديم [١] وعند الكتاب الكلاسيكيين [٢] فالنقوش العربية الجنوبية لها المقام الأول بين المصادر . كذلك الحال مع نقوش الملوك الأشوريين التى جاء فيها ذكر تلك البلاد خاصة الملاحظتان الهامتان فاحداهما وهى الأحدث تذكر اعتلاء ملوك سبأ الأقدمين عرشها .

كذلك النقوش البابلية القديمة لها مكانتها هنا أيضاً ، فهى تقدم لنا عدداً كبيراً من أسماء الأعلام العربية الجنوبية التى جاء ذكرها ضمن أسماء ملوك الأسرة الأسرة البابلية الأولى التى هى أسرة سامية غربية [٣] فملكها السادس هو المشرع المشهور والشاعر العبقرى [٤] حمورابى (حوالى عام ١٩٥٠ — ١٩٠٠) فهذه الأسماء المركبة من جزئين لها قيمتها من حيث أنها تكون فيما بينها وحدة ، وهى مفيدة أيضاً من الناحية الدينية ، وهذه الظاهرة بعينها نجدها فى الأسماء الاسرائيلية

---

(١) F. Glaser's Skizze der Gesch. u Geograph. Arabiens, Bd II.

(٢) (Berlin 1890). Gesenins Handwörterbuch.

(٣) Glaser's Skizze Pauly - Wissowa's : Realencyclopädie E. Meyer, Gesch des Alter.

(٤) فيما يتصل بحمورابى كشاعر راجع Pater V. Scheil's Abhandlung Le Poème d'Agusaya, Revue d'Assyriologie, XV, 1918.

القديمة التي كشفت لنا عن معانيها النقوش المعينية والسبائية . ومنها يستنتج أن العلاقات بين سكان الجزيرة العربية فى الشمال الغربى [1] وبين سكان بلاد العرب الجنوبية والشرقية (عند السومارين ـ مجان ـ) كانت قوية جداً . وهذه الحقيقة لم يتنبه إليها أحد من قبل ، وهذه الصلة القوية لم تقدر حق قدرها عند ما نعنى بدراسة الفترة السابقه لتاريخ المعينيين والسبائين .

ثم من المصادر الأخرى التي يجب أن نعنى بها لتاريخ الفترة الواقعة فيما بين القرون المسيحية الأولى ومجيء الإسلام الكتب العربية والسريانية والبيزنطية والحبشية . ولو أن المصادر الأصلية ما زالت حتى اليوم هى النقوش العربية الجنوبية خاصة تلك التي جاء بها أدورد جلازر ومن سبقوه . هذا ويجب ألا نغفل النقوش الفينيقية ونعمل جاهدين على تنظيم أعمال الحفر والتنقيب لنحصل على كثير من الآثار الهامة التي لا يستغنى عنها لفهم تاريخ العصور القديمة فهماً جيدا لا لبلاد العرب فحسب بل للشرق الأدنى أيضاً لكن الرغبة الأخيرة أعنى تنظيم أعمال الحفائر يظهر أنها بعيدة المنال فى عصرنا الحالى لذلك قد تتحقق على يد أحفادنا أو أحفاد أحفادنا .

وفيما يتصل بالكتابة واللغة التي رسمت بها هذة النقوش ودونت ، فقد سبق الحديث عنها فى المقدمة ولا ضرورة لإعادة الكلام عليها هنا حيث نعنى قبل كل شئ فى هذا الفصل بالحديث عن تاريخ الشرق القديم ، وأعرض المسائل العلمية الثابتة وعلى الباحثين أن يتناولوا فيما بعد بالشرح والتحقيق المسائل الأخرى التي هى فى حاجة إلى مثل هذه العناية .

فمن المحقق الآن أن القرابة قوية جداً بين أبجدية النقوش العربية الجنوبية وبين الأبجدية الفينيقية لكن الخلاف حول درجة القرابة ونوعها . فإما أن الأبجديتين نشأتا عن أبجدية واحدة هى بمثابة الأم لهما وأن هذه الأبجدية الأم كانت موجودة حوالى ٢٠٠٠ ق . م [2] .وأما أن الأبجدية العربية الجنوبية تفرعت عن الأبجدية

(١) (ددان) تتبع البلاد الغربية . ومن (مدين) هاجر العبريون إلى فلسطين .

(٢) ويتصل بهذا الموضوع كلمة سامية غربية دخيلة وهى : صابو : رسالة . وراجع Ungnad, Briefe, No. 241.

الكنعانية مع تغيير بسيط[1] أو العكس هو الصحيح أعني أن الأبجدية الكنعانية نشأت عن الأبجدية العربية الجنوبية لكن إلى جانب هذه الاحتمالات وتلك الآراء يجب أن نذكر الظروف المحلية التي قد تزيد المسألة صعوبة فعلينا قبل كل شيء أن نسلم بوجود حلقة اتصال مفقودة ، ووطن الأبجدية الأصلية سواء كانت هذه الأبجدية فينيقية أو عربية جنوبية (مثلا هل هذا الوطن هو شرق بلاد العرب أو أرض كنعان أو بلاد العرب الجنوبية) كما أنه توجد اعتبارات أخرى جديرة بالاهتمام كالعلاقة بين تلك الأبجدية السامية والأبجدية المصرية القديمة التي عرفت حوالى عام ٤٠٠٠ ق . م . ويعنى المؤلف هنا العلاقة بين هذه الكتابة المصرية القديمة وبين الأبجديتين الساميتين العربيتين أو احداها[2] وذلك لأنه من المستبعد أن توجد أبجدية مرتين فى العالم القديم وتكون هذه الأبجدية أبجدية حروف صامتة وبها اشارة الهمزة (هذا الصوت يوجد أيضاً عند الأوربيين) وكل أبجدية مستقلة عن الأخرى[3] .

وفيما يتصل بلغة الكتابات فيشير المؤلف هنا إلى القواعد أولا ، يقول باختصار إنه فى اللهجة المعينية القديمة توجد دلائل وخصائص قديمة . مثلا (س) عوضاً عن (ه) وذلك فى الصيغ الدالة على السببية ، وفى الضمائر الشخصية الدالة على الغائب . وهذه الظاهرة نجدها أيضاً علاوة على ورودها فى النقوش الملكية المعينية فى النقوش القتبانية والحضرمية بخلاف النقوش السبائية التي هى أحدث

---

(١) ويقول بهذا الرأى : مارك ليدز بارسكى فى كتابه Ephemeris, Bd. 1. 113 فى مادة أصل الكتابة السامية الشمالية والجنوبية ص ١٠٩ — ١٣٦ .

(٢) أشير هنا إلى فكرة عرضت لها عام ١٩٠٤ فى كتابى Grimdriss ص ١٤٦ الملاحظة ١ : لو وجدت علامة بين الأبجدية المصرية القديمة وبين السامية الغربية فهذه العلامة ترجع إلى ما قبل التاريخ وفى شرق بلاد العرب .

(٣) فيما يتصل بحل المشكلة عن طريق النقوش السيناتية التي عثر عليها راجع Sethe Robert Eisler's Die kenitischen Weihinschriften der Hyksoszeit 1919, Kurt Sethe : Die neuentdeckte Sinaischrift und die Entstehung der semitischen Schrift. 1917.

من السابقة وهى قريبة جداً إلى اللغات السامية العربية واللغة الأدبية العربية الشمالية . وظلت السبائية بدون تغيير يذكر منذ عام ٨٠٠ ق. م. تقريباً حتى ظهور الإسلام . وفيما يتعلق بالعلاقة بين تلك النقوش وبين اللغات الشعبية الأخرى التى انحدرت إلينا فى اللهجات الحديثة الموجودة فى (محره) و (شحرى) و (وسقطره) وكذلك اللهجة التى انتقلت مع الأحباش إلى بلاد الحبشة وهى الجعزية أو الحبشية يحيل المؤلف القارىء إلى ما ذكره فى كتابه (Grundriss ص ١٥٠٠ وما يليها) ويعتقد أيضاً أن لغة هـذه النقوش (المعينية القديمة هى القنطرة إلى البابلية والمصرية) قريبة جداً إلى العربية القديمة يعنى عربية الشعر الجاهلى إلا أنها أقرب مثلا إلى الحبشية والأمهرية أو اللغة الأم للغة الحالية المنتشرة فى مهره . هذا مع التسليم أن الكتابة العربية الجنوبية لا تستخدم الحركات قصيرة كانت أو طويلة كما يتبين لنا ذلك من النقوش التى وصلتنا .

ما قبل التاريخ

وهـذه النقوش كما وصلتنا ، وكما نستطيع تاريخها[1] تحدثنا عن الحضارة العربية الجنوبية بكتاباتها ودياناتها وآلهتها وأنظمتها الحكومية تامة كاملة لكن هل هـذه الحضارة بلغت هذه الدرجة من النمو والكمال فى البـلاد ذاتها أو أنها جاءت إلى البلاد من الخارج كاملة ناضجة . اننا نعجز الآن عن اصدار حكم حول هذا الموضوع إلا أن هناك بعض الظواهر التى سبق أن أشرنا إليها عند الحديث عن اسماء الأعلام العربية الجنوبية ، وهذه الظواهر هى فى الواقع عناصر اساسية لهذه الحضارة ومنها تستمد مقومات حياتها وقد وجدت قديماً على شاطىء الخليج الفارسى فى الإقليم المعروف حتى اليوم باسم بلاد البحرين وكان يسمى قديماً فى البابلية باسم (مجن) .

ولكى نوفق فى معرفة أقدم وطن للمعينيين ، وهم الشعب الذى يعتبر بحق أقدم الشعوب التى حملت لواء الحضارة فى بلاد العرب الجنوبية يجب علينا أن نتعرف أولا إلى علومهم اللغوية ومدلول لفظ معين ونطقه وصحة اللفظ كما سبق للمؤلف أن

(١) أنظر ما يأتى : القسم الخاص بالدولة المعينية ص ٦٤ وما بعدها .

أن بحثه فى كتابه (Gundriss اللاحظة ٢ ص١٣٤) هو (معان) وليس (معين) وأن (معان) ما هو إلا النطق القديم جداً للـكلمة ، وهذه الحقيقة قد تساعدنا على الوصول إلى نتائج هامة .

هذا فيما يتصل بالفترة السابقة لتاريخ المعينيين ، وكذلك هذا الشعب الآخر الذى ظهر فيما بعد فى بلاد العرب الجنوبية أعنى السبائيين والذين تثبت النقوش أنهم أصبحوا سادة لبلاد العرب الجنوبية (مكرب) أو (ملك) حوالى عام ٨٠٠ ق.م قد بدأت الفترة السابقة لتاريخهم الحقيقى خارج جنوب بلاد العرب ، ويرجح أن هذا الوطن الخارجى كان فى الأصل فى شمال بلاد العرب فى بلاد الجوف أو قريباً منها . وهذا الإقليم يطلق عليه عادة فى النقوش الأشورية (بلاد عريبى) . وكان أيام سطوة الأشوريين وعظمتهم وطناً لـكثيرات من الملكات[1] . فقد ورد مرة لفظ سبأ فى نقش معينى ، وكان هذا النقش يشير إلى أن هذا اللفظ يدل على قبيلة بدوية كانت تسطو على الطريق التجارى الممتد بين بلاد العرب الجنوبية ومعان الواقعة فى شمال بلاد العرب وكانت تسطو أيضاً على القوافل المعينية القادمة إلى مصر[2] . ثم نقرأ القصة التى تحدثنا عن زيارة ملكة سبأ لسليمان ، فهذه القصة لا يمكن فهمها فهماً جيداً إلا إذا قدر أن السبائيين كانوا يقطنون فى شمال بلاد العرب فليس الإنسان إذن فى حاجة إلى تأويل . ونستطيع أن نعتقد أن هناك نواة تاريخية لهذه القصة كذلك مما يؤيد وجود وطن السبائيين الأصلى فى شمال بلاد العرب ورود لفظ سبأ مصحوباً بلفظ (د ا د ا ن) فى العهد القديم (تكوين ص ١٠ آية ٧ لـكوشى وفى ص ٢٥ آية ٣ انحدر من (قطورا) ، وصدى هذه الأخبار نجده

---

(١) هكذا أيام تيجلتجلزر الرابع (٧٣٢ ق . م) حيث نجد الملكة (سمسى) ومن قبلها عام ٧٣٨ ق . م الملكة زببى والملكة الأولى كانت أيضاً أيام سرجون (٧١٥ ق . م) وأيام : سنخريب : (راجع 1 Feldzug ed. Sidny Smith, 1921) . والملكة (يثعى) وأيام (اسرحدون) الأميرة : تبوء : ويعتقد (هوجو ننكلر) أن أربى Aribi هى : يارب : الواردة فى العهد القديم (هوشيع ٥ / ١٣ و ١٠ / ٦) .

(٢) نفس الحالة نجدها فى مقدمة سفر أيوب حيث نجد فى الاصحاح الأول ص ١٥ لصوصاً سبأيين يقتلون رعاة أيوب .

أيضاً فى حزقيال ص ٣٨ آية ١٣ ولو أن المقصودين هنا حقاً هم السبائيون فى بلاد العرب الجنوبية. كذلك من العبارات التى تذكر بوطن السبائيين الأصلى فى شمال بلاد العرب ما جاء فى النقوش السبائية ذاتها حيث نجد سبأ ويهبليح وكذلك سبأ وبيشان وما إليها ولا نجد لفظ سبأ مستقلا ، وذلك لأن يهبليح هى دقلة أى بلاد الجوف فى شمال بلاد العرب وبيشان (فيشان) هو أحد أودية الجنة أعنى وادى الدواسر[1].

الدولة المعينية

لدينا الآن كثير من أسماء الملوك كما نعرف شيئا كثيرا عن نسبهم ، والشجرة التى انحدروا منها ، وقد وصلتنا هذه المعلومات عن طريق النقوش التى عثر عليها (هليفى) فى الجوف ببلاد العرب الجنوبية ، وهذه النقوش معظمها يتصل بالقرابين والعطايا ، وقد زادت ثروتنا فى هذه النقوش بفضل (جلازر) وعرض لها (د. ه. ملر) فى كتابه عن الأبراج والقلاع المجلد الثانى فينا ١٨٨١ م ص ٦٠ — ٦٨ (خاصة المجاميع الثلاث الكبرى ص ٦٧) كما درس النقوش[2] وقسم الملوك إلى خمس طبقات. ولما كانت قوائم أسماء الملوك ليست لدينا فسنرتبها ترتيبا مؤقتا إلا أن هناك شيئا مؤكدا يجب أن نقرره هنا إلا وهو أنه يوجد ما يقرب من ٢٠ اسما من أسماء الملوك المعروفين. ولما كنا لا نعرف جميع أسماء الملوك الذين ملكوا كما أن الثلاثة القوائم الأولى تشغل من تاريخ البلاد نحوا من ثلثمائة سنة وجب علينا أن نقسم هؤلاء الملوك على فترة تمتد نحو ستة قرون.

والآن نتساءل كيف نستطيع أن نرتب هؤلاء الملوك ترتيبا تاريخيا ، خاصة ونحن لا نعلم أن فترة جاءت تولى الملك فيها ملوك غير معينيين ؟ فهناك نفر من العلماء مثل (د. ه. ملر) وغيره نظروا إلى الملوك المعينيين كما لو أنهم كانوا معاصرين للملوك سبائيين كما أن النقوش الحضرمية تذكر من وقت لآخر ملوكا

---

(١) راجع فيما يتصل بأنهار الجنة كتاب Grundriss S. 145 و Rhodokanakis, Studien II, 1917.

(٢) راجع J. H Mordtmann : Zur südarab. Altertumskunde III in ZDMG 47, 1893, S. 407 — 417

حضرميين وقتبانيين ، ولا تذكر مطلقا ملكا سبائيا واحدا . فهنا حجة سلبية ولكنها لا تقوم دليلا على (د . ه . ملار) إلا أن هناك عددا من الإعتراضات منها أن (جلازر) عثر على نقوش سبائية قديمة ، وفيها نقرأ عن سقوط الدولة المعينية على يد أحد القربين الآخيرين الذين كانوا يحكمون سبأ ، وكذلك خلفه (كريب ايل وتر) (جلازر ٤١٨ / ٤١٩ وجلازر ١٠٠٠) والنقش الكبير المعروف باسم نقش صرواح ساعد جلازر و (هوجو فنكلر) و (فريتز هومل) و (رودوكاناكيس)[1] على الوصول إلى فكرة أثرت فعلا فى دراسة تاريخ بلاد العرب الجنوبية وهذه الفكرة هى أن العصر الذهبى لملوك المعينيين أى للدولة المعينية كان قبل ارتفاع شأن السبائيين ، وقد يكون آخر ملوك المعينيين معاصراً لأول (مقرب) من (مقربى) السبائيين . ومعنى هذا أن الدولة المعينية ظهرت على مسرح التاريخ ، كما تحدثنا النقوش التى وصلتنا ، فى القرن السادس قبل سبعمائة سنة قبل الميلاد تقريبا ، أعنى حوالى عام ١٣٠٠ ق . م . والنتيجة أن الكتابات المعينية والحضارة المعينية العربية الجنوبية يجب أن تكون أقدم من هذا التاريخ ، وقد ترجع إلى منتصف الألف الثانى ق . م .

والآن نعرض باختصار الطبقات المختلفة للملوك مع ذكر أهم النقوش المتصلة بهم .

الطبقة ١ :

١ — إلى يبيع وقيه .
٢ — وقهى ايل صدوق .
٣ — أبي كرب يطوع .
٤ — عمى يطوع نبط .

ويلاحظ أن الملوك المعينين والقتبانيين والسبائيين (وربما أيضا الحضرميين)

(١) Rhodokanakis : Katabanische Texte zur Bodenwirtschaft 1 (1919). S 36, u ö.

كانت لهم ألقاب تذكر إلى جانب أسمائهم . وقد عرض لمدلول هذه الألقاب المؤلف فى كتابه (Grundriss الملاحظة الثانية من ص ١٤١)[1] وأكثر هذه الألقاب انتشاراً عند المعينين (يطوع Jabu') أى المخاص σωτήρ و (صدوق) أى العادل (قارن Antiochos δεὸς διχαιος ἐπιφανής) كما نجد أيضا (ريام) أى معالى و (نبط) أى المضىء (قارن ἐπιφανής' كلقب لبطلميوس الخامس وأنطيونوس الخامس) و (وقه Wakih) أى المطيع بمعنى المجيب الدعاء أو ربما يكون معنى هذه الكلمة (الآمر) . ومن الألقاب أيضا (يبيش Japis) وقد يكون معنى هذا اللقب (المتكبر) و (يشير) أو (يشور) أى المستقيم . كما نجد عند السبائيين والقتبانيين الذين كثيراً ما يتفقون مع المعينين فى الألقاب الآتية : (ضريح) أى الوضاح و (وتر) أى التعالى و (بيين) أى المضىء وغيرها من الألقاب والصفات .

مراجع الطبقة الأولى :

١ — جلازر فقط ٢٨٤ (السوداء) أنظر أيضاً مختارات المؤلف ص ٩١

١و٢ (هاليفى) ٤٦٩ (براقش) و (هليفى) ٣٨٣ (السوداء) ومختارات المؤلف ص ٩١

٢ ابن (١) (هليفى) ٢٥٥ (معين) ومختارات المؤلف ص ٩٢ (وهى تقابل حلازر ١١٦٢).

٢و٣ (أويتنج) ٢٢ (أعنى مستعمرة مدين المعينية) ومختارات المؤلف ص ٩٢ .

---

(١) نجد نفس هذه الظاهرة عند البطالمة والسلاجقة وفى العصور المتأخرة أسماء جورس عند الفراعنة (قارن مثلا الأسماء المركبة من اسم جورس و w' h من الأسرتين الخامسة والسادسة .

٣ فقط (جوسان وسافنياك) رقم ٣٠ وفى النهاية قد يكون أيضا إسم إبنه أعنى (٤)[1] .

٥ ابن (٣) (هليفى) ٤٨٤ (برافش) ومختارات المؤلف ص ٩٣ .

الطبقة الثانية (فى مختارات المؤلف الطبقة الرابعة) .

١ — صدق إيل

٢ — إيلى يبيع يثوع — ١٢ — شهر علان ملك حضرموت

٣ — حبشم ضر

٤ — إيلى يبيع ريام — ١٤ — معدى كرب ملك حضرموت

٥ — هوبا عط .

٦ — ابى يدبع يطع (الابنان اللذان لم يذكرا)

٧ — وقهى إيل ريام

٨ — حبشم صدوق

٩ — إيلى يبيع يبيش

فيلاحظ أن الأرقام ١ — ٥ من هذه الطبقة مقارنة بالترتيب ٦ — ٩ تدلنا على أن هذا الترتيب إفتراضى لاحقيقى وفيما يتصل بترتيب الأنساب وربطها بهذا الترتيب فرجعه مختارات المؤلف ص ١٠٧و١٠٩[2] بينما ٦ — ٩ (تشغل

---

(١) يجد Jaussen, Savignac رقم ١٢ كذلك ٣ : الى كرب يطع : ملك معان الكبرى يأتى بعده هناك ٤ عوضاً عن و (وقه) . (هكذا) صدوق وقد يكون الأخير أخا يحمى يطيع نبط . وربما يكون : وقه : فعلا .

(٢) ومما يناقض الفكرة السابقة أن رقم ٤ كابن لرقم ٢ ووالد للذى يحمل نفس الاسم ألا وهو ايلى يبيع (فقط مع ألقاب مختلفة) وهذا غير مطرد إلا أن (إيلى يبيع ريام) كان لو صح ترتيبى أخا أصغر ويظهر أنه لم يكن مقدراً له أن يخلفه على العرش ولو أن هليفى ١٩٣ يستخدم كلمة ابن أخيه فى معنى حفيد أخيه وبذلك يصبح جدول طبقة ب كالآتى :

١ — صدق إيل (ملك معان وحضرموت)

٢ — إيلى يبيع يطع — ٢ ا — شهر علان (من حضر)

٣ — حُبشم ضرى — ٣ ا — معدى كرب من حضر

٤ — ايلى يبيع ريام — ٤ ا ب — أبناء معدى

٥ — هوبا عط — ٦ — أبي يدع يطع

ومنه يتبين أن أبناء معدى وهم (حضرميون) معاصرون لأبى يدع يطع كما تبين من هليفى ٥٣٥ ليسوا أبناء أعمامه بل أبناء أعمام والده .

نحو ١٠٠ عام) ثبت من النقوش أنه ترتيب تاريخى صحيح . والصفة الظاهرة في هذا العصر الذهبي للتاريخ المعيني صلات القرابة بين المعينيين وبين الحضارمة وذلك لأن (صدق إيل) والذين سبقوه ، ولا نعرف من أخبارهم شيئاً ، هم عبارة عن حلف يربط بين الدولتين فيما يظن ، وقد جاءت أدلة قاطعة تثبت هذا الرأى ، وهذه الأدلة عبارة عن نقوش ثلاثة واحد عن الملكين الرابع والخامس وإثنان عن السادس وأبى يديع الذى تتحدث عنه الروايات الإسرائيلية كحكيم ينتمى إلى قبيلة مديانية (ابيدع تكوين ص ٢٥ أية ٤ وأخبار الأيام ١ ص ١ ى ٣٣) وكذلك العلاقات التجارية المعينية من معان مصران (كما تسمى المستعمرة المدينية رسمياً) إلى مصر وغزة (أيضاً عبر نهران) و (أدوم) (أشور هى أشور الواردة في العهد القديم تكوين ص ٢٥ أية ١٨) و (أشور) الواردة فى القاموس هنا وقارن سفر العدد ص ٢٤ أية ٢٢ وما بعدها .

مصادر الطبقة الثانية :

١٢) ابن (١) عم (لم يكن على قيد الحياة) (١٤) (هليفى) ١٩٣ .. ومقدم النقش هو معدى كرب ملك حضرموت (ليس معن ابن معد يكرب ملك المعينيين الذى ورد ذكره بعد الآلهة فى نهاية النقش

٩) أى أبى يديع يطع الذى يذكر هنا كحفيده[1] والنقش المقصود هنا وجد فى معين .

٢) والد معدى كرب الذى ذكر آنفا كذلك هو جد الإبنين (ما زال إسمهما غير مذكور) (هليفى) ٥٢٠ (بدون لقب يطع) (هليفى ٥٣٥) (أنظر فيما يتصل بهذا النقش فيما بعد رقم ٦) .

٣و٤ أب وابن هكذا يرى موردتمان فى مجلة المستشرقين الألمان المجلد ٤٧ عام ١٨٩٣ ص ٤١٤ وما بعدها و (هليفى) ٢٢٥ و ٢٢٩ (معين) و ٣ فقط

---

(١) بن أخى صو أعنى ابن أخيه . . مفقود كما تبين من القطع السبع عند هليفى والمقصود هنا حلفاء وهو ابن أخيه أعنى حفيده ..

(هليفى) ٢٤٦ و ٢٦٤ و٣٦٥ حيث نجد اللقب (حبنم) كما يظهر (ضر — يع —) لقب ملوك المينيين وهو نادر بينما كثير الورود كلقب للسبائيين (والقتبانيين) ويرى المؤلف فى مختاراته ص ١٠٩ أنهما أخوان كبير وصغير عوضاً عن والد وولده .

٤ فقط أيضا (هليفى) ٤٤٥ و٤ وولده و٥ (هليفى) ١٨٧ و ١٨٨ و ١٩١ ويقابل جلازر ١٠٨٣ فى النقش الذى يذكر مصر وغزة وأشور كبلاد تجارية

٣و٤و٥ هى الطبقة الرابعة عند (موردتمان) وفيما يتصل بالترتيب بين ٢و٦ أنظر الأدلة التى ساقها المؤلف فى مختاراته ص ١٠٧ و ١٠٩ .

٦ أبى يديع يطع أشهر ملك فى هذه الطبقة . فقط (هليفى) ١٩٢ و١٩٩ (يقابل جلازر ١١٥٠) من معين وهو حفيد (أو حفيد أكبر) لمعدى كرب من حضرموت (هليفى) ١٩٣ (معين) وفيما يتصل بابنى معدى كرب فى النقش الشهير (هليفى) ٥٣٥ يقابل جلازر ١١٥٥ من براقش وقد ذكرت العلاقات التجارية مع مصر واشور وعبر نهران (أرض النهر — غزة —) وللتغلب على هجوم بعض البدو من السبائيين والخولانيين على الطريق [1] .

٦ و ٧ (هليفى) ٥٠٩ و٤٣٥ / ٧ و ٤٢٤ براقش (هليفى) ٤٦٢ وهليفى ٥٢١ و ٥٢٣ وجلازر ١٣٠٢ (كذلك من براقش) وقد نشره (أوتوفيبر) [2] .

---

(١) نشر النقش الذى طبعه جلازر مرة أخرى هوجو فنكلر : مصرى . ملوخا : معين . فى Mitt. Vorderas Ges. عام ١٨٩٨ اللوح الأول لصحيفة ٢٠ وقد ترتفع قيمة هذا النقش لو عرفنا من هو السيد الذى كان فى الجنوب وسيد الشمال وبهما تتصل الحرب التى نشبت بين (رجمت) (بالقرب من نجران) ومعان (جنوب بطره) وتبعها هجوم (أضباء) السبائيين والخولانيين ونورة (مراد) فى وسط مصر وهو إقليم تجارى جاء ذكره فى النقش بين (مضى) (بدو سيناء) ومصر . قارن Fritz Hommel Aufs. u. Abh. S. 230 — 235 vom Jahr 1900. وكذلك النقوش المعينية هليفى ٥٣٥ (جلازر ١١٥٥) ولن يضيف إليها المؤلف اليوم فى عام ١٩٢٢ جديداً .

(٢) راجع Mitt. d. Vorderas. Ges. 1901, 2 Studien zur Südarabische Altertumskunde II, S 2 f.

وحيث تجد فى (هليفى) ٥٣٥ ذكر المستعمرة المدينية (معان مصران) كذلك أيضا (هليفى) ٤٥٣ يقابل جلازر ١٦٦١

٦و٧و٨ (هليفى) ٥٦٤ و ٥٧١ و ٥٧٤ حسب الرأى الصائب الذى ذكره (موردتمان) فى مجلة المستشرقين الألمان المجلد ٤٧ عام ١٨٩٣ ص ٤١٢

وفيما يتعلق برقم ٧ فالأقرب إلى الصواب ابن ٦ وابنه ٨ كذلك (موردتمان) نفس المرجع (هليفى) ٥٦٩ و ٥٧٢ و (هليفى) ٥٦٥ وفقط ٧ و ٨ (هليفى) ٥٦٧ و ٥٦٨ وجميعها من براقش ٨ فقط (هليفى) ٣٧٤ يقابل ٤٠١ (السوداء وهى نشان القديمة) .

٨ و ٩ (هليفى) ١٧٨ (معين) .

٩ فقط (هليفى) ٤٨٧ (جزء من نقش من براقش) .

* * *

الطبقة الثالثة (ذكرها هومل فى مختاراته كطبقة ثانية وذلك بمناسبة ظهور القتبانيين كمنافسين جدد ولابتداء ظهور الآثار الدالة على ظهور السبائيين ولو على الحدود المعينية فالترتيب الآن كالآتى :

١ — يطيع ايل صدوق .

٢ — وقهى ايل يطوع .

٣ — ايلى يبيع يشور .

٤ — حوبونوم ريام .

مصادر الطبقة الثالثة :

١ — فقط (هليفى) ٤٧٦ (براقش) ١ وابنه ٢ (هليفى) ٥٢٧ يقابل جلازر ١٣١٢ (براقش) و (هليفى) ٤٦٣ (براقش) .

٢ و ٣ — (هليفى) ٥٠٤ يقابل جلازر ١٠٨٧ (براقش) والذى يتلوه وسيده (السيد شهر يجول يهرجب ملك قتبان) يرجع إلى الملك المعينيين (وليس

إلى مقدم النقش الذى أشار إلى نفسه وإلى عشيرته فى صيغة الجمع راجع القاطع sum و eorum) رمنها يفهم سيادة قتبان على معان أيام وفهى ايل يطع .

٣ — فقط (هليفى) ٢٣٧ (معين) و (هليفى) ٣٥٣ يقابل جلازر ١١٤٤ (السوداء) السطر الثامن، و (أويتنج) ٢٢و٥ (العلا أى فى المستعمرة (المعينية) .

٣ و ٤ — (هليفى) ٥٣٤ (براقش) يقابل جلازر ١١٦٤ (وتكمل وابنه حبئم ريام أيضاً (هليفى) ٤٧٨ والنقش الأخير يقابل جلازر ١٢٣٤ وخاتمته ووضعوا أنفسهم وهذا جرا فى حماية الآلهة المعينيين وجميع الآلهة من أخموش[1] وأشعوب وجميع آلهة البحر[2] واليابسة والشرق والغرب والملوك الذين توفوا[3] من معان ، وهذا يشير أما إلى تطور فى العلاقة مع قتبان أو — وهذا ممكن أيضاً — ضياع لسلطان المعينيين أمام قوة القتبانيين التى كانت آخذة فى الزيادة .

وقبل أن ننتقل إلى الطبقة الرابعة يجب أن نشير إلى أن (حبئم ريام) ربما هو الذى سبقه أو جاء بعده للاشتراك فى الحكم تحت إشراف والدهما (ايلى يبيع يشور) الأخ الذى جاء والملقب باسم (نبط) كما يفهم من (هليفى) ٤٧٩ وهو يتفق مع (هليفى) ٤٧٨ ويقابل أيضا نقش جلازر ١٢٣٤ لأن هناك إذا اتفق (هليفى) ٤١٩ مع جلازر ورأيه فى الخاتمة لنقش (هليفى) ٤٧٨ ويكمله — فى يوم ايلى يبيع يشور وابنه — .. نبط الملكى معان . لكن فى جزء من نقش (هليفى) ٥٠١ (براقش) نجد ملكا قائما بذاته وهو فى أرض مدين[4] واسمه

---

(١) يظهر أن الإقليم المقصود هنا هو الجزء العربى من قمان الممتد حتى البحر . قارن Fr. Hommel : Südar. Chrest. S. 99 وبعض الترجمة القائلة الجيش المقسم إلى خمسة أقسام حيث يوجد التمويم . ربما تتصل المسألة هنا بالحميريين . قارن Fr. Hommel, Graud ص ٦٧٥ كجزء من القتبانيين . فيما يتصل بأشعب راجع ما يلى الملاحظة الرابعة

(٢) البحر هو الذى يقصد هنا بالشرق والغرب والمعى العام الهنة الأركان السماوية الأربعة

(٣) لو كان المقصودان هنا الملكين ٣ و ٤ لوجدنا صيغة المثنى .

(٤) ترتفع الكلمة التاريخية لو كانت الترجمة a fait le travail de la carrière waqah-il Nabit roi de Ma'in aux jours de la destruction ('rb) de de la ville de Qarnaw, sous le kabir Hani Fa'mân, et a sacrifié (dbh) قارن Hal. 478, 413.

(وقهى ايل نبط) وقد ذكره أيضا (جوسين وسافنياك البعثة الأثرية فى بلاد العرب جـ ٢ عام ١٩١٤ ص ٣٠٢ رقم ٣١) لذلك يعتقد المؤلف أنه من الجائز أنه هو الذى جاء ذكره فى (هليفى) ٤٧٩ وبه تكمل الطبقة الرابعة وتكون كالآتى :

٣ ايلى يبيع يشور

٤ حبئم ريام　　　٥ وقهى ايل نبط

أو العكس (إذ لا يمكن الفصل بالضبط بين أيهما جاء أولا) يكون .

٣ ابلى يبيع يشور

٤ وقهى ايل نبط　　　٥ حبئم ريام

الطبقة الرابعة أنظر مختارات المؤلف ص ١١١ :

١ — أبى يديع (ريام) .

٢ — حالى كرب صدوق .

٣ — حبئم يطوع .

مصادر الطبقة الرابعة :

٢ ابن ١ (هليفى) ٢٥٧ يقابل جلازر ١٠٩١ (معين حيث تلعب دورا هاما فى النقوش السبائية القديمة ، أربعة أنهار مقدسة) تحت اسم (أشمو يم)[1] ويجدها الإنسان للمرة الأولى . (أبى يدع) (وهنا بدون لقب) هو الوارد ذكره فى (هليفى) ٢٢١ السطر الرابع (معين) ويدعى (أبى يديع ريام) ملك معان بينما فى (هليفى) ٢٠٢ و ٢٠٩ نجد (أبى يدع) المذكور مع (يطيع ايل) ويحتمل أنه ليس ملكا معينيا (قارن هليفى ٢٠٢ السطر الأول بمناسبة تاخى أبى يدع مع يطيع ايل وقد يكون ملكا من حضرموت (راجع كتاب المؤلف . Grundr ص ٦٨٤) وقارن أيضا بخصوص (حالى كرب) مختارات المؤلف ص ١١١ وكتابه . Grund ص ٦٧٥ .

---

(١) قارن بخصوص هذا الاستعمال الملاحظة الأولى من الصحيفة السابقة .

٢ فقط (هليفى) ٢٤٢ ويقابل جلازر ١١٦١ (معين) وهليفى ١٩٥ السطر ١٥ (وقد ترك هاليفى الأسطر الخمسة السابقة له) ويقابل جلازر ١١٥٤ .

٣ ابن ٢ جلازر ٣١٢ (أنظر لمحات جلازر جـ ١ ص ٥٥ ومنتخبات المؤلف ص ١١١ السطر الأخير ويروى جلازر أنه من الباب الشمالى الشرقى لمعين (باب الفرطى) .

الطبقة الخامسة :

يطيع ايل ريام
تبعى كرب

المصادر هليفى ٤٨٥ (براقش) وفيما يتصل بالآداة المقدسة (مكانت) يرجع إلى كتاب المؤلف أبحاث ودراسات ص ٢٢٥ — ٢٢٦ وفيها نجد كيف يبدأ عصر ظهور (مكرب سبا) فالنقش يذكر فى السطر الخامس — فى أيام يطيع ايل ريام وابنه تبع كرب — (الاسم الأخير ورد فى السبائية والقتبانية فقط) والملكان من معان من جنس ، ووضع (دبر) بالقرب من براقش (الدابريون هم مقدمو النقوش) (ارجع إلى كتاب المؤلف . Grund ص ٦٧٤) .

أما الموضوع الذى ذكر فيه لفظ سبأ (السطر ٧) فنصه — يضمون فى حماية سائر آلهة معان ، ويطيل (كانت مع دولة معان وعاصمتها قرناو وهى خرابة معين وكانت متحدة دائما بيطيل التى هى خرابة برافش) وسائر الآلهة وما تحت الآلهة (خاصة رسل الآلهة) والملوك والقبائل (أشعوب) سبأ و (جو)[1] نذورهم ونقوشهم تحت حكم ملوك سبأ يفهم فقط أولئك الذين يحملون لقب (مكرب) وهم أمراء سبأ وحلفاؤهم (غير المعينيين) وكان ملوك معين خاضعين لهم[2] .

(١) يقصد بلفظ (جو) فى النقوش السبائية القديمة الأنهار الأربعة المقدسة .

(٢) قارن Nikol Rkodokanakis : Katab. Texte zur Bodenwirtschaft جـ ١ ص ٣٦ اللاحظة الأولى (عام ١٩١٩) وقارن كذلك K. T. B, II, 1922, S. 45. وأن هليفى ٤٨٥ يقرر أنه يرجع إلى عصر ملوك سبأ . أما تفسير لفظ (جو) و (أشعب م) معنى دولة وأشعب أى قبائل ، ولو أن هذا المعنى متأخر ، وذلك لأن هذا المعنى يستتبع دلالة كلمة (جو) قبل كل شىء على (سهل) و (أشعب) أنهار .

وأما يطيع ايل و (ابنـــــه) (حيو) (هليفى) ١٨٩ (من معين يقابل جلازر ٣١١) وهو عبارة عن يطيع ايل الذى تآخى مع أبى يدع (هليفى) ٢٠٢ السطر الأول (راجع ٢٠٢ السطر الثانى حيث نبطى كرب صدوق لقب بعد ملك) يأتى بعد ملوك الطبقة الخامسة ويبين ملوك الطبقتين الرابعة والخامسة . وذكر (هليفى) ٢٠٩ فى أيام أبى يدع ويطيع ايل ولاحظ (هليفى) أيضاً ٢٠٢ السطر الأول وهليفى ١٨٩ يذكرنا بالآله موتاب كبط .

ومما يؤسف له أننا لا نعلم من هو الملك المعينى الذى فى عهده استولى المكرب السبائى (بديع ايل بين) على (نشق) الواقعة فى الجوف وانتزعها من المعينيين كما أننا نجهل أيضاً اسم آخر ملوك المعينيين الذى فى عهده قضى نهائياً على الدولة المعينية (جيل قبل المكرب السبائى الذى ترك لنا نقش صرواح واسمه — كريب ال وتر) — وكان دلك قبل عام ٦٨٠ ق . م . لكن ظهر من تتبع الحوادث أن ملوك الطبقة الخامسة جاءوا قبل ضياع دولة المعينيين .

كذلك يجب أن نذكر هنا فى هـذا الفصل النظام الدينى السياسى للدولة المعينية الذى له ما يشبهه أيضاً عند الأشوريين (أصلا سامى غربى) وهو النظام المعروف باسم (كبير — بمعنى عليم أو قديم ، وقد يؤرخ به غالباً ، وكان مركزه فى مواطن عديدة للدولة (مثلا فى مستعمرة مصران نجد اثنين [١]) .

والملك القتبانى الذى ذكر ضمن ملوك الطبقة الثالثة ، وهو (شهر بجول يهرجب) يحمل لقب ملك ويرد بهذا اللقب فى النقوش القتبانية مثلا جلازر ١٤٠٠ و ١٤٠٦ ومع والده المسمى (هوبا عم يوهنعم) وإلى جانب الملوك نجد فى النقوش القتبانية أيضاً (مكرب) كما هو الحال فى سبأ حيث الشبه قوى بينها وبين قتبان [٢] .

---

(١) قارن Fr. Hommel Grundriss ص ٢٣٥ وكذلك Rhodokanakis K. T B. ج ١ ص ١٠ وما بعدها .

(٢) قارن A. Grohmann's Mitteilung über Katabanische Herrscher-reihen., Rhodokanakis K. T. B. I. 1919. 26 —37.

لذلك كان من المناسب أن نستاحق هنا بهذا الفصل الخاص بالمعينيين فصلاً خاصاً بعنوان (حكم المكربين وملوك قتبان الأقدمين) . ولما كان الدور الذى لعبه القتبانيون يعاصر السبائيين (حتى عام ١١٥ ق . م . نهاية دولتهم) يستصوب أن نعالجه فيما بعد . خاصة فهذا الموضوح يهم أولئك الذين يعنون بالنقوش القتبانية فى هذا الكتاب وكمدخل ، وقد اطلع المؤلف على بعض مطبوعات النقوش التى لجلازر وللبعثة النمسوية فى بلاد العرب الجنوبية[1] . أما المسائل التى تهمنا هنا فمعقدة جداً فوق ما كنا نتصور وخاصة لتكرار أسماء الأعلام أحياناً .

المكربون السبائيون

على الأساس الذى أوجده جلازر فى لمحاته ج ١ وعلى كتاب المؤلف أبحاث ص١٤٥ ، وكذلك فى كتاب .Grund ص٦٧١ يعرض هنا لهؤلاء المكربين وترتيبهم . فقد جاء فى المصادر السابقة جدول أنساب سبعة أجيال على الأقل (أعنى حوالى ٢٠٠ عام) وبآخرهم يبدأ عصر ملوك سبأ الذى حاول المؤلف فى كتابه .Grund ص ٦٧٣ أن يضيف إليه جدولا قتبانياً سبائياً . وقد انتقد رودكانا كيس فى الجزء الثانى للنصوص القتبانية الاقتصادية 1922 K. T. B. II ص ٤٩ — ٥٦ كل الفترة حيث صحح بعض ما جاء فى جدول المؤلف .

فكل هذه السلسلة (وهى تشمل أيضاً معظم العصر المعينى السابق ، ويقدر بنحو زمن يتراوح بين أربعة وخمسة قرون كما يتبعه أيضاً من العصر الملكى السبائى الفترة التى تنتهى حتى عام ١١٥ ق . م . وستنشر فيما بعد مع أهم المراجع لكن من ناحية الترتيب التاريخى فستظل معلقة فى الهواء ما لم تعاوننا نصوص أشورية سبائية . فزمن آخر المكربين وأشهرهم والذى سبق ذكر اسمه وهو (كرب ايل وتر) يوضع قبل هذا التاريخ بعشرة أعوام ولذا سيتغير التاريخ السابق

---

(١) راجع بقيـة السبأيين (يستثنى Grohmann, Rhodokanakis) فقط Glaser ,Nielsen 4 — 6 .S E, Z = ,.Hommel : Kallisperis - Inschı (.Altjem. Nachr) وكذلك النقوش التى نشرها Rhodokanakis .

للميلاد للبلاد العربية الجنوبية ، وسيلقى ضوءاً جديداً على تلك الفترة .

ففى أيام سرجون (أيام حملة عام ٧١٥ ق . م) جاء ذكر الإتاوة التى قدمها السبائى (اتى امر) والملكة (سمسى) ملكة العرب . ومن هذه الإتاوة كان كثير من مختلف أنواع البخور خاصة الحشائش الجبلية أعنى المر والبخور . وهذا هو طبعاً المكرب السبائى القديم المسمى (اتى امر) وهو أيضاً اسم ملك ولكن طالما هذه الملاحظة لا تعتمد على نص آخر يؤيدها فقد ينصرف تفكيرنا إلى السبائيين المقيمين فى شمال بلاد العرب (سبقت إشارة المؤلف إلى هذا ويقترح هنا إضافة إسم — زرح — الكوشى أو الوارد فى كتاب أخبار الأيام الأول ص ١٤ آية ٨ وما بعدها ، وقارن أيضاً ص ١٤ آية ١٤ الابل وكذلك أبحاث ص ٣٠٠) . والآن وقد ظهر نقش جديد لسنخريب يرجع تاريخه إلى الأيام الأخيرة من حكمه الذى امتد من ٧٠٤ — ٦٨١ ق . م . وقد عثرت على هذا النقش بعثة برلينية كانت تقوم بأعمال الحفائر فى بلاد آشور[1] . وقد ورد فى هذا النقش لفظ (كرب ايلو) ملك سبأ ، وهذا يؤيد أنه كان معاصراً لسنخريب ويلاحظ فى الآثار الأشورية أنها كانت فى عصر خاص استمر نحو ثلاثين عاماً تكثر من ذكر اسم (اتى امر) و (كرب ايلو) ومن الجائز أن بين هذين الملكين جاء ملوك آخرون لم يرد ذكرهم هنا وكذلك حوالى نهاية عصر المكربين السبائيين (الجيل الرابع والخامس والسادس) نجد (يطعى امر بين وكرب ايلو بين وكرب ايلو وتر) فلا مجال للشك إذن فى أن المقصود هنا عند سرجون وكذلك عند سنخريب هو هذا المكرب يطعى امر وخلفه المسمى كرب ايل . ويلاحظ أيضاً أن الأشوريين لم يهتموا كثيراً بألقاب هؤلاء الأمراء البعيدين ، ولذلك دعوا مكرباً ملكاً .

ونظراً لأهمية الموضوع فقد ترجم النص هنا (يدور حول موضوع بناء حصن اكيتو فى آشور) السطر ٤٨ — ٥٤ بعد أن سبق الحديث فى السطر ٣٩ عن

---

(١) أنظر Otto Schroeder, Keilschrifttexte II Leibzig 1922, No. 122 وقد ذكره مكتشفه Otto Weber فى ١٠ مايو ١٩١٤ عند عودته من أشور .

دلون فى الخليج الفارسى أعنى جزيرة البحرين المسماة سمك) .

وعند وضع الاساس — أنا ندى أوشى — ابيت أ كيتو قدمت الهدية التى أمر ملك سبأ بأحضارها وهى عبارة عن أحجار كريمة وروائح وأحجار . ومن هذه الهدية وضعت أنا الأحجار والروائح فى أساسه أساس بيت أ كيتو . . . أنا فضة وذهبا وحجر ساندو وحجر أوكنو (لازورد) وحجر خلالو وحجر مشجرو وحجر اودش وحجر اودشش وسكبت ماء النهر .

ومن هذا نرى كيف وضع أساس تاريخ بلاد العرب الجنوبية وهذا شىء لم يكن فى الحسبان من قبل . والآن نستطيع أن نبدأ بالسمى (سمو هو عليا)[1] وهو اسم تبدأ به سبعة حتى تسعة أجيال لمكربين ، وقد سبق الحديث عنهم .

أما الأجيال الثابتة حتى اليوم فقد بلغ عددها ثمانية تقريبا وهى أجيال رجال الأديان القدماء الذين كان يطلق عليهم اسم (مكرب) لسبأ ويعتقد أنهم شغلوا من تاريخ بلاد العرب الجنوبية ما يقرب من قرنين ثم جاء بعدهم عصر الملوك المتقدمين وهم يكونون الأجيال الستة الأولى . الجيل الأول :

شومو هو عليا[2] (بدون لقب)

يدعى ايلو ضريح

يطعى أمر وتر

يدعى ايلو بين

يطعى أمر (بدون لقب معروف)

كرب ايل (بين) شمو هو عليا يناب

---

(١) هذا الذى اعتقد جلازر أنه والد أو جد (سمهو عليا) ثبت أنه غير صحيح .

(٢) خطأ أن يكون والده : يطعى كرب نقدان (لمحات جلازر ج ١ ص ٦٦) ومصدره فهم خطأ لنقش لجلازر ٩٢٦ وهو يرجع الى عصر متأخر راجع Rhodokanakis Katab. Texte zur Bodenwirtschaft, 1922 S. 49.

مصادر الجيل الأول

شموهو عليا فقط جلازر ١١٤٧ (أبحاث ص ١٤٤) قربان من ايبخور إلى المقه وكل (جو) وأقاليمه المقدسة الأربعة .

يدعى ايل ضريح فقط هلبفى ٥٠ يقابل ارنولد ٩ ويقابل جلازر ٩٠١ أحاطة معبد المقه فى صرواح بسور ثم ثلاث ذبائح ل (حريمت) وهى فى الواقع زوج الآله ثم البخور كما فى جلازر ١١٤٧ .

هو نفس ابن سموهو عليا جلازر ٤٨٤ (رودوكناكيس دراسات جـ ٢ ص ٧) ٥ مارب لأحاطة معبد المقه اوم ثم قربان لعثتر وقربان من البخور كما جاء فى جلازر ١١٤٧ وهلبفى ٥٠ .

يطعى امر وتر ابن يدعى ايل ضريح هلبفى ٦٢٦/٦٢٧ من الدابر (شرق وجنوب شرق برافش) بناء معبد لآله القمر السبائى واسمه هوبش .

يدعى ايل بين بن يطعى امر وتر هلبفى ٢٨٠ من البيضاء وهى نشق فى وادى خارد أو ما يسمى جوف أى مدينة معينية قديمة . وإلـهة الشمس فيها تسمى ذات نشق ويرد ذكرها فى النقوش المعينية[1] فربما استولى عليه ، من مدينة المعينيين التى استولى عليها ، وأحاطه بسور[2] مالم تكن أيام عمه مكرب سموهو عليا يناب بن يدعى ايل ضريح (قارن هلبفى ٣٣٨/٣٣٩ من البيضاء حيث جاء فى الخاتمة — بنى —)[3] يطيع امر ولا لقب له معروف فنحن نعرف هذا الأمير كخلف (ابن أو أخ) للسابق ونعرفه عن طريق النقوش المنسوبة لأبنائه (كرب ايل بين) بن (يطعى امر) هلبفى ٣٥٢ لبيضاء وهلبفى ٦٧٢ (مارب) وأرنولد ٢٩ (مارب) وسموهو عليا ينب[4] متصلا بعدد من النقوش

---

(١) راجع هلبفى ٥٣٥ و ٤٦٥ وكلاهما يرجعان إلى الطبقة ب فى العصر المعينى الذهبى .

(٢) فى أكثر من ٤٠ موضعاً يرد أنه سور لحائط المدينة نشق . قارن هلبفى . ٢٨ — ٣٢٦ (مع استثناء هلبفى ٣١٣) و ٣٢٨ و ٣٣١ و ٣٣٢ و ٣٤٠ .

(٣) قد يوجد (يدعو ال ضريح) حسب جدول جلازر الذى اتبعته .

(٤) يرى Rhodokanakis أنه أخ أصغر لكرب ال بين قارن K T B, II, 35 f

لـكن فى ترتيب تاريخى نجـد يدعى ايل (بين) ويطعى امر وكرب ايل وسموهو عليا[1] ثم ينتهى بغتة ويعتقد (رودوكاناكيس) أن يطيع امر هو ابن ليديع ايل يبين (KTB الجزء الثانى ص ٥٦) أى حفيد يطيع امر وتر وقد ثبت أن سمو هو عليا ينب ابن ثان ليطيع امر (هليفى ٤٥ (صرواح) كذلك جلازر ٩١٠ (يقابل هليفى ٤٥) حيث المعبد المقصود هو على الأصح (يبعن) عوضا عن طبعم كما جاء فى هليفى) راجع كتاب المؤلف . Grundr ص ٦٦٩ .

هذه الأجيال الستة التى اعتبرتها سابقا خمسة فقط (اعتقاداً منى أن يطيع امر وهو فيما بعد يطيع امر بين هو ابن عم يديع ايل بين) تشتمل فى الواقع بعد بحث دقيق على ستة أو سبعة أخرى أن لم تكن ثمانية[2] .

وذلك لأن الخمسة عشرة مكربا تقريبا الذين جاء ذكرهم فى النقوش يسمون بخمسة أسماء مختلفة فقط وهى (مرتبة ترتيباً أبجديا) .

١ — دمرى عليا

٢ — يدع ايل

٣ — يطيع امر

٤ — كرب ايل .

٥ — سموهو عليا

ويفرق بين الأسماء عن طريق ألقاب (١ — بين ٢ — ضريح ٣ — ينب ٤ — وتر) ومن بينهم نجد أيضاً كثيرين أمثال يطيع امر وتر وسموهو عليا ينب وتتكرر هذه الأسماء كثيراً لذلك كان من الصعب جداً أن نقسم هـذه الأسماء العديدة إلى طبقات علما بأن كل طبقة عبارة عن محاولة فقط وغير قابلة للتغيير

---

(١) قارن Rhodokanakis, K T B., II, S. 49 — 56 وكذلك النقوش المعروفة بنقوش (كتل) هليفى ٦٣٠ وما بعدها (راجـع Hommel's Grundriss ص ٦٧٠ — ٦٧١ .

(٢) إن كان هو سمو هو على يناب (وهو مكرب من الجيل السادس) . الذى ذكر فى النص الملاحظة الأولى يدعى ال ضريح (هليفى ٣٣٨ — ٣٣٩) .

(كما يرى هذا أيضاً رودوكاناكيس جـ ٢ ص ٥٦) هذا مع التسليم بفكرة اشتراك اخوين فى الحكم وهذه مسألة قابلة للشك[١] كما تجب ملاحظة أن مكربا لم يأت بعد مكرب آخر ويحمل لقبه[٢] .

ولكى نصل بين هؤلاء جميعا نذكر

ضمرى عليا

وابنه سموهو عليا ينب

وابنه يطعى امر بين

ويستحق الاثنان الأخيران عناية تاريخية خاصة وذلك لأنهما هما اللذان بنيا السد العالى الشهير المعروف باسم سد مارب ويرجح أن الأخير وهو يطعى أمر بين هو المكرب الذى قضى على دولة المعينيين وهزم آخر ملوكها وهو ذلك الملك الضعيف الذى سبق ذكره بمناسبة استيلاء السبائيين على المدينة المعينية (نشق) فى عهده فلطموا المعينيين اللطمة القاضية .

فمن نقش جلازر ٥١٣/٥١٤ وهو يقابل هليفى ٦٧٣/٦٧٤ ويقابل ارنولد ١٤ نعلم أن سموهو عليا ينب بن ضمرى عليا[٣] أقام الفتحات المعروفة باسم (رحابوم) لحفظ مياه الفرع الرئيسى لإحدى القنوات بينما ابنه يطيعى أمر بين هو الذى شيد السد القوى المعروف باسم (حبابض) الذى كان يحجز مياه الفرع الرئيسى ، وكان هذا هو أهم عمل قام به كما يتبين لنا هذا من النقوش جلازر ٥٢٣و٥٢٥ وهليفى ٦٧٨ وارنولد ١٢و١٣[٤] وبذلك كما لاحظ جلازر وبحق فى (لمحات ..)[٥]

---

(١) راجع Hommel, Aufs. u. Abh. S. 145, Grundriss. S. 671

(٢) لا يمكن أن يكون (يطعى أمر) الوارد من الطبقة الخامسة هو الذى وضعته من قبل فى الطبقة الرابعة وهو بانى سد مارب يطعى أمر بين .

(٣) يذكر الوالد مع ترك اللقب هكذا عند ذكر سموهو عليا يناب .

(٤) هـذا هو الترتيب الصحيح راجع Rhodokanakis. Studien II, S. 103 بخلاف Glaser, Skizze I, 71

(٥) Glaser, Skizze I. S. 69 f

أصبحت مارب التى كانت تعتمد على مياه الأمطار فقط وهى مياه قليلة كانت تتجمع فى وادى اضنه جنة من جنات الأرض حيث أصبح سد مياهها نعمة لا عليها فقط بل على سائر الأقاليم المحيطة بها . كما هو الحال حتى اليوم مع وادى خارد بالنسبة للجوف الواقع فى البلاد المعينية . وتمكننا النقوش التى وصلتنا من معرفة المكرب الذى وصلنا جزء من شاهد قبره الرخامى فقط جلازر ٤١٨/٤١٩ (مارب) فهذا الشاهد لو قد جاءنا كاملا لكان وثيقة هامة جداً من وثائق بلاد العرب الجنوبية وذلك لأن نقش صرواح جاءنا متأخراً (مواصلة الحرب مع معان وامتلاك الأقاليم) لذلك نستطيع استكمال الجدول السابق كما يلى :

الجيل الثانى :

ضمرى عليا

سموهو عليا ينب بانى سـد رحاب

يطعى أمر بيين بانى سـد حبابض

موسع سـد رحاب

المنتصر على معان

ضمرى عليا[1]

كرب ايل وتر (نقش صرواح)

لذلك يرجح أن يطعى أمر بيين[2] الذى جاء ذكره فى جلازر ٤١٨ و ٤١٩ حيث يبدأ هذا النقش هو الذى ضرب معان الضربة القاضية ، وبالرغم من صغر النقش عند هذا الموضع إلا أن ذكر عدد القتلى والأسرى مقارنا بالعدد الوارد فى نقش صرواح يقدم لنا صورة واضحة . فقد جاء ذكر (دهاس) كبلاد مجاورة لقتبان وأنها فتحت حربا (حرب ضد سموهو وتر[3]) وقتبان حيث قتل ٤٠٠٠

(١) ربما ابن يطعى أمر بين وفيما يتصل باحتمال كونه حفيده انظر فيما بعد حيث نجد الحديث عن تاريخ سرجون وسنخريب .

(٢) راجع Mordtmann und Müller Sab. Denkm. No.45

(٣) هو نفس الملك القتبانى .

ثم تذكر معان[1] ومهامر[2] وامير (الثنتان الأخيرتان بعد نجران أى شمال معان) ويذكر عدداً كبيراً من ٤٥٠٠٠ قتيل و ٦٣٠٠٠ أسير و ٣١٠٠٠ دابة غنيمة (أبل وبقر وحمير وضأن) وفى نهاية الجزء الخاص بالحرب نجد ملاحظة عن الأماكن والبلاد التى خربت وحرقت من أقليم (مهامر) وخاصة أيضاً أقليم (رجمه[3]) وأقليم نجران[4] كما ورد ذكر بعض الجهات المجاورة ليطيل .

والمرة الأولى يذكر فى هذا الكتاب بفضل تصريح أكاديمية فينا شىء عن نقش صرواح ومقارنته[5] فقد جاء فى القطعة الكبيرة (١) منه شىء كثير عن الحروب وأخبارها فنقرأ شيئاً عن سعد ومعافر (٣٠٠٠ قتيل و ٨٠٠٠ أسير) ثم (بين قتبان و عدن) ودولة كانت فى ذلك الوقت قوية إلا وهى دولة (اوسان) (١٦٠٠٠ قتيل و ٤٠٠٠٠ أسير) مع الأقاليم المجاورة إلا وهى (دثينة) (دثينة الحالية) و (دهاس) و (تبنى) (٢٠٠٠ قتيل و ٥٠٠٠ أسير) وبفضل هذا التآخى بين حضرموت (الملك يدعى ايل) و (قتبان) (ملك ورو ايل) وهزيمة أخرى لجزء من اوسان (٥٠٠ قتيل و ١٠٠٠ أسير) ثم ينتقل الحديث إلى الحرب العظمى التى وقعت قبل حكم (كرب ايل) ضد معان وضد ثلاث مدن فى الجوف كانت تابعة لمعان اعنى ضد المدن الواقعة بين (نشق) فى الغرب والعاصمة القديمة للمعيين إلا وهى (قرناو) (خرائب معين فى الشرق) أما المدن فهى (نشان) (وهى السوداء) و (كمن هو) و (هرم) وقد أصبحت فيما يظهر بعد أن نظمت أمورها دويلات صغيرة خاضعة لسبأ وكان على عرش (نشان) ملك يدعى (سموهو يبيع) وملك (كمن) يدعى (نبطى عليا) وقد جاء ذكره

---

(١) الأخبار التفصيلية لهذه الحرب كانت فى الجزء الأول من النصب .

(٢) هذا الاسم مكسور .

(٣) ملكة يدعى امذرى ال أو عذرى ال لو كانت (لِ) حرف جر .

(٤) العدد الكبير من هذه الأعداد ينصب على معان (قارن نقش صرواح حيث نجد مهعمر وأمير ٥٠٠٠ قتيل و ١٢٠٠ أسير) .

(٥) ورد ذكره فى كتاب جلازر عن بلاد الحبشة Glaser, Die Abessinier وهو يشتمل على أسطر كذلك يرجع إلى Glaser : Zwei Inschriften über den Dammbruch von Marib ص ٥٧ .

فى نقوش هليفى[1] أما ملك (هرم) فهو كما جاء فى نقوش هليفى أيضاً (يضمر ملك[2]) ولا يعرف بالضبط عما إذا كانت هذه الدويلات قد تحررت من المعينيين قبل أن يستولى السبائيون على (نشق) أو لا لأن مثل هـذا الموضوع لا يمكن التثبت منه . كذلك إلى جانب (هرم) نجد مكانين أخرين كانا غير معروفين من قبل إلا وهما (سبيل) و (بنينان) وقد قتل من المـدن الثلاث ٣٠٠٠ قتيل وأسر ٥٠٠٠ كما استولى على عدد من الماشية يبلغ نحو ١٥٠٠٠٠ رأس ولا شك فى أنه عدد كبير إذا ما قورن بعدد القتلى والأسرى وخاصة إذا روعيت المراعى والمروج التابعة لـ (هرم[3]). وفى النهاية يأتى أيضاً ذكر ٥٠٠٠ قتيل و ١٢٠٠٠ أسير و ٢٠٠٠٠٠ رأس ماشية (جلازر ٤١٨ و ٤١٩) من معان ومن تحت سيطرتها أى (مهامر) و (امير) وسائر قبائل (مهامر) و (عوهب) (فى هذه المرة نجد ذكر عوهب) . وهذا يؤدى بنا إلى أقليم نجران فى شمال اليمن مما يشير إلى أنهم ثاروا ثانية . وهنا أيضاً نجد عدد قطعان الماشية كبيراً ، وهو يفوق العدد الذى وجدناه عند الحديث عن (هرم) . وجاءتنا أيضاً بعض أخبار الملك (يضمر ملك) ملك (هـ م) ، وذلك فى نقش فى حالة رديئة (أو أن هليفى طبعه طبعة رديئة) ، وهليفى ١٥٤ حيث نجد فى الأسطر ٥ — ١٠ نفس المعانى التى نجدها فى نقش صرواح ، فيضمر ملك قد حارب سنتين كاملتين فى حرب (كرب ايل) (ذكرت هذه الحرب صراحة فى السطر التاسع) وضد (اوسان)

---

(١) قارن هليفى ٢٦٩ — ٢٧٨ و ٣٢٧ ومنها يتضح لنا أن اسم والد نبطى على الى سمع . واسمه هو نبطى على امر وابنه (الى سمع) نبط .

(٢) هليفى ١٥١ و ١٥٣ و ١٥٤ وكذلك ١٤٤ و ١٤٥ و ١٤٦ و ١٤٨ و ١٥٠ وكذلك ١٥٥ و ١٥٦ و ١٥٨ وكذلك ١٥٩ يتضح منها أن (يضمر ملك) حكم هناك مع (بنى عثتر) قارن هليفى ١٦٠ وجلازر ١٠٥٨ كما نجد ذكر ملك آخر لهرم وهو معدى كرب ريدان بن هوتر انت .

(٣) كلمة (هير) معناها الذى يضم العير ومعناها فى العربية الشمالية جمل وفى الجنوبية ماشية عامة .

(سطر ٦) و (نشان) سطر ٧ و ٩ حتى استولى أخيراً كرب ايل على (نشان[١]) .

هذه هي الحروب التي خاض (كرب ايل وتر) غمارها وكانت هذه الحرب تكملة للحملة التي بداها جده (يطعى أمر بين) وهكذا نجد الجزء الباقي من نقش صرواح أما القطعة الصغيرة (ب) والتي تفترض أولا امتلاك العاصمة المعينية (قرناو) و (يطيل) أعني شرق (جوف) قلب مملكة معان القديمة . وهنا نجد الحديث عن بناء حائط ، وكر قناة أعني اصلاح ما خربته حرب (كرب ايل) . والذين سبقوه فالنقوش تحدثنا أنهم خربوا بلاداً ومدنا من بينها (يطيل[٢]) وقد ذكرها جلازر ٤١٨ و ٤١٩ على أنها نهاية الحروب التي شنتها سبا ضد معان[٣] .

لذلك يجب أن ننظر إلى الطبقة الثانية على أنها مكونة من خمسة أجيال هي التي تكون ملوك العصر الذهبي للملكة السبائية وذلك عن طريق بناء السدود والمعابد وزخرفتها بمدينة مارب . وكذلك أيضاً بسبب القضاء على الدولة المعينية . أما قتبان التي ظهرت في الميدان كمنافس جديد لسبأ عوضا عن معان كانت تحت حكم (كرب ايل وتر) الذي أصبح خليفة ولا حول ولا قوة له . وكذلك (اوسان) (مع دتينا) التي كانت من قبل تابعة لقتبان ظهرت كخصم جديد . ولما كانت مهددة لكل من سبأ وقتبان فإن سبأ قضت عليها وأخضعتها .

وبقي الآن أن نوجد حلقة الاتصال بين الطبقة الأولى والطبقة الثانية ، وهذا مستطاع عن طريق النقشين اللذين وجدا في البيضاء (نشق) حيث ورد فيهما ذكر توسيع سور المدينة هليفي ٣٤٩ و ٣٥٢ ، وفيما يتصل بالعلاقة بينهما فهي ثابتة .

---

(١) والآن أفهم الصلة بينهما في كتاب Grundriss ص ٦٦٠ الملاحظة الأولى : (يضمر ملك) وفي هليفي ١٠٤ كخليف للسبائين . قارن Rhodokanakis, K T B 1, S. 28, A 5.

(٢) ربما أن (قرناو) لم تكن قد خربت أو خربت وأعيد بناؤها وعلى كل فقد سقطت سليمة في يد السبائين .

(٣) جاء أيضاً ذكر المكان المعروف باسم (كتل) قارن جلازر ١٠٠٠ ب ا حيث نجدها قبل يطيل .

لا شك فيها كما يرى ذلك رودوكانا كيس فى كتابه دراسة جـ٢ ص ١٢٦ .
وحسب نقش هليفى ٣٤٩ فقد وسع كرب ايل والد ضمرى عليا وتر (الأخير هو صاحب النقش) حدود مدينة (نشق) وحسب نقش هليفى ٣٥٢ وسع كرب ايل بين بن يطعى امر حدود مدينة نشق بما يقرب من ٦٠ من الشواحط (مقياس للاطوال) ، ولو أن التعبير — مكرب سبأ — لا يرد فى النقشين (فى هليفى ٣٤٩ لا يمكن أن يشير إلى أن المذكورين هم المكربون الذين سبق ذكرهم وليسوا لملوك الذين يسمون بنفس الأسماء فنحن لدينا إذن .

يطعى أمر

كرب ايل بين وهو كرب ايل فى نهاية الطبقة الأولى
ضمرى عليا وتر

ومن المرجح أن الأخير هو ضمرى عليا والد سموهو عليا وبه تنتهى الطبقة الثانية[1] . لكن من الجائز أن بين ضمرى عليا وتر وضمرى عليا والد سموهو عليا يأتى مكرب آخر غير معروف .

وهناك سؤال آخر وهو من هو ابن كرب ايل وتر الشهير الذى به ختمت الطبقة الثانية وكيف نربط بينه وبين طبقة ملوك سبأ هؤلاء الملوك الذين سيأتون بعده ؟ يقرر (رودوكانا كيس) اعتمادا على جلازر ١٦٩٣ (قارن KTBII ص ٤٩ و ٥٤) أنه حكم قبل آخر ملك شخص آخر يدعى يطعى امر وتر الثانى (أو الثالث لو كان والد كرب ايل بين يلقب أيضاً باسم وتر) وهذا الملك لو صح وجوده تاريخيا يجب أن يكون حفيد كرب ايل وتر ، وليس ابنه،وإلا ما اتخذ لقب وتر لقبا له .

وهكذا يختم العصر الشهير المعروف باسم عصر المكربين إلا أن المؤلف يعود ثانية إلى الإشارة الخاصة بالأسماء الآشورية التى تجعل يطعى امر (بيين) جدا لكرب ايل وتر وفى عام ٧١٥ ق . م والأخير اعنى كرب ايل وتر نفسه

---

(١) يجب أن يبحث عن موضع آخر لـ (يدعى ال ضريح الثانى) .

حوالى عام ٦٨٥ ق . م . وبذلك يصبح من الممكن أن يفسح المجال لـكثير من الأجيال التى حكمت بخلاف الحال من قبل وأكثر مما كان يعتقد البـاحثون (تقريبا أحد عشر جيلا) منذ البدء حتى كرب ايل وتر وهذه مدة لا تقل عن ثلاثة قرون قد تبدأ حوالى عام ٩٨٥ ق. م. أو ٩٥٠ تقريبا ويترتب على هذا أن مدة الطبقتين الأولى والثانية من حكم المعينيين يجب أن تكون قد بدأت قبل عام ١٣٠٠ ق . م . وعرض المؤلف لسؤال آخر قد يتبادر إلى الأذهان وهو أليس من الممكن أن يطعى امر ، وكرب ايل اللذين ظهرا فى العصر السبأى القديم كانا قريبى عهد من يطعى امر ، وكرب ايل بيين اللذين جاء ذكرهما فى النقوش المسمارية ، وحدد لهما العامان ٧١٥ و ٦٨٥ وأن يطعى امر والذى والذى جاء بعده إلا وهو كرب ايل بيين ينتميان إلى الطبقة الأولى للمكربين (الجيلان الخامس والسادس) ؟ ثم آخر مكرب (أو أول ملك) يطعى أمر وتر الثانى (أو الثالث) وكرب ايل وتر من الجيل الثانى (ملوك سبأ) فحسب الفرض الأول فأول عصر المكربين قد يبدأ حوالى عام ٨١٥ ق . م . وآخره حوالى عام ٥١٠ ق . م .[1] وحسب الفرض الثانى يكون حوالى عام ١٠٠٠ — ٧١٥ ق . م .[2]) وتكون النتيجة أن عصر ملوك سبأ (وهو يبلغ فيما يرجح نحو ٦٠٠ سنة[3])وفرض ثالث وهو أن الملكين يطعى أمر بيين، وخلفه كرب ايل وتر الثانى ينتميان إلى الجيلين الخامس والسادس من عصر الملوك . أما العظماء الذين يجرى البحث عنهم فلا نعرف عنهم شيئاً . ولو وجدوا حقاً لاستتبع ذلك أن تتسع مدة حكم الملوك السبائيين لأكثر من سبعمائة عام كما يجب أن تمتد الفترة الفترة التى حكم فيها المكربون حتى تضم السنوات الواقعة بين عامى ١١١٥ و ٨١٥ تقريباً ق . م . مع إهمال زمن المعينيين (١٥٠٠ — ٨٩٠ ق . م .) ولا دليل يساعد على الفصل فى هـذه المشاكل

---

(١) تؤرخ دولة معان فى هذه الحالة ١٢٠٠ — ٦٢٠ ق . م . وعصر ملوك سبأ حوالى ٥١٠ — ١١٥ ق . م (أى حوالى ٤٠٠ عام).

(٢) عصر المعينيين يكون حوالى ١٤٠٠ — ٨٠٠ ق . م .

(٣) فيصير مكرب كرب الدوتر حفيد الحفيد عوضاً عن الحفيد لمكرب يطع أمر بين .

التاريخية إلا النصوص الثابتة فنحن نعلم مثلا أن نص الملك سنخريب يذكر أن أميراً سبائياً قدم ما قدم لا كجزية بل هدية من البخور و لأحجار الكريمة ، وأرسل هذه الهدية إلى بلاد آشور الواقعة فى الشمال (ربما ماراً بغزة أو بالقرب من مكة متجها شمالا شرقيا) وهو طريق قديم لتجارة البخور ، وهذا يتطلب القضاء على سلطان المعينيين[١]. وثانيا أن هذا السبائى الذى أرسل هذه الهدية يجب أن يكون ذا سلطان وجاه ، لا يوجد بين المكربين من يدانيه اللهم إلا ذلك الذى ترك لنا نقش صرواح جلازر ١٠٠٠ وما يقال عنه يقال أيضاً عن اللذين سبقاه وهما كرب ايل، ويطعى امر ٧١٥ ق . م . وقد يكون هو يطعى امر مشيد السد ، والذى كان معروفا بالشجاعة ، وهو صاحب نقش جلازر ٤١٩ ، وقد كان أيضاً محاربا قويا .

عصر ملوك سبأ

حوالى ٦٥٠ — ١١٥ ق . م .

من الجائز أن يختلط الأمر بين لقب مكرب هذا اللقب الذى تغلب عليه الصبغة الدينية[٢] وبين اللقب الذى كان معروفا من قبل عند المعينيين والقتبانيين ، وكان يطلق على حكامهم إلا وهو لقب ملك . وقد وقع هذا الخلط فعلا مع كرب إيل وتر كما سبق أن رأينا هذا . ومن الثابت تاريخيا أن هذا الأمير القوى الذى نستطيع أن نقول عنه إنه المؤسس الحقيقى للمملكة السبائية كان يحتفظ بهذا اللقب المقدس[٣] . كما احتفظ به الذين جاءوا من بعده . وفى قتبان

---

(١) تنتظر ورود اسم ملك للوخ عوضاً عن آخر لسبأ فى النصوص الأكادية .

(٢) راجع Rhodokanakis, Bodenwirtschaft (Wien 1916). S. 26 u. A. 2 وكذلك KTB, 1, S. 35. A. 1 ويشبهه اللقب issakku = pa — te — si فى البابلية الأشورية .

(٣) يسمى نفسه ملكا كما يتبين من Rhodokanakis KTB, 1, S. 35. A. 1. خاصة فى نقش صرواح .

حدث هذا التطور من قبل إلا أننا فى معان لا نعرف منذ البدأ إلا لقب ملك . ونستطيع أن نفترض أن لقب مكرب كان قديما معروفا لديهم[١] إلا أنه من المرجح أن لقب مكرب السبأى كان أصلا لقب أمراء قتبان وقد جاء به السبائيون الذين رحلوا حديثا وتركوا جيرانهم الجنوبيين الشرقيين كما جاء السبائيون معهم بأمور أخرى كثيرة[٢] .

أما الملوك الستة الأولون الذين تذكرهم النصوص فقد درسهم (رودوكاناكيس فى كتابه دراسة ج ٢ ص ١٢ — ٢١ وراجع أيضاً KTB ج ١ ص ٧٦ والملاحظة الثانية) واقترح ترتيب هؤلاء الملوك كالآتى :

سمو عليا ضريح

كرب ايل وتر — ايلى شرح[٣]

يدعى ايل بين

يكرب ملك وتر

يطعى أمر بين

كرب ايل وتر الثانى

والمصادر الرئيسية لدراسة هذه الأجيال الستة ، والتى امتد حكمها ما لا يقل عن ١٥٠ عاما أو من عام ٦٥٠ — ٥٠٠ ق . م . هى النقوش جلازر ٤٨٥ وهويقابل ارنولد ٥٥ وهليفى ٥١ يقابل جلازر ٩٠٤ (فيما يتصل بالجيل الأول إلى الرابع والخامس قارن جلازر ٤٨١ و ٥٠٨ وبخصوص السادس قارن جلازر ١٥٧١ و KTB ج ١ ص ٧٦ الملاحظة الثانية و ج ٢ ص ٤٨) وفى ذلك الوقت وقعت الحرب مع قتبان ، وقد بدأت فى عصر المكربين السبائيين ثم استؤنفت

---

(١) فى حضرموت كان الحاكم يطلق على نفسه لقب ملك (هليفى ١٩٣) وفيما بعد نجده تابعاً لملك سبأ .

(٢) يفكر المؤلف هنا فى نفس اللقب الذى يستخدمه الملوك القتبانيون (مثلا يهنعم) .

(٣) فيما بعد نجد : ايلى شرح : بين سموهو عليا ينب .

أيام كرب أيل وتر (راجع KTB جـ ٢ ص ٤٤ وما بعدها) ويشير إلى هـــذه الحرب أيضاً نقش قتبانى جلازر ١٦٩٣ . أما العلاقات المتوترة بين قتبان وسبأ فقد استمرت حتى بعد عام ٥٠٠ ق . م . تقريباً . ونحن نعلم بالضبط عن نهاية هذه الحرب من النقوش التى ترجع إلى حوالى عام ١١٥ ق . م . وهى تبين زوال الدولة القتبانية وادماجها فى سبأ .

وفيما يتصل بالقرون التالية فلم يكن بمستطاع تتبع العصور والأحداث فــكل ما وصلنا عبارة عن أسماء أعلام متفرقة فقط أخذ عددها يتزايد تدريجيا بمجرد النجاح فى الحصول على نقوش فى الجهة الواقعة شمال صنعاء (أقليم همدان) . وذلك بسبب ظهور عنصر الأشراف القوى خاصة عنصر الهمدانيين من قبيلة — حاشد — وبنو بتع وغيرهم. وقد ظهرت من الناحية الدينية آلهة جديدةخاصة آله القوس (تعلب) من (ريام)[1] وآله السماء (ذو سماوى) ، وهذه ظاهرة تعتبر من أهم الظواهر المميزة لذلك العصر . ونجد من بين أسماء ملوك ذلك العصر (بخلاف الحال قديما أيام المـكربين) أمثال (يوها أمين) و (يوها نعيم) أى اسماء أعلام فى صيغ المضارعة كما نجد ما يشبهها أيضاً فى الأسماء القتبانية التى هى أقدم من الأولى كثيراً مثل (يهو نعيم) و (يهو رجيب) و (يهو ضيع) . ومن بين الملوك الذين ينتسبون إلى ذلك العصر نذكر (انمارم يهو امين) بن (وهب ايل) جلازر ١٧٩ و ٢٢٣ (من حاز جنوب عمران ومن نفس المـكان معظم الألواح البرنزية المحفوظة فى المتحف البريطانى (OS . من ١ — ٢٧) وهؤلاء الملوك ينتمون إلى قبيلة (بكيل مرثد) الذين كانوا يعبدون الآله المعروف باسم المقه آله هران . و (نشعى كرب يهو أمين) بن ضمرى عليا ضريح (. OS ٣١ السطر الأول) و (درينبورج اللوفر رقم ١٥) وكرب ايل وتر يوهنعم[2] بن وهب أيل يحوز (. OS ٣٢) وجلازر ٢٤ يقابل لنجر ١٢ وجلازر ٨٢٦

(١) قارن بخصوص Hommel, Grundriss., S. 703 f. u. 704, 709

(٢) هذا الملك جاء ذكره فى نقش حدقان (شمال صنعاء) : جلازر ٣٠٢ .

السطر الرابع وميلز رقم ٦ السطر السادس وما يليه وناصرم يوهامن جلازر ٢٦٥ من جبل طنين[٢] وهنا ذكرت النقوش الهامة فقط والموجودة تحت ايدينا[٣] .

وآخر ملوك تلك الفترة يمهد فى الواقع لظهور عصر آخر إلا وهو عصر ملوك سبأ وذو ريدان وهما الباكلى باريموم ينهب (أو يناهب) ومنافسه الملك الهمدانى علهان نهبان وكان يلقب كل منهما بلقب ملك سبأ بينما أضاف أبناء كل منهما لألقابه لقبا آخر . ونحن نعلم أن ريدان كانت قلعة قديمة تابعة لملك قتبان إلا أننا فيما بعد نجدها تذكر إلى جانب القاب ملوك سبأ مما يشير إلى ضمها إلى مملكة الملك السبائى . وبهؤلاء الملوك يبدأ الفصل الثانى . لكن قبل الانتقال إليه تجب الإشارة إلى أسماء ثلاثة ملوك آخرين ذكروا فى نقش محفوظ فى متحف برلين للشرق الأدنى Berliner Vorderas. Museums ولم ينشر بعد[٤] . وهذا النص عبارة عن خمسة سطور طويلة ويتعلق برى بستان نخيل[٥] ويرجح اعتماداً على النقش وبعض الأدلة الأخرى[٦] أن هذا النقش لا يرجع إلى عصر المكربين . ففى السطر الأولى يتحدث صاحب النقش (بعثتر ذو وضئم) عن سيده (ايلى شرح) بن (سموهو عليا ينب) وفى السطر الخامس عن سيده (ضمرى عليا) فقد يكون ترتيب جدول النسب كالآتى :

سموهو عليا ينب

ايلى شرح الثانى　　　　ضمرى عليا ينب

فهؤلاء الملوك الثلاثة[٧] يأتون من حيث الترتيب أما بعد الطبقة السابقة

---

(١) بدون لقب وجاء فى النقش ذكر ١٩ موظفا همدانيا .

(٢) انظر فيما بعد حيث جاء جدول الأنساب .

(٣) راجع ما يلى .

(٤) راجع هلينى ٣٤٩ و Rhodokanakis Studien II, S. 126—132

(٥) جاء فى السطر الرابع : انحال مليكان أى حديقة الملك وراجع :
Rhodokanakis, Studien II, 119.

(٦) راجع Os. Musum حيث يرد ملك سبأ ذمرى عليا ببن بن سموهو .

مباشرة والمكونة من ستة أجيال (تقريبا من ٦٥٠ — ٥٠٠ ق . م .) أو تفصل بينهم وبين تلك الطبقة فترة من الزمن تقع تقريباً فيما بين عامى ٤٥٠ — ٤٠٠ ق . م . (كما يرجح أن الفترة الممتدة من القرن الثالث الميلادى تبدأ من عام ١١٥ ق . م . ترجع إلى ابتداء ظهور دولة سبا وذو ريدان ؛ بينما الطبقة التى سيأتى فيما بعد ذكرها تتكون من ثمانية أجيال من ٣١٥ — ١١٥ ق . م . تقريباً فالفترة الباقية إذن لا تشغل إلا نحو ٨٥ عاما كما أن معلوماتنا عن ملوك ذلك العصر ما زالت ناقصة وليس هذا بمستغرب إذ أننا ما زلنا إلى اليوم لا نسلك جميع الوسائل التى تساعدنا على دراسة ذلك العصر فى الفترة الممتدة فيما بين عامى ٤٠٠ و٣١٥ ق.م. خاصة فقد حدث فيها هذا التطور فى الأسماء كما سبقت الإشارة إلى ذلك من قبل . وقد يتبع هذا الطبقة الجديدة (ايلى كرب يهو نعم) الوارد ذكره عند جلازر ٢٩١ و (كرب ايل وتر) الوارد ذكره فى نقش حدقان (جلازر ٣٠٢) .

ملوك سبأ وذو ريدان

ليس لدينا من النصوص ما يعادل فى الكثرة تلك التى تتصل بتاريخ سبأ فى ذلك العصر هذا إلى جانب أن معظم هذه النقوش تكمل حقا الثغرات الكثيرة . فى التاريخ السبائى كما أن كثرة هذه النقوش تسبب كثيراً من الصعوبات فى سبيل ترتيبها لتقديم صورة عامة عن ذلك العصر أعنى عصر الانتقال هذا . ومنذ عام ١٨٩٥ نشر ادورد جلازر فى كتابه الحبش وفى عام ١٨٩٧ حاول مستشرق براين هوجو فنكلر عرض فكرة جامعة[1] لكن ظهرت بعد ذلك نقوش جديدة وفيما يلى جدول يبين أنساب الملوك كما يبين أيضاً الملوك الذين جاءوا فى آخر الطبقة التى ملكت العصر المعروف بعصر ملوك سبأ .

وهب ايل

انمارم يوهنمم

---

(١) النقوش السبائية من عصر : الهن نهفن : راجع (Mitt. des Vorderasiat Gesellsch. 1879. No, 5, 32 S. = S 326 — 359).

ذمرى عليا ضريح[1]

نشمى كرب يوهنعم

نصرم يوهامن   اعين (جلازر ١٢١٨ وقارن جلازر ٨٤٩)

وهب ايل يحوز[2]   اوس لات ربشان[2]

كرب ايل وتر الثالث   يريم ايمن   برج يهرب[3] علهان[4]

يوهنعم[4]   ملك سبأ

برعم ينهب[5]   برج يهرحب   علهان نهفان   ملك سبأ

ايلى شرح يحضب يازلى بيين   شمرم اوتر   يريم ايمن

ملوك سبأ وذو ريدان   ملوك سبأ وذو ريدان

اوتر[6]

وانظر من (اعين) و (وهب ايل يحز) حتى الذى ذكره أخيراً جلازر ZAX. 1895, S. 394 (فى نسب الملك علهان نهفان فى نفس المراجع ص ٣٩٣ وما بعدها) فى شجرة النسب . أما العصر الحديد لملوك سبأ وذو ريدان فيبدأ أولا فى نهاية هذا الجدول بالأخوين ايلى شرح يحضب وبازل بيين من جهة ، والأخوين الهمدانيين اللذين كانا يقدسان (تالب) وهما شمرم اوتر ويريم ايمن من جهة أخرى . ومثل هذه الظاهرة نجدها قبل كل شيء عند الأجداد . وذلك لأن يريم ايمن الأكبر جعل نفسه ملكا معارضا لكرب ايل وتر يوهنعم وظل ملكا بعد وفاة كرب ايل وأبنائه ، والجيلان الأخيران من عصر ملوك سبأ

(١) فى السطر الرابع يهنعم وذمرى عليا ملكا سبأ .

(٢) راجع جلازر ١٣٢٠ .

(٣) جلازر ٨٢٦ .

(٤) يلقب كل منهم بلقب : ملك سبأ .

(٥) راجع ما سبق .

(٦) انظر جلازر ٦٥٢ .

يظهر اننا على مدى انقسام داخلى ، وعلى حرب داخلية استمرت زهاء ثلاثة أجيال وقد أدت هذه الحرب إلى اضطرابات سياسية خارجية . لكن الحقيقة التى يجب الاعتراف بها هى أن ذلك العصر المضطرب داخلياً وخارجياً هو الذى انبثق منه العصر المعروف باسم عصر ملوك سبأ وذو ريدان .

وكانت نتيجة هذه الاضطرابات السياسية الخارجية أن أخذت تظهر على المسرح السياسى دولة حضرموت بينما لا نجد فى النقوش العديدة التى ترجع إلى (ريبوم ينهب) وأبنائه من ناحية وإلى الهمدانيين وعابدى (تالب) وهم (علهان نهبان) وأبنائه من ناحية أخرى ، ذكراً لقتبان إذ حل محلها فيما يظهر بنو ذى ريدان أو الحميريين (أو كلاهما) وللمرة الأولى نجد فى الميدان ذكر الشعب الذى لعب فيما بعد دوراً هاما إلا وهو الشعب الحميرى ، والحميريون هم الذين يطلق عليهم الكتاب الكلاسيكيون اسم (هوميريتين Homeriten) وهم فيما يظهر شعب أوسان القديم الذى جاء ذكره أيام المكربين ، الشعب الذى نجح فى القضاء على دولة الملك (جدرت) (جدروت) بحبشتان (وهم الحبش الذين يذكرهم اورانيوس وكانوا يقيمون على الشاطىء الذى تنمو عليه أنواع البخور) وبلادهم هى الوطن الأصلى للحبش الأفريقيين وقد استوطنه السبائيون من قبل[1] .

أما الحروب التى وقعت بين هذه الدول الأجنبية فيجب أن تكون قد وقعت أيام والد علهان نهبان وكان قد أشعل أوارها فى نفس الوقت ملك السبائيين (كرب ايل وتر يهو نعم) وكان معاصراً ليريم ايمن . وذلك لأن هذا الهمدانى (من قبيلة حشد) يفتخر بأنه نجح وأقام سلما مع أخيه (برج يهرحب) (جلازر ١٣٥٩ — ١٣٦٠) بين ملوك سبأ وذوريدان وحضرموت وقتبان[2] بينما فى موضع آخر من نفس النقش[3] نجد عوضاً عنه : هذا (ملوك سبأ وبنو ذى ريدان الملوك) (أى ملوك حضرموت وقتبان) فهذا التوسط فى سبيل السلم حفز

---

(١) بعض الظواهر اللغوية تؤيد وجود قرابة .

(٢) آخر مرة يرد فى هذه النقوش ذكر قتبان .

الهمدانيين فيما بعد على قبول لقب ملك سبأ (كمعارض لـكرب ايل وتر الذى ينتسب إلى البيت القديم) (قارن بحث موردتمان فى مجلة المستشرقين الألمان ج ٣٣ (١٨٧٩) ص ٤٨٥ وما بعدها، وكذلك كتاب جلازر عن الحبش ص ٣٣ و ٧٠ وفنـكار فى كتابه السالف الذكر ص ٢ وما بعدها).

لـكن هذا السلام لم يدم طويلا وذلك، لأن الحروب ظلت مشتعلة الأوار حتى فى الجيل التالى فنحن نجد ايل شرح يحضب كولى للعهد (أعنى عندما كان تحت وصاية والده بريمم يهب) يحارب كما يتبين من جلازر ١١٩ ضد حمير وجزء من حضرموت. وكذلك كملك لسبأ وذو ريدان (حسب جلازر ٤٢٤) فى نفس الوقت مع أخيه ضد شمر ذو ريدان[١] وحمير[٢]). وقد نجح الأخوان فى كسب شعوب حبشت إلى صفوفهما كحلفاء إلا أنهما اضطرا إلى طلب الصلح من ملوك سبأ المذكورين[٣]. ومن ناحية أخرى نجد أيضاً فى نفس النقش الحالفة الشهيرة (جلازر ١٠٧٦ و ٠٠٠) وقد وصلنا فى نقوش مختلفة (وفى صيغتين مختلفتين أحداها كما هى والأخرى مختصرة) ذكر الملك الذى كان ينافس بريمم يهب وعلهان الذى جاء ذكره فى مواضع كثيرة وابنيه اللذين يحملان لقب ملك سبأ كحليفين للملك جدروت ملك حبشتان. وكان ذلك فيما يظهر طالبا للحماية من الحميريين[٤]. وفى هذا النقش أيضاً جاءت إشارة إلى حلف قديم قائم مع (يدعى أبو غيلان) ملك حضرموت[٥] لـكن سرعان ما تغير الموقف كما يتبين من نقش جلازر ٨٢٥ حيث نرى كيف يتحالف وفى سرعة مع (شمير اوتر) كملك لسبأ وذو ريدان مع الحميريين ضد (ايلى عزى) ملك حضرموت وقد هزم الحميريون وبذلك استطاع

---

(١) راجع Glaser, Abessinier.

(٢) كانت مقاومة فى ريدان ضد سبأ.

(٣) قد تـكون هزيمة شمر هى السبب المباشر الذى دفع أبناء برعيوم إلى تلقيب أنفسهم بلقب ملك سبأ وذو ريدان.

(٤) راجع جلازر ١٣٨ و Glaser, Abessinier ص ١٠٣.

(٥) انظر ما قبل.

ابن (عاهان) أن يلقب نفسه بهذا اللقب الكامل . وذلك لاتصال كل منهما بالآخر اتصالا وثيقاً . لكن تغيير تولى الملك فى حضرموت جعل من السيد الجديد للبلاد عدواً لسبأ . أما العلاقة بالفرع السبأى الآخر فتظهر فى نقش جلازر ٨٩١ حيث نجد القربين (نص يتعلق بالقه) يطلبون أولا إزال العقاب بأحد الخصوم المتقاضيين ، وذلك عن طريق (شعيرم اوتر) ملك سبأ وذو ريدان كما أنهم يقدمون شكرهم لله ويطلبون عطف القه على سيدهم (ابلى شرح يحدب) وأخيه (ى . ب) ملكى سبأ وذوو ريدان ابنى (بريعم ينهب) ملك سبأ فهنا نجد كما يظهر أن واحداً يذكر بعد الأخر وليس مع الآخر ، وهذا يجعلنا نميل إلى الاعتقاد أن الأخوين الأخيرين كانت لهما اليد الطولى فى المنافسة السابقة التى جاء ذكرها فى (دير نبورج المكتبة الأهلية رقم ٢ السطر الخامس وما يليه) حيث نجد من بين الثوار اسم الشخص الذى كان يناهض الملك إلا وهو (شعيرم اوتر[٦]) (لم يذكر الاسم). ثم لا نعلم كيف تطورت الأحداث ، وعما إذا وجدت فيما بعد مقابلات أخرى هذا ما لم تحدثنا به نقوش كما لم تصلنا نقوش أخرى تحدثنا عن الأبناء أو ابلى شرح يحضب أو أخيه وكانا فى منزلة الملوك[٧] بينما يظهر من ناحية أخرى أن حفيد شعيرم اوتر كان ملكا لسبأ وذو ريدان[١] ، ومن الجائز أنه تنازع فيما بعد الهمدانيون (كذلك البتعيون) وملوك مآرب على تاج سبأ وذو ريدان حتى أننا سننتظر وجود أسماء بعض الذين كانوا يناهضون الملك فى الفترة الممتدة من ١١٥ ق . م . إلى ٢٧٠ م .

ولما كان من المسلم به مبدأيا أنه ليس من اليسير ايراد جدول تاريخى ترتيبى لهؤلاء الملوك لذلك يكتفى المؤلف هنا بذكر ملوك تلك الفترة المعروفين أو بتعبير آخر أولئك الذين جاءوا بعد ابلى شرح يحضب (كذلك منافسة شعيرم اوتر) حتى يسير بها من ، وهم مرتبون ترتيباً أبجديا .

(١) راجع هليفى ٥ = جلازر ١١ .

(٢) لا نعرف عما إذا كان وتيرم ابن ايلى شرح هو ولى العهد أم لا

(٣) النقش جلازر ٦٥٢ لم تصلنا إلا أجزاء منه .

١ — عمدان بيين يهقبض جلازر ٥٦٧ (ونقود) .

٢ — ضمرى عليا بيين .

٣ — كرب ايل وتر يوهنمم أرنولد ٥٤ ويقابل جلازر ٤٨٣ .

٤ — هلكى أمر[١] ضمرى عليا ضرح .

٥ — ضمري عليا ضرح بن كرب ايل (راجع Prideaux T.B.A.S, II. h.23

٦ — ضمرى عليا يهبر (أو يهبر) بن ياسر يوهصدق جلازر ٦١٢ يقابل درينبورج ١ وجلازر ٥٥١ (انظر الحبش ص ٦٧) وكذلك للمملة جاء فقط يهبر .

٧ — هالكى أمر (جاء ذكره كحفيد لرقم ٢) .

٨ — ايلى شرح يحمل وهو يحمل الوارد على النقود انظر كتاب الحبش لجلازر ص ٣٢ الملاحظة الأولى .

٩ — يسيرم يوهصديق لنجر رقم ٢ السطر الرابع وهو يقابل يسير يوهصديق والد ضمرى عليا يهبر (انظر رقم ٦) جلازر ٦١٢ .

١٠ — يدعى ايل وتر هليق ٦٤٠ و ٦٤٢ وجاء كطرة على النقود (بدون وتر) .

١١ — كرب عط يوهقبل . ريهتشك رقم ٧ السطر الثانى (.قس تالب فهو همدانى بدون لقب ملكى ، لكن قارن اللقب الذى قد يكون صوابه يوهقبض .

١٢ — كرب ايل وتر يوهنمم جاء على النقود فقط ك . يوهنمم .

١٣ — لعزم (قد يكون مختصرا من ايلى عزى) نوبان يوهصدق . لنجر رقم ١ السطر السادس .

---

(٢) راجع جلازر ٥١٦ و Glaser, Skizz 1, S. 86

١٣ — نشمى كرب اوتر (OM II,2) بتمعيد ، من اللقب يظهر أنه ملك .

١٤ — ربى شمشم نمران ٥٩٦ و ١٠ ورقم ٦٠٩ و ٨ وجلازر ١١٩٣ كملك جلازر ٥٠٥ (قارن جلازر رحلة إلى مارب ص ٥٠ ب) فقط ربى شمشم بن بتع .

١٥ — سعدى اوم نمران جلازر ٢١٠ (حاز) حيث نجد كاهنا لسعدى اوم نمران من بتع (راجع رقم ١٣ وما سبق ذكره عن نصرم يوهامن) ، وجاء فى جلازر ٥٧١ السطر الثامن اسم ملك لسبأ وذو ريدان . . وقد يكون ماء فى رقمى ١٣ و ١٤ هو نميران .

١٦ — صخمان يوهصبح جلازر ٢٠٨ السطر الثالث ورقم ١٣٦ السطر الثانى وبتعيد ، قارن اللقب .

١٧ — شمـــدار يوهنعم ما يعرف عنه حتى تأليف الكتاب لم يرد إلا على النقود .

١٨ — طاران يعب جاء ذكره على ، نقود وفى النقوش (مثلا جلازر ٨٠٧ السطر الثالث من ضمار) .

١٩ — وتيرم يوهامن جلازر ١١ (انظر ما قيل عنه من قبل) .

وإذا أضفنا إلى هؤلاء عدد الملوك الذين سبق الحديث عنهم ، والذين كانوا ملوكا لسبأ وذوريدان لبلغوا تقريباً العشرين ، وقد حكموا فى الفترة الممتدة بين عامى ١١٥ ق . م . و ٢٧٠ م أو قبيل ذلك ويضاف إليهم ما لا يقل عن سبعة عشر ملكا عرفوا عن طريق نقوش جلازر التى لم تكن معروفة من قبل (راجع كتاب الحبش لجلازر ص ٣٢) ومما يؤسف له أنه لم يصلنا من الوثائق إلا القليل الذى يعتمد عليه لتاريخ هؤلاء الملوك . فمنذ حملة (اليوس جللوس) (٢٤ ق . م) جاء ذكر أمير رحمانى يسمى (ايلازاروس) ولم يرد له فى النقوش ذكر ، وفى (بريبلوس ماريس اريتريا Periplus maris Erythraei)(حوالى عام ٦٠ م .) نجد اسم ملك يدعى (اليازوس Ελεάζον) من البلاد التى تنتج البخور أعنى

من حضرموت[1] واسم ملك سبأى هو (خريبئل) ، وقد يكون هو كرب ايل وتر يوهنعم (راجع رقم ٣ من القائمة السابقة بأسماء الملوك) ، وقد يتفق معه فى الاسم ماكان أو ثلاثة . نقول قد يتفق، وذلك لأنه من الثابت أنه يوجد ملك آخر يدعى (كرب ايل) .

ومن مميزات هذا العصر (والقرون الأخيرة لعصر ملوك سبأ) قطع العملة الذهبية، وهى فى الأصل تقليد للدرخما اليونانية وعليها نجد صورة بومة أثينا كما نجد فى الأساطير العربية الجنوبية أسماء يكثر ورودها فى النقوش . إلا أننا نجد أخرى جديدة نستنتجها من قراءة الكتابة الواردة على العملة . ومعظم هذه النقود قد ضرب فى ريدان وحريب (اقليم كان قديما تابعاً لقتبان) . قارن أيضاً كتاب دراسات للمؤلف ص ١٢٣ وما بعدها والمصادر الأخرى المذكورة هناك ، وكما سبقت الإشارة فكثير من هذه النقود يرجع إلى عصر الملوك الواقع قبل عام ١١٥ م . كذلك أولئك الذين نتبين من أساطيرهم أنهم كانوا ملوكا لقتبان[2] وكذلك قطع النقود الوارد ذكرها فى النقوش السبائية والقتبانية قد ترجع إلى عصر قديم حوالى عام ٤٠٠ ق . م[3] .

وفى نهاية عصر ملوك سبأ وذو ريدان نجد نقوشا عديدة أعنى نقوش يسيرم يوهنعم وابنه . ثمر يوهرعش . ولهذه النقوش قيمتها التاريخية، وذلك لأن بعضها يرجع تاريخه إلى عام ١١٥ ق . م . وهو تاريخ بدء عهد جديد[4] وذلك يتجلى لنا من لمحات جلازر الفصل الأول ص ٣ — ١١ ، واعتماداً على هذه النقوش يتبين لنا أن يسيرم كان يعيش فى عام ٣٨٥ حسب التقويم الذى كان سائداً فى ذلك العصر وهو يقابل عام ٢٧٠ م . (وكان ابنه يحكم معه) جلازر ٧٩٩ يقابل لنجر ٧ السطران

---

(١) ايلى عز اسم ملكى حضرمى راجع Glaser's Abessinier, S. 29

(٢) راجع برلين ١٩١ .

(٣) قارن العملة السبائية : بلت : (هليفى ٤٩) و Rhodokanakis و Grundsatz وجلازر ١٣٩٦ = ١٦١٠ .

(٤) جلازر ٧٩٩ ولنجر ٧

الرابع والسادس ، فيكون قد أصبح ملكا إذن حوالى عام ٢٥٠ م . راجع أيضاً جلازر ١٥٩٤ (وهـذا النقش يرجع إلى عام ٢٧٤ م .) ودرينبورج رقم ١٤ (بدون تاريخ انظر جلازر كتاب الحبش ص ١٢٨ وما بعدها) ويعارض هـذا أننا نجد نقشا تتبين منه كما لو أن يسيرم لم يكن على قيد الحياة منذ أيام حكم شمر عام ٣٩٦ من تقويم تلك الفترة ، وهو يقابل عام ٢٨١ م (جلازر ٣٧٩ واللمحات جـ ١ ص ١٤ وربما بورخرت رقم ٢) وقارن أيضاً النقشين غير المؤرخين المحفوظين فى مرسيليا رقم ١ (٣٣ سطراً) وجلازر ٤٣٣ (قارن جلازر كتاب الحبش ص ١٣٠) ويوجد نقش آخر هام لشمر جلازر ١٠٥٠ (فينا) وهـذا النقش يمهد لظهور العصر التالى ، وفيه يطلق شمر على نفسه ابن يسيرم يوهنعم ملك سبأ وذو ريدان[1] . كما يخلع على نفسه تكملة هـذا اللقب ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت[2] . فهذا الملك شمر يجب أن يكون عندما ذكر هذه الألقاب فى أواخر أيام حكمه (ومما يؤسف له أن النقش غير مؤرخ) فهذا الملك فيما يظهر هو الذى ، فى أواخر أيام حكمه ، قضى على حضرموت . وهذا فى الواقع حادث تاريخى هام لم تصلنا معلومات منفصلة عنه . ولعل سبب هذا ، الحرب التى دارت بين سبأ وحضرموت ، فقد قضت على الأخيرة كدولة مستقلة ظهرت فى تاريخ بلاد العرب الجنوبية فى عصور قديمة جداً كما أن زوالها كان تحولا تاريخياً هاما وحداً فاصلا فى تاريخ ملوك سبأ وذو ريدان . وقد سبق الكلام عن ضياع دولة قتبان ، وكان هذا الضياع سبباً فى ضياع دولة سبأ أيضاً .

ملوك قتبان وحضرموت[3]

ولو أن الحديث تقدم فى الفصول السابقة عن قتبان وحضرموت[3] إلا أن كثيرين من العلماء وفى مقدمتهم جلازر والأكاديمية النمسوية وبعثتها إلى بلاد

---

(١) الاسم مكسور .

(٢) يمنت هى الشاطىء الغنى بأنواع البخور جنوب حضرموت .

(٣) وعند قتبان المكرب والملوك .

العرب الجنوبية جاءونا بالكثير من النقوش القتبانية التى تضطر الباحث إلى الوقوف عندها ، كما أن العلاقة بينها وبين ما سبق ذكره من نقوش ، قوية جداً خاصة أسماء الحكام[1] .

وقبل كل شيء لدينا عدد من حكام قتبان يحملون فقط لقب ا(مكرب) ، لكن تبين لنا مما سبق أن معاصرا للملك المعينى (وقهى ايل يطع) وإبنه (إيلى يبيع يشر) (الطبقة الثالثة للملوك المعينيين) وهوالقتبانى (شهر يجول يهرجب) كان يحمل لقب (ملك) ويرجح أنه كان معاصراً للطبقتين الأولى والثانية لملوك معين ، ويذكر (جروهمان) تسعة مكربين وتاسعهم هو (سمهو وتر) الذى كان معاصراً للمكرب السبائى (يطعى أمر يبيين) جلازر ٤١٨ / ٤١٩ وملكا فقط اقتبان لايقصد هنا . أما الثمانية الباقون فنهم، اعتماداً على رودوكانا كيس K.T.B. جـ١ ص ٣٥ اللاحظة الأولى وقد ذكرهم جروهمـان تحت رقم ١ و ٢ فى الخاتمة ولما كان (يدعى أبو نبيان) بن (شهر) (جلازر ١٦٢٠ و ١٦٠٠) هو فى نفس الوقت المكرب الذى (ذكر فى جلازر ١٥٨١ — ١٥٩٩ و ١٣٩٩) قبل سابقاً لقب ملك . فلدينا أربع طبقات للمكربين .

١ — شهر

يدعى أبو ذبيان يوهنعم

جلازر ١٤١٠ يقابل ١٦١٨

٢ — يدعى ابو

شهر هلال يوهرجب

أو

يوهنعـــم

٣ — سموهو عليا وتر

هوباعم هوهنغم

جلازر ١١١٧ و ١١٢١ و ١٣٣٣ و ١٣٣٤ و ١٣٤٥

و ١٣٣٩ و ١٣٤٣

جلازر ١٤٠٤ يقابل ٨٥.

٤ — شهر وإبنه يدعى أبو ذبيان

---

(١) راجع ما قبل .

ومن الجائز أن الطبقة الثانية تأتى حقاً بعد الأولى ، كما أنه من الجائز أيضاً أن (يدعى أبو) الذى ينتمى إلى الطبقة الثانية هو بعينه (يدعى أبو ذبيان يوهنعم) من رجال الطبقة الأولى[١]) وفى هذه الحالة نجد الطبقتين الأولى والثانية تكونان طبقة واحدة من ثلاثة أجيال[٢]) كما أنه ليس من الثابت أن الطبقتين الأولى والثانية تأتيان حقاً قبل الثالثة أو العكس هو الصحيح ، وقد يصل الباحث إلى الرأى الصحيح عندما تشرح هـذه النقوش وتنشر[٣]) وعلى كل فيجب أولا : دراسة النقوش المتصلة بالمكرب الثانى من الطبقة الثالثة كدليل على قدم هذه الطبقة .

وفيما يتصل بملوك قتبان فلدينا إلى جانب الجداول التاريخية للطبقات المختلفة القائمة التى وضعها ، جرومان ، وهى تتصل من ناحية أخرى بتلك التى أوردها مارتين هرتمان فى كتابه عن المسألة العربية ص ١٦٥ — ١٦٧ من حيث الترتيب ، وكذلك محاولة (ن . رودوكانا كيس) K. T. B. I, 34 وقد سبق كذلك أن ذكرنا خبر يدعى أبو ذبيان (بدون لقب) بن شهر[٤] وهو القنطرة بين المكربين والملوك ثم تأتى كما أدرك رودوكانا كيس بثاقب فكره الطبقه الأولى .

أبى شبم

شهر جملان

بى عم[٥]

وبهذه الطبقة تتصل الطبقة الثانية : شهر يجول وأخوه شهر هلال يوهنعم[٦]

---

(١) راجع Grohmann's Uber Katabanische Herrscherreihrs فى Anzejer der Wiener Akademie vom Marz 1916 .

(٢) يترك اللقب مع الوالد .

(٣) قد يكون الأول والثانى من الطبقة الرابعة هما نفس الملك الأول .

(٤) لهذا لقب إلا أنه حيث يذكر (شهر) كاسم والد قارن جلازر ١٤١٣ .

(٥) جلازر ١١١٩ و ١٣٤٨ و ١٦٠١ .

(٦) هكذا فى K.T.B. II, S. 98

إبنا يدعى أبو مع احتمال أن يدعى أبو قد يكون الأخ الأصغر لـ (بى عم[1])وبذلك نستطيع أن نتعرف إلى عصر طوله نحو مائة عام .

أبى شبم

شهر جعيلان

بى عم　　　　يدعى بو

شهر يجول　　شهر هلال يوهنعم

كذلك هناك سؤال ليس من السهل الإجابة عليه ، ما مكانة هذه الطبقة التى تعرض لها جروهمان وفيها (شهر) وإبنه تدعى أبوذبيان (جلازر ١٥٨١ ملك) وإبنه شهرهلال (جلازر ١٤٠٧ وجلازر ١٤٠٥ فقط شهرم عوضاً عن شهرهلال) وشهر هلال أبى نبطى عم (S.E. 99,4) ومن ثم نجد رودوكانا كيس يصف رقم ٢ على أنه المكرب .وأول ملك وهو يدعى أبو ذبيان . ومن ثم نجد نفس العالم، لا يقبل فى (K.T.B. 1,34) أن يضع ضمن أولئك الذين ذكرهم شخصية شهر هلال وإبنه نبطى عم . وهكذا نجد قبل طبقة أبى شبم ومن معه فى رأس قائمة الملوك .

شهر

يدعى أبو ذبيان

شهر هلال

نبطى عم

أو ربما طبقة أبى شبم وتكمل كما يلى :

أبى شبم

شهر غيلان

بى عم　　　　يدعى أبو ذبيان الثانى

(١) الجد (شهر غيلان جلازر ١٦٠١) والحفيد (شهر يجول جلازر ١٦٠٢) .

شهر يجول   شهر هلال يوهنعم

نبطى عم

أو بتعبير آخر شهر هلالى بن يدعى أبو ذبيان (جلازر ١٤٠٧) ووالد نبطى عم يأتى فى طبقة أبى شبم إلى الآخر أو قد يضم إليها نبطى عم ، ثم نجد طبقة أخرى وهى بعيدة زمنيا عن طبقة أبى شبم[1] وهى :

هوبا عم يوهنعم

شهر يجول يوهرجب (جلازر ١٤٠٠ و ١٦٠٦ و ١٤٠٦)

ورواپلو جميلان يوهنعم   بيرعى كرب يتهودع

(جلازر ١٤٠٢ و ١٣٩٢)   (جلازر ١٤١٥)

وهى مهمة من الناحية التاريخية ، وذلك لأن الملك الثانى فيها حسب هليفى ٥٠٤ كان معاصراً للمكين معينيين من ملوك الطبقة الثالثة المعينية . وهى تكاد تكون قريبة زمنيا من عصر المكربين السبائيين[2] هذا مع وجوب التسليم بذلك مقدماً ، وهذا يتفق ورأى رودوكانا كيس أن نقش هليفى ٥٠٤ يذكر نقش الملك وليس فيما يظن أول هذا الاسم فقط . وفى هذا الحال ترجع كل طبقة (من شهر يجول يوهرجب الثانى أى رقم (٢) إلى وقت متأخر ثم يأتى الملوك الوارد ذكرهم على قطع النقود .

وبين هذه الطبقة (الطبقة الرابعة حسب رأى رودوكانا كيس) والطبقة التى تليها ، وذلك فى أول عصر الملكية السبائية (رودوكانا كيس الخامسة) ، يضع المؤلف طبقة جديدة وهى التى أشير إليها سابقاً ، وهى سائية قتبانية جاءت فى أواخر عصر مكربى السبائيين وهذه الطبقة هى :

---

(١) جلازر ١٣٩٥ و ١٤١٢ و ١٤١٣ فى كهلان (قارن K.T.B. I, 116, 119)

(٢) هليفى ٤٧٨ و Rhodokanakis, K.T.B. II, 44, A. 4

سوموهو وتر أو ربما سوموهو وتر (٧١٥ ق.م.)

ورو ايلو (حوالى ٦٨٠ ق.م)

ورو ايلو

ومن قبل كان لا بد من أن نعترف بفجوة زمنية تبلغ نحو مائتى عام وفيها عاش القتبانيون المعاصرون للاسرتين المعينيتين الرابعة والخامسة. وكذلك معظم الفترة المعروفة باسم فترة المكربين السبائيين.

ثم تأتى مباشرة بعد سمو هو وتر وورو ايلو (وليس لهما لقبان معروفان) الطبقة الصغيرة (رودوكانا كيس الخامسة انظر K.T:B. II, 48)

ضمرى عليـــا

يدعى أبو يجولى (جلازر ١٦٩٣)

ويعتقد رودوكانا كيس أن هذه الطبقة تكون الجيلين الخامس والسادس لملوك سبأ.

لكن الآن وفى الخاتمة تأتى مفاجأة لم يكن رودوكانا كيس ينتظرها، وذلك أنه سبق القول فى الملاحظتين الأولى والثانية أنه لا يوجد شك فى أن نقش جلازر ١٣٩٦ يقابل ١٦١٠ أن الملك القتبانى شهر هلال بن ذرئى كرب[1] وقد يكون هو الملك شهر هلال المذكور على العملة الذهبية التى عثر عليها فى حريب. كذلك الملك الذى جاء ذكره عند جرومان رقم ٢١ فى النقش القتبانى واسمه يـ (دعى) أبو (يـ) ناب (هكذا يقرأ بدلا من نق) يوهنعم، وكذلك الذى ذكر فى عملة ذهبية أيضاً من حريب واسمه يدعى أبو يناب. والآن يعترضنا هذا السؤال عما إذا لم يكن ورو ايلو جعيلان يوهنعم هو الملك الوارد ذكره على النقود واسمه كما سبق وقال جلازر هو ورو جعيلان. وهذا رأى يحتاج إلى تحقيق أعمق إلا أننا نستطيع أن نذكر كطبقة أخيرة للملوك

---

(١) Rhodokanakis K.T.B. I, S. 34 und die II, 98

الذين جاء ذكرهم على النقود ولو أن ترتيبهم ليس بثابت . والذين ملكوا فى الفترة الممتدة بين القرنين الرابع إلى الثانى ق . م .[1]

يدعى أبو يناب (يوهنعم)

شهر هلال (ابن ضرعى كرب)

ورو ابلو جميلان (يوهنعم)

وسنتبين فيما يلى كيف أن حضرموت هى التى أخذت تحل محل دولة سبأ ، وهى وريثتها ، وهذا يتطلب القاء نظرة على هذا الأقليم الشرقى من بلاد العرب الجنوبية خاصة أيام كانت مستقلة .

أن أول ملك سمعنا عنه هو ذلك الذى سبقت الاشارة إليه كمعاصر وقريب للملك المعينى ابى بديع (الطبقة الثانية هليفى ١٩٣) واسمه شهرم علان بن صدق ايل وحفيده معدى كرب .

ونقش صرواح الكبير (جلازر ١٠٠٠) يذكر اثنى عشر معاصرا للمكرب كرب ال وتر من سبأ أحدهم ملك حضرمى يدعى (يدعى ايل) الذى يكون هو يدعى ايل بين ، المذكور فى النقش الحضرمى (SE 43) (قارن KT.B. I, 125 فهو يدعى هناك يدعى ايل بين بن سوموهو يبيع ، وابلى شميع ذبيان بن ملك كرب ، والملكان من حضرموت ويكون جدول النسب تقريباً كالآتى ·

ن. ن.

سوموهو يبيع

يدعى ايل بين   ملكى كرب

(ينجب أبناء)   ايلى سمع ذبيان

أما فيما يتعلق بالعلاقة بينه وبين النقش الذى ذكره جلازر (جلازر ١٦٢٣ أربعة سطور) وقد جاء به ذكر يدعى ايل بين ملك حضرموت ابن يدعى

---

(١) قد تكون حوالى ٤٠٠ ق . م وعلى كل حال قبل عام ١١٥ ق . م .

أبو جميلان ابن اميانم ومن العسير البت فى هذه المسألة [١] . وعلى كل حال فهو شخص آخر غير ذلك الوارد ذكره فى (SE 43) وذلك لأن الأبوين يختلفان [٢] .

ثم يأتى ذكر الملك يدعى أبو جميلان وخلفه (ابن) هو ابلى عزه أعنى فى زمن كان الحميريون [٣] الى جانب (أو عوضاً عن) القتبانيين وإلى جانب الحضرميين الذين قد ظهروا فى الميدان قبيل عام ١١٥ ق . م . [٤] وهو يدعى أبو جميلان، متأخر عن ذلك الذى جاء ذكره فى جلازر ١٦٢٣ وذلك لأن مثل هذه الأسماء مثل تلك التى نجدها فى السبائية والقتبانية . (قارن مثلا كرب ايل وتر) فهى تتردد كثيراً وذلك منذ أقدم العصور حتى أحدث الأزمنة . ومثل آخر لهذا هو ماذكره جلازر فى كتابه عن الحبش ص ٢٩ وص ٣٤ عن جلازر ١٦١٩ (أقدم نقل مؤرخ) فقد جاء فيه ذكر ملك حضرمى يدعى ابلى عزه يليط بن سلفان (أو الهان) ويعتقد جلازر أنه قد يكون اليازوس الذى ذكره (بريبلوس Periplus [٥]) وهو يرجع إلى عام ٢٩ م [٦] ثم بعد ذلك بزمن طويل ، لكن قبيل نهاية القرن الثالث الميلادى يجب أن توضع الأشارة الواردة فى نقش لنجر ١٤ فى السطرين الرابع والخامس . وهذه الأشارة الواضحة هى لسيد يدعى ايل يين ملك حضرموت وهو ابن ربى شمس (م) [٧]. ومن هنا نرى كيف أن الاسم كثيراً مايتكرر وروده أعنى حيث نجد مثلا الاسم يدعى ايل يين يتكرر ثلاث مرات فى النقوش الحضرمية رغما من قلتها .

---

(١) Glazer, Abessinier, S. 34, 137

(٢) Mordtmann, Beitr. Zur Min. Epigr.

(٣) هليفى ٤٢٣

(٤) Glaser, Skizzen I, 100

(٥) فى الفترة ما بين ٢٥ — ٦٥ م وقد يكون اليازوس حفيداً له .

(٦) Glaser, Abessinier, S. 110

(٧) Hommel, Südarabische Chrest., S. 119

وفى الختام نقرر أن استخدام هذا اللقب أعنى لقب مكرب الوارد فى نقش (أو بنه) وبخصوص هذا النقش يقارن أيضا النقش الشهير الذى أورده رودوكانا كيس وإتماماً للفائدة يرجع أيضا إلى ما سبق حيث جاء ذكر الملك الحضرمى حى ايل[1] .

ونجد ذكراً للملك يدعى ايل بين بن ربى شمسم فى نقش لنجر ١٤ . وقد يكون حسب كتاب دراسات جلازر ج ١ ص ١٠١ هو آخر ملك لحضرموت[2] وبه نكون قد وصلنا إلى حيث انتهينا فى نهاية الفصل السابق . ونكون أيضاً قد بلغنا نهاية هذه الدولة التى ظلت أكثر من ألف وخمسمائة عام حرة مستقلة وحامية ومالكة للشواطىء التى تنمو فيها أعشاب العطور والبخور . ثم دالت حوالى عام ٣٠٠ م ، كما رأينا من قبل وورثها السبائيون (أيام شمر يهرعش) .
والآن نعرض بسرعة للقرون القليلة التى جاءت بعد هذا حتى ظهور النبى (ص) حيث تناوبها من وقت لآخر السبائيون والأحباش . وفيما يتصل بالدين فقد كانوا يدينون بالديانة القديمة ، وعبدوا آلهتهم المتقدمين كما آمنوا بآله اليهود والمسيح حتى أصبحت اليمن وطنا لدسائس الدولتين العالميتين فى ذلك الوقت إلا وهما بيزنطة ودولة الساسانيين ، وقد سقطت اليمن فى يد الفرس ، وظلت هكذا حتى حررها الإسلام[3] . وفى تلك البلاد ظهر موسى واحتضنته (بلاد مدين المعينية) كما عرفت عيسى ومحمدا .

آخر عهد الملكية السبائية

منذ عصر شمر يهرعش الذى سبق الكلام عنه ، والذى عاش حوالى عام ٣٠٠م ، والذى لقب بلقب ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنة . ونحن

(١) مكان أو قبيلة .

(٢) هذا النوع من الكتابة جاء فيما يعتقد جلازر عند لنجر فى آثار ترجع إلى ٢٩٠ م.

(٣) A. Grohmann : Südarabien als Wirtschaftsgebiet. I, Wien 1922.
XXI, u. 272 S. mit 18 Lichtdruck Tafeln

نفهم أن حضرموت كانت قائمة فى ذلك الوقت أعنى حوالى عام ٣٠٠ م حتى عام ٣٧٨ م أى ما يقرب من ثلاثة أرباع قرن . ونحن لا نعلم شيئاً عنها عن طريق النقوش العربية الجنوبية . وفى ذلك العام جاءنا فى نقش يعتبر هو أول نقش مؤرخ (جلازر ٣٨٩ و ٨٢٣) نجد ملكا يدعى ملكى كرب[1] إلى جانب ابنيه (أبى كرب أسعد) و (ورئى أمر أيمن) وهو يلقب بنفس اللقب الطويل الذى لقب به (شمر) وطالما لا نعثر على أخبار أخرى فمركز سبأ من حيث السلطان لم يتغير (وذلك لأن حفيد ملكى كرب كان يملك أيضاً حضرموت (قارن فيما بعد عام ٤٥٠ م .) ولم يغير ذلك من سلطان سبأ .

لكن من نقوش ملوك اكسوم والتى ترجع إلى منتصف القرن الرابع الميلادى نعلم أنه قبيل عهد ملكى كرب بعشرات السنين كان أولئك الملوك وثنيين وذلك بدليل أنه حوالى عام ٣٥٠ م فقط وجدت المسيحية إلى قلب الحاكم طريقها وهذا الحاكم هو (إلا اميد) (حوالى عامى ٣٤٠ و ٣٤٨) ، والذين جاءوا بعده تمكنوا من فتح سائر جنوب بلاد العرب كما يتبين لنا هذا من ألقابهم حيث نجد ملك اكسوم وحمير وريدان وحبشة (تقابل حضرموت) والسبائيين وصالح وتهامة (الشواطىء) . لكن لم يمض زمن بعيد حتى نجد السبائيين كما يتبين لنا من نقش ملكى كرب يتحررون من الأكسوميين . وقد كان ذلك حوالى عام ٣٧٥ م . كذلك نجد تغييراً آخر من نوع دينى يظهر فى النقوش التى دونت فى عصره وعصر الذين جاءوا بعده[2] . وهذا التغيير هو الذى يتجلى فى اختفاء الآلهة الوثنية أمام رب السموات ، وهذا أولا عبارة عن تطور يتصل بالمعبود الذى كان يقدس إلى جانب (تالب) واسمه (ذو سماوى) وكذلك — الله سيد السموات (والأرض) — وبعد ذلك نجد وفى صورة رائعة واضحة لا تعدلها تلك الصورة التى نجدها فى اليهودية المتأخرة — الرحمان — هكذا

---

(١) جاء الاسم قبل أن يعرف به ملك حضرمى .

(٢) ابنه أبى كرب أسعد (حوالى ٣٨٥ - ٤٢٠) .

أيضاً هليفى ٦٣ السطر السابع وهو عين النقش الذى جاء فيه ذكر (ذو نواس). وقد ذكر مرة (آله السموات ويسرائيل) (اعنى اسرائيل) وفى عبارة أخرى أصبحوا تابعين لليهود الذين تقلدوا مقاليد الحكم بعد الحبش الذين لم يدم حكمهم طويلا ، وما زالت أخبارهم تتناقلها الروايات العربية فهى تطلق على (أبو كرب) اسم (تبع) (وهكذا يسمى سائر الملوك السبائيين الحميريين) . وأبو كرب هذا هو الذى توجه إلى المدينة تلك المستعمرة اليهودية القديمة لكى يتهود .

ومن بين الملوك الذين ذكروا الملك شرحبيل يعير ، وقد أضاف إلى اللقب الطويل عبارة (وعربها فى الجبال وفى تهامة[٣]) وإلى هذا الملك يرجع النقش الأصغر (١٠٠ سطر) من نقشى جلازر الكبيرين اللذين عثر عليهما فى مآرب وهما النقشان اللذان يتحدثان عن تهديم السد (نقش ١ = جلازر ٥٥٤ + ٤٠٦ حتى ٤١٠) ويرجع تاريخة إلى ما بين عامى ٤٤٩ و ٤٥٠ م (٥٦٤ و ٥٦٥ من تاريخ الفترة) ومن هذا النقش يفهم أن هذا السد أصيب مرتين بتلف من جراء الفيضان . وكان فى كل مرة يعاد ترميمه ترميا مؤقتاً حسبا تتطلب الحاجة .

وفى عام ٥٢٥ (فى نفس العام يرجع النقش الذى يشير إليه جلازر فى كتابه عن الحبشة ص ١٣٢ وهو نقش حصن الغراب) قبل الملك اليهودى السبائى ذو نواس،وحل محله آخر مسيحى أقامه الأكسوميون واسمه (سوميبع[٥]) وقد كانت البلاد بعد قرن ونصف قرن فى كفاح انتهى بها إلى تسليمها لبلاد الحبشة المسيحية التى كانت وراءها بيزنطة .

وكان ملك أكسوم فى ذلك الوقت يدعى (ايلا أصبحا) ، وإلى أيام

---

(١) امتلك الأحباش تهامة .

(٢) Glasers Schrift Zwei Inschriften über den »Dammbruch von Marib, Berlin 1897

(٣) الاسم مركب من سمو هو يبع .

جنيه الأول أو الثانى يرجع النقشان الكبيران اللذان وصلانا فى اللغة العربية[1]
الجنوبية أما أكبر النقوش فهو ذلك الذى سبقت الأشارة إليه وهو أحد النقشين الخاصين
بانهدام الذى أصاب السد (نقش ٢ = جلازر ٦١٨) ، وهو مؤرخ بتاريخ
٦٥٧ و٦٥٨ من الفترة أى مابين ٥٤٢ و٥٤٣ م ،ويتكون من ١٣٦ سطراً[2] .
وقد جاءت فيه عبارة (بقوة وعطف ورحمة الرحمان ومسيحه والروح القدس
كتبنا هذا النقش (الجمع للتعظيم) أنا ابرها[3] حاكم (عزلى) الملك الجعزى
(أى حبشى) المسمى (رمحيص ذبيان) ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت
ويمنت وعربها من الجبل وتهامة) . وهذا النقش يعتبر أول أثر من آثار الحاكم
الذى عينه ابرها على (كدة) (لعل الصواب كندة[4]) واسمه (يزيد بن كبشة)
وقد انضم إليه عدد من أعيان سبأ من بينهم ابن سلف لأبرها اسمه سميبع[5] ،
هذا ما يتحدث عنه النقش وبعد هزيمته أصبح أبرها حاكما بلا منازع أو منافس
على كل بلاد العرب الجنوبية كما أخذت قوته فى الازدياد (فسمى نفسه كما فعل
سلفه سميبع — ملكا —) رغما من ضعف صلات التبعية للملك أكسوم) . ويحدثنا
النقش أيضاً أن فى بلاد ماربا[6] كان يوجد سفراء (قارن سطر ٨٧ — ٩٢)
لنجاشى الحبشة ، وملك الروم (بيزنطة) وهذان السندان يشيران إلى روابط
الألفة والمودة التى كانت قائمة بين الدولتين . وكذلك رسول ملك الفرس والمنذر
(المنذر من الحيرة فى أسفل الفرات وكان تحت حماية الفرس) ورسول للحرث بن
جبلة ، وابى كرب بن جبلة حكام شرق الأردن والشام ، وكانا حكام حدود من

---

(١) أكبرها ١٠٠٠ كلمة . وهو نقش صرواح (جلازر ١٠٠٠) بينما جلازر ٦١٨ حوالى ٤٧٠ كلمة .

(٢) Glaser Skizzen S. 105

(٣) ويكمل من نقش آخر حيث نجد (ا ب ر ه) أى أبرها .

(٤) كـدة فى قلب الجزيرة وملكها وشاعرها امرؤ القيس راجع :
Glaser, Zwei Inschriften S. 55

(٥) يحدثنا النقش بتفصيل عن تخريب السد .

(٦) نجد من مثل طبار (ظفار) بالقرب من (يريم) .

قبل البيزنطيين وكانت السياسة العالمية بين الدولتين المتنافستين فى ذلك الوقت أعنى بيزنطة وفارس تتجلى بفضائلهاورذائلها فى بلاط أبرها الذى تجرأ كما حدثتنا المصادر العربية على الاستيلاء بفيله على المدينة .

وعقب زوال سلطان الحبشة على بلاد العرب الجنوبية حوالى عام ٥٧٠م فتحها الفرس أيام خسرو الأول وترك هناك حاكما عليها يدعى (وهريز) وظلت الحال كذلك حتى ظهر الاسلام ونشر رايته على ربوع بلاد العرب الجنوبية . وآخر حاكم فارسى عينه خسرو الثانى (برويز) كان يدعى (باذان) ، وقد اعتنق الاسلام عقب وفاة خسرو عام ٦٢٨م وبذلك تركه النبى محمد (صلعم) فى وظيفته .

استلحاق

لو أراد جلازر فيما يتصل (بنقشيه الخاصين بتهدم السد) ص ١٢٣ — ١٢٦ (مستلحق ١) أن يحمل الفترة التى يؤرخ بها عام ١١٨ (عوضاً عن ١١٥ ق . م .) ويحتفظ بهذا الرأى فان التواريخ التى ذكرتها هنا فيما يتصل بهذه الفترة يجب أن ترجع ثلاثة أعوام ، وهذا لايغير فى العرض التاريخى العام ، وفيما يتصل بالفرض القائل ببدء الفترة التى استخدم فيها اللقب (ملك سبأ وذوريدان) فتجب الأشارة إلى أن ماجاء فى الكتاب الثانى من الأسطورة الهندية مهابهارت خاصا بقصة بلقيس والملك دريودهن . أن هذا الاسم أعنى (دريودهن) عبارة عن ذوريدان لكن فى صيغة هندية شعبية (معناها الشخص الذى من الصعب محاربته) قارن بخصوصه ملاحظة ZDMG فى ذوريدان 1915 69 E. Griffini Dury odhana (skr) ذو ريدان (العربى الجنوبى) فى مجلة المستشرقين الألمان ج ٦٩ (١٩١٥) وفيما يتصل بعلاقات هندية عربية جنوبية أخرى يرجع إلى نفس المؤلف فى كتابة Grund ص ١٤٩ الملاحظة ٥ .

وكذلك فيما يتعلق بالعلاقات بين الهند والحبشة ، وهذه عن طريق بلاد العرب الجنوبية (راجع نفس الكتاب ص ١٤٩ ملاحظة ٢ وص ٧٩٢ ملاحظة ١ .)

وفيما يتصل بالنقود الواردة ص ٩٨ و ص ٩٨ الملاحظة ٣ يجب استلحاق بحث العالم الايطالى كارلو كونتى روسينى Carlo Conti Rossini, Monete Sud-Arabiche, Roma 1922 وكذلك البحث الذى ظهر فى نفس العام فى مطبوعات المتحف البريطانى لمؤلفه جورج فرنسيس هل

George Francis Hill, Catalogue of the Greek Coins of Arabia, Mesopotamia and Persia with a map and 55 pl.

وفيما يتصل بما جاء خاصا بنقش التابوت الذى عثر عليه بنفيس قارن الشرح الجديد الذى ظهر أخيراً وهو للعالم نيكولوس ر ودوكانا كيس ويضيف هو مل إلى ما سبق ذكره خاصاً بنقش العلا (انه فى الأيام لما كان ماسكا على مدينة قرناو وأعاد بناءه وهذه الترجمة أدق من تلك التى ذكرها المؤلف من قبل فى هذا الكتاب وهى ترجمة بتريس) .

وملاحظة ماجاء خاصاً بملوك سبأ وذو ريدان وكذلك فيما يتعلق بتحديد بدء تلك الفترة فأن الرأى حتى اليوم غير مستقر . فمثلا كارلو كونتى روسينى فى بحثه Carlo Conti Rossini, Expéd et possessions de tx abagax فهو يقرر أنه كانت فى بلاد الحبشة حالة تشبه وجود جالية على الشاطىء العربى الغربى الجنوبى) راجع الجورنال الأسيوى ج ١١ ص ١٨ باريس ١٩٣١ ص ٥ — ٣٦ وهو يرى أن هذه الفترة تبدأ بعد عام ١١٥ ق . م .

وأخيراً يلاحظ على ص ١٠٣ الملاحظة ١ حيث فهم المؤلف خطأ فيما يتصل بنقش جلازر ١٦٠٦ (يقارن أيضاً ران نيكولوس رودوكاناكيس فى مجلة Z. F. Semitistik II 1024 وكذلك البحث القيم لعالم جامعة جواتز وعنوانه (نقوش حائط كحلان تمنع) وقد نشر فى أعمال أكاديمية فينا عام ١٩٣٣ ص ١ — ٥٠

و ص الملاحظة خطأ والصواب و (عوضاً عن و) .

الفصل الثالث

الحياة العامة للدول العربية الجنوبية[1]

لينكولوس رودوكاناكيس

مقدمة :

قبل ظهور محمد مؤسس الدين العالمى ، وقبل الإسلام الذى بفضله نمت الدولة العربية وازدهرت ، ظهرت جنوب المدينتين المقدستين مكة والمدينة دول وثنية قوية ولو أنها لم تكن من القوة بحيث صارت مركزاً لدين عظيم أصبح فيما بعد ديناً عالمياً كما هو الحال فى المدينة،ويلاحظ أيضاً أن هذه الدويلات لم تصبغ التاريخ بصبغتها الخاصة كما هو الحال مع تلك الدولة التى قامت على ضفاف النيل ودجلة والفرات . ولكن الحقيقة التى يجب تقريرها هى أن أنظمة تلك الدويلات العربية الجنوبية الاقتصادية لم تقتصر على جنوب الجزيرة بل امتدت خارجها واتصلت بالتجارة العالمية وأثرت فيها زمناً بعيداً[2] . فبلاد العرب الجنوبية كانت بلاد تصدير وتجارة مرور للبخور والعطور كما كانت مركزاً هاماً للاتصال التجارى بين المحيط الهندى والبلاد الواقعة شرق البحر الأبيض المتوسط[3] .

وأهم الدول العربية الجنوبية معان وقتبان وسبأ وحضرموت ، ولم تكن هذه هى الدول الوحيدة التى قامت فى بلاد العرب الجنوبيه ، والتى عرفها من المتقدمين أمثال (سترابو Strabo) و (أراتوستونيس Eratosthenes)

---

(1) Sitzungsberichten der Akademie des Wissenschaften zu Wien, 1915, 1917, 1919, 1922, 1924.

(2) Conti Rossini, Sugli Habasat 1906 ; Z.f. Semitistik II,

(3) M. Hartmann ; Die arabische Frage, S. 22 f.

بل قامت هناك دول أخرى لشعوب عربية جنوبية أخرى مثل (أوسان) وإن كان ذكرها لم يرد إلا قليلا . ويذكرنا الشعب الحميرى[1]) بآخر دولة عربية جنوبية عظيمة ، وقد أدت النازعات السياسية بين فارس وبيزنطة ، ووقوع بلاد العرب الجنوبية فى منطقة نفوذ الدولتين المتنافستين إلى جانب الغزوات الحبشية والفارسية التى تعرضت لها تلك البلاد إلى أحداث كثير من الهجرات والتنقلات بين شعوب تلك الدويلات العربية الجنوبية[2] ومع مرور الزمن أخذت تلك الدويلات تختفى تدريجياً من المسرح السياسى وظل الحال كذلك حتى ظهر الاسلام فاستغل عدم الاستقرار ووجة تلك الشعوب الهائمة عى وجوهها وجهة صالحة وهنا يبدأ فى الواقع تلمس الأثر العربى الجنوبى فى المواطن الجديدة التى أخذ الاسلام يؤسسها لاستقرار تلك القبائل وكسبها للدعوة الجديدة . ومن الجدير بالملاحظة أنه قامت فى ذلك الوقت ثقافة عربية جنوبية وانتشرت اللغة العربية الجنوبية فى الجزء الأفريقى الذى عرف فيما بعد ببلاد الحبشة ، وهكذا نرى الدول العربية الجنوبية تشق طريقها إلى أفريقيا وتؤسس وطناً جديداً[3] .

أما العوامل الأساسية التى تتجلى فى تاريخ الدول العربية الجنوبية فهى الاقتصادية والمواصلات خاصة إشرافها على الطريق الممتد بين المحيط الهندى والبلاد الواقعة على البحر الأبيض المتوسط ، وكانت بلاد العرب هى القنطرة الموصلة بينها . ومن المعروف أن بلاد العرب كانت ترد إليها بضائع من الأبنوس والسن والبخور من الأقطار المقابلة لها على الشاطىء الأفريقى ومن فترة إلى أخرى كانت تصدر إليها حاصلات شمال شرق أفريقيا ، وهى ترسلها إلى البلاد الهندية والعربية والواقعة على البحر الأبيض المتوسط لذلك نجد عاملين رئيسيين يدعوان إلى طوح تلك الشعوب إلى الانتشار من المركز الرئيسى فى بلاد العرب الجنوبية إلى مختلف الجهات لذلك نرى دولة السبأئيين الحميريين وهى آخر دولة كبرى

(١) Glaser : Die Abessinier in Arabien und Afrika

(٢) Conti Rossini : Expéditions et possessions des Habasat en Arabie, journ. asiaxt. 1921.

(٣) Conti Rossini : Sugli Habasat.

ظهرت فى الجنوب تتوسع تجاه البحر الأحمر والجنوب والشرق . كما اضطرت تلك الظروف أيضاً بعض الدول العربية الجنوبية إلى استعمار الأقاليم الواقعة شمال شرق أفريقيا ، واستيطان قبائل وعشائر يمنية فى كثير من تلك الجهات . ولم يمض عليها زمن طويل حتى أصبحت صاحبة السلطان وبلغت قوتها حداً مكنها من بسط سلطانها على وطنها الأصلى أى بلاد اليمن .

وكان طريق تجارة البخور يمتد من (قنى Kane) ماراً بظفار فى (مهره وشبه (حضرموت) وتمنع (قتبان) . ومآرب (سبأ) إلى الجوف (معين) أعنى يخترق أقليم المواصم الأربعة للدول القائمة ببلاد العرب الجنوبية [1] ويعبر أربعة حدود ، وكان هذا الوضع من الأسباب التى قد تؤدى إلى تعطيل هذا الطريق التجارى فى حالة قيام تنافس أو تنازع بين هذه الدول الأربع . فنحن نعلم أنه لم تكن هناك حضرموت والأقاليم المتاخمة لها فحسب بل قامت هناك قتبان وسبأ ، وكل من الدولتين كانت تنافس حضرموت فى الحاصلات [2] ، ولو اختلفت فى محصول البخور والعطور . ومن هنا تتضح لنا أسباب المطامع التى تجلت من جانب الامبراطورية فكشرت عن أنيابها راغبة فى بسط يدها على الأقاليم العربية الجنوبية خاصة تلك التى تستطيع الاعتماد على نفسها اقتصاديا ، ويظهر أن هذه السياسة الاستعمارية كانت معروفة لدى العرب الجنوبيين ، وهى التى أثرت ولا شك فى سائر الأحداث التى طرأت فيما بعد ، ولو أن النقوش التى وصلتنا لاتشير إليها . وهناك من الأدلة مايكفى رغما من خلو النقوش إلى اثبات الوعى العربى الجنوبى السياسى . وهذه الأدلة تعتمد قبل كل شىء على النقوش والنقوش التى ترجع إلى تلك العصور [3] .

فحضرموت قد تكون أغنى بلاد العرب الجنوبية فى البخوو لذلك كانت

---

(١) قارن ص ١١٣ الملحوظة ٣ .

(٢) E. Glaser : Die Abessinier etc.; M. Hartmann, a. a. O. S. 414 ff.; A. Grohmann : Südarabien als Wirtschaftsgebiet. S. 107 ff.

(٣) راجع : النصوص القتبانية حـ ١ ص ٢٧ وما يليها .

موضوع هذه السياسة العليا التي كانت هي المقصودة بها ، وكانت هي موضوعها [١]؛ لذلك نجدها منذ العصور القديمة مرة متحالفة مع الأسرة المعينية [٢] كما نجد فيها أيضاً جالية معينية قد تكون من بقايا حامية عسكرية ظلت عصراً طويلا في البلاد [٣]. وجاءتنا نقوش ترجع إلى عصور قديمة جداً من تاريخ سبأ تحدثنا عن كثير من الحروب كما تتبين منها السيادة الكهنوتية خاصة بعد أن انتصرت على معين ، كما نقرأ بين سطورها كيف أخذت تتطور وتسير بخطوات ثابتة نحو الملكية. ومن ثم أخذت تنهج سياسة التوسع والاستعمار فقوضت عروشاً آخرها كان عرش قتبان التي كانت فيما يظهر تتمتع بمركز سياسي خطير ، وحربي قوي. فتمكنت من بسط نفوذها على أوسان ودثينة ،وامتدت أملاكها حتى بلغت حدود حضرموت [٤]. ثم نقرأ أيضاً كيف أن قتبان كانت في حرب ضد سبأ . ثم يتقدم الزمن فنجد معين تحت السيادة السبأية [٥] بينما قتبان وحضرموت كانتا صديقتي سبأ وتحالفت الأخيرة معهما وقادت حربا ضد أوسان التي كانت حتى ذلك الوقت. مستقلة ، وكانت حدودها تمتد من جنوب قتبان حتى حضرموت وكانت من قبل أملاكا قتبانية ثم عادت لها ثانية [٦] . فحروب سبأ الاستعمارية التي يؤرخها لنا نقش جلازر ١٠٠٠ تبلغ الحاكم السبأي سلطة تمتد شمالا وجنوباً وشرقاً إلى مسافات واسعة [٧] . والآن نرى كيف أصبحت سبأ واقعة بين معين وقتبان، وقد تمكنت بالرغم من ذلك أن تتخلص في أول الأمر من هذا الحصار وتتقدم بعد تحطيم دولة أوسان تجاه الجنوب حتى تبلغ البحر الأحمر وخليج عدن حيث استسلمت لها أيضاً دثينة وعاونتها بالسلاح قتبان وحضرموت وبذلك استطاع

---

(١) Conti Rossini : Sugli Habasat

(٢) M Hartmann : a a. O., S. 171 ff., Hommel, Grundriss

(٣) قارن ص ١١٣ ملحوظة ٣ .

(٤) النصوص القتبانية حـ ١ ص ٢٧و١٤٤

(٥) » » » » ٣٦

(٦) » » » » ٣١

(٧) » » » » ٢٩

حاكم سبأ واسمه كرب ايل وتر للمرة الأولى أن يؤسس دولة سبأية كبرى كما نجح أيضاً فى بسط سلطانه على جميع البلاد التى كانت لها فى جنوب الجزيرة العربية أهمية اقتصادية أو تجارية ، وذلك بفضل قوته كمنتصر أو محالفته كحليف قوى.

وكان هذا الانتصار نقطة تحول فى تاريخ بلاد العرب الجنوبية ، وأعنى هنا انتصار كرب ايل الذى ظل أثره ممتداً قروناً عديدة لم يوقفه عند حد إلا ظهور الهمدانيين الذين نجحوا فى الاستيلاء على عرش سبأ وتقويض سلطانها[1]. وقد حدث هذا التحول فى القرن الأول قبل الميلاد عنـــد ابتداء يقظة الرغبات الاستعمارية ، وكانت فى أول أمرها ضعيفة وإن كانت قد أخذت فى النمو تدريجياً حتى بلغت درجة من الخطر عظيمة . ويرجح أن قتبان (كما نشأت فيما بعد الدولة الريدانية الحميرية) كانت مشتركة فى محاولة الهيمنة والسيادة على سائر بلاد العرب الجنوبية . لقد عاشت زمناً أطول من الزمن الذى عاشته معين، بينما كانت حضرموت تقع بعيداً فى الشرق ، وفى أول عصر التحول الذى لم يقف تياره إلا فى القرن الثالث الميلادى نجد علاوة على الهمدانيين دولتين قويتين آخريين وهما دولة الريدانيين والأحباش فى أفريقيا . ويحدثنا تاريخ التجارة للهند والعرب وبلاد البحر الأبيض المتوسط أنه رغماً من الاضطرابات السياسية فى بلاد العرب الجنوبية أخذت تجارة مصر تتقدم وتتطور حتى بلغت شأواً بعيداً أيام الرومان ، وذلك لأن الشاطىء الجنوبى الغربى للبحر الأحمر أصبح المهيمن الأول على سياسة بلاد العرب الجنوبية ، وعلى الطريق البحرى الجنوبى الرومانى كما رسمه البطالمة[2].

وعند بزوغ فجر العصر الجديد نجد الحرب بين شعوب ملوك سبأ وريدان وحضرموت وقتبان تزداد استعماراً . وقد استطاع همدانى أن يوجد فترة من السلام المؤقت بين تلك الدول المتطاحنة فاستحق بذلك شكر ملوك سبأ . فبنو همدان كانوا سادة قبيلة حاشد جيران بكيل من جهة الشرق ، وكانوا يخضعون لبنى مرثد . وكانت بلاد القبيلتين (بلد همدان) أو (حاشد) وبكيل تقع غرب مركز سبأ

---

(١) قارن Conti Rossini, Glaser, Hartmann

(٢) M. Rostowzew im Archiv für Papyrusforshung IV

وجزء من أقليم حاشد من جهة الشرق وأقليم بكيل من جهة الغرب . وقد ازدادت قوة هذه القبائل وتلك العشائر حتى أنها أثرت باستمرار فى سياسة بلاد العرب الجنوبية ، وقد يكون الأثر الذى لعبته قبائل همدان فى الاسلام مرجعه بعض هذا النشاط . فقد عثر على نص معاهدة فى ريام تقول أنه عقب عقد الصلح مباشرة ظهر همدانى على رأس أسرة جديدة ، وجلس على عرش سبأ ، وقد عقد مع دولة الأحباش فى أفريقيا هذه الدولة التى كانت نواة لدولة اكسوم ، حلفا .

وهذه الدولة الأفريقية التى نشأت أصلا من جاليات يمنية نجحت مع توالى الزمن وقوتها فى تأسيس هذه الدولة الأفريقية التى اضطرت إلى إقامة حاميات عسكرية على الشاطىء العربى المطل على البحر الأحمر للدفاع عن أملاكها الخارجية . لذلك كانت بحكم مركزها تستطيع التدخل فى أى وقت شاءت فى شئون بلاد العرب الجنوبية ، وأن تؤثر وتتحكم فى طريق العرب التجارى الثانى . هذا الطريق الذى كان يبدأ من الموانى الجنوبية للبحر الأحمر محاذيا للشاطىء العربى متجهاً شمالا حتى بطره أو بحراً على قوارب صغيرة تمخر البحر بحذاء الشاطىء حتى الموانى الشمالية . ويظهر أن السادة الجدد فى بلاد العرب الجنوبية أرادوا بمناسبة هذا الطريق التجارى ومصالحهم الخاصة عقد معاهدة مع أبناء أعمامهم وجيرانهم تأميناً لهذه المصالح وضمانا لسلامة المواصلات . ومن قبل عقدوا مثل هذه المعاهدة مع سادة الأقاليم الشرقية لبلاد العرب الجنوبية . وكان هؤلاء السادة ينهجون فى سياستهم الجديدة نهجهم فى السياسة القديمة التى كانت تمليها عليهم مصالحهم الخاصة من ناحية ، واستجابة للهيمنة اللاهوتية من ناحية أخرى .. اتجهوا شرقا حيث الوطن الأصلى للبخور ومبدأ الطريق التجارى لهذه المحصولات . وفى بلاد قتبان أو بالقرب منها كان يملك أكبر خصم لهم ومنافس إلا وهو ملك ريدان الذى كان حليفا مخلصاً للحميريين ، وكان فى خطورته أشد من ملك حضرموت كما خاصم السبائيين أحيانا . وقد ورد ذكره فى معاهدة ريام كعدو لسبأ . أما السلم الذى أراد الهمدانيون تحقيقه عن طريق المعاهدة والمحالفة فلم

يعش طويلا كما نجد الأحباش متحدين مع الريدانيين ضد ملكين سبائيين[١] .
وهنا نجد الخطر الذى يهدد به الأحباش فى سبيل السيطرة على البحر الأحمر الدولة العربية الجنوبية ، فالكفاح فى سبيل الهيمنة على بلاد العرب هو فى الواقع سر هذا النزاع المستمر حول بلاد العرب الجنوبية ، وحول مصادر ثروتها ، وهذا الكفاح بين الخطر الخارجى وبين العرب الجنوبيين هو الذى شغل التاريخ زمناً طويلا . كما نجد نزاعا آخر بين البلاد العربية الجنوبية ذاتها . وقد كان فى الأول بين الهمدانيين السبائيين والريدانيين الحميريين[٢] . فهؤلاء يظهرون فى الميدان عوضاً عن القتبانيين الذى ضاعت دولتهم وتلاشت قربانا لهذه الاضطرابات . والموضوع الذى هو محل الخلاف هو هل الهمدانيون أو الريدانيون الحميريون هم الذين حملوا لواء النصر ؟ هذا ما لا نستطيع الإجابة عليه . إلا أن الحقيقة الخالدة هى أنه فى القرن الثالث الميلادى كان يملك فى جنوب بلاد العرب ملك على سبأ وريدان وحضرموت ويمنات ، وهو أول من ظهر حتى فى لقبه بمظهر السطوة والقوة التى أخضعت سائر تلك البلاد لسلطانه . وفى ذلك الوقت أخذت تتضاءل التجارة المصرية التى ازدهرت من قبل وأينعت .

والتجارة الواسعة التى كانت تحملها السفن عبر البحار بين مصر من ناحية ، وبلاد العرب والهند من ناحية أخرى كانت تتطلب ولا شك الهيمنة على شاطىء البحر الأحمر أو على الأقل على المواقع الهامة المطلة عليه ، وقد حاول البطالة فى العصور الأخيرة تركيز تجارة الشرق فى مصر وذلك يبسط سلطانهم على الطريق البحرى ، خاصة لما عظمت أهميته وضاعت من يدهم مقاليد الطريق البرى أو كادت . فموانئهم على الشاطىء الأسيوى برنيكة (Berenike) بالقرب ايلات(Elatt)وميوس هورموس (Myos Homros) وجدت منافساً قوياً من جانب النبط خاصة منذ انقضاض السلاجقة ، والعرب الجنوبيين ، وذلك لأن

(١) جلازر ٤٢٤ = مجموعة النقوش الحاميــة ٣١٤ و Conti Rossini Expéditions et possessions, S. 15 f.

(٢) راجع جلازر المصدر السابق .

البضائع العربية الجنوبية والهندية كانت تنقل على طول الطريق المحاذى للشاطىء العربى أو على امتداد الطريق البحرى الممتد على الشاطىء إلى الميناء النبطية (لويك كومه Leuke Kome) من ثم إلى بطره ، ومنها إلى الشواطىء الشامية خاصة إلى غزة .

ولم يتغلب على هذه الصعوبة إلا الرومان فالأنباط الذين خضعوا لسلطان الرومان أيام أغسطس ، وذلك أنه لما سار (اليوس جللوس) بحملته ضد مارب ، وحاصر العاصمة السبائية عام ٢٥ . وبعد هذا نجد السبائيين والحميريين يصادقون قيصر روما ، ويوالون ارسال الرسل والهدايا إليه فمن (لويكه كوما) جرت — ربما بواسطة رجال الجمارك الرومانية — التجارة من شمال بلاد العرب إلى الموانى المصرية . وفى أيام تراجان أصبحت المواصلات البرية التى كانت مازالت فى يد النبط رومانية ، وذلك عن طريق استيلائهم على بطرة . كذلك كما يرى (روستوزيف Rostowzew) إن عدن أيضاً آلت إلى ما آلت إليه (لويكه كوما) وبعد أن كانت مكاناً لتبادل التجارة الهندية والعربية فقدت مركزها بسبب الرومان (هذا يتصل بسياسة الاستعمار التى انتهجها الرومان أيام كاوديوس) ولم تفقد عدن أهميتها نهائياً بل فقدت قيمتها ومركزها فى التجارة البحرية العربية [١]) وقد أدى هذا إلى بلوغ التجارة الرومانية المصرية فى الشرق ذروتها ، وحققت العمل الذى بدأه البطالمة فى أواخر عهدهم الا وهو السيطرة على جانبى باب المندب .

لكن حدث بعدعام ٢٨١ أن قضى على الدولة الكبرى التى كانت تحت حكم ملوك سبأ وريدان وحضرموت ويمنات نهائيا بسبب الاضطراب الذى كان منتشراً بين السبائيين ، والذى أخذ فى الظهور منذ أيام الهمدانيين ، ولما أخذت التجارة الرومانية المصرية تتدهور ، كما سبقت الاشارة إلى ذلك ، بالرغم من أن

---

(١) ويرى هذا الرأى أيضاً E. Kornemann, Janus, Wien 1921 p. 61 f.
وكذلك W. Schur ; Die Orientpolitik des Kaisers Nero, Klio, Beiheft 15, S. 46.

الطرق التجارية الجديدة ظلت قائمة ، إلا أن التجارة انتقلت من يد مصر الضعيفة لتعود إلى العرب ثانية [١] . ثم أخذت العلاقات تسوء تدريجياً بين بلاد العرب الجنوبية وبين الحبشة صديقة روما ، وأخذت اكسوم تميل إلى الاعتداء على بلاد العرب الجنوبية ، وذلك يتجلى لنا عند ماأخذ الملك الحبشى،الذى لم يصلنا اسمه ، يسمح للمدوليين بإقامة طرق تمتد من بلاده إلى مصر العليا ، كما كلف شعب (سولاتيه Sôlaté) الذى كان خاضعاً له حراسة الشواطىء عند باب المندب كما أرسل فيما بعد جيشاً برياً وآخر بحرياً إلى الجانب الآخر من شاطىء البحر الأحمر فيما بين نبطا ويمن ، وأمر القبـائل القيمة هناك ألا تخرب الطرق البرية أو تعطل الملاحة ثم قام بحرب امتدت من (لويكه كوما) حتى دولة السبائيين كما أقر الأمن والنظام [٢] . وعاش مع السبائيين فى سلام إلا أنه قام بالمحافظة على الأمن فى البر والبحر فى الأماكن القريبة من السبائيين. والواقع أنه كان يرمى إلى حماية تجارته (مرتبطاً بالتجارة الرومانية المصرية) ومواصلاته أو محافظة على معالم أصدقائه وأتباعه فى بلاد الحبشة العربية .

أما نقش عدولى الذى يعتقد العلماء المتقدمون أنه يرجع إلى القرن الأول الميلادى ، فقد أثبت أخيراً الكونت روسيني بأدلة قاطعة أنه يرجع إلى القرن الثالث الميلادى [٣] . وهكذا نجد كيف أن نشاط هذا الملك أثر هذه الأحداث الهامة التى وقعت قبل ذلك ، وذلك لأنه فى نهاية القرن الثالث الميلادى حوالى عام ٢٨١ م نستطيع أن نتحدث عن ثقة عن غزو حبشى لبلاد العرب الجنوبية ، ولو لمدة قصيرة كما أنه عقب هذا مباشرة ، وقبيل منتصف القرن الرابع الميلادى نجد بلاد العرب تسترد حريتها . وأثبتت الدولة العربية الجنوبية المتحدة أنها جديرة بهذا الاستقلال والاحتفاظ به ، وبذلك أخذت التجارة العربية تطل على العالم من جديد وتنافس التجارة الرومانية المصرية وتلحق بها الأضرار . وفى

---

(١) راجع نفس المرجع Rostowzew

(٢) E. Littmann : Deutsche Aksumexpedition I, S. 42,44

(٣) Expéditions et possessions, S. 2, ff, 32 ff

القرن السادس الميلادى فقط فقدت تلك البلادالعربية الجنوبية استقلالها باستيلاء الحبش عليها كما جاء بعدهم الفرس ، وهكذا سقطت البلاد ضحية النزاع البيزنطى الفارسى . ولما أخذ سلطان الاسلام يظهر ضاعت بلاد العرب الجنوبية كبلاد لها كيانها الخاص كما يفهم من هذا الكتاب .

والمصادر الوطنية التى تحدثنا عن الحياة الاقتصادية والتشريعية والادارية للدول العربية الجنوبية عبارة عن نقوش ، ونقوش فقط[1] ، وقد اطلعت هذه النقوش العالم على قوانين ، وأنظمة ، ومعلومات عامة ، ووثائق تتصل بالأهداء ، والبناء ، والعمل كما وصلتنا أيضاً وثائق أخرى تتصل بالزراعة ، وجباية الأموال، وتحدثنا حديثاً غير مباشر عن التشريع والأنظمة التى كانت سائدة فى تلك البلاد . ومنها يتبين لنا أن الزراعة كانت هى العمود الفقرى للحياتين الاقتصادية والسياسية للدولة ، وأن تنظيم الشعوب يجب أن يكيف والحياة الاقتصادية للبلد. ونجد فى هذه النقوش أيضاً أخباراً تتصل بالحاجة إلى العناية بالمسائل العسكرية كما نقرأ شيئاً عن اللاهوت وأثر الآراء الدينية على الحياة العامة فى الدولة .

وغير الأوامر العامة التى كانت تصدر، توجد أخرى خاصة بأفراد أو جماعات ،وهى التى ترمى غالباً إلى الأهداف الدينية ، وإلى جانبها نجد الاعتماد على الله والتوكل عليه وقد كان منتشراً بين طبقة الفلاحين خاصة كما نجده أيضاً فى الرابطة الاقتصادية عند الذين يقدمون القرابين والنذور وقد كان متصلا اتصالا وثيقاً بالحياة الاقتصادية لأصحاب الأملاك ورجال الدولة .

فهذه المصادر هامة جداً ويجب الاعتماد عليها لأنها لم تتغير ولم يطرأ عليها أى شىء كما أنها معاصرة للاحداث التى تتكلم عنها لكن عبارتها الوجيزة تجعل فهمها عسيراً جداً . كذلك يراعى فى النقوش العربية الجنوبية أنها تكتفى فقط بذكر الخطوط الرئيسية للاعمال الاجتماعية والاقتصادية والأنظمة السياسية والإدارية

---

(١) بخصوص أخبار المؤلفين الكلاسكيين راجع — J. Tkac in Pavly Wissowa, Realencyklopädie, sowie in der Encyklopädie des Islâm Artikel Saba.

إلا أننا لا نجد فيها تفصيلا لكل هذه الأنظمة بخلاف الحال فى الأوراق البردية المصرية التى تحدثنا حديثاً مستفيضاً عن عصور البطالمة أو الرومان أو مصر العربية . فمثل هذا البردى لانجده فى أحجار بلاد العرب الجنوبية . كذلك مما يلفت النظر أننا لم نعثر حتى اليوم فى النقوش الجنوبية إلا على قليل من الأشارات المتصلة بالتعريفة الجركية أو القوانين التجارية رغما من كثرة طرق المواصلات فى تلك البلاد بينما نجد بعض المؤلفين الكلاسيكيين يتركون لنا بعض الأخبار الخاصة بهذا الموضوع . ففى الطريق إلى بطره وجدت نقوش معينية فى العلا [١] كما عثر على نقش آخر يتصل بقائمة هليفى ٥٣٥ و١٨٧ — ١٨٨ و١٩١ وقائمة قرنا معين [٢] . ومعظم الأفراد الذين جاء ذكرهم هنا من غزة كما نجد بعضهم من عمون (عمان) وموآب وعجر وقيدر وصيدا ومصر وددن (العلا) ويثرب (المدينة) . ومن قتبان وحضرموت . ومن الطرف الآخر للطريق من عاصمة المعينيين ؛ ومن عصر البطالمة نجد التابوت المصرى وعليه كتابة معينية وفى هذا التابوت جثة تاجر عربى جنوبى مقيم فى مصر ، وكان يتاجر فى المواد المتصلة بالمعابد ، والكهنوت وهو من (ويب) وكان يستورد من وطنه الأصلى العطور والبخور ويصدر إليها الأقمشة الحريرية .

الدولة والمجتمع

كانت تتكون كل طائفة أو فئة فى الدول العربية الجنوبية من أسر متساوية فى الحقوق الاقتصادية والاجتماعية فكل بطن من بطون القبيلة كانت تشرف عليه الدولة لكى تعامله معاملة فيها شىء من التفاوت يتفق ومركز البطن لذلك تكونت من هذه البطون وتلك القبائل مجموعة الشعب التى كانت لها أنظمتها الخاصة التى أرادتها الدولة لها . ومن هنا كانت الرابطه التى تربط سائر الأفراد

---

(١) J. H. Mordtmann, Beiträge zur minaischen Epigraphik 1897

(٢) جلازر ٩٤١ وما بعدها . وقارن Ed. Meyer, Hommel : Aegyptiaer Die Israeliten und ihrk Nachbarstamm, S. 319

رابطة اجبارية وليست اختيارية . وعلى كل جماعة أو طبقة أن تعيش فى الحدود المرسومة لها وتأتمر بالأوامر التى يقيدها بها المجتمع ، كما أن هذا النظام كان يحدد مكانة كل هيئة من المجتمع من الدولة . وطوعاً لهذا الوضع كان أيضاً النظام الاقتصادى للدولة فقد كان نظاما فيه شىء من التدرج ، وعلى شكل هرمى قمته الملك ، وأن لم يكن مطلق التصرف[١].

أما علاقة كل طبقة بالأخرى أو علاقتها جميعها بالدولة فنتبينها من المصادر التى وصلتنا والتى تصور لنا المجتمع العربى الجنوبى . فالوثائق السبائية القديمة جداً ، والتى ترجع إلى العصر الملكى تنتهى بنا إلى العصر الذى كانت فيه السلطة الدينية هى المهيمنة على البيئة العربية الجنوبية ،وقد حفظت لنا النقوش بقايا بعض العبارات الخاصة بنظام الدولة ومن هذه الألقاب الواردة بها نتبين قيام نظام دينى أو شبيه بالدينى ، ويؤيد هذا ، هذه الظاهرة الإقتصادية التى جعلت البلاد منقسمة إلى اقطاعات المصور الدينية حيث كانت للمعبد ممتلكاته الخاصة وكيانه الخاص وكان هو القائم على الاشراف عليها[٢] .

فجميع رعايا الدول الأربع التى كانت موجودة فى بلاد العرب الجنوبية ، وهى شعوب معين وقتبان وحضرموت وسبأ عرفت هذا النظام وأخذت به كما أنها أخذت تتدرج من النظام الثيوقراطى إلى النظام الملكى الدنيوى ، ونعلم أيضاً أن الحاكم الدينى (الثيوقراطى) كان يحكم بمفرده وكان يلقب بلقب خاص غير هذا اللقب الدنيوى لرئيس الدولة . فالحاكم القديم أعنى الحاكم الدينى كان يلقب بلقب كهنوتى هو (مكرب) أى (أمير الكهنوت) تقريبا أو (أمير القربان) . لكن هذا اللقب لم يبق كما هو بلساير تطور نظام الحكم وأصبح فيما بعد دنيويا فاختفى وحل محله لقب (ملك) . وقد ظهر هذا اللقب الدنيوى الجديد متأخراً فى سبأ عنه فى قتبان . أما فيما يتصل بالمعينيين فما جاءنا عنهم إلا هذا اللقب الدنيوى (ملك) . والجدير بالملاحظة هنا أن المعلومات التى وصلتنا عن حضرموت

---

(١) Wiener Akademie philos. histor. Klasse 1917 Nr XII

(٢) راجع الفصل الرابع .

ناقصة[١]، ومن حسن الحظ أننا نستطيع فيما يتصل بقتبان وسبأ أن نتعرف إلى أول حاكم لقب بهذا اللقب الدنيوى فيها . وقد كان نفس الحاكم يلقب من قبل باللقب الدينى الكهنوتى[٢]، وربما كان هذا النظام دليلا على حدوث تطور فى الدولة سواء استتبع تغيير أسرة أو لم يستتبع لكن الواقع أنه حدث فى هدوء وسلام،ولم يستتبع أى تغيير فى الأسرة الحاكمة أو أفرادها ويرجح أن هذا التطور وقع فى نهاية المرحلة أعنى مرحلة الانتقال الاجتماعى من الكهنوتية إلى المدنية وأدت هذه المرحلة بدورها إلى القضاء على اللقب الدينى وإحلال اللقب المدنى محله ، واستتبع انتقال سيادة الأرض إلى السلطة المدنية أن تغير وضع الملكية وحقوقها ونحن لا نقرأ فى النقوش أخبار الملك فحسب بل أخبار شيوخ العشيرة أيضاً ، وهم سادتها فهم يظهرون فى هذه النقوش كأصحاب اقطاعيات واسعة . وهذه العلاقة الجديدة بين الحاكم والأرض تطلبت شيئاً من التوطيد والاستقرار خاصة فالحاكم لا يملك العقار باعتباره أمير كهنوت وأنه يديره لآله الدولة وللمعبد[٣]، بل يديره ويملكه كملك له سلطانه الدنيوى . ومن هنا نفهم كيف كان يهم الأشراف الذين كانت تجرى فى عروقهم الدماء الملكية الدفاع عن الملك والملكية، ولو أنهم لم يوفقوا فى القضاء على النظام الاقطاعى للمعبد .

وليس هناك ما يحول دون الاعتقاد فى أن الملوك السبائيين يدينون بهذا النظام الملكى الجديد للمعينين والقتبانيين. فهاتان الدولتان اللتان كما رأيناهما من قبل ظلتا عصراً طوالا متحدتين متضامنتين ، ومن ثم سقطتا فيما بعد تدريجياً فى يد السبائيين وذلك عندما كانت الدولة السبائية آخذة فى النمو والتوسع تدريجياً وذلك بفضل (كرب ايل وتر) فهو أول من لقب بلقب ملك . وقد يكون الباعث إلى تلقيب نفسه بهذا اللقب هو أنه لم يرد أن يظهر أمام العالم الخارجى كمتخلف عن أقرانه وجيرانه .

---

(١) فى نقش أونيه و Stud. II, 48 اتضحت القراءة الآتية : ق ت د م . ل م و ا س . ى س . (ك) رال . ى هـ ر ع ش . ب ن . ا ب ى ش ع .

(٢) راجع Die Bodenwirtschaft, S. 26 Anm. 2, Katab. Texte I, S. 35

(٣) قارن Die Inschriftén an der Mauer von Kohlan Zamiiie

وإلى عصر الانتقال هذا أعنى عصر الانتقال من نظام الحكم الدينى إلى النظام الدنيوى وقيام الملكية ترجع الصيغ الرسمية للألفاظ الآتية (الله) (حاكم) و (شعب) وإقامة كبير الآلهة السبائيين والقتبانيين والحضرميين والأمراء أصبح رمزاً يعبر عن كل دولة من الدول العربية الجنوبية أعنى أن الألفاظ (الله) (حاكم) و (شعب) أصبحت شعاراً لكل دولة من هذه الدول [1] . وهذا النظام الجديد أو الشعار الجديد للدولة مرتب ترتيباً تنازليا أعنى يبدأ بالله وينتهى بالشعب . فهذا الشعار الجديد الذى يبدأ بالقوة الآلهية وينتهى بالقوة الأرضية يكون مجموعه فى الواقع الدولة ، وذلك لأن الدولة كان يتصورها الشرق القديم على أن يكون الملك ممثلا لله على الأرض فهو ابن الله البكر . أما أفراد الشعب فهم أبناء الله هكذا نجد الحال عند السبائيين والقتبانيين [2] فكلمة الشعب تتكون فى اعتقادهم من القبيلة التى استطاعت قيادة القبائل الأخرى التى لم تبلغ نضجها السياسى ، وهذا الشعب يملك أرضه وأرض الآخرين الذين تحت زعامته كذلك نجد اسم الشعب هو عبارة عن اسم القبيلة الزعيمة [3] هكذا فى لقب (ملك سبا) و (سبا وذو ريدان) و (ملك قتبان) و (معين) وهلما جرا .

أما الكلمة الدالة على (قبيلة) فهى فى الأصل كانت تستخدم للتعبير عن نظام خاص هذا ما نفهمه من النصوص التى وصلتنا ، ويجب ألا يتبادر إلى أذهاننا أن لفظ (قبيلة) عبارة عن لفظ يدل على جماعة تجمع بينها صلة القرابة والدم . ليست القبيلة هى فروع وأغصان من أسر وأجناس ليست هى جدول نسب . فالحالة الاقتصادية السياسية هى التى تقرر وظيفة وعمل الجماعة ، وهذه تسمى أيضاً قبيلة [4] .

وهذه التقديرات الزمنية والمكانية قد تكون أيضاً قبيلة أو قبائل آلهية

---

(١) بخصوص معين قارن Stud. II, S. 67 ; Katab. Texte II, S. 45

(٢) D. Nielsen : Der dreieinige Gott, S. 171, 291 f

(٣) المؤلفون الكلاسيكيون .

(٤) حضر هذا التغير الآلهة — أيضاً خاصة المحابون .

وهذه تصل إلى مرتبة خاصة ، وهى مرتبة التآخى . والتصادق الدينى يتجلى لنا فى الخدمة فى المعبد ، وفى الأعمال الاقتصادية الأخرى . وفى عصر الانتقال الذى سبقت الإشارة إليه كانت تستخدم الفرص الدينية والثقافية ، كما يتبين لنا هذا من النصوص التى وصلتنا ، لتقوية أواصر الصداقة فى القبيلة . كذلك فى خدمة الدولة وتأدية مطالبها . فكل شىء خاص بالمصالح العامة وملك الدولة كان فى الأصل آلهياً . الغرض منه اتمام الاتحاد الذى عقد مع الله ، فالآله المقه آله قبيلة سبأ التى كانت مهيمنة على صرواح ومآرب ، وهو بعينه الذى أصبح آله الدولة السبائية الأكبر[1] .

وكما هو الحال مع القبيلة الدنيوية كذلك الحال مع القبيلة التى لها الزعامة فسبأ مثلا مكافة بالعمل فى سبيل الصالح العام وخدمة الدولة لكن مركزها بالرغم من كل ذلك هو مركز الزعامة[2] ويستطيع أن يتصور الإنسان أن القبيلة فى العصور القديمة كانت عبارة عن الجماعة التى تربط بين أفرادها الروابط الاقتصادية أو روابط العمل . وفى سبأ مثلا نجد هذا الشعب تحت إشراف سبأى ، وذلك لأن سبأ كانت الطبقة السائدة . وكما أن الملك السبأى لم يكن يستطيع أن يكون قبيلة قادرة على الاستقرار ، فقد اضطر إلى الاستعانة إلى جانب سبأ بقبيلة[3] وهذه الصلات نجدها تتكرر حيث الظروف العسكرية تدعو إليها[4] ومعنى هذا أن السبائيين هم الذين يكونون الطبقة الحاكمة والمهيمنة على القبائل الأخرى المطالبة بتنفيذ ما يطلب إليها وقد يكون هذا المركز الممتاز الأسر السبائية مدعاة لظهور قوة أسر الأشراف سواء من الناحية السياسية أو الاقتصادية ، فثروة الأشراف

---

(1) Stud. II, 8 ff., 165 ff., Bodenwirtschaft, S. 21 ff. Katab. Textc II, S. 71 Anm. 4.

(2) Katab. Texte I, S. 78 Note 3 und Gl. 1000 A. I.
و ى و م . هـ ع د (ب) . م ع ش ر ت . س ب ا . و ى ا ت م م و . و ى ح ت ط ى و . م ن ش ا ح م و .

(3) هليفى ٥١ و Katab. Texte I, S. 71 Anm. 2

(4) هليفى ٥٣٥ .

كانت عبارة عن اقطاعيات واسـعة وكانوا يقطنون قصوراً أو قلاعا حصينة كما كانوا يسيطرون أيضاً على موارد حياة القبيلة ، وبذلك فقط استطاعوا أن يكونوا فى الدولة قوة لها خطرها فهم أصحاب المصالح الحقيقية ، وكانوا فى خطرهم لا يقلون عن المعبد وسطوته لذلك نقرأ كيف أنهم كانوا لا ينقادون أحيانا للرغبة الملـكية .

فهذا العرض السابق إلى جانب الأثر الذى تتركه القبائل الأخرى يعبر بوضوح عن سيادة سبأ وسطوتها كما أن هـذا المركز المتاز يبين لنا بوضوح أثره الفعال فى الإدارة وتشريع الدساتير حتى أن سبأ والقبائل ، أعنى القبيلة التى لهـا الزعامة والقبائل الأخرى المنضوية تحت لوائها، تطورت وأصبحت أقرب فى حياتها إلى النظام المعروف فى أيامنا هذه بنظام الدولة كاملة . فهذا التعبير الاجتماعى الجديد ، وهذا النظام أخذ ينتشر مصطبغا بصبغة مدنية مكونا هذا النظام الاتحادى الجديد الذى نجده واضحا جليا فى عصر الملـكية[1] . وقد انضمت إلى هذه القبائل مع مرور الزمن قبائل أخرى كانت من قبل تدين بالولاء للك صغير أما انحدر من أسرة فى مستوى طبقة الأشراف أو من أسرة ملـكية أخنى عليها الزمن ودالت[2] . كما أن القبيلة الزعيمة سبألم تكن تدعى قديما قبيلة ومن هنا تظهر هيبتها وسطوتها .

ويتصل بالنظام أيضا المـكان المخصص للاقامة[3] وصلة القبيلة بالتربة التى يراد اصلاحها واستغلالها . ويتصل بالمـكان أيضا صلاحيته للعمل وبتعبير أدق فقدان الحرية . فالقبيلة التى ليست فى حقيقتها عبارة عن جماعة تربط بين أفرادها رابطة الدم من السهل جدا تقسيمها إلى بطون وأفخاذ حسب حاجة العمل وطبيعة التربة ، والظروف السياسية والإدارية المحيطة بها . فهى تنقسم إلى أثلاث وأرباع لذلك وجب عليها أن تتحد مع قبيلة أخرى تفرضها عليها الظروف وتدعو إليها الحاجة وهذا يذكرنا بالنظامين المصرى والاسلامى .

---

(١) Katab. Texte

(٢) Katab. Texte II

(٣) Katab. Texte I

وفى سبأ القديمة نجد نفس هـذا النظام بتطور حتى ينجح فى تـكوين قبائل مدنية [١] .

لذلك نستطيع أن نتصور فى القبائل البذرة الأولى لتكوين الدولة ، وأن أقوى هذه القبائل هى التى تصير المحور الذى تدور حوله القبائل الأخرى ، والمركز الذى تتركز فيه القوى الإدارية والاقتصادية والسياسية ، وهى جميعها تـكون الدولة . وفى كثير من الحالات نرى القبائل الأخرى تفنى فى القبيلة التى لها الزعامة . وهكذا مع بعض الفروق تطورت الامور فى أوائل العهد الملـكى للدولة السبائية القديمة . فقد عظم نفوذها تدريجياً وامتد حتى ضم جيرانها إليها وأصبحت هى مع مرور الزمن سيدة بلاد العرب الجنوبية قاطبة ، فهذه الأحداث السياسية ، الداخلية منها والخارجية ، تكررت أكثر من مرة وفيها تتجلى الرغبات المختلفة للتوسع ، وأشباع الأمانى ، وتحقيقها ، وكلها ولا شك كانت عوامل ضرورية للدولة سواء كانت هذه المطالب عسكرية أو اقتصادية وذلك لأن أفراد القبيلة كانوا فى كثير من الأحوال فى حاجة إلى شئ من النظام الاقتصادى الذى يكفل لهم الحياة ، وذلك عن طريق منح المعدمين منهم بعض الاقطاعيات الزراعية التى يقومون على استغلالها فتسد حاصلاتها رمقهم ، وتطلبت جميع هـــذه الحالات وضع التشريعات الاقتصادية والعسكرية دفاعا عن الدولة من ناحية وإنماء لدخلها من ناحية أخرى [٢] .

فى بلاد العرب الجنوبية نجد السيف إلى جانب الفدان وهما حق لـكل فرد من أفراد القبيلة وذلك لأنه يلاحظ أن كثيرين من أصحاب الأملاك ، وربما بنسبة أكبر من تلك التى نجدها فى بلاد بابل أو مصر البطلموسية ، كانوا منقطعين للجندية . أما النظام الادارى للقوانين الخـاصة بالفلاحين أو القوانين العسكرية فقد كان يختلف باختلاف البيئة والزمان . فى الدولة العربية الجنوبية كانت قبيلة الأشراف وطبقة فلاحى الملك التى كانت تقوم على استصلاح الأرض واستغلالها وطبقة العمال

---

(١) وفيما يتصل بصرواح قارن Katab. Texte I (جلازر ١٥٧١) وكذلك مجموعة النقوش الحالية ٣٩٨ Katab. Texte II,

(٢) راجع الفصل الرابع .

الذين كانوا يسخرون فى إعداد الطرق ، وكرى الترع ، وأعمال الرى المختلفة ،والبناء والجند (١) .

وكما كان هناك تفاوت بين القبائل فى الدولة الواحدة من الناحية السياسية أو الاجتماعية كذلك الحال فى القبيلة ذاتها ،فقد كان هناك بين أفرادالقبيلة الواحدة تفاوت اجتماعى، وتفاوت فى الوظائف،وتفاوت فى المهن والحرف . ولم تكن القبائل التى تتمتع بالزعامة فى الدولة مستثناة من هذه الأوضاع الاجتماعية فقبيلة سبأ مثلا التى أطلق اسمها على الدولة السبائية لم تكن مكونة من أشراف فقط بل من طبقات أخرى تتفاوت مكانتها الاجتماعية فمثلا نجد من بين أفرادها هذه الجماعة التى كانت تعرف باسم (م س و د) (٢) فقد كانت هـذه الجماعة لا تحتسب ضمن جماعات القبيلة بل كانت كما يقال فى التعبير الحديث فوق القانون ولها امتيازاتها الخاصة حتى بين كبار أصحاب الأمـــلاك (فى السبائية م س خ ن ن وفى القتبانية ط ب ن ن (٣)) وكانوا ينقسمون حسب وظائفهم إلى طبقات وأدناها فيما يظهر طبقة العبيد الذين كانوا غير أحرار تابعين للارض ويسمون (ا د و م ت) (٤) . وعن طريق الاشتقاقات اللغوية يتبين لنا بوضوح أن هـذه الأسماء تشير إلى أن نظام القبيلة كان يعتمد قبل كل شئ على الحياة الاقتصادية والثروة الأرضية . وهذا برهان قاطع يبين لنا كيف أن العناية بالأرض والثروة الأرضية كانت محور الحياة العامة والمصالح الحقيقية (٥) وهكذا نجد أنظمة الحياة الدستورية للقبائل متسقة اتساقا تاما مع الأنظمة الزراعية والضرائب وذلك لأن القبيلة كما مر تتكون من أصحاب أملاك . وهؤلاء الملاك يتفاوتون فيما بينهم تفاوتا اقتصاديا حسب ثروة كل وأملاكه ، فهذه الأملاك كانت فى الواقع جزءا من أملاك الدولة وكان يؤدى المالك أحيانا بعض الوظائف الاضافية ، فهؤلاء الملاك ،بتعبير آخر أدق ، أما

(١) Katab. Texte I, S. 39 ff

(٢) جلازر ١٠٠٠ و Katab. Texte I, وهليفى ٤٠٠ .

(٣) مجموعة النقوش الخامية ٦٩ .

(٤) جلازر ١٣٩٨ .

(٥) Die Bodenwirtschaft, S. 13 f.

من كبار المستأجرين أو المؤجرين. أما طبقة الأشراف فقد كانت لها امتيازات ليست اقتصادية فقط بل سياسية أيضا كما كان يحسب حسابهم فى التشريع والإدارة . فالجماعة كانت تقدم لصاحب الأرض الأيدى العاملة من أفراد القبيلة . والقبيلة أيضا هى التى تمد رجال المبانى بعمال البناء [(١)] وأولئك وهؤلاء كانوا عصب القبيلة والعمود الفقرى للدولة . ويظهر أن أكثر الطوائف عددا فى القبيلة فى دولة سبأ القديمة هى تلك الطائفة المعروفة باسم (ق س د — ن) فقد كانت منزلتهم بين الأشراف ورقيق الأرض . ويعتقد المؤلف أنهم ملاك لأفراد الدولة الذين لا أملاك لهم ، وكانوا يكلفون بالخدمة العسكرية [(٢)] . وقد كانوا فلاحين بدليل أنهم كانوا يدفعون خراجا كما يتبين لنا مركزهم العسكرى من أدلة كثيرة منها قانون الضرائب [(٣)] . لكن حيث توجد أسر تابعة لأشراف ويحكمون حكم تبعية فهؤلاء الأشراف يتسلطون أيضاً على فرقهم العسكرية كما أنهم يصبحون تابعين لورثة سادتهم إذ كان التابعون يشتركون فى الميراث بينما كانت المرأة فى بلاد العرب الجنوبية حرة التصرف فيما يتصل بالمسائل الاقتصادية [(٤)] .

وبينما فى العصر السبائى القديم نجد القبيلة تعتلى المقعد الذى يتفق ومجهوداتها الحربية نقرأ فيما بعد فى عصر ملوك سبأ وذو ريدان شيئاً عن شعوبهم العسكرية (ا خ م س) وفى هذه الشعوب امتزجت فيما يظهر القبائل التى عقدت لها الزعامة والمتحدة مع غيرها [(٥)] .

فالاتجاه الذى يقول بالمساواة داخليـا وخارجيا عاون على تحقيق المطامع الاستعمارية التى انتهجتها تلك الدول العربية الجنوبية ورمت من ورائها أن تكون دولا عالمى [(٦)] ويرجع إلى ذلك الوقت الاستعمال الذى وصلنا إلا وهو (قبيلة

---

(١) Katab. Texte I, 39 ff., Studien II, 59, 129, 172

(٢) جلازر ١٥٧١ : ا ق و ل . و م س و د . و ق س د . س . غ . ب . ن . س . م . ع . ى .

(٣) أنظر الفصل الرابع .

(٤) Hartmann : Die Arab. Frage, S. 405

(٥) جلازر ١٥٤٨ .

(٦) M. Hartmann, Arab. Frage, S. 370, 388

سبأ) وهو تعبير يشعرنا كما لو أنها أصابها بعض الضرر من جراء مركز الزعامة الذى كانت تتبوأه[١] . لكن الأمر بخلاف هذا فى الدولة القتبانية فإنها فى ذلك العصر أعنى قبل أن تبلغ سبأ مكانة عالية كدولة قوية كانت ، كما تحدثنا النقوش ، القبيلة التى لها الزعامة . ولفظ قتبان يدل فى هذه النقوش لا على الدولة فحسب بل على مجموعة من القبائل تكون فيما بينها مع القبيلة الزعيمة اتحاداً قوياً أكثر تضامناً من الاتحاد السبأى لذلك كان يطلق على الاتحاد القتبانى أيضاً (أبناء عم) . و (عم) هذا هو الآله الرسمى للدولة القتبانية بينما (ابناء المقه) هم زعماء قبيلة سبأ فقط[٢] أما فيما يتصل بتسمية الشعب الذى كتبت له الزعامة قبيلة عند القتبانيين ، فذلك يتفق تماما وما نجده عند المعينيين[٣] .

ويظهر أنه لم تكن هناك قرابة دم (ذو — اع ذر) بين أشراف سبأ وقتبان وذلك بدليل عدم استخدام هذه العبارة الدالة على القرابة بدليل أن من ينحدر من نسل الأشراف كان يذكر متصلا بالقبيلة منتسباً إليها أعنى القبيلة التابع لها . وهذا الشخص يشترك مع القبيلة فى سائر الالتزامات الاقتصادية . فهو كغيره من سائر أفراد القبيلة ويسرى عليه قانونها ، فهو وأمثاله فى وضعه من القبيلة يشبه أفراد طبقة الجيريم عند اليهود وهم لا يملكون عادة شيئاً . ومن أسمائهم يتضح لنا أنهم كانوا يتمتعون بحماية ومساعدة مضيفيهم فمثلهم مثل مساعدين من نوع ممتاز كانوا يؤدون خدمات لسادة القبيلة[٤] .

الدستور . التشريع . الادارة

إلى العصر الملكى القتبانى وربما قبيل تأسيس الدولة السبائية الكبرى يرجع النقش القتبانى جلازر ١٦٠٦[٥] وهذا النقش هو الذى يقدم لنا بعض

(١) Katab. Texte II, S. 13

(٢) Katab. Texte II, S. 7, 91

(٣) Katab. Text II, S. 7 Anm 4

(٤) Katab. Texte II, S. 31 و J. Halévy, Bulletin de la Société de Géographie VI, 1873, S. 587 ff.
E. Glaser in. Ausland 1885, S. 202 ff.
A. Grohmann, Sudarabien als Wirtschaftsgebiet, S. 62 ff.

المعلومات الخاصة بالتشريع والإدارة فى تلك البلاد . والحقيقة التى يجب أن نسلم بها مقدما هى أن تلك البلاد عرفت نظاما يتكون من مجالس تمثل الشعب تمثيلا نيابيا . فقد كان يوجد مجلس قبلى إلى جانب العرش كما كانت تمثل القبائل المختلفة فى الهيئات التشريعية المتعددة وكانت إدارة البلاد بيدها وربما كان المجمع القبلى يعقد جلساته مرتين فى العام ، وفى عاصمة الدولة . ومن جهة الترتيب[١] كانت قتبان هى الأولى ، ويعنى بالترتيب هنا ترتيب القبائل حسب موضع إقامة القبيلة التى بيدها الزعامة من العاصمة (تمنع) ، كما كان يوجد ممثلون لأصحاب الأراضى الخصبة والقبائل المنضمة إليها وسكان المزارع والمراعى[٢] . وكانت تمثلها طبقة السادة صاحبة الامتياز (م س و د)[٣] وعدد كبير من بين أصحاب الأملاك (ط ب ن)[٤] . أما المجالس الاستشارية فقد كانت مكونة من سائر القبائل ولم يحرم منها إلا الرقيق الذين كانوا يعملون فى الأرض (ا د و م) . وكان يكون هؤلاء العبيد طبقة وضيعة اجتماعيا واقتصاديا ، ولم تكن لها حقوق سياسية[٥] .

وكانت تنتهى هذه المشاورات عادة بالموافقة على المواضيع المعروضة[٦] ، وكانت هذه القرارات التى تتخذ تبلغ عادة القبائل[٧] كما أن تلك القرارات كانت تستتبع إصدار قوانين[٨] خاصة بتنظيم استثمار الأرض والعقار ودفع الضرائب ، وهذه القوانين الزراعية[٩] كانت الأساس الذى بنى عليه نظام الدولة فيما بعد . أما الاجتماع الآخر للقبائل فكان الغرض منه الموافقة على هذه القوانين[١٠] . فهذا

---

(١) Katab. Texte I. S. 33 f

(٢) هـ — نبل م .

(٣) السطر الثالث والثامن .

(٤) Katab. Texte II, S. 7 Anm 1

(٥) جلازر ١٠٥٤٨ / ١٠٥٤٩ .

(٦) Katab. Texte II, S. 99

(٧) هذا هو أول مظهر الاجتماع .

(٨) المظهر الثانى .

(٩) Katab. Texte II, s. v.

(١٠) Studien II, 154 ff

النظام يشبه ما يعرف فى اليونان من نظم تشريعية[١] . وإلى جانب هذه النظم التشريعية توجد نظم أخرى إدارية كانت تعالج إدارة الأرض وتأجيرها والشروط اللازمة عند كل حالة أو مجموعة من الحالات . كل هذا حدث عن طريق المجتمعين الذين كانوا حريصين على تنفيذ أوامر سيدهم الملك وطاعته[٢] . فنحن نجد فوق النظام الديموقراطى نظاما آخر أقوى يصدر القوانين وهو سلطان الأمير . ومن هذه الطاعة وهذا الحرص على تنفيذ رغبة الملك يتبين لنا أن الملك هو الذى كان يدعو الأعضاء إلى الاجتماعيين . وهكذا يصير الاجتماع والانفضاض قانونيين . والجدير بالملاحظة أن جميع القرارات كانت تصدر إجابة لرغبة ملكية ومتفقة وتوجيهاته الخاصة[٣] .

هذه هى الأوضاع التى كان يصدر فيها القانون . أما اجتماع ممثلى القبائل فكان يقرره مرسوم ملكى لذلك من الصواب أن يطلق على هذا المجلس لفظ المجلس الاستشارى[٤] للدولة وهو يتكون من الملك ويذكر فى الصدر ويشترك فى المشاورات ، من أشراف أصحاب الأملاك (م س و د)[٥] ومن طائفتين أخريين لا يمكن تحديدهما بالضبط وقد تمثلان أصحاب الأملاك[٦] أو موظفين[٧] . وهذا المجلس الاستشارى له حق إصدار القوانين باسم الملك سواء القانون الذى يصدر ويكون الملك مشتركا فى إصداره ، أو تلك القوانين التى يصدرها المجمع القبلى[٨] . فهذا نوع من الرسميات التى يفرضها حاكم البلاد عن طريق المجلس الاستشارى للدولة الذى كان له الحق فى الهيمنة على الحكومة (بخلاف

---

(١) San Nicols, Aegyptisches Vereinwesen

(٢) يفصل بين مطهرى الاجتماع .

(٣) Z D M G 74

(٤) السطر ١ — ٢ و ١٠ و ١٣ — ١٥

(٥) جميع القبائل

(٦) هلينى ٥١ .

(٧) Katab. Texte I, 75

(٨) السطر ١١ و ١٥ و ١٧ — ١٩ ..

المجلس الذى يعقده ممثلو القبائل)[١] .

فالوثيقة التى نعتمد عليها هنا عبارة عن مرسوم صادر عن المجلس الاستشارى للدولة (مجلس الدولة)[٢] ومن هذا المرسوم تتبين كيف أن القوانين والاجراءات الإداريه فى مجلس القبائل ومجلس الدولة الاستشارى تصدر باسم الملك[٣] فهى عامل من عوامل تقوية الروابط بين الملك والشعب[٤] . ويلاحظ أن المجلس الاستشارى للدولة كان من حقه أيضاً إلى جانب إصداره القوانين استغلال القوانين القديمة ومراعاتها[٥] كما كان له الحق أيضاً فى تنظيم استخدامها ، وكان يعلنها باسم الملك . ويحل المجلس الاستشارى محل مجلس القبائل ، ويشرف على تطبيق القوانين على الأراضى[٦] وإقرارها كما كان من حقه أيضاً إصدار العفو عن المحكوم عليهم . وكان هذا العفو كليا أو جزئيا[٧] فهذه الوثائق التى لدينا ليست عبارة عن وثيقة تعالج الدستور القتبانى الخاص بالأرض فحسب بل هى وثيقة تابعة له أيضاً .

ولإدراك هذه المسائل يجب ألا يتبادر إلى أذهاننا أن مجالس القبائل هى المصدر الوحيد للدستور القتبانى الخاص بالأرض كما أنه يجب ألا يتبادر إلى الأذهان أن هذه الوثيقة اعتداء على دستور ديموقراطى كان يوجد قديما ، وأن هذا الدستور القديم الديموقراطى أخذ يفقد قوته تدريجيا أمام نفوذ طبقة متمتعة بامتيازات خاصة ، ولها حقوقها السياسية الخاصة ،والظاهر أن مجالس القبائل كانت تجتمع عندما تظهر فى الجو أسباب سياسية تتصل بسياسة البلاد الخارجية[٨]

(١) أنظر ما قبل .
(٢) السطر الأول .
(٣) Katab. Texte I, S. 153
(٤) السطر ١٢ .
(٥) السطر ١٠ .
(٦) Wredi, Hadram. S. 51
(٧) SE 80 = Gl. 1397–9
(٨) Katab. Texte I

أو إظهار رغبة فى إدخال تغيير شامل على النظام الاقتصادى للدولة . لكن هذه الأداة لم تكن عملية فى حالة تجديد القوانين أو تنفيذها إذ جرت العادة أنه بمجرد انتهاء جلسات مجلس القبائل كان إعداد القوانين أو تنفيذها يوكل إلى هيئة أخرى أعضاؤها أقل عدداً من الهيئة السابقة ، وذلك ضمانا للتنفيذ وسرعته . وهكذا نجد العرش ومجلس الدولة (الرأى) ومجلس القبائل يكونون جميعهم الحكومة . ونتبين من الوثائق التى بأيدينا أنه لم تكن هناك هيئات خاصة بالتشريع وأخرى بالإدارة وثالثة بالقضاء (على الأقل فى حالة مالية الدولة) مستقلة[١] .

أما فيما يتعلق بمعرفة العصور التى ظل هذا النظام مستعملا فيها أو الحالات العديدة التى كان يطبق فيها ، فهذا ما لا نعرفه ولا نستطيع الحكم عليه من النصوص التى وصلتنا . فقد جاءنا قانون قديم جداً وهو قانون العقوبات[٢] وقد صدر عن الملك ومجلس الرأى القتبانى وعدد من القبائل إلا أن النواب لم يرد ذكرهم . ويظهر أنهم كانوا خارج الاتحاد القتبانى الخاص فهل كان هذا القانون يطبق فى منطقة أكبر من تلك التى تتناولها الوثيقة الدستورية الصادرة من إقليم خاص بعينه ، أو أن هذه القبائل أصبحت فيما بعد غير قتبانية ؟ وهناك قوانين أخرى أحدث من قانون العقوبات هذا إلا أنها أقدم من وثيقة الدستور الاقليمى ، وهذه القوانين صادرة عن الملك وحده الذى فيما يظهر كان غير مطلق الحرية والتصرف إذ يتبين منها أنه كان متأثراً بسلطان المعبد[٣] .

وقد وصلتنا بعض المراسيم القليلة التى ترجع إلى العصر الملكى السبائى القديم وغايتها شرح وثيقة الدستور الاقليمى القتبانى ، وقد تكون حالات بالرغم من كل ذلك قد وقعت فعلا فى جماعة سبائية ، واستغلت فيما بعد كسوابق أدت إلى تقرير الدستورين السبائى والقتبانى خاصة فيما يتعلق بالمواد الرئيسية . ويجب أن

---

(١) Katab. Texte I, S. 70 ff

(٢) جلازر ١٥٧١ .

(٣) Katab. Texte I

نقرر هنا أنه لم تصلنا وثيقة نتبين منها نصاً صريحاً خاصاً بوجوب دعوة عقد المؤتمر القبلي العام الذى أصدر فى نهاية اجتماعاته قرارات . ثم أن (س ا و ل ت) وهى نوع من الضرائب تجبى حبوبا لأجل الجيش كانت تدفعها سبأ والقبائل الأخرى[١] وهى تتفق تقريباً واجتماع القبائل القتبانية[٢] أما فيم يتصل بجباية الضرائب ، فقد كان هذا موكولا إلى جماعة صغيرة تحت إشراف الملك ، وهى تختلف باختلاف الاقليم[٣] وهذه الجماعة باختيارها من قبائل خاصة ، ومن طبقة من الشعب خاصة[٤] تقابل مجلس الرأى القتبانى[٥] فقد كان عمل الجماعتين واحداً تقريباً ، وكان هـذا المجلس يشرف على الأنظمة الإدارية فى حدود القوانين الموضوعة له ، وكان كثيراً ما يستخدم فى الدوائر المختلفة لجباية الضرائب . وقد عرفت الدولة السبائية فى العصر الملكى القديم التمثيل النيابى إلا أن ما بأيدينا من وثائق لا يكفى للحديث عنه بخلاف الحال عند القتبانيين والدستور القتبانى .

وفى أواخر عصور الملكية نجد طبقة الأشراف السبائية تزداد نفوذاً وقوة وتكون نوعا من أنظمة العصور الاقطاعية ، وأخذ نظام الانتخابات النيابية يختفى تدريجيا كما اختفى ذكر (م س و د) من النقوش[٦] كذلك تغير نظام استيطان الأرض واستصلاحها عن طريق الجماعات على يد الجماعات ، وأصبح نوعا من الحكر[٧] كما كان الحال سائداً مع المعابد وإدارتها . وكانت تبرم بين الملك ورئيس القبيلة اتفاقية تحدد العطايا والضرائب ، وكانت الجماعات التى بعقد الرئيس مع الملك الاتفاقية باسمها متضامنة معه فى تنفيذ شروطها . أما فيما يتصل

---

(١) Katab. Texte I

(٢) Katab. Texte I وجلازر ١٥٧١ .

(٣) هابنى ٥١ وجلازر ١٥٧١ .

(٤) هابنى ٥١ .

(٥) أنظر ما قبل .

(٦) Hartmann, Die Arab. Frage S. 432

(٧) قارن Grohmann, die Bodenwirtschaft S. 4 ff

بنظام العمل والإنتاج فقد ظل كما كان قديما[1] إلا أن الملك وشيخ القبيلة هما اللذان كانا يوقعان الوثائق[2] فقط . لكن تمثيل الجماعات اختفى ، ويظهر أن القبيلة فقدت حق ابداء الرأى وإعطاء الأصوات[3] كما أنه لم يكن على رأس القبيلة (كبير) مسئول أمام الملك وإن كان قد حل محله شخص آخر ، وهو (قيل[4]) وهكذا نجد القبيلة تخضع لطبقة خاصة ، وأخيراً نجد الهمدانيين مثلا[5] يتمردون على الأسرة ليصبحوا فيما بعد سادة . وهكذا نجد النظام الاقطاعى يظل باقياً ، وهكذا نجد التطور الجديد يستقر كما يتبين لنا هذا من مقارنة الوثائق القديمة بالأخرى الحديثة ، وخاصة تلك الوثائق المتصلة بالقبائل واستيطانها[6] .

ولحماية مصالح هذه الأسرات ظهرت طبقة الوظفين[7] وهؤلاء عبارة عن طبقة من الشعب والجمعيات الحكومية الكبرى أو هذه الجماعات التى كانت تدخل فى رجال الأعمال الحرة سواء كانوا تجاراً أو محترفين سياسيين واللقب الحكومى (كبير) يشير قبل كل شىء إلى زعامة القبائل[8] و (كبير) قبيلة (خليل) تلك القبيلة التى تذكرها المصادر العربية الشمالية كما تذكر أيضاً (كبير) الذى ظل حتى العصر السبأى المتأخر عبارة عن شىء تؤرخ به النقوش السبائية[9] . أما مركزه فى الدولة فيظهر أنه كان فى الأصل مركزاً دينيا ، وكان يقدم لسبأ القديمة خاصة لعثتر كثيراً من قرابين الاستسقاء[10] لكن فى عصور سبائية أقدم نجد (كبير) القبيلة[11] كما جاء فى الوثائق القتبانية يقوم بأعمال جاء

---

(١) Der Grundsatz S. 16 ; 23 Anm 2

(٢) جلازر ١٥٤٨ / ١٥٤٩ .

(٣) Katab. Texte I, S. 97

(٤) أنظر ما بعد .

(٥) Katab. Texte I, S. 70 ff

(٦) Studien II, S. 150

(٧) Ed. Mayer, Die Israeliten und ihre Nachbarstämme, S. 96, 505

(٨) جلازر ٤٣٨ و ٤٥٤ و ١٥٧٢ .

(٩) Katab. Texte II

(١٠) جلازر ١٥٧١ .

(١١) Katab. Texte I, S. 38

ذكرها فى تلك الوثائق[١٢] كذلك كان يوجد (كبير) على موظفى الملك « وبعض الموظفين الآخرين ورجال الدين . وكان كبير القبيلة فى أرض الوطن و (كبير) رعايا الملك وال (كبير) الذى كان موجوداً على الحدود الشمالية فى المستعمرة التجارية (العلا) (د د ا ن) والتى كانت للمعينيين[١] كانوا موظفين ملكيين أو حكوميين . وكان هناك أكابر آخرون يتولون وظائف حرة أو شبه رسمية[٢] . وكانت اختصاصات هؤلاء الذين كانوا أيضاً يتولون وظائف المحافظين على بعض المدن ، كما تتبين لنا من ألقابهم ، متشعبة . ووظيفة (كبير) واللفظ الذى تسمى به من الأمور المعروفة عند سائر الدول العربية الجنوبية[٣] .

كذلك تعددت اختصاصات الـ (أقيان[٤]) فقد كانوا موظفين حكوميين إداريين ويتجلى لنا ذلك فى ألقابهم ومدلولاتها[٥] ويظهر من هذه الألقاب[٦] أنهم نشأوا موظفين ، وتدرجوا فى سلك الوظائف فهم إذن من طبقة أخرى خاصة بهم . وكان منهم خدمة الآلهة (المعابد) ، والأمراء ، ومن يمثلون بطانة الملك فى المدينة[٧] . وكانت وظيفة الأقيان تلتقى مع الوظيفة الدينية المعروفة باسم (ر ش و[٨]) ولو أن الـ (ر ش و) القسيس كان له خدمه ومعاونوه . وكان الخادم يشرف على الأعمال الدنيوية والإدارية للمعبد[٩] . وكان كبير القسيسين القتبانيين أحياناً يذكر إلى جانب لقبه كقسيس (ر ش و) كبير الآلهة (عم) لقبا ثانياً يفهم منه أنه كان أيضاً المحاسب الإدارى بتفويض من الله الذى أنابه عنه فى الإشراف على معبده وأملاكه[١٠] . وفى غير قتبان نجد أيضاً لقب

---

(١) Katab. Texte I, 75

(٢) جلازر ١١٥٥ و ١٣٠٢ .

(٣) Studien II, S. 177

(٤) Katab. Texte I, 38

(٥) D. H. Müller, Burgen und Schlösser I, S. 931

(٦) هاليفى ١٥٠ و ١٥١ .

(٧) فى العربية : قين .

(٨) Studien II, S. 22 f

(٩) جلازر ٤٨١ وهليفى ١٤٤ .

(١٠) Katab. Texte II, S. 80

(قين) منتشراً في سبأ ، وقد تحدثت عنه نقوش أخرى . أما الموظفون الأقيان فكان رئيسهم (كبير) وجاء ذكره كثيراً خاصة في النقوش التي ترجع إلى (شيبام اقيان) و (عمران) أي من نخذ مرثد من قبيلة بكيل[١] كما وجد في نقوش أخرى في الجهات الشرقية منها[٢] .

وحيث النظم الإقطاعية للمعابد وما إليها ، وحيث كان يعبد الإله (تالب ريام) يوجد (أقيال) كطائفة من طوائف قبيلة (تالب سمعى[٣]) وهي تأتي من حيث المكانة الاجتماعية قبل طبقة الملاك (مسود) وطبقة (قصد) . وفي نفس الأقليم نجد فيما بعد ملك (سمعى) الصغير[٤] وكان أجداده من جهة الأب (أقيال) القبيلة المجاورة (ى ه ى ب ب) وكان أمراء سبأ قد منحوهم كثيراً من الأملاك كما منح الملك السبأى الكبير أحفادهم دخلا خاصاً[٥] وفي نفس الزمان والمكان نجد (بالقرب من حدقان) قيل قبيلة (ى ر س م[٦]) كما أصبح أقايم الإله (تالب) فيما بعد ملكا للهمدانيين[٧] الذين كان أفرادهم يحكمونه حكما إقطاعياً إبان تألق نجمهم السياسي ، وكان (سخيم) يشاركهم حكم (سمعى) و (يرسم[٨]) . أما من حيث النظام النيابي الذي كان سائداً وقتذاك فلا نعلم عنه شيئاً كما لا نعلم شيئاً أيضاً عن تمثيل القبائل أو (كبرائهم[٩]) ويلوح لنا أن الأقيال فقدوا مكانتهم كما فقدوا أيضاً أقطاعياتهم . وكان مصدر ذلك نظام الألقاب التي كانت تخلع على المتصلين بأقطاعيات المعبد ، وقد كانوا

---

(١) قارن Die Inschriften an der Mauer S. 41 f

(٢) M. Hartmann, Die Arab. Frage, S. 231

(٣) هلبي ٦٢٤ و ١٧٤ .

(٤) أنظر ما قبل .

(٥) مجموعة النقوش الخاينة ٣٧ .

(٦) جلازر ١٢١٠ .

(٧) مجموعة النقوش الخاينة ٣٧ .

(٨) Mordtmann-Muller, Sabäische Denkmäler S. 20

(٩) مجموعة النقوش الخاينة ١٨١ و ١٨٧ .

فى الوطن الأصلى السادة الجدد[١] . ونستطيع أن نتثبت من وجود اللقب فى قبيلة (بكيل) (حيث نجد طبقة السادة أعنى طبقة مرثد التى كانت تحمله)[٢] وكان القيل موجوداً فى المناطق السابق ذكرها وفى (ردمان) و (خولان[٣]) وجميع المناطق الجغرافية المتصلة بها[٤] .

وكما هو الحال فى وظيفة الأقيال[٥] كذلك الوظائف الأخرى فقد كانت قاصرة على طائفة أو أسرة بعينها . ويبدو لنا أن شيوخ فخذ (خليل) كانوا من أسرة (حزفر[٦]) كما كان المرثديون فى أقليم (بكيل) رؤساء الموظفين المعروفين باسم الأقيال[٧] . ومن هنا قد تكون هذه الألقاب معبرة فى نفس الوقت عن الأفخاذ . وكانت وراثة المكانة الاجتماعية للقبيلة من حق سائر أفرادها ، وكان يتولى منحه شيوخها . أما اختيار الملك للأسر القبلية فغامض فى بعض الأحوال .

وكان أصحاب الأملاك من رؤساء العشائر فى معين من كبار الموظفين وكان الملك هو الذى يعين الموظفين ، خاصة أولئك الذين كانوا يقومون بجباية الضرائب وإدارة الأقاليم مع موافقة مجلس أصحاب الأملاك (مسود[٨]) . وفى (معين) أيضاً لم يكن الملك مطلق التصرف إذ كان إلى جانبه مجلس يضم ممثلى الموظفين[٩] الذين كان لهم نفوذهم الخاص فى دوائر اختصاصهم . وقد وصلتنا بعض الوثائق التى نتبين منها أن فى معين كانت توجد طبقتان من

(١) جلازر ١٥٧١ .
(٢) جلازر ١٠٧٦ .
(٣) مجموعة النقوش الخامية ٣١٤ .
(٤) اللوفر ١٥٤١ .
(٥) Studien II, 149
(٦) أنظر ما قبل .
(٧) Studien II, 87
(٨) Studien II, 81
(٩) Studien II, 181

الموظفين[١] الذين كان من حقهم الفصل فى شئون المياه وتوزيعها على المناطق المختلفة . فقد جاء على حجر من تلك التى تنصب على الحدود عادة ، والتى يرجح أنها عند حوض من حياض الرى[٢] ما يؤيد هذا الرأى إذ أن حالة بلاد العرب من حيث المناخ والمياه تتطلب قيام سلطة تهيمن على تصريف المياه مراعية الادخار والصالح العام . وهذه الظروف تقريباً هى التى أدت إلى مثل هذه النتائج فى مصر لذلك جاء زمن على بلاد العرب تركزت فيه السلطة فى الهيئة التى تشرف على استغلال الأرض لذلك نظر الشعب للآلـه وللملك وللدولة كالقوة الوحيدة التى تهيمن على الأرض واستغلالها .

أما النظام الذى كان سائداً فى الدولة المعينية كما نتبينه من النقوش فنظام دينى[٣] ويتجلى هذا خاصة فى النقوش التى تتحدث عن نظام الضرائب الخاصة بالمعبد والتى يحتمل أنها كانت فى أول الأمر عبارة عن تبرعات[٤]، ومن ثم فرضت على الأراضى فرضاً[٥] وكانت تستخدم كتعويض تعفى دافعيها من أعمال السخرة[٦] إذ كانت العشائر تتعاون فى إقامة المبانى العامة ، وكان الأفراد يحشدون فى أعمال البناء هذه وكان عملهم يحتسب لهم كضرائب تسدد ، والآلهة هم الذين كانوا يقررون هذا العمل . ويعنى بالآلهة هنا أولئك الذين كانوا يقومون على المعابد[٦]. وعن طريق هذا النظام نتبين النفوذ الدينى ومدى تغلغله فى معين . ونتبين من النقوش أيضاً أن سائر الأبنية العامة كالمعابد ، والطرق ، والحصون ، والسدود ، وما إليها كانت تدخل فى بلاد العرب الجنوبية فى الأعمال التى يسخر لها الأفراد لإنجازها[٧] ونقرأ أيضاً أن عملية بناء تمت فى سور المدينة وقدم هذا السور هدية

---

(١) Studien II, S. 87 f

(٢) Studien II, S. 81 f, 86 ff

(٣) Studien II, S. 181

(٤) Studien II, S. 40

(٥) Studien II, S. 58, 65, 172

(٦) Studien II, S. 59

(٧) Studien II, S. 128 ff

للآلهة . وقد يكون هذا البناء تجديداً وليس جديداً . وكانت المعابد تستخدم أحياناً كحصون للدفاع عن المدينة إلى جانب العبادة ، وكانت تقوم فوقها المذابح ومواقد النيران[١] . وكانت الحياة فى سبأ القديمة مصبوغة بالصبغة الدينية شأنها فى ذلك شأن معين ، ومن هنا نفهم كيف أن معظم النقوش التى ترجع إلى تلك العصور عبارة عن نصوص تدخل فى حظيرة الوثائق الدينية[٢] .

الاقتصاد القومى — المعبد والدولة

بعد الفتوحات العظيمة التى قام بها الأمير السبائى (كرب ال وتر) أصبح من الضرورى إحداث نظام سياسى وآخر اقتصادى يتفق والوضع الجديد للبلاد خاصة وقد أصبحت مترامية الأطراف بعد أن ضمت إليها الأقطار الجديدة المفتوحة وأصبحت إدارتها فى يد السبائيين[٣] كما عادت أقاليم أخرى إلى أصحابها الأولين ، فأصبحت مستقلة خاضعة لخلفاء السبائيين ومن هذه الأقاليم أقليم (كوستوس) الذى كان مشهوراً بصناعة النسيج[٤] . وفيما بعد نقرأ كيف أن الدولة السبائية استطاعت شراء بعض الإقطاعيات ، وما عليها وضمها إلى أملاكها[٥] كأملاك حكومية فأصبح من حق الأمير السبائى أن يدخل الزراعة الخاصة كالنخيل مثلا أو يضم الإقطاعية بمن عليها إلى قبيلته (فيشان[٦])

ومن هذا يتبين لنا أنه كانت توجد إلى جانب الأراضى الحكومية أراضى أخرى إقطاعيات تابعة للتاج مباشرة (فى معين جاء ذكر — كبير —) وكان التاج يتولى إدارتها[٧] . ويظهر أن تابعى ملك قتبان كانوا يقومون بأعمالهم

---

(١) Studien II, S. 29 ff

(٢) Katab. Texte I, S. 23 f

(٣) Katab. Texte II, S. 15

(٤) Katab. Texte I, S. 28 ff

(٥) Katab. Texte II, S. 58 f

(٦) هليفى ١٨٨ .

(٧) Die Bodenwirtschaft S. 8 f., 15 f

الإدارية فى (تمنع[١]) كما نجد آخرين سبائيين يرجعون إلى العصر الهمدانى فى صرواح وهم بعض أفراد القبيلة التى كانت قاطنة فى تلك المدينة[٢] كذلك أفراد قبيلة فيشان الذين سبق ذكرهم كانوا مقيمين بالقرب من ذلك المكان . وكان مثل أتباع الملك مثل أتباع القبيلة يقومون بواجبات زراعية وأخرى حربية .

أما الأمراء والملوك فكانوا كبار ملاك والملك الصغير ملك (سمعى) ترك لنا فى نقش (حدقان) نصاً يحمل إقراراً بهبة قدمها للآله (تالب) ومنه نتبين ما تركه من ممتلكات سواء كانت ميراثاً أو شراء أو إيجاراً أو دخلا طالما منحته قبيلة (سمعى) هذه الممتلكات كما أن ملوك سبأ كانوا يهبونه ، لأسباب سياسية ، هذه الممتلكات كما وهبوا أجداده من جهة أبيه وهم ملوك مارب وقبيلة (سمعى) من قبل[٣] .

كذلك كان المرثديون (بكيل) مثل الهمدانيين (حاشد) الذين اعترفوا فى أول الأمر بسيادة ملوك سبأ يجب علينا اعتماداً على ما وصلنا من نقوش أن نعتبرهم من كبار الملاك . والأخيرون كانوا بصفة خاصة يعتمدون كثيراً على أملاكهم وعلى رجال (أدم) الذين كانوا خاضعين لهم كما نتبين ذلك من تاريخ سبأ . ومن بين أصحاب المصالح الحقيقيين أولئك الذين كانوا يستأجرون الأراضى[٤]. لذلك ليس من المستغرب أن تخرج من طبقة الأشراف طبقة الموظفين بأملاكها الواسعة ، وقد تبينا هذا من النقوش السبائية والقتبانية . ومن الأخيرة يتضح لنا كيف أن الأملاك تأصلت فى طبقة الموظفين[٥] .

ونستطيع أن نتبين طريقة استغلال الأراضى التى كانت ملكا للدولة السبائية عن طريق وثيقتين ففيهما نقرأ شيئاً عن قانون الضرائب[٦] فاستصلاح الأراضى

---

(١) جلازر ١٣٩٨ = ١٦٠٩ .
(٢) مجموعة النقوش الحامية ٣٩٧ .
(٣) Die Bodenwirtschaft, S 9 — 11
(٤) Die Bodenwirtschaft, S. 11 f
(٥) Studien II, S. 15 ff
(٦) جلازر ٩٠٤ و ١٥٧١ (هايفى ٥١) .

كان يتم على يد قبائل بإشراف السبائيين . أما تحصيل الأموال المقررة فكان ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

١ — ثمن الشراء (ش ء م ت)

٢ — أجر الأرض (ء ث و ب ت)

٣ — ضريبة الأرض للأغراض العسكرية (س ء و ل ت)

وجميع هذه الأموال كانت تحصل عادة من الدخل .

ولضمان تحصيل هذه الضرائب كان للدولة الحق فى الاستيلاء على المحصول إذا اقتضت الأحوال ذلك ، وذلك لأنها كانت تسعر المحصول فى الحقل أو على الشجر وكانت الدولة فى هذه الحالة تستولى على القدر الكافى لتسديد المال ، وتترك الباقى للفلاح . وكانت هذه الطريقة فى تحصيل أموال الدولة قاصرة على مثل هذا النوع من المحصولات أما فيما عدا هذا فكان الدفع نقداً خاصة مع الدقيق (طحنم) . ويطلقون عادة على الدفع نقداً (ورقم) ، وعلى الدفع بضاعة (دعتم) وعلى المحصول المستولى عليه (رزم) ولم يكن من حق الفلاح أن يقوم بعملية الحصاد أو الإشراف عليه بل كان كل ذلك يتم تحت إشراف الدولة وما يحصل عليه الفلاح ، وهو فى الواقع أجره . وكان يختلف من عام إلى آخر حسب المحصول وقد استتبع هذا النوع من الحياة قيام نظام اقتصادى حكومى دقيق فكان لا بد من توافر المخازن ورجال التجارة والمالية لتقدير أثمان المحصول وإن كان الفلاح فى هذه الحالة هو الشخص المغبون إذ كان يبدأ حياته بالاستدانة لسداد تكاليف حياته حتى يجنى ثمار تعبه .

وكانت الضرائب تقدر والمحصول لم يجمع بعد بخلاف الحال فى مصر حيث تقدر وتجبى بعد تخزين المحصول .

أما نسبة هذه الضرائب فلم يصلنا ما يعاوننا على معرفتها معرفة دقيقة وكل ما نعلمه عنها أنها كانت تجبى من القبيلة كوحدة وكانت تختلف الكمية باختلاف المحاصيل من حيث الكثرة ونوع الغلة . كما أن ضريبة الكم هذه التى كانت تفرض على القبيلة كانت توزع على الفلاحين بعد أخذ رأى مجلس الشورى وموافقة القبيلة ولما كان الفلاح مطالباً بالتزامات عسكرية أيضاً أصبح لزاماً على قانون الضرائب أن يبحث عمن يخلف الفلاح فى استثمار الأرض أثناء قيام الفلاح بواجباته العسكرية

وفى حق تمثيله فى الهيئات الاستشارية القبلية . فهنا كما هو الحال عند اليونان[١] فى قانونهم العام تنفذ قرارات الحاضرين على الغائبين . أما أدوات القتال التى كان يحتاج إليها المحارب السبأى فكانت تشترى من مبلغ يمنح له لا كمكافأة بل كعهدة[٢] .

وفيما يتصل باستعمار الأرض وأعمال الفلاحة فقد جاءتنا أخبارها عن طريق نقوش سبائية متأخرة ترجع إلى عهد حكم الأسرات ، وهى النقوش المعروفة باسم (وتف)[٣] . ومن هذه الوثائق تتبين كيف أن المعاهدات جمعت بين الأسرات والقبائل ، وجعلت منها جماعات مستقرة تعمل متحدة فى سبيل إغناء الدولة والقضاء على السلطات الداخلية . وقد كان هذا تطوراً سياسياً عظيما[٤] وبالرغم من أننا نقرأ أحياناً شيئاً عن الإهمال فى جباية الأموال إلا أننا نقرأ أيضاً كثيراً من الأخبار التى تتبين منها الحرص على وجوب العمل[٥] ، ومعاقبة المهملين الذين لا يصيبون أنفسهم بأضرار البطالة فحسب بل الاقتصاد القوى أيضاً . وقد جاءتنا هذه المعلومات فى دستور الأراضى القتبانية[٦] .

ومن هذه النقوش تتبين أيضاً تمعية اتباع الملك لسادة القبيلة فهم تابعون لآله القبيلة أو حاميها ، وذلك يؤيد اتصالهم القوى بالقبيلة[٧] . كما نجد أيضاً الجماعات الصغيرة مرتبطة بالقبيلة خاصة جماعة العمال أو التجار[٨] ، وهكذا نجد القبيلة تتكون من جماعات تتدرج حتى تبلغ السلطة الآلهية .

وإذا رجا الفلاحون أو الاسرات الآله أو الحامى منحهم محصولا جيداً

(١) San Nicolo, Agyptisches Vereinswesen II, 1, S. 96 ff

(٢) قارن شريعة حورابى مادة ٢٧ — ٢٩ ;

(٣) Die Bodenwirtschaft, S. 4 ff

(٤) المرجع السابق ص ١١ .

(٥) Studien II, S. 134

(٦) Studien II, S. 134

(٧) Bodenwirtschaft, S. 15

(٨) Bodenwirtschaft, S. 19

تقدموا له كثيراً من القرابين والهدايا والأعشار[١] فالالـه ليس فقط مانح المطر[٢] الذى تتوقف الأحوال الجوية للزراعة على رضائه أو غضبه كما يتأثر الملاح بالـه الطقس بل هو أيضاً الذى يمنح العربى عن طريق ذاكرته الدينية متعاوناً مع الالـه السامى (بعل) صفة الاستقرار . وقد يتفق نظام الزراعة فى بلاد العرب الجنوبية مع النظام القديم الذى نجده فى الدستور السبائى القديم خاصة هذه الصلة التى نجدها بين الـه الدولة والملك والشعب من ناحية ، وبين الدولة من ناحيـة أخرى خاصة نحن نعلم أن الملك كان يعتبر نفسه ممثلا للالـه كما كان يعتبر نفسه ابن الالـه[٣] . وفى نقوش قتبانية وسبائية تقرأ عن نظام المعبد الشبيه بالنظام الاقطاعى إلا أننا يجب أن نعتبر هذه النقوش[٤] نقوش قبائل وأصحابها ملوك يتوجهون إلى سيدهم الدنيوى وحاميهم . ويظهر أن نظام المعابد الإقطاعى ظل قائما دائماً . لـكن يتبين من النقوش المعينية أن المعينيين ظلوا دائماً معترفين بحق الالـه فى الدولة[٥] . وكان القتبانيون فى هذه الظاهرة أقرب إلى المعينيين من سبأ خاصة فيما يتصل بالسلطان على الأرض .

وحيث توجد أراضى المعبد توجد قبيلة متصلة به أو بالله ومثل هذه الأخبار نجدها فى النقوش السبائية والقتبانية[٦] . وإلى جانب الأسر التابعة نجد سادة العشائر يتعاونون فى استغلال أرض المعبد وعليهم تسوى أيضاً أحـكام معاهدة (ويف) فيما يتعلق بأرض المعبد[٧] . أما الذين يستغلون الأراضى فالرغم من أنهم اشتروا هذه الأراضى من ملاكها الأولين إلا أنهم يرتبطون بالمعبد ارتباطاً قويا إذ أنهم عن طريق المعبد يحصلون على امتيازات خاصة عند استئجار هذه

(١) Kataban. Texte I, S. 144

(٢) المرجع السابق .

(٣) » »

(٤) » »

(٥) » »

(٦) » »

(٧) Die Bodenwirtschaft, S 21

الأراضي واستغلالها[1]. وقد وجدت في أراضي قبيلة (بكيل) أملاك متسعة لمعابد مختلفة للآلـه (المقه) وكانت تدرها عشيرة (مرثد) كما أن العلاقة التجارية كانت قائمة بين هذه القبائل[2] ، ويظهر أن المعابد السبائية ، وكذلك القتبانية كانت مراكز تجارية هامة إذ أنها كانت إلى جانب المحافظة على بيوت الله ، وعلى القيام بالنفقات الضرورية لمعيشة رجال الدين تقدم نشاطها الاقتصادي محافظة على نظم المعابد الاقطاعية . أما جمع المحاصيل في المعابد القتبانية فكان خاضعاً لنفس النظام الذي نجده عند السبائيين[3] .

وكانت المعابد تتمتع بحق التصرف[4] ، ولو حدث واستأجر اثنان أخ وأخته أراضي المعبد واستدان الشخصان من شخصين آخرين في سبيل الانفاق على استغلال أراضي المعبد وجب عليهما أن يحررا عقداً بهذا الدين حتى ولو كان الدائنان تابعين للمدينين أو بين الطرفين معاملات مالية . ومن ثم نرى كيف أن الدين ينتقل إلى أخ بعد أخيه . ولو أننا لا نعرف سبب هذا التطور في التشريع ، وإن كنا قد عثرنا على مايؤيده في نقش محفوظ على نصب وجد في معبد المقه في صرواح فعلى هذا النصب نقرأ خبر الدين ، وإن كنا لا نتبين الإيصال الخاص بهذا الدين ، وذلك لأن الوثيقة ليست ممهورة بإمضاء المدين وهي مكتوبة بواسطة الدائن فقط . إلا أن عرضها في معبد الآلـه المالك لهذه الأرض يجعلنا نرجح أن الدائن تقدم هناك بوثيقة ممهورة بإمضائه وعرضها في المعبد يكسبها قوة اليقين[5] .

وفي عاصمة الدولة القتبانية تتركز إدارة المعبد ، ومن هنا استطاعت هذه الادارة أن تترك أثراً بعيداً في استغلال أراضي الدولة كما استطاعت أن تنجح في الحصول على جزء من دخل الأراضي هناك . وقد اكتسبت إدارة المعبد هذا الحق عن طريق سلطان الدولة التي رغبت صادقة في مجاملة المراكز الدينية وتثبيتاً لهذه المجاملة شرعت التشريعات الخاصة[6] . ومن الاطلاع على هذه

---

(١) Studien II, S. 136

(٢) Die Bodenwirtschaft S. 22 f

(٣) Katab. Texte II, S. 28 ff

(٤) A. Steinwenter, Beiträgezum öffentlichen... 1915

(٥) Die Bodenwirtschaft S. 22

(٦) Katab. Texte I, II, S. 95 ff

القوانين والمواد الواردة فيها الخاصة بالضرائب تتبين أن الدوافع إلى تشريعها أنظمة المعبد والمبادلات الاقتصادية بين الدولة والمعبد . وقد ساعد نظام المعبد على احتضان بعض الأراضي وامتلاكها . فمثل إدارة المعبد كمثل القبيلة التي كانت تدير أملاكها تحت اشراف (كبير) وكانت القبيلة مطالبة بدفع ضريبة المعبد وقدرها عشر الدخل والميراث والمشتريات إلى جانب ضريبة أخرى تسدد للمعبد وكانت في الأصل تقدم له كهبة . وهذا يجعلنا نميل إلى أن إدارة كانت هي التي تتولى الوساطة بين أملاك الدولة وبين ثروة المعبد من حيث التجارة وغيرها . وكان أفراد طائفة المعبد يسمون لأسباب رسمية (المطعمون على يد — عم —) (كبير آلهة القتبانيين) ونفس هذا اللقب نجده أيضاً عند بعض رجال الدين من القتبانيين[1] . وخلع هـذا اللقب عليهم لم يأتهم عن طريق اتصالهم بالله . فهذا الاتصال أطلق عليهم لقب (نبي) و (حوكم م) بل عن طريق تصور كبير رجال الدين عند القتبانيين . فهو الشخص الذى فوضه الله إدارة أراضيه الدنيوية سواء من الناحية الاستغلالية أو الاقتصادية[2] لذلك قامت الجماعة الخاصة المعروفة باسم (المطعمون من الله) وهي جماعة خاصة بالمعبد ، وأنها تعيش على نفقة الدولة مما جعلها في مركز يساعدها على المطالبة بالأراضي للمعبد والمطالبة أيضاً بالدخل بدعوى أن هذا الدخل لله سيد الأرض .

* * *

فالأنظمة الاقتصادية والتجارية والضرورات الدافعة إلى التوسع نتيجة لموقع البلاد وطبيعة الأراضي ، وقد أدت إلى قيام الدول العربية الجنوبية التي قضى عليها الأجنبي فيما بعد . تلك هي القوى غـير الظاهرة التي عملت عملها إلى جانب الشخصيات التاريخية التي نجدها كالفاتح السبائي ، وأمـير نقش صرواح والهمدانيين ، فقد ساعدوا على تحقيق هذه القوى وتلك الأطماع . أما فيما يتصل بتاريخ الثقافات السامية ، خاصة فيما يتعلق بالقانون والعادات والدستور والادارة فما زلنا نقرأ عنها على الأحجار القديمة ، ونستطيع أن نـكتسب منها صورة واضحة .

---

(١) جلازر ١٤١٠ .

(٢) أنظر ما قبل .

الفصل الرابع

الناحية الأثرية لبلاد العرب الجنوبية

بقلم

الأستاذ أدولف جرومان

بلاد العرب الجنوبية هى أرض الغرائب فالجغرافى والأثرى العربى أبو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب الهمدانى (المتوفى عام ٩٤٥م فى صنعاء) أفرد كتاباً لقلاع ومدافن اليمن . وهذا الكتاب يكون المجلد الثامن من كتابه الأكليل [١]، ويشتمل كتابه على كثير من المعلومات الهامة التى لا يمكن الاستغناء عنها ، وذلك لأن كثيراً من المبانى التى تعرض لها كانت ما زالت قائمة حتى وقت تأليف كتابه . فمعابد وقصور السبائيين والمعينيين كانت قائمة فى ذلك العصر شاهدة على عظمة الماضى ، وقوة سلطان ، وجبروت آلهة بلاد العرب السعيدة . وكانت هذه الآثار للشعراء والعلماء آية العظمة ورمز الحضارة البائدة التى كانوا يفخرون بالإشادة بها .

واليوم نجد أكثر هذه الأبنية على أنقاضها خاوية ، وقد غطتها تلال الرمال أو الأبنية المستحدثة . والآن لن نستطيع أن نتبينها إلا بإزالة هذه الأكوام عنها كما هو الحال فى بابل وآشور ، ومصر . وقد كشف لنا الحفر عن حضارة قيمة تبيناها عن طريق أمثال (جلازر) و (هليفى) و (بنت) فبفضل هؤلاء وغيرهم نتبين أهمية الحضارة العربية الجنوبية وقيمتها بالنسبة للحضارات السامية عامة . وقد استطاعت البعثة الألمانية لأكسوم أن تكشف لنا تحت إشراف (أنو ليتمان) [١] عن كثير من الأشياء وشوقت العلماء إلى الآمال الجسام التى تنتظر العالم عند ما تتاح الفرصة للعلماء ويكشفون عن كنوز الوطن الأصلى لهذه

---

(١) D. H. Müller, Südarabische Studien

القبائل التى استعمرت البلاد ، والتى عرفت بإسم بلاد الحبشة . وكان ذلك فيما بين القرنين الخامس والثانى ق . م .

أما الشيء الذى نستطيع الحديث عنه هنا فهو إعطاء فكرة عامة عن الحالة الأثرية لتلك البلاد، وهذه الفكرة العامة قد تجمعت لنا عن طريق الآثار والتقارير التى جاءنا بها الرحالة(٢) . إلا أن هـــذا لا يمنع من أن هناك بعض الأسئلة التى خطرت لنا عند تأليف هذا البحث ، ولا يمكن إجابتها ، وذلك بسبب عدم توفر المادة التى يعتمد عليها لذلك أصبحت الحالة ملحة إلى وجوب إرسال بعثة جديدة إلى بلاد العرب السعيدة لنحقق رسالة جديدة تتصـل إتصالاً جوهرياً بالحالة الأثرية لبلاد العرب الجنوبية.

العمـــارة

إن فن العمارة عند شعب من الشعوب تتحكم فيه عادة مادة البناء التى تجود بها طبيعة البلاد ، والتى تعاون على إقامة دعائم فن العمارة . فإذا نظرنا إلى بلاد العرب الجنوبية وجدنا طبيعتها سخية جـداً بالأحجار خاصة الجرانيت والجبس والأحجار الجيرية والبازلت(٣) . ومن هنا ندرك السر فى تقدم العمارة هناك ، وكيف استطاع العربى الجنوبى إقامة جلاميد صخرية من قطعة واحـدة . فلولا وجود هذه المواد ما استطاع العربى الجنوبى أن يشيد هذه الأبنية الخالدة المكونة من طابق فوقه طابق وأكثر حتى بلغت فى ارتفاعها الأبراج . وأدركت هذه الأبنية أوجها فى أبنية النصب التى نجدها فى أكسوم . كما أن وفرة الرخام بأنواعه عاون المهندس المعمارى على أقامة الأعمدة ، والنحات على تحقيق سائر أغراضه . وإلى جانب الأحجار بأنواعها نجد الغابات الواسعة التى قدمت للعمارة الأخشاب اللازمة . ونحن نقرأ فى النقوش ، وفى أكليل الهمدانى(٤) .أن بلاد العرب

---

(١) Deutsche Aksum-Expedition Bd. II

(٢) يشكر المؤلف مجمع فيما العلمى لسماحه للمؤلف بالاستفادة مما فى حوزته .

(٣) A. Grohmann, Südarabien als Wirtschaftsgebiet Wien 1922

(٤) N. Rhodokanakis, Studien

الجنوبية عرفت فيا يرجح نظاما للبناء قريباً جداً من النظام الذى يستغل الخشب فى البناء فى بلاد أثيوبيا القديمة كما تشير المصادر ذاتها إلى استخدام العربى الجنوبى للطوب مع الحجر فى العمارة أيضاً[١] . وقد استعيض عن الفن الأول من فنون العمارة بالحجر فى أقامة النصب الشاهقة القائمة بأكسوم كما أن فكرة المصاطب التى نجدها فى رؤوس الأعمدة والسطوح تذكرنا بفن البناء بالأحجار الذى نجده فى العصور القديمة جداً فى بلاد بابل . كما عثر أيضاً فى البلاد الأثيوبية القديمة على بعض المبانى المشيدة بالطوب [٢] .

أما المبانى العربية الجنوبية ، فقد استكملت تطورها المعارى فالصخور الرخامية الكبيرة كانت تنحت نحتا منتظما ، ويبنى بها بطريقة لا نكاد نتبين منها تمدد الأحجار[٣] وإرسائها إلى جانب بعضها ، وكانت تتماسك عن طريق بعض الأوتاد الرصاصية التى كانت تربط المداميك عن طريق ثقوب كما لاحظ ذلك (جلازر) فى سد مأرب[٤] وكما يرجح وجود هذه الطريقة أيضاً فى برج غمدان[٥] . وكانت الأعمدة تربط بقواعدها والأجزاء البارزة منها أعنى هذه الأجزاء التى تشبه الأفاريز عن طريق أوتاد مربعة بقدر الحاجة[٦] كما كان يصب الرصاص إمعانا فى تدعيم البناء وتثبيته[٧] . أما الحيطان فكانت غير عمودية وكانت تميل إلى الانحراف لحد ما ، ولعل الغرض من هذا هو الاتجاه بالأحجار إلى خلف الحائط كلما ارتفعنا بالحائط إلى أعلى . وهذا مشاهد فى معبد (يحا) وخزانات عدن . وقد يكون الغرض من طريقة البناء هذه الرغبة فى الاحتفاظ بصلابة الحجر ومتانته . إذ أن الأحجار العمودية أسهل تحطيما من غيرها ، ويؤيد هذا مشاهدة المصاطب

---

(١) N. Rhodokanakis, Studien

(٢) Deutsche Aksum-Expedition II, S. 104 ff

(٣) Journal Asiatique VI

(٤) E Glaser's Reise nach Mârib

(٥) E. Glaser's Reise nach Mârib

(٦) D. H. Müller, Burgen und Schlosser II, S. 960

المصرية (نقب الحجر والقابر) . وخصائص برج غمدان أن جهاته الأربع مكونة من أحجار ذات ألوان مختلفة متنوعة فجهة من حجر أبيض ، وثانية من حجر أسود ، وثالثة من الحجر الأخضر ، والرابعة من الحجر الأحمر[١] . وكان العربى الجنوبى يهتم بصفة خاصة إلى جانب أجادة العمل بالزخرفة ، خاصة زخرفة الأسقف والحيطان والأبواب . إذ كان يمعن فى زخرفتها بالسن والذهب والفضة والأحجار الكريمة . أما الأعمدة فكان يزخرفها بصفائح الذهب والفضة[٢] ، ولا يقل البابلى فى هذه الخاصية عن العربى الجنوبى خاصة فيما يتصل بالمعابد .

ويمتاز المعمار العربى الجنوبى فى مجموعه بطابعه الخاص ســـواء فى الأبنية أو الأعمدة والأركان العليا للأعمدة التى كانت ترتفع مسافة تتراوح بين ٥ و ٤ — ٩ أمتار . وكانت على هيئة مربعة أو زوايا مستقيمة بدون زخرفة ، ولو أننا نجد على بعضها أحيانا بعض الكتابات (عمايد وحرم بلقيس وكساسى[٣] فى بلاد الحبشة) . وتذكرنا هذه الأركان بتلك التى نجدها فى معبد الأموات لخفرن بالقرب من الأهرام وقد تطورت هذه إلى الرؤوس المربعة للأعمدة . وقد رأى (جلازر) هذا النوع من الأعمدة فى ميدان مآرب القديمة فالناحيتان (ا) و (ب) تحملان نقشى (جلازر ٤٦٤ و٤٦٥) وقد شاهد (بنت[٤]) شكلا مغايراً فى خرائب معبد (البلد) و (رباط) فى ظفار . وهذه تذكره بالأعمدة القائمة فى عدولية وأكسوم و (كولوى) وكانت تمم بعض الأعمدة مزخرفة بالحرفين السبائيين (٥) و(X) وأخرى مزخرفة بزهرة (الزنبق) وأزهار أخرى وعن هذا النوع من الأعمدة تطور النوع ذو الثمانية أضلاع الذى نشاهده فى المعبد الوانع غير صرواح كما نجد هذا النوع أيضاً فى عدولية[٥] حيث نرى على

---

(١) D. H. Müller, Burgen uud Schlœsser II, S. 960

(٢) Agatharchides, De mari Erythraeo

(٣) B. Meissner, Babylonien und Assyrien I

(٤) Deutsche Aksum-Expedition II, S. 143 f

(٥) Southern Arabia 1900

جوانب العمود رسم شباك . وهناك عمود غريب شاهده (جلازر[١]) فى (حاز) .

وعن هذا النوع المثمن الأضلاع نشأ نوع آخر ذو ستة عشرة ضلعاً ، وقد شاهده (جلازر) فى مدينة تلقم ، وتتكون الرؤوس المدرجة لهذه الأعمدة عادة من ست درجات هى عبـــارة عن صفائح اسطوانية ثلاث منها مستوية وأخرى ذات ستة عشرة ضلعاً . وهذا النوع ليس قاصراً على بلاد العرب الجنوبية بل نجده فى بلاد الحبشة القديمة أيضاً . وقد ورثت هذا النوع من البناء عن العرب الجنوبيين[٢] وقد شاهد (جلازر[٣]) عموداً ذا قمة كورنثية ، وهو مثمن الأضلاع ، ويقوم فى مسجد (منقط) بالقرب من (يريم) ، وهو يؤيد وجود فنان يونانى فى بلاد العرب السعيدة . ولا شك فى أن موطن هذا العمود هو مدينة ظفار الواقعة بالقرب من منقط . وظفار هذه هى عاصمة الدولة الحميرية حيث أسس (ثيوفيلوس) حوالى عام ٣٥٤ م كنيسة[٤] وفى عام ٣٥٦م أصبحت ظفار مركزاً لأسقفية كانت تشرف على نجران و (هرمز) (وكانت بها كنيسة) وسقطرة . وفى المسجد عينه أعنى مسجد منقط توجد إلى جانب هذه الأعمدة الكورنثية قطع أخرى أثرية عليها الصلبان ، والشبابيك ، والكتابات الحبشية (جلازر ٣٨٧ و ٣٨٨ فالكنيسة كانت قائمة تباشر وظيفتها فى عصر السيادة الحبشية (٥٢٥ — ٥٧٠ م) .

والآن ننتقل إلى تخطيط المعبد عند العرب الجنوبيين ، فقد أجريت حفائر حول معبد واحد فقط ، وهـذا هو معبد (يحا) فى بلاد الحبشة . وقد جاءنا (جلازر) بتخطيط معبد صرواح بالقرب من (اتفا) وحرم بلقيس بالقرب من (مأرب) . كما قدم لنا وصفاً لا بأس به ، واكتفى (بنت) و (هليفى) بوصف

---

(١) Deutsche Aksum Exp. II

(٢) Archäologische Forschungen in Jemen 1883

(٣) Geograpische Forschungen in Jemen 1882 — 3

(٤) Deutsche Aksum-Expedition II, S. 101 ff

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تقريبي للخرائب العربية الجنوبية التى شاهدها هناك دون الاهتمام بالناحية الأثرية[١] .

وعلى مسافة مسيرة خمسين دقيقة من جنوب شرق مآرب الحالية يقع على بعد خمسة كيلو مترات تقريباً المعبد السبائى القديم للآله (القه اوم) والذى يطلق عليه العرب اسم (حرم بلقيس[٢]) وهو بناء[٣] يبلغ طوله نحو ٦ و ٨٦ م ويمتد من الشمال الغربى إلى الجنوب الشرق . والحائط يبلغ سمكه نحو ٣ و ٣ م ، ويمتد هذا الحائط من الشمال الشرق إلى الجنوب الغربى وطوله ٦ و ٧٦ م ، وهو يتكون من مربعات صغيرة منتظمة جميلة ومن الناحية الشرقية نجد هذا الحائط يتكون من ٣١ صفا ويبلغ ارتفاعه نحو ٥ و ٩ م . وينتهى الحائط عادة بإفريزين يتكونان من مربعات بينها فراغ يجعل الحـائط ينتهى بشكل يشبه المناج ، وهو يذكرنا بالرسم الذى عثر عليه (بنت) فى (يحـا) والرسم السبائى ، أما المربعات التى تشاهد تحت الأفريز الأسفل فتكون حلية جميلة للحائط . كما أن المربعات ١٠ — ١٥ سم بعيدة عن بعضها حتى أنهـا تكون فتحات للهواء وهـــذه الزخرفة عينها فى الحيطان نشاهدها أيضاً فى معبد (يحا) خاصة . فالأفريز ما زال فى بعض الجهات خاصة فى الجهة الشرقية ظاهراً . ولا يوجد أى أثر لسقف ، ولو أن احتمال وجود سقف ليس بمستبعد لأن إضاءة الفناء قد تتم عن طريق فتحة فى السقف كما لا توجد فتحات لنوافذ . وفى الحائط بابان كبيران إلا أن أحدهما أكبر من الآخر . فالكبير (ا) يقع فى نهاية الجهة الشمالية الشرقية والآخر (ب) فى الجهة الشمالية الغربية . وفى وسط البناء كانت تقوم الأعمدة وما زلنا نجـد أربعة منها فى الجهة الشمالية الشرقية ، وكانت فى الأصل أعمدة أكثر . وذلك لأن المدخل الرئيسى (ا) كان مكونا فى الأصل من عدة أعمدة وفى الجهة الشمالية الشرقية من هذا المدخل نجد على بعد ٣٢ خطوة

---

(١) Tagebuch VIII, Bl. 5

(٢) Philostorgios, Historia Ecclesiastica III, 4

(٣) أنظر ما قبل .

ثمانية أعمدة منتشرة على امتداد خط من الجنوب الشرقى إلى الشمال الغربى وهى ملساء ويبلغ ارتفاعها نحو ٤٫٥ متراً وليست لها رؤوس إلا أنها تنتهى بشكل مخروطى . وفى الجهة الجنوبية الشرقية للحرم نجد أربعة أعمدة تتجه من الغرب إلى الشرق ومن الجنوب إلى الشمال وقد تكون هذه الأعمدة فى الأصل قواعد لبلدشين لعرش من العروش قد يشبه عرش الملك الأكسومى[١] . أما الباب الصغير للحرم (ب) فيقابل معبد مدينة مريب القديمة ويقوم مقامه الآن المسجد المعروف باسم مسجد سليمان وفى الجهة الشرقية لهذا المسجد نجد سبعة أعمدة من أعمدة المعبد القديم ، وهى من نوع وارتفاع أعمدة حرم بلقيس[٢] وفى الجهة الجنوبية للحائط القديم للمدينة تمتد قنطرة على نهر (ضنه) وتصل الحرم وما زالت بقاياها قائمة . وفى اتجاه الباب الكبير أعنى على امتداد جناح المعبد من جهة الشمال الشرقى توجد على بعد ٣ كم خرائب مكراب ، ويرجح أن تحتها كان يوجد معبد . وفى الجهة المقابلة لها أعنى الشمالية الغربية تقوم خمسة أعمدة يبلغ ارتفاع كل ما بين ٨ إلى ٩ أمتار ، وعرض الواحد ٨٢ سم وسمكه ٦١ سم . وهى أعمدة مربعة قائمة الزوايا وإلى جانبها بقايا عمودين فى نفس الشارع وهى (عمايد)[٣] بلقيس ويعتقد (جلازر) أنها أعمدة بدون رؤوس ، وهى تشبه أعمدة الحرم وفى الجهة الجنوبية الغربية منها وعلى بعد ٨٠٠ متر من الجهة الشرقية من الجنوب الشرقى من خرائب (المروط) توجد أربعة أعمدة أخرى ، وقد تكون هذه بقايا معبد كما أنها تتجه من الشرق إلى الغرب . وفى نفس الاتجاه نجد بناء يقع فى الجهة الجنوبية الغربية خارج حائط المدينة القديمة وهذا البناء يتكون من جزءين وقد شيده المكرب (ضمر على وبر) . وتقريباً على بعد ٣٠٠ خطوة فى الجهة الغربية من الشمال الغربى منه توجد خرابة رسم (جلازر) رسماً

---

(١) Glaser, Reise nach Marib, S. 43 — 45

(٢) J. Halévy, Rapport sur une mission archéologique

(٣) Deutsche Aksum-Exped. II, S. 63

تخطيطياً لحائطين لها . وعلى بقايا الحائط الشمالى الشرقى نجد قاعدة تمثال وقد يوجد هناك مكان مقدس (١) .

ويوجد نوع آخر من البناء نتبينه فى بقايا معبد (يحا) فى الحبشة وصرواح فى بلاد أرحب شمال شرق ناعط وغرب جبل (اتفا) . ومعبد (يحـا) (٢) . يقع على بعد ٥ ساعات شمال شرق عدوه وعلى ارتفاع ٢٠٠ و٢ م فوق سطح البحر على تل صغير ، وإلى جانبه كنيسة حديثة البناء . أما السطح الخارجى الأملس المستقيم الأركان فعبارة عن ٦٦ و ١٨ و ٢٠ و ١٥ م والجهة التى فيها الباب نجد الحائط مسقوفا ، وبذلك يتغير منظر الحائط وتوجـد كوة عرضها ٤٠ و ٥ م وعمقها ٧٢ و م . وفى بناء المعبد نلاحظ بناء منخفضا فوقه دور أول وعليه دور آخر ، وحيث ينتهى باب الدور الأرضى يبـدأ الدور الذى فوقه . أما من الخارج فعلى عكس الحائط الأملس فهو هنا مبنى فى شىء من التدرج حيث نجد كل درجة تبرز عن التى تحتها بمقدار ١,٥ سم وهكذا نستطيع رؤية سبع درجات . وفى مستوى ارتفاع الدور الأرضى يأخذ السلم فى الارتفاع . أما حائط الدور الأسفل فيعلو حتى يبلغ المدماك الحجرى ٢٣ وهو فوق الأرض ، وهنا يبدأ حائط الدور النهائى مع ملاحظة أنه ينحرف إلى الخلف نحو ٢٠ سم ، وعندما يبلغ الحائط المدماك ٤٤/٤٥ نلاحظ وجود بقايا أعلى الحائط حيث ينتهى عادة بما يشبه التيجان . وفى الحائط الثانى نجد بعض النوافذ ، وفى الحائط الشمالى نجد فى الوسط مستودع مياه ، وفى المدماك ٢٧ . فى الدور الثانى نجـد بقايا شباكين مرتفعين فى الجبهة الغربية . أما جانبا الباب فقد تحطما ، ولا يمكن الاستدلال على عرض الباب . وفى فتحة الباب نجد فى الجانبين حفرة عرضها ٤٥ سم وعمقها ٦ سم ، وعند كل أربعة مداميك نجد ثقباً وذلك لتثبيت برواز الباب أو لزخرفة ما .

وهناك تصميم وضع اعتماداً على بقايا عثر عليها فى الحيطان الأربعة . أما الأرضية ففى وسط الحائط الخلفى وهى على ارتفاع ٢٠ سم فوق أرضية الدور الأسفل .

---

(١) Journal Asiatique VI, serie

(٢) Deutsche Aksum-Exped. II, S. 71 ff

ويظهر من غرفة جانبية أنه كان بها سلم خشبي . أما الحائط الشرقي فقد تهمته نيران .

أما الحائط الخارجي مع استثناء الجانب الغربي فلا يشتمل على شباك ما، ومن هنا نستنتج أن البناء كان يحتوى على مسقط نور علوى على المنظرة المكشوفة ، وكانت تبتلع المياه التي نجدها في الناحية الشمالية . والزخرفة الموجودة في أعلى الحائط الخارجي هي في الوقت نفسه زخرفة للحائط ، وهى تشبه منظر الأسنان وقد يظن أن على السطح كانت أماكن المياه أيضاً كما قد يفهم هذا من نبع المياه الموجود في الأرض .

أما خصائص فن المعمار السبائي فإننا لا نتبينه من خصائصه فحسب ، بل من الكتابات الموجودة عليه أيضاً وهذه الكتابات قد ترجع إلى القرن الخامس ق م وفي العهد المسيحي خضع هذا المعبد لتغييرين ، والآن عوضا عن المعبد نجد كنيسة صغيرة .

ومعبد صرواح[1] عبارة عن بنـــاء قائم الزوايا ويمتد من جهة الطول من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي . أما الحائط الخارجي فسمكه ٢ و ١ متر ، وهو مشيد من مرمر أبيض منحوت نحتاً جميلا لكن لم يبق من ارتفاعه إلا مقدار يتراوح بين متر ومتر ونصف متر كما أن بعض أجزاء الحائط قد انهار . أما طول هـذا المعبد فيبلغ نحو ٢٧ خطوة بينما يبلغ طول الجانبين الضيقين ١٩ خطوة للجانب الواحد . وفي الحائط الجنوبي نجد في الجهة الخارجية كوة عرضها ١و٤٥ متر وهى تقابل كوة أخرى أضيق منها موجودة في الجهة الداخلية في الحائط الشمالي . ويوجد في الجانبين الطويلين للمعبـــد مكانان لبابين يختلفان في الارتفاع والعرض . فإحدهما وهو واقع في الحائط الغربي عرضه متر والآخر في الحائط الشرقي وعرضه ١و٤٥ متر . أما الفراغ الذى تحيط به الحائط فقسم والجزء الأعلى تحتله مجموعة من الأعمدة يحيط بها حائط وهذا يقع

(١) E. Glasers . Originalbericht siner Reise nach Zafār 1

تماما عند الكوة الموجودة فى الحائط ويبلغ عرض هذا الجزء ضعف عرض العمق الذى يشبه كوة . أما الجزء الآخر للفراغ الداخلى فيشتمل على حوض المياه المحاط بأعمدة وما زالت هذه الأعمدة قائمة حتى اليوم . ولو أن التلف أصابها مع استثناء عمودين من الأعمدة ذوات الستة عشر ضلعا التى سبق الحديث عنها وارتفاع كل منهما ٥ و ٣ متر أما بقية الأعمدة فناقصة وهى فى مجموعها مثمنة ويقع المعبد فى وسط حقل من الخرائب على تل يعرف باسم (حجر ارحب) . أما المدينة القديمة فيعتقد (جلازر) أنها تقع فى غرب المعبد .

أما التصميم الذى جاء به (جلازر) فهام جداً فالأماكن المحاطة بحائط وبها أعمدة يرجح أنها عبارة عن غرفة وكان لها سقف تطل منه فتحة لإرسال النور إلى حوض المياه حيث يرجح أن هذه الغرفة كانت ضرورية للغسل الدينى . والشيء الجدير بالملاحظة أن (جلازر) لم يعثر لهذه الغرفة على مدخل . أما وضع الأعمدة فلا يدل على مراعاة نظام خاص أو تناسق ما ، وما رسمه (جلازر) من أعمدة قليل طبعاً ، وهى عبارة عن الأعمدة التى كانت قائمة فقط إلا أننا نفترض عدداً من الأعمدة يتراوح بين ١٠ أو ١٢ عموداً وحوالى ١٢ عموداً أيضاً فى موضع آخر والجدير بالملاحظة أيضاً هذه الكوات الموجودة فى خارج الحائط وداخله هذا الحائط المحيط بالبناء . وهذا يذكرنا ولا شك بفكرة المحراب فى المساجد وخاصة إذا كنا نعلم أن المحراب يقوم عادة فى جهة القبلة كما أنه فى هذه الجهة عادة لا يوجد باب فقد توجد علاقة بين هذين النظامين من البناء أعنى بين المعبد والمسجد لكن حتى الآن لا يمكن إثباته . والكوة تستخدم للمعبد أو الأصنام .

حتى الآن عرضنا للناحية الهندسية خاصة القائمة الزوايا فى المعمار العربى الجنوبى والآن نعرض لمذبح سبائى لتقديم المحرقات ويبلغ طوله ٧٥ سم وعرضه ٥٥ سم ومنه نتبين أن العرب الجنوبيين الأقدمين كانوا يستخدمون إلى جانب الحيطان المستوية البسيطة نوعا آخر منها وهو المكون من أجزاء بارزة وأخرى غائرة . فهذا المذبح الصغير يمثل قصراً من الحجر أو معبداً

مربعا ذا زوايا قائمة . والحيطان من هذا النوع الذى نجده عادة فى بلاد العرب الجنوبية القديمة التى شاهدناها فى معبد (يحا) وخرائب نقب الحجر ومقابر حضرموت . أما الطابق الأعلى لهذا المذبح فيطلعنا على نوع من المحاريب التى تشبه النوافذ بينما هى فى الطابق الأول مقسمة . وهذا النوع من البناء نجده فى المبانى الأثيوبية القديمة التى نجدها فى بلاد الحبشة خاصة فى المبانى العظيمة الموجودة فى اكسوم[١] وتبين فى وضوح هذه المبانى الحجرية كيف أصبحت تبنى بالخشب كما هو الحال أيضاً فى بلاد العرب الجنوبية كما سبق لنا أن رأينا هذا من قبل .

وتتبين زخرفة الحيطان أيضاً من لوحة بارزة محفوظة فى المتحف العثمانى وهى لوحة سبائية عرضها ٩٩ سم وارتفاعها ٥و٦٦ سم ، وهـذه اللوحة المحفوظة الآن فى المتحف باستنبول تمثل بناء[٢] وفيهـا نتبين كيف أن الحائط عبارة عن أعمدة قائمة . ومن ثم تقسم إلى حقول صغيرة ضيقة وقد قسمت بحيث تصبح الحائط عبارة عن ثلاثة تقريباً تنتهى كل واحدة ببرج . أما جوانب اللوحة فكانت أيضاً محدودة بأبراج كما يتبين لنا فى الجانب الأيسر . ونجد أن سائر هذه الأجزاء المقسمة إليها الحائط تنتهى بإفريز به بعض المنخفضات التى تشبه النوافذ . كما تنتهى الأبراج عادة بما يشبه قرنى ثور . وهـذه اللوحة تترك الأثر كما لو أن هذا البناء يجب أن يتم ويشيد بالطوب ، والذى كان مادة بناء هناك أيضاً ، كما رأينا ذلك من قبل . وهذا النوع من البناء يذكرنا عادة بما نجده فى فن المعمار البابلى حيث نجد زخرفة الحيطان تقوم على هذا النوع من المحاريب خاصة فى الأبنية المشيدة من الطوب كما هو مشاهد فى واجهة قصر وسواس[٣] حيث نجد ما يشبه هذا القصر فى تابوت (ميكرينوس) فى الجيزة ، وفى نصب (سيتو) (الأسرة الرابعة) بسقاره . وهذا النوع أيضاً نجده فى مصر فى النصب الذى يمثل قصراً للملك الثعبان فى ابيدوس[٤] .

---

(١) Deutsche Aksum-Exp. II, S. 100

(٢) Deutsche Aksum-Exp. II, S. 18, 29

(٣) Mitteilungen d. Deutschen Orientgesellschaft (1913)

(٤) J. Capart, L'art égyptien I, 1922

وغير هذا النوع من الفن السبأى الذى نشاهده فى الآثار نجد لوحتين أخريين إحداهما عثر عليها (بنت) فى (يحا) ببلاد الحبشة[1] والأخرى (جلازر نقش ١٣٣) فى خرابة مدينة الكفار بالقرب من عمران . وقد عثر عليها جلازر[2] وفى اللوحة الأولى تتبين فى الحائط ثلاثة حقول وفيها نوافذ ، وبعض أنواع الحفر وثلاث حفر أما اللوحة الأخرى فطولها ٧٠ سم وعرضها ٥٥ سم ، وهى قطعة من الحجر ، ويقسم سطحها إلى ثلاثة حقول وبعض الحفر الطولية . وفى الجانبين نجد حقلا كزخرفة . وبين الحقول نجد حرفا محفوراً .

وفيما يتعلق بالأبراج فقد وصـــلنا وصف لبرج نقب الحجر عن طريق (ولستد[3]) وقد زارت بعثة أكاديمية العلوم بفينا الخرابة عام ١٨٩٩ وصورت الخرائب الرئيسية لهذا البرج وقد نشرها المؤلف هنا . أما البناء الواقع فى الجهة اليمنى فيحيط به حائط يتراوح ارتفاعه بين ٣٠ و ٤٠ قدما ، وقد أضيفت إلى ارتفاعه أبراج مربعة . وللبناء مدخلان متقابلان أحدهما شمالى والآخر جنوبى وعلى جانب كل مدخل برج طوله ١٤ قدما . وبين الأبراج توجد هضبة تبلغ نحو ٢٠ قدما ارتفاعا وتمتد هذه الهضبة نحو ١٨ قدما خارج وداخل الحـائط . أما المدخل الجنوبى فتهـدم والشمالى فيكاد يكون سليما أما سمك الحائط فيبلغ فى جزئها الأسفل ١٠ أقدام والأعلى ٤ أقدام ونستطيع أن نتبين تقوس الحـائط وعند المدخل الجنوبى نجد فى مستوى الهضبة منظرة طولها ٥٠ ذراعا وعرضها ٤ أقدام يحدها من الخارج الحائط الرئيسى ومن الداخل بنـــاء آخر ، وفى داخل الحائط الخارجى يقوم بناء مربع تتجه حيطانه نحو الجهات الأربع وطوله جهة الجنوب والشمال ٢٧ ذراعا ومن الجهة الشرقية ١٧ ذراعاً .والحائط مبنى من مربعات متداخلة ، حاول (ولستد) عبثاً إدخال سلاح سكين صغير للجيب

(١) Th Bent, The Sacred City of the Ethiopiams 1893

(٢) E. Glaser, Archäologische Forschungen in Jemen, 1883

(٣) J. R Wellsted's Reisen in Arabien 1842

بينهما فلم ينجح . أما الداخل فقـــد سقط فيه السقف فطمسه . وبين المدخلين الموجودين فى الحائط الخارجى يوجد صهريج مياه قطره ١٠ أقدام وعمقه ٦٠ قدما .

وقد تنبه (ولستد) إلى أوجه الشبه بين هذا النوع من البناء وبين المبانى المصرية من حيث تقوس الحيطان، ونوع المداخل والسطوح والقمم وطبقات البناء .

أما البناء الثلث فلا نستطيع تعليله[1] وهذا البناء يقوم على جبل يقوم بالقرب من صنعاء . أما الحيطان الداخلية فيبلغ طول الحائط ٦١ خطوة وسمكه ٣ أمتار وارتفاعه يتراوح بين ٥ و ٦ أمتار . أما الجانب الغربى فقداخترق فمن مربعات منتظمة كبيرة ، فى موضعين وهناك جزء يتـكون أسفله من مربعات عليها أحجار . والجهتان الجنوبية والشرقية فتتبين فيها المربعات من الخارج فقط ، والجهة الغربية فإنها مكسوة من الخارج بالمربعات .

ويوجد فى الجهة الجنوبية الغربية صهريج على امتداد الحائط الجنوبى وطوله ١١ خطوة وعرضه سبع خطوات وثلث خطوة ، وهو مربع وأركانه مستـديرة تقريبا ، وهو مبنى من مربعات ومكسو بالطين وعمقـه ٥ و ٣ متر . أما القاع فيوصل إليه سلم من الحجر لـكن القاع طمس ، وقد خربشت على الطين بعض الـكتابات العربية والسبائية . أما أركان هذا الثلث فعلى شـكل الأبراج التى اكسبتها شيئا من الإتساع ، ولم يوجد للبناء مدخل ويظهر أنه كان يستخدم كمرصد أو برج للحراسة .

ولم تظهر عبقرية العرب الجنوبيين فى المعابد والأبراج فحسب بل تجلت أيضا فى الفنون وفى إقامة السدود ونظام الرى فسد مأرب الذى قامت حوله القصص والأساطير والذى جاء (جلازر) بوصفه[2] ، وخزانات المياه الواقعة عند عدن تقوم أحسن

---

(١) Archäologische Forschungen in Jemen 1883

(٢) Glaser, Reise nach Márib, S. 68 ff

دليل على هذا النبوغ[1]. وقد أخذ العرب الجنوبيون هذا الفن معهم إلى أفريقيا حيث نجد سد (كوهينو) الذى يذكرنا بالعرب الجنوبيين[2].

وإلى جانب هذه السدود العظيمة نجد صهاريج مربعة أو مستديرة ما زالت إلى اليوم قائمة تستعمل .

ومن الغريب حقا كيف أن شعبا يبذل مجهودا عظيما فى سبيل تشييد المعابد والأبراج ووسائل الرى المختلفة ، ولا يبدى مثل هذه العناية فى سبيل المقابر . ففن البناء العربى الجنوبى القائم على البساطة ترك هنا أثره أيضاً . فالمقابر مختلفة وعملية الدفن مختلفة أيضاً إذ كان المتوفى يوارى فى تابوت قائم زوايا الأركان ، ومن الحجر وعليه غطاء . وغالباً ما نجد عددا من المقابر مجتمعا فى صعيد واحد . يحيط به حائط مستدير يبلغ ارتفاعه ما بين ٥ و ١ و ٢ من الأمتار ومسقوف بالأحجار التى ترتكز على غطاء التابوت[2] . وقد جرت العادة أيضاً أن يدفن الموتى فى غرف منحوتة فى الصخر ، وعلى الباب توجد كتابة[3] وقد صور (و . ه هريس) مجموعة من هذا النوع من المقابر ووصفها ، وهى تقع بالقرب من حران . كذلك نجد إلى جانب هذه الغرف مدافن أخرى تشبه مقابر العظماء فى العصور الحديثة أعنى (موسولين) . وقد شاهد (ا . فان فريده)[4] مثل هذا النوع فى صهوه ووصفه كبناء مربع يبلغ طوله نحو ٢٥ قدما ، وكذلك فى العرض والارتفاع وهو مشيد من المربعات الكبيرة وحائط سمكه قدمان يشبه نظام المصاطب عند المصريين ، أما الداخل فمقسم إلى قسمين كل قسم عبارة عن غرفة والحائط الفاصل يقع فى وسط المدخل وعلى بعد ٦ أقدام منه . وعلاوة على المدخل الذى يضيق كلما ارتفع ، وفوقه توجد الكتابة ، يوجد فى الحيطان الجانبية مدخل

---

(١) Deutsche Aksum-Exp II, S. 99

(٢) Deutsche Aksum-Exp. II, S. 148—152

(٣) E. Glaser Tagebuch VIII, S. 41

(٤) E. Glaser. Tagebuch I, S. 41

فى كل . وفى الحائط الخلفى فتحتان مثلثتان . أما السقف فمن أحجار عرضها قدمان، ونجد فى جوانبه ثلاثة أهرامات للزخرفة[1] .

وأبسط طريقة للمحافظة على ذكرى المتوفى عند العرب الجنوبيين هى إقامة نصب على القبر والنصب عبارة عن أعمدة ملساء ورباعية الأركان وفى الجهة الأمامية يوجد فى أعلى النصب اسم المتوفى . وتحته يوجد مكان مربع قد ينتهى بجزء صغير مربع وهذا الجزء يعد عادة لرسم المتوفى . وقد عثر (جلازر) على كثير من هذه النصب فى مآرب ، وفى معظمها لا نجد الرؤوس ما عدا نصبين . وأحيانا نجد فى النصب نوعا من الزخرفة البسيطة مثل سن أو كوة صغيرة فوق رسم الرأس أو رسم مربع تحت الرأس . وقد عرفنا نصب الأموات عند الأشوريين أيضاً[2] مع ملاحظة إننا عند الأشوريين نجد المكان الذى توضع فيه الصورة ، وتوجد الكتابة ، عبارة عن مكان مربع أو ينتهى بجزء بارز من المربع ومحفور ، وهو يشبه الطلسم الصغير وغالباً ما تبدأ الكتابة التى فيها اسم المتوفى ونسبه بلفظ (صلم) أى صورة ، والعرب الجنوبيون يجعلون المكان المعد للكتابة وفيه رسم الرأس كزخرفة وفوقه الكتابة . ونجد نوعا آخر أبسط وذلك برسم الرأس فى الجزء العلوى من النصب وتحت الرسم يذكر اسم المتوفى ، ونجد هذا النوع واضحا فى بعض الأشكال حيث يبلغ إرتفاع الحجر ٣٣ سم وعرضه ١٤ سم . لكن لا نعلم عما إذا كانت هذه النصب لزخرفة القبر أو نقلت من المقابر للذكرى كنصب أشور ، والسبب فى ذلك أن (جلازر) عثر على هذه النصب فى البيوت كأحجار بناء ، ولم يجدها فى أماكنها الأصليـة ، وهناك نوع آخر بسيط من النصب يشتمل على الكتابة وتحتها عينان فقط[3] ،وهو نوع نعرفه أيضاً فى المقابر الفينيقية .

والجزء الأسفل من هذه النصب حاد عادة كالسكين ، وذلك لسهولة تثبيته

---

(١) Reise in Hadramout 1873

(٢) W. Andrae, Die Stelenreihem in Assur, 1913

(٣) D. H. Müller, Südarabische Altertümer

في الأرض ، وهناك نوع من المباني غريبة التصميم ويظهر أنها قديمة جداً وهي قائمة على صخور طبيعية ومزخرفة من الداخل بخطوط هندسية وعليها بقايا كتابات وقد شاهد هذه الأبنية (بنت)[١] بالقرب من القوم في حضرموت ، وهي عبارة عن ٢٠ قدماً ومعظمها يحيط به حائط .

البلاستيك

ولو أن عدد القطع الفنية التي نحتها النحاتون من سكان بلاد العرب الجنوبية قليل إلا أنه يكشف لنا القناع عن المهارة الفنية لهؤلاء الناس هـذه المهارة التي تتناسب وفن المهار عندهم فرأس المرأة الذي هو في حالة بدائية ، والذي نشره (ى . ى . موردتان)[٢] يعتمد على رقبـــة غليظة جداً وعينين صغيرتين إذا ما قورنتا بالأنف أما الأذنان فلا نستطيع أن نتبينهما والجبين ضيق غطته الكتابة وعلى النقيض من هـذه (الماسك) التي يبلغ ارتفاعها ١٧,٥ سم وهي مأخوذة من نصب لميت وهي أحسن قطعة تمثل (ماسك) الوجه[٣] . أما الوجه الذي به لحية فتناسب فالفم والأذنان يتفقان والواقع في نحتهما ، وفي فتحة العينين كان إنسانا العينين والرأس والوجه ملونان ، أما التماثيل التي تمثل الأجداد فبدائية فقد نجد عليها كتابات أحياناً وهي في بساطتها تشبه تلك التي نجدها عند سكان سكان البحار الجنوبية ، وتوجد قطعة أخرى متأثرة بالطابع المصري في حيازة متحف الشرق الأدنى ببرلين . أما تمثـــال ملك أوسان وهو : يصدق آل فرعم شرحعت : فيتجلى فيه الأثر اليوناني وقـد نشره د س . مرجولوث[٤] . أما نحت الجسم في كل هذه التماثيل فليس مصدره عدم المهارة

(١) Southern Arabia, S. 134

(٢) Z D M G 35 (1881)

(٣) D. H. Müller, Südarabische Altertümer

(٤) Two South Arabian Inscriptions

الفنية فى النحت بل الإصرار على عدم مجارات الفن الهلليني اليونانى وتقديره للجمال . وهذه الظاهرة الشرقية ، وهذا الموقف نلحظه أيضاً فى الفن القبطى كما نلحظه فى الفن الإسلامى أيضاً عندما رفض فكرة الاستدارة فى البلاستيك[١] .

كذلك البلاستيك المسطح فيحمل كل دلائل السذاجة . وقد يقال عنه فن شعبى فلاحى . أما الجزء العلوى للجسد فغالبا ما يتجلى فى شكل أمامى بخلاف الساقين ففى شكل جانبى والأنف والفم والعينان واليدان والقدمان لا تتجلى فيها العناية . والمؤلف يقدم نموذجين من نماذج الرسوم الواردة على المقابر الأول وهو رسم ارتفاعه ٤٥ سم وعرضه ٢٧ سم[٢] وهو يمثل سبائية جالسة على كرسى مرتفع تعزف القيثارة ، وعلى اليمين واليسار خادمة . وفى الجزء الأسفل من الرسم نجدها وقد استلقت على سرير ترعاها خادمة . أما النموذج الثانى[٣] فارتفاعه ٣١ سم وعرضه ٣٤ سم وهو يمثل فلاحا وقت الحرث . ووضع الأشياء متجاورة أوقع الفنانين فى مشكلة عجزاً عن التغلب عليها . ففى هذا الرسم نجد الثورين قد نحتا كما لو أن أحدهما فوق الآخر وفى الرسم الأول نجد منظراً لن يكون صحيحاً وهو نحت شاة فى مستوى رأس السيدة الجالسة . أما التعبير عن الفرق بين السيدة والخادمة فيعبر عنه فى البلاستيك الشرقى القديم عادة عن طريق الحجم فالخادم أصغر حجماً من السيدة .

وهناك رسم جدير بالعناية عثر عليه (جلازر) بين مروت وصونا بالقرب من مارب مبنى فى حائط بناء للرى . وهنا نجد الفرق بينه وبين ما نجده من المناظر البابلية التى تمثل المنازلة والقتال . وليس من الواضح عما إذا كان الشخص الذى فى الوسط ومعه فاس ومجن ويقفز إليه كلبان يمثل الـها أو كائناً ما . ويوجد مثل آخر يمثل الفن فى عصر متأخر وفيه يتجلى أثر الفن الفارسى الساسانى وارتفاعه ٢٩ سم وعرضه ٤٥ سم ، وهو عبارة عن لوحة مزخرفة

---

(١) N. Sammens, L'attitude di l'Islam

(٢) Cl. Ganneau Un Sacrifice à Athtar J. A. VI. Sur

(٣) J. H. Derenbourg, Etudes sur l'épigraphie du Iémen V, J. H. VIII, série 1683

محفوظة فى مجموعة تاريخ الفنون فى فينا وقد أحضرتها بعثة الأكاديمية العلمية بفينا . والرأس الذى تحيط به حيتان يذكرنا تقريباً بمناظر جورجو . أما القطع الفنية التى تمثل رؤوس الحيوانات أو الأزهار وبعض الكروم فمثل هذا النوع من القطع الفنية أحسن إجادة من غيره وهناك قطع أخرى تتجلى فيها القوة ، وهى تلك التى تمثل التيوس[1] وتلك التى فيها مجموعة من رؤوس الثيران فى صف واحد ، وفى أوائل الصف ونهايته نجد حنشين يطلان برأسيهما وهذا محفوظ فى المتحف العثمانى بالقسطنطينية[2] . لكن حتى هنا نرى الفن ناقصاً فالعصافير الموجودة عند عناقيد العنب جامدة كما لو أنها لعب أطفال .

وإلى جانب رؤوس الحيوانات نجد أيضاً أيائل وحيات وتنينات هذا إلى جانب منظر الكرم الذى كان كثير الاستعمال كزخرفة ، وهذا ليس بمستبعد فى بلاد العرب الجنوبية التى تكثر بها زراعة الكروم . فمثل هذا النوع من الزخرفة أقرب إلى طبيعة الفنان من الأنواع الأخرى التى سبق ذكرها ، ويتجلى هذا الفن المحبب إلى نفس العربى الجنوبى فى الإطار الذى عثر عليه فى حدقان . وهذا الفن ، وهذه العناية نجدها واضحة أيضاً فى النقوش العربية فكتابة كتلك التى عثر عليها جلازر ١٠٠٠ تتكون تقريباً من ألف كلمة ومكتوبة بطريقة جميلة جداً وآية فى المهارة .

ومن مجموعة المذابح التى تتجلى فيها عادة رموز الآلهة وبعض الأشكال التى وصلتنا يقدم المؤلف النموذج الذى هو عبارة عن مذبح ارتفاعه ٣ أمتار ، وعليه نقش (قيف) عثتر سمع ود وذت حميم . وهذا المذبح يقوم على جبل بلق الأوسط بالقرب من مأرب . وهو يجمع بين النصب والمذبح فى قطعة واحدة . لكن فى مذبح سبائى فى يحا[3] نجد القطعتين منفصلتين . وهذا النموذج

---

(١) A. Grohmann, Göttersymbole

(٢) M. Hartmann, Südarabisches VII, O L Z (1908)

(٣) Deutsche Aksum-Exp. II, S. 2

من المذابح هو المثل الذى احتذاه المستعمرون من بلاد العرب الجنوبية فى أبنيتهم المكونة من أكثر من طابق فى أكسوم حيث نجد أعلى بناء منحوت فى الحجر فى العالم (ارتفاعه ٣٣ م[١]) . وهناك نوع آخر من هذا النوع من المذابح ذلك الذى نجده فى جلازر ٧٩٧ إلا أنه محطم ولو أننا نستطيع أن نتبين من بقاياه معالمه[٢] .

الفنون اليدوية والفنون الدقيقة

من بين الأوانى والأطباق الفضية الجميلة والأسرة والموائد ذات الأرجل الفضية والكؤوس الفضية والذهبية التى تركها السبائيون والتى يتحدث عنها أمثال (اجاثر شيدس[٣]) و (سترابون[٤]) لم يصلنا منها بالأسف شىء ، ولو أن هذه القطع الفنية متأثرة بالفن اليونانى ، والعربية الجنوبية الأصيلة منها فلن تختلف كثيراً عن مثيلاتها التى نعرفها فى الفنين الفينيقى والبابلى . لكن من حسن الحظ وصلتنا من الأدوات المنزلية المدنية قطعة جميلة ترجع إلى عصر متأخر وهى تعطينا فكرة لا بأس بهـــا عن الفن اليدوى عند العرب الجنوبيين وهى عبارة عن مصباح من البرنز ارتفاعه ٣٤ سم ومقمده ينتهى بجسم ايل يقفز وقد احضرت هذه القطعة الجميلة من بلاد العرب الجنوبية بعثة الأكاديمية العلمية الفينية إلى فينا من (شبوة) وهذه القطعة فى مجموعها فى حالة جيدة إذا استثنينا الساقين الأماميتين للأيل وهذا من المسائل النادرة مع القطع البرونزية . وتتفق هذه القطعة من الناحية الفنية مع ما يشبهها عند الساسانيين كما يتبين هذا من مؤلف (ى. ى. سمير نوف) حول المطبوعات التذكارية الخاصة بالفضة الشرقية . فهناك قطعة من البرنز تمثل رأس أبى هول وتستخدم كثقل من أثقال الموازين

---

(١) Deutsche Aksum-Exp. II, S. 2

(٢) Glaser, Reise nach Marib

(٣) De Mari Erythraeo

(٤) Geographica XYI, 778

تذكرنا ولا شك بما نجده من الأثقال الآشورية، وهناك قطعتان تغاران ما نجده في اسطوانات الأختام البابلية الآشورية التي تعرض لنا منظراً من مناظر صراع الآلهة. وهاتان القطعتان سبائيتان ومن البرنز ومحفوظتان في مجموعة تاريخ الفنون المحفوظة في فينا وهما تستخدمان كقفل أو حلية. وإحداهما عبـــارة عن ٨و٥ في ٦و٥ سم وهي تمثل شكل الـه يقبض على أســدين من رجليهما الأماميتين. والأخرى (شكل ٦٨) ١و٥ في ٢و٤ سم تمثل معبود، جالساً وقد يكون هذا المعبود عبارة عن (بيس) وفوق هذا المعبود طائر باسط جناحيه، وعلى اليمين وعلى اليسار تيسان في حالة استعداد للقتال. وهذه القطعة والسابقة من القطع التي نجحت بعثة الأكاديمية العلميـة الفينية في الحصول عليهما وإحضارهما إلى فينا.

أما الأناء البرونزى الذى أحضره جلازر من (هرم) فهو أناء كان يستخدم في الطقوس الدينية وعليه النقش جلازر ٣٢٥ الذى منه نتبين أن هذا الأناء ملك لرئيس كهنة الآله (متبنطين) واسم كبير الرهبان (حمعثت بن طور)[١] وفي مجموعة تاريخ الفنون المحفوظة بفينا توجد عصوان من البرنز أحداهما تنتهي برأس تنين والأخرى تنتهي برأس حنش، ولا يمكن معرفة الغرض من القطعتين. وقد أحضرت البعثة الأكاديمية العلمية القطعتين من بلاد العرب الجنوبية إلى فينا.

وإلى جانب أدوات الطقوس أو الاستعمال العادي وصلتنا مجموعة لابأس بها من الهدايا مثل اللوحات التي عليها كثير من الكتابات والتماثيل الصغيرة والأفاعي والجمال والخيول، وفار وساق من البرنز[٢] وغيرها من الأدوات التي تهدى إلى المعبد عادة. وقد وصلنا لوح من ثلاثة أجزاء. وهذا اللوح من البرنز وهو من الجاهلية في همــــدان وقد أحضره جلازر من بلاد العرب الجنوبية. والخط الذى نجده في القوس نتبين منه أن هذه القطعة ترجع إلى عصر

E. Glaser Mitteilungen, S. 76 (١)

D H. Muller, Sudarabische (٢)

متأخر ، وهى قد ترجع إلى وقت الانتقال من العصر السبائى إلى العصر الحميرى .
أما الجزء الخاص بالأشكال فيذكرنا بالفن الهلليني ويرجح أن هذا الرسم يمثل الآله (بيس) ، وعلى اليمين واليسار نجـــد أسدين يقفذان والعمودان ينتهيان برأسين تجلس عليهما الطيور . والألواح البرنزية التى تقدم كهدايا تزخرف أحياناً بأشـكال أو أفاريز [١] إلا أن أمثال هذه الألواح صغيرة الحجم كما تبيناها فيما مضى (جلازر ١٣٣٢) لـكن من بين تلك القطع الفنية التى قدمت كهدايا يوجد عدد كبير منها ردىء الصنع خاصة التى تتمثل فيها أشـكال الحيوانات، ولعل السر فى هذا تغلب الفن الشعبى فى مثل تلك الحالات كما هو مشاهد أيضاً فى بلاد الألب .
ويختار المؤلف قطعتين تعتبران من خـيرة القطع التى تتخذ نموذجا احداها وهى تمثل حصـانا وعليها النقش (الذى معناه جبهة سيدة يعدان هدية لحيمط) وهى محفوظة فى شينللى كيوشك فى القسطنطينية ونشرها ى. ه. موردتسمان [٢] .
والأخرى جمل من البرنز ٦ فى ٨ سم جانبه جلازر من بـلاد العرب الجنوبية وهـذه القطعة صبت فى قالب . والجانب البرنزى لايبلغ ٢ سم فى السمك وفى الداخل محشو بمادة سوداء . وقطعة أخرى جميلة جداً تمثل غزالة ذات قرنين صغيرين وقد شاهدها جلازر ضمن المجموعة الأثرية التى يمـلكها المتصرف على صنعاء واسمه محمد بك (جلازر ٣٥٨) . وقطعة من البرنز يبلغ طولها نحو ١٢ سم وهى هدية إلى الآله عنتر [٣] وكذلك توجد هدية أخرى وهى حية من البرنز ولها مقبض لم يصلنا من هذه الحية إلا وسطها .

أما التماثيل البرنزية فـكان التوفيق فيها أقل من التوفيق فى رسم الحيوانات فالفنان يفشل فشلا ذريعا فى رسم الآدميين . وهذا علاوة على أن القطع الفنية وصلتنا فى حالة رديئة جـداً لذلك سيضطر المؤلف إلى الانصراف عنها . والقطعة الوحيدة التى تستحق العناية يلوح أنها يونانية وقد حصـل جلازر على أربع قطع

---

(١) CIS Pars IV, Tome I, Taf, 13 — 17

(٢) Z D M G 39 (1885)

(٣) A. Grohmann, Gottersymbole, S. 64

من هذا النوع وهى محفوظة فى مكتبة الدولة وقد سبق للاستاذ جرومان أن نشر بعض القطع الحجرية المحفوظة ضمن هذه المجموعة[1] وهو يذكر على سبيل المثال قطعة بها رأس ابن أوى وهى من (كازيت) وحجمها ٧ و٢ فى ٥ و٣ سم وقد تكون جزءاً من بلاستيك وهى الآن ضمن مجموعة جلازر المحفوظة فى مكتبة الدولة .

أما القطع الأخرى المعدنية كالأختام وما إليها فيندر أن نجد من بينها ما يستحق العناية هذا إذا استثنينا قطعة فضية محفوظة ضمن مجموعة تاريخ الفنون فى فينا[2] . فهى قد توضع فى مستوى الأختام البابلية . والنقود تعتمد على النقود اليونانية خاصة تلك التى ترجع إلى العصر الهلينى[3]. أما نشاط العرب الجنوبيين فى هذه الناحية فلا يكاد يذكر إذ أن القطع القيمة من صنع فنانين يونانيين . أما الأختام العربية الجنوبية القديمة فمصحوبة عادة بكتابات سبائية وهذا الشكل واضح مثلا فى المحفوظ فى المتحف البريطانى . كما توجد قطعة أخرى جيدة جداً وهى (شكل ٧٦) ومحفوظة أيضاً فى المتحف البريطانى وأول من نشرها هو (لابارد) فى كتابه عن أبحاث فى عبادة الشترى اللوحة ٢١ رقم ٢٠ . وقد أحضر (بنت) من حضرموت خاتما كبيراً كاملاعليه نقص يشير إلى شيبام والخاتم محاط بإطار ذهبي وزخرفة على شكل تصريحات[4] كذلك إلى ما ذكرنا أيضاً أن بعض الجمارين المصرية والأختام الساسانية وجدت طريقها إلى بلاد العرب الجنوبية[5] . استنتجنا أن التبادل بين بلاد العرب الجنوبية والبلاد الأخرى لم يكن قاصراً على التجارة فحسب بل تعداها إلى الفنون أيضاً وقد تركت هذه الفنون الآجنبية أثرها فى الفن العربى الجنوبى .

---

(١) A Grohmann, Gottersymbole, S 49

(٢) D. H. Muller, Sudarabische Altertumer

(٣) G Schlumberger, Se trésor de San'a

(٤) Th Bent, Southern Arabia, S. 436

(٥) D H. Muller, Sudarabische Altertumer, Taf. 13, S. 52 — 57.
J. H. Mordtmann, Himjarische Inschriften uud Altertumer.

الفصل الخامس

الديانة العربيـــة القديمة

لديتلف نيلسن

المصادر :

إن النقوش الكثيرة التى ترجع إلى ما قبل المسيحية والإسلام تدلنا دلالة واضحة على أن بلاد العرب وكذلك أرض الحبشة كانت تسودها ثقافة واحدة ودين واحد فى العصر الجاهلى . لكن بقايا تلك الثقافة التى لدينا الآن قليلة ، وبالرغم من قلتها هذه فإن مجموع النقوش التى عثرنا عليها فى أماكن مختلفة فى بلاد الحبش وجنوب بلاد العرب وشمالها تربو على ٧٠٠٠ نقش وهى تدلنا دلالة قوية على أهمية تلك المدنية الغابرة والثقافة القديمة التى عرفتها الجزيرة قبل مجيء الإسلام .

فهذه الحالة تخول لنا بخلاف الرأى الذى كان سائداً من قبل بخصوص الوثنية السامية فى جنوب الجزيرة تلك الوثنية التى جاءتنا بعض أخبارها عن طريق الأدب أن نعيد النظر ثانياً بعد هذه الاكتشافات العظيمة فى تلك الثقافة خاصة فيما يتعلق بالدين .

فى مواطن الثقافة ببلاد العرب الجنوبية وجدت ولا شك إلى جنوب النقوش التى لدينا على الأحجار والمعادن آداب حقة ، لكن مما يؤسف له حقاً أن تلك الآداب ضاعت وتلاشت ، وذلك لأن الدين الجديد قضى على بقايا العهد الجاهلى قضاء لا هوادة فيه .

أما فيما يتعلق ببلاد الحبشة فمعلوماتنا القومية ترجع إلى القرن الثالث عشر

الميلادى أى لم تبلغ وقت دخول المسيحية فيها (القرن ٤ / ٥ الميلادى) . نعم لدينا من القوائم التى تحتوى على كثير من أسماء ملوك يرجع تاريخهم إلى ما قبل العهد المسيحى لكن هذه المصادر من الفقر والنقص بمكان حتى أنها لا تسمح للمؤرخ بأن يكون منها تاريخاً علمياً حقا . لكن من الناحية الدينية فقد وردت ضمن أسماء أولئك الملوك أسماء تشتمل على اسم إله قديم ولهذا قيمته طبعاً من ناحية علم الأديان[١] .

أما عند العرب فترجع المراجع الأدبية إلى قرون أبعد لكن اهتمت جميعها أو كادت بالإسلام والدعوة له فى القرن السابع المسيحى وبالرغم من هذا فإنها لم تتحرج من الإشارة إلى الدين الوثنى القديم . وإذا كنا نعلم أن الدين الإسلامى جاء فى وقت نستطيع تاريخه ومعرفته كما أن الإنسانية وعت مجيئه أدركنا مقدار الدهشة العظيمة التى تستولى علينا عندما نعلم أن المصادر الأدبية لا تتعرض للديانة الجاهلية إلا قليلا جدا .

أما السبب الأصلى الذى أدى إلى ذلك فهو بين أيدينا إذ لما جاء الإسلام وجد نفسه مضطراً إلى أن يخوض غمار حرب طاحنة مع الوثنية ، وعلى هذه الحرب توقفت حياة الدين وتوفيقه أو موته وفشله . وقد كان فى تلك الحرب يقضى على كل أثر أو بقية من بقايا الوثنية أو تلك التى تذكر بالوثنية الجاهلية . ولم يعرف علم تاريخ الأديان حرباً بين دينين كتلك التى عرفها الإسلام فالكتاب المقدس مثلا احتفظ بالكثير من الديانات القديمة بخلاف القرآن الكريم الذى لم يحتفظ إلا بالقليل النادر . والمسيحية ضمت إليها سواء كان ذلك فى وطنها أو فى الأوطان التى غزتها كثيراً من العادات والتقاليد الوثنية القديمة ، وكانت روح الوئام بينها وبين الوثنية قوية بخلاف الوثنية مع الإسلام ، فلا يوجد دين عالمى بغض تعدد الآلهة وأغرم بالتوحيد وتغنى به مثل الاسلام ، ولا يوجد دين من الأديان قدر الله له النجاح فى القضاء على الوثنية كما قدر للاسلام .

---

(١) A. Dillmann : Zur Geschichte des abyssinischen Reiches ZDMG. Bd. 7, 1853

أما فيما يتعلق بالثقافة العربية الجنوبية والدين العربي الجنوبي فلا تعرف عنه الرواية العربية شيئاً ، وذلك لكون الأدب العربي الذى وصلنا معظمه شمالى . ونحن نعلم أنه فى أوائل العهد المسيحى عندما وجد الطريق التجارى الجديد بين البحر الأحمر وبلاد الهند وحل هذا الطريق محل الطريق البرى كان العصر الذهبى لمدنية العربية الجنوبية قد مضى وانقضى وفيما بعد لما جاء الإسلام أصبحت مكة والمدينة هما مركزه الذى بدأ يرسل تعاليمه منه إلى الجهات المختلفة . ومع الإسلام جاءت العربية لغة وكتابة .

أما فيما يتعلق بالمصادر التاريخية فى بلاد العرب الجنوبية فإن حادث الدين الجديد كان ذا أهمية كبرى . فقد جاء معه أيضاً بكتابة جديدة ولغة جديدة إلا أن الشعب لم يقلع بغتة عن استعمال لغته القديمة . إلا أن لغة الثقافة والأدب أصبحت منذ ذلك الوقت هى لغة الإسلام ولغة القرآن يعنى اللغة العربية الشمالية . فكان الأثر المباشر لذلك أن كتابة ولغة الثقافة القديمة أصبحتا غير مفهومتين للأجيال المتأخرة وانقطعت الصلات تدريجياً بين القديم والجديد . لذلك لا نندهش تتعدى القرنين الخامس والسادس الميلاديين وأن هذه الذكريات نجدها وقد وصفت فى المصادر الإسلامية محاطة بشيء من الظلام والصعاب وأكبر دليل على ذلك الضعف خاصة فيما يتعلق بالدين العربى الجنوبى القديم القصة التى وردت فى القرآن الكريم خاصة بالسبائيين وملكتهم بلقيس (سورة ٢٧ آيات ٢٢ — ٤٥) فهذا هو الموضوع الوحيد فى القرآن الكريم الذى فيه إشارة إلى الدين العربى القديم . وحتى هذه القصة لم تكن من نتائج الرواية العربية بل هى قصة تختلف لحد ما عن القصة التى جاءتنا فى الكتاب المقدس خاصة بالملك سليمان وملكة سبأ (ملوك ١ ص ١٠) .

أما بخصوص المراجع الإسلامية وما جاء فيها خاصاً بالمدنية العربية الجنوبية فهى ملأى بالقصص والأساطير الأجنبية حتى أنه لمن الصعب والعسير علينا أن نستخلص الحقيقة من بينها . وحتى هذه الحقيقة لن نستطيع أن تصل إليها بمساعدة النقوش . والجدير بالذكر هنا أن تلك المدنية لم تندثر دفعة واحدة فقد بقيت

الأبنية والقلاع والجروح والمعابد بما فيها من آلاف النقوش . لكن حتى هذه مع توالى الزمن قد خربت واندثرت ، وذلك لأن الشعب استخدم بعض ماتيسر له من مواد بنائها فى تشييد منازله ، واتخذ من التماثيل الرخامية هدفاً له يتعلم فيه الرماية .

وتلك الآثار العظيمة المدنية القديمة الدائرة ورد ذكرها كثيراً فى شعر الشعراء ومؤلفات العلماء ، ومن هذه الناحية فالمراجع الإسلامية تكمل تقارير الرحالة الحديثين عن تلك البلاد . وقد وجد فى العصور الوسطى عدد من العلماء اهتم بالخط القديم المسند الذى لم يكن مفهوماً عند الشعب وتركوا لنا فى تواليفهم بعض الأمثلة من الخط القديم فى الخط العربى الشمالى ، ومن هؤلاء العلماء أبو محمد الهمدانى ، وهو كما يدلنا إسمه يمنى عاش فى القرن الميلادى وترك للعالم مؤلفه الجليل المعروف باسم الاكليل ولم يبق لنا من كتبه العشرة إلا إثنان فى وصف الخرائب ببلاد العرب الجنوبية وما يتصل بها من قصص وأساطير استقاها من النقوش ، وهناك عالم آخر وهو نشوان الحميرى (القرن الثانى عشر الميلادى) فهو فى قصيدته المشهورة يعطينا شيئاً من المعلومات الخاصة بملوك حمير . لكن القيمة العلمية لهذين المؤلفين ليست عظيمة ، وذلك لأن النقوش التى استخدمت كمراجع لم تترجم ترجمة صحيحة لكن فيما يتعلق بالدين القديم فلم يصلنا إلا القليل(1) .

كذلك الحال فى شمال بلاد العرب فإن الكتابة السامية الجديدة حاربت الخط السامى الذى كان مستعملا وعاقته عن التقدم كما حاربت التوحيد الإسلامى الديانات الأخرى التى كانت سائدة من قبل وكل المعلومات التى لدينا عن تلك البلاد الشمالية ترجع إلى بعض القرون السابقة لمجىء الإسلام .

لكن بالرغم من قد تكون المصادر ذلك العربية ذات قيمة نادرة ومرجعاً من المراجع الثانوية لو أنها احتفظت على الأقل بما وصلها من العصر الجاهلى

---

(1) Alfred v Kremer : Die himjarische Kasideh. 1865
D. H. Muller, Südarabische Studien, 1877

لكنها أهملته وحرفته ، فالتعصب الديني لم يحدث فقط ثغرة عظيمة في معلوماتنا التاريخية بل أعطانا صورة غير حقيقية عنها .

كذلك هو الحال في الكتاب المقدس إذ الثابت أن التوحيد تم وحدث بعد تطور الديانات السابقة والنقوش السامية قبل عهد الكتاب المقدس لا يفهم منها بتاتاً أن توحيداً كان هناك فبالرغم من ذلك نجد أن رجال اللاهوت يحاولون في العصور المتأخرة إثبات قدمه في البلاد . كذلك الحال في بلاد العرب فبعض المؤلفين من المسلمين يحاولون إثبات وجود بعثة التوحيد قبل بعثة نبي الإسلام صلعم . ولكي يملأوا ذلك الفراغ في التاريخ قبل مجيء الإسلام ، استعانوا ببعض شخصيات الكتاب المقدس أمثال آدم ونوح وإبراهيم وموسى وسليمان وداود وغيرهم من الشخصيات اليهودية المسيحية واتخذوا من قصص الكتاب المقدس مادة شغلوا بها التاريخ قبل الإسلام واستعملوها عوضاً عن تاريخهم المقدس .

أما تعدد الآلهة الذي طرأ فيما بعد فهو خروج على الدين الأصلي التوحيدي القديم وبناء على ذلك فالمعبودات القديمة ليست نتيجة محتومة لدين قديم بل هي أصنام بغيضة . جن ، وشياطين كما هو الحال مع آلهة أوربا الوثنيين في نظر آباء الكنيسة القديسين . ومن الظاهر أن مثل هذه النظرة وذلك الاعتبار ليس من الصواب بمكان .

فلتلك الأسباب ليست المراجع الإسلامية بالمراجع التي يجب الاعتماد عليها إذ أنها كانت في الابتداء مجموعة من الأخبار الأدبية . وقد عنيت بهذا النوع من الأخبار أكثر من العناية بالتماثيل ولو أن التماثيل ذات فائدة أعظم . أما بخصوص الأحجار فإنها قليلة إلا أنها عند مقارنتها بالمصادر الأدبية أغنى لنا وانفع . وذلك لأن معلومات مؤلفي تلك المصادر عن الدين قبل الإسلام هي معلومات ضئيلة فقيرة كما أن التقارير الإسلامية التي حاولت أن تكشف لنا القناع عن ذلك الدين يجب الا تعتمد عليها وذلك لأنها خاطئة أو مخطئة .

فالقرآن يحدثنا عن الآلهة التي وجدت في عصر نوح يعني الآلهة الوثنية القديمة جداً في سورة ٧١ ى ٢٢ — ٢٣ فيذكر ود وصواع وياغوث ويعوق ونسر

وأسماء آلهة أخرى وثنية بقيت محفوظة فى الذاكرة فقط لكنها فى الحقيقة أسماء جوفاء لا نعرف عن أصحابها معلومات صحيحة . أما فيما يتعلق برجال الموسوعات الإسلامية خاصة ياقوت فإن معلوماته عن تلك الآلهة ترجع غالبا إلى المؤرخ العالم ابن الكلبي الذى ألف فى القرن الثامن الميلادى كتاب الأصنام[1] .

لكن حتى هنا كما هو مشاهد عند المؤلفين المسلمين الآخرين نرى أن الصفات الحقيقية للآله الوثنى مهملة إهمالا يكاد يكون تاما فالآله يذكر عادة ومعه وطنه ووصف لنصبه وسدنته وأعوانه ثم المسلم الذى حطمه ، وقد تذكر بعض القصص المتعلقة بعبادة ذلك الصنم وشرح لغوى لمعنى اسمه . لكن لا نجد وصفا حقيقيا للوثنية البائدة .

ومن ثم فالآلهة التى ذكرت هى عادة آلهة عصر الاضمحلال والتدهور الذى سبق الاسلام . أما فيما يتعلق بعصرها الذهبى فالمصادر العربية الاسلامية تجهلها جهلا تاماً كما تجهل العصر العربى الذهبى الجاهلى . . ومن الغريب مثلا أن الإلـه السبائى العظيم (المقه) لم يُعرف لهم ولو اسماً . فذلك الإلـه ظل نحو ألف عام وهو أكبر إلـه عرفته بلاد العرب الجنوبية ، وقد ورد ذكر اسمه أكثر من ألف مرة فى النقوش الدينية ، وكانت معابده هى أكبر معابد عرفتها الجزيرة العربية ، كذلك الإلـه (عثتر) الذى ورد ذكره كثيراً . فإن المصادر الاسلامية تجهله جهلا تاماً كما أن معظم أسماء الآلهة التى نصادفها فى المراجع الاسلامية عربية شمالية ، وذلك لأن مؤرخى الأديان من المسلمين لم يفرقوا فى تواليفهم بين الآلهة الأجنبية التى دخلت عبادتها البلاد قبل ظهور النبى وانتشرت حتى بلغت مكة .

أما النقوش التى وجدت فى بلاد الحبشة وفى جنوب وشمال بلاد العرب ففائدتها من الناحية الدينية تكاد تكون معدومة ، ولا تفضلها المعلومات التى حفظها لنا مؤلفو اليونان واللاتين ، وذلك لأن بلاد العرب الحقيقية كانت من بلاد العالم

---

(١) S. Krehl : Uber die Religion der vorislamischen Araber Diss. 1863.

J. Wellhausen : Reste arabischen Heidentums.

غير المعروفة، ومن باب أولى بلاد الحبشة التى كانت أبعد منها لذلك فلا نعرف شيئاً يستحق الذكر عن الديانة الحبشية القديمة ، ولو أننا نعرف بعض الشىء عن العربية .

ومما يزيد الطين بلة أن أسماء الآلهة العربية عادة مكتوبة بحروف يونانية أو لاتينية ولما كان المجمع الإلــهى القديم لا يتفق والمجمع الإلــهى العربى أصبح من الصعب أن نتعرف إلى الشخصية الحقيقية للالــهة العربية وهى متدثرة بالثوب الأجنبى .

وغير هذا وذاك فهؤلاء العرب إسماعيليون أو مشارقة وهم الذين عنى بهم أولئك المؤلفون وهم عبارة عن القبائل التى كانت ضاربة على حدود الجزيرة العربية وهم الذين كانوا يدينون بدين أو ديانات غير عربية خالصة أو ليست على الأقل من ذلك النوع الذى يهمنا الآن لذلك يجب ألا يدخل فى حسابنا هنا هيرودوت وبحثه الذى عرض فيه للآلهة العربية فى كتابه الثالث الفصل الثامن حيث تحدث عن تلك الآلهة التى لعبت دوراً هاماً فى الديانات العربية القديمه ، وذلك لأن الالــهين اللذين اهتم بهما وهما (أورتلت و اللات) يجب أن يكونا ساميين شماليين فاللات هى الالــهة و (أورتلت) هو (ديونيسوس) وقد كان إلــه الشمس عند الساميين الشماليين واللات أورانياوهى الالــهة المشترى عند الساميين الشماليين (عشتر) . كذلك نعرف من الكتاب الثالث ص ٥ وما بعدها أن (أربيوى Arbioi) عند هيرودوت هم عبارة عن شعب شمالى حضرى كان يقطن بعض مدن فلسطين فى شاطئ البحر الأبيض المتوسط .

وقد تأثر فيما بعد قليلا أو كثيراً بهيرودوت بعض المؤلفين المتأخرين أمثال (أوريجينيس) و (سترابون) حيث عرضوا للالــهين (ديونيسوس) و (أورانيا) (أورانوس وزيوس) كآلــهين عربيين[1] .

مرجع آخر قد يفضل المراجع السابقة وهو هذه المعلومات التى نجدها فى الآداب الاسلامية ، وفى الدين الاسلامى ، وفى حياة الشعب الحالية . فإننا نستطيع اعتماداً

---

(١) Herodot : Historia, 1894

عليها أن نخرج منها ببعض الفوائد التي تهمنا جداً .

مرجع آخر من المراجع التي لا يستغنى عنها ، والتي تساعدنا كثيراً على فهم العالم الديني العربي القديم وهذا المرجع عبارة عن أسماء الأعلام المكونة من أسماء الآلهة ، وهذه الأسماء لا نجدها في النقوش فقط بل في الكتب العربية القديمة . وهي تتفق اتفاقاً كبيراً مع تلك التي نجدها في النقوش ، ومن أمثلة تلك الأسماء (عبد ود) و (عبد سعد) و (عبد قيس) و (عبد شمس) و (عبد العزى) وكذلك امرؤ القيس (أي امرؤ الإله قيس) و (وهب اللات) وغيرها . وقد تنبه للقيمة العلمية لأسماء الأعلام السامية منذ وقت بعيد كثيرون من العلماء[1] إلا أن الشيء الذي تجب ملاحظته هو أن أسماء الأعلام في تاريخ الأديان من المصادر التي قد ترجع في مدلولاتها إلى عصور قديمة أعني أقدم من المسميات ، وذلك لأن الأسماء عادة تحمل طابع الرجعية فالمسمى عادة يتخذ اسماً كان معروفاً ومشهوراً من قبل .

فيقال أن محمداً سمى ابنه الثاني (عبد مناف) لكن الإسلام حارب تلك الأسماء وقضى عليها وحلت محلها أسماء مثل (عبد الله) و (عبد الرحمن) وما إليها . كما أن الأشخاص الذين اعتنقوا الاسلام تسموا بأسماء اسلامية مثل (عبد عمرو) يسمى إذا أسلم (عبد الرحمن) .

والشيء الجدير بالملاحظة أن الآلهة الذين عرفناهم عن طريق أسماء الأعلام عرفناهم أيضاً عن طريق الأدب العربي القديم . فأقدم مصادر جاهلية هي الشعر العربي الجاهلي (القرنان ٦/٧ م) لكن حتى هذا الشعر فهو شعر دنيوي لم يعرض للناحية الدينية وإن كان قد عرض في قليل من الحالات لأسماء بعض الآلهة أما جهلاً وأما هيبة كما أنه من الجائز أيضاً أن بعض هذه الأسماء قد استعيض عنها بلفظ (الله) . وعلى النقيض من ذلك القرآن الكريم فهو كمرجع يعتمد عليه ليس فقط

---

(١) H. H. Bräu : Die altnordarabischen kultischen Personennamen, W Z K M Bd 32, 1925.

لمعرفة الدين الإسلامى بل لمعرفة الجاهلية أيضاً . فالمواضع التى تحدثت فى القرآن
عن الحياة الدنيوية عند ظهور النبى لا تعطينا صورة كافية إلا أنها بالرغم من ذلك
من المراجع التى لا يمكن إغفالها لمعرفة العربية الشمالية فى القرن السابع الميلادى .

والشىء الجدير بالذكر أن الآله الجاهلى الأكبر وهو (آل) أو (آله) والذى
جاء ذكره فى كثير من النقوش العربية القديمة وفى القرآن أيضاً سخر منه الإسلام،
خاصة عند مقارنته ببقية الآلهة كما سخر من الأخرى أيضاً التى تسمى مثلا (بنات
الله) أمثال (اللات) و (العزى) و (مناة). سورة (٥٣ ى١٩ — ٢٠) فأولئك
الآلهات كن فى ذلك الوقت أهم المعبودات اللواتى يشاركن الله ، ولو أن القرآن لم
يستطرد فى وصفهن وصفاً مسهباً .

أما (الله) فى الإسلام فهو ولا شك آخر مظهر من مظاهر تطور معنى الله
التاريخى فى ديانة بلاد العرب الجنوبية . وهذا (الله) المسلم لاشريك له ، وهو
يجب أن يعد ضمن آلهة بلاد العرب الجنوبية . أما فى بلاد الحبشة فنجد المسيحية
تحل محل الوثنية القديمة كدين رسمى . لكن من الخطأ البين أن نعتبر كما هو
شائع الآن أن الـه القرآن هو خليط من آراء يهودية وأخرى مسيحية وهو الـه
سامى شمالى . نعم كان الجو الدينى فى بلاد العرب بعد ظهور المسيحية ملبداً بالغيوم،
فى كثير من الأماكن وهو خليط من عناصر يهودية وأخرى مسيحية ويلاحظ
ذلك فى النقوش وكذلك فى الكتب وخاصة فى القرآن الكريم . لكن فيما
يتعلق بالله فإن تلك المظاهر الدينية عند العرب وخاصة فيما يعد عند الكثرة المطلقة
من الساميين الشماليين كانت مظهراً من مظاهر الانتقال من الوثنية إلى الإسلام .
وذلك لأن محمداً تهكم كثيراً على المظاهر الدينية الشمالية وتقديسها للصور والأشخاص
كذلك تهكم على تعدد الآلهة عند العرب الجاهليين فـ (الله) فى الإسلام هو الـه
واحد وهو رب العالمين وهو من هذه الناحية يختلف عن آله اليهود الخاص بهم،
وهو بعيد أيضاً عن تعدد الآلهة عند المسيحيين والساميين الشماليين والمسيحيين ولم
يتصور يوما ما كانسان .

أما فيما يتعلق بشخصية هذا الالـه حسب تعاليم القرآن فهو من كل ناحية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يتصف بصفات تجمل منه (رب العالمين) وهو آلـه غير سياسى وهو و(آلـه النقوش) العربية القديمة صنوان والفرق بينهما ينحصر فقط فى أن الإسلام خصه بصفات وخواص على حساب الآلهة الأخرى حتى أن بقية الآلهة تلاشت أمامه . ومن ناحية أخرى فإن الالـه الجديد متصل فى الذات بالله القديم وذلك لأن الوثنية السامية الجنوبية القديمة كانت تتصف بذلك الالـه الذى كان يعرف منذ العصور القديمة كرب للآلهة بينما الـه الساميين الشماليين قد اختفى فى آلهة أخرى منذ قرون عديدة قبل الميلاد عند الساميين الشماليين .

آلـه القرآن يكون الخاتمة الطبيعية لتطور فكرة الله عند الساميين الجنوبيين وذلك لأنه لم تقم فى العصور الإسلامية المتأخرة أية محاولة جدية فى العقيدة بالله . ففكرة الله فى الإسلام ذكرها الإسلام وأثبتها، وكل ما فى الأمر هو شرح القرآن وتفسيره لذلك فإن كل المراجع الدينية والمصادر التى بأيدينا تتجه دائماً إلى فكرة الله كما عرض لها القرآن وأخذ باب الاجتهاد يوصد تدريجياً حتى أصبحنا أمام مذاهب دينية محافظة غير قابلة للتجديد .

ولعل من حسنات هذه المحافظة أنه وصلت إلينا اليوم معلومات قيمة عن رب آلهة العرب الأقدمين كما نعلم الآن كثيراً من عناصر الوثنية التى مازالت مدسوسة فى طيات الديانة الشعبية الحية .

وكما أن الديانة الإسلامية حافظت على الـه من آلهة المتقدمين كذلك اتخذت بعض أعياد ومقدسات الوثنية أعياداً ومقدسات لها . فإلى الآن يقوم القادرون من المسلمين بالحج فيحتفلون به فى مكة . وعيد الحج هذا هو العيد الخريفى فى العصر الوثنى والهيكل الوثنى ما زال قائماً فى مكة حتى اليوم . أما عيد الحج فقد غير طبعاً بعض التغيير ومعبد الله القديم قد طهر من الآلهة الآخرين لكن حتى فى الحج وفى الكعبة وفى كثير من العادات والطقوس والتقاليد الإسلامية ما زلنا نجد حتى اليوم كثيراً من بقايا العصور الوثنية الأولى لذلك من الهام جداً أن نقوم بدراسة جديدة فى بلاد العرب والحبشة لجمع بقايا تلك العصور الوثنية والتى ما زالت حتى اليوم حية بين السكان .

أسماء الآلهة

محتويات المصدرين الرئيسيين اللذين لدينا خاصة المصدر المتعلق بالساميين الشماليين قاصرة على أسماء آلهة . ومن الوثنية السامية ليس لدينا الآن تعاليم دينية كان يجب على الأفراد معرفتها والعمل بها وليس لدينا أيضاً وصف منظم للاعتقاد فى الله . وسيان فى ذلك النقوش أو الكتب فإنها لاتمدنا بأية تعاليم متصلة بالاعتقاد فى الله أو وصف موجز لفكرة الآلهة التى قدسها الإنسان وخلق من أجلها القصص والأساطير . ونحن عندما نعرض عادة للدين خاصة هذه الأديان القديمة نعتمد على بعض ماورد عرضاً ، خاصاً بها ، فى كتب التاريخ أو تاريخ الأديان، وذلك لأن النقش لم يرسم ليكون الغرض منه تعليم الخلف دين السلف ، كما أن الكتب وصفت الدين بعد مضى زمن بعيد من تاريخه .

وليست لدينا حتى اليوم آداب دينية أو أساطير أو صلوات أو أغانى أو وصايا؛ كالتى كشفت عنها حفريات بابل وآشور متعلقة بالوثنية . أما السامية الجنوبية فابتدأنا نعرف شيئاً عنها بواسطة القرآن الذى حارب الأساطير وندد بها .

أما استعمال التصوير أو النحت كوسيلة من وسائل عرض الآلهة فى الفن الدينى فقد حدث فى الوثنية العربية الشمالية ، وهو مستعار من الساميين الشماليين ومن ثم انتهى بظهور الإسلام ومحاربته له . والفن الساذج للثقافة والدين السامى الجنوبى يتصل به اتصالا وثيقا كما أن المصادر المكتوبة التى وصلتنا خالية وعديمة الفائدة تقريبا وذلك لأنها جاءتنا عن طريق الرواية ، وحسب رواية القرآن لم تكن الديانة العربية قبل الإسلام (ديانة كتاب) بخلاف اليهود والمسيحيين الذين أطلق عليهم (أهل الكتاب) .

والشىء الجدير بالملاحظة هنا أن النصب الخاصة بالنذور ، والتى عثر عليها فى بلاد العرب الجنوبية ، وفى سجلات ملوك الحبشة ، وفى نقوش التخليد فى بلاد العرب الشمالية ، وفى المراجع الإسلامية فيها الشىء الكثير من أسماء

الآلهة الوثنية ومن أسمائها فقط وإن كانت لاتجدنا كثيراً عن طبيعتها وشخصيتها أكثر مما تدل عليه أسماء الآلهة ، والقرآن يصور شخصية الله غالبا بأسمائه التسعة والتسعين التى وصفه بها .

أما أبحاث تاريخ الأديان الخاصة بالوثنية السامية الجنوبية فهى تعتمد لحد عظيم على هذه المصادر بل نكاد نقول أسماء الآلهة هى مصادرها الوحيدة . إذ جمعتها وبذلك قدمت مجهودا عظيما فى استخراج صفات الآلهة من أسمائها .

والقسم الأول من هذا العمل قد خطا خطوات واسعة حتى إننا نستطيع أن نقول إن الإنسان يستطيع أن يقول إنه فى إمكانه أن يتصور عالم الآلهة الوثنية . ومن البدهى أن كل نقش جديد أو مخطوط يعثر عليه الآن لا بد وأن يزيد من ثروتنا العلمية فى هذه الناحية . لكن الشيء الهام هو أن معلوماتنا الخاصة بأنواع الآلهة تكاد تكون قد قفلت وانتهت وذلك لأننا نعرف تقريبا نوع وطبيعة مجمع الآلهة السامى الجنوبى . لكن معلوماتنا عن الآلهة الحبشية والقتبانية ناقصة ولو إننا كثيرا ما نجد فى النقوش القليلة التى وصلتنا الأسماء تتكرر ، فمثلا (ليتمان) لم يعثر فى النقوش الصفوية التى جمعها فى رحلته الأخيرة والتى يبلغ عددها تقريبا ١٢٠٠ نقش على اسم إله جديد لم يكن معروفا لنا من قبل[1]. فهذا دليل على أن النصوص الصفوية والتى تبلغ ١٨٠٠ نقش والتى طبعت تكفى لأن نعتمد عليها ونكون لأنفسنا فكرة عن عالم الآلهة فى تلك النقوش . وعند الثموديين كثيرا ما تتكرر أيضا أسماء الآلهة القليلة الثالوث عثتر ، ود ، نكرح ، وهذا الثالوث أو الثالوث عامة عند الساميين الجنوبيين ميزة خاصة لجميع النصوص المعينية سواء وجدت فى الجنوب أو الشمال . أما فيما يتعلق بعالم الآلهة السبائية فما عثرنا عليه من نقوش يكاد يكون كافيا وفى غير حاجة إلى نقوش أخرى .

أما آلهة لحيان وحضرموت فلا نعرف عنها إلا القليل ، ولعل المساحات

---

(١) Preliminary Report of the Princeton Exp. to Syria, Amer. Journ. of Arch. 2 Serie IX, 1905.

الواسعة التى لم تـكتشف بعد من جبال شبه الجزيرة ستـكشف لنا عن مجامع جديدة من النقوش الجاهلية وأسماء الآلهة الوثنية . لـكن من حسن الحظ أن المصادر الإسلامية تمدنا ببعض المعلومات حول هذا الموضوع قد تعوض لناالنقص إذ أنها تحدثنا عن أسماء آلهة وثنية تربو على الخمسين ومن جهات مختلفة .

فلدينا آلاف من المواد الأولية التى جمعت من جنوب بلاد العرب وبلاد الحبشة وشمال الجزيرة العربية ، ومن أماكن أخرى مختلفة ما يبيح لنا أن نستفيد منها ، وعلى ضوئها نلقى نظرة على نوع ذلك الدين القـــديم خاصة إذا علمنا أن معرفتنا كانت معرفة خاطئة .

والآن نعرف من أسماء آلهة الساميين الجنوبيين أكثر من مائة اسم لـكن نجهل معرفة خمسين منها معرفة تفصيلية فأسماء آلهة حضرمية مثل (ح و ل) أو (جلسد) . ومن المعينيـة (نـكرح) و (ذو قبض) و (متب قبط) فإن معانيها ما زالت إلى الان غامضة . وكل محاولة فى تفسيرها بليت بالفشل والتهكم . ومن السبائية (متب نطين) و (هوبس) و (تألب) (ريام) و (ذات بعدن) ومن القتبانيــة (أثيرت) و (ذات صنتم) و (ذات ظهرن) و (ذات رحن) و (نسور) و (آل بخر) . ومن العربية الشمالية (هبل) و (قزح) و (زنهم) و (مناف) و (ذات أنوت) وغيرها . كذلك الحال فيما يتعلق بمعنى أسماء بعض آلهة أخرى مثلا القتبانى (أنباى) والسبائى (القه) و (ذو سماوى) واللحيانى (ذو غبت) والعربى الشمالى (خلاص) و (مناة) و (صواع) و (يغوث) و (يعوق) وغيرها فإنها ما زالت إلى الآن موضع الحدث والتخمين فنحن إذن نعرف هذه الأسماء من النقوش لـكن لا نعرف مدلولاتها كما هو الحال فى أسماء الآلهة المصرية التى لا نعرف كيف ينطق الإسم من أسمائها بالضبط . كذلك الحال هنا إذ أن الـكتابة السامية الجنوبية نادرة — وعلى رأى رودوكانا كيس — لم تستعمل الحركات .

ولا شك فى أن تفسير أسماء الآلهة ومعرفة مشتقاتها من أصعب الأمور

وأعوص المسائل ولا أدل على ذلك من أن أسماء بعض مشاهير الآلهة ما زالت إلى اليوم لغزا من الألغاز أمثال (اسكلبيوس) و (أبولو) و (أفروديت) عند اليونان و (أسمون و (يهفوه) و (هدد) و (آشور) و (مردوك) و (اشتر) عند الساميين الشماليين .

واسم الآله عادة فى الأصل يدل على صفة من صفات الله ومع مرور الزمن يضيع معنى البدل ويبقى البدل مستعملا كاسم علم . وبعض الأسماء أمثال (يهوه) و (أشور) و (مردوك) قد تكون حتى أبان ازدهار عبادتها غير مفهومة عند الساميين ، وكذلك نستطيع أن نقول نفس القول فيما يتعلق بالساميين الجنوبيين . وقد أدى جهل معنى الاسم إلى قيام الافتراضات غير العلمية ، وقد أدى ذلك أحيانا إلى تغيير صورة الاسم الأصلية وبذلك أصبح المعنى الذى يدل عليه غامضا الغموض كله . فلفظ (أشور) أصبح يكتب (انشار) ومن لفظ (يهو) كتب (يهوه) ولفظ (المقه) كتب (يلمقه) أو (المق)[1] .

يضاف إلى ذلك أن كتابة ونطق النقوش السامية الجنوبية غير مفهومة فى كثير من الأحوال فبعض المفردات والتغييرات ما زالت إلى الآن غامضة لنا غير واضحة . وفى النقوش العربية الشمالية حيث لا نجد فاصلا بين الكلمات لا نستطيع أن نفصل دائما بين كلمة وأخرى وشروح المسلمين المتأخرين لم تفدنا كثيرا كما أن حالة علم الخطوط والكتابات (ابيجرافى) السامية الجنوبية لا يساعدنا على فهم بعض أسماء الآلهة لذلك ستبقى ، وقد يكون لوقت طويل ، غير مفهومة .

ومن الخطأ الذى لا يغتفر إن يعالج الإنسان هذه الأسماء بطريقة تعطينا فكرة مشوهة عن آلهة الساميين الجنوبيين .

وذلك لأن الاختصاصيين قد يحصرون جهودهم ويحدونها بالحدود الجغرافية للمواضع التى وجدت فيها تلك الآلهة ، ومن ثم لا يفكرون فى القيام بدراسة مقارنة مع آلهة الأقاليم الاخرى المجاورة .

---

(١) D. Nielsen : Der sabäische Gott Ilmukah 1910

ومثلا فانه لم تحاول المقارنة بين آلهة الحبشة وآلهة بلاد العرب الجنوبية ولو أن هذه المقارنة سنخرج منها بمعرفة أوجه الشبه القوية بين هؤلاء الالهة والصفات التي يتفق فيها الصنفان . وقد جرت العادة قديما أن كل شعب من شعوب بلاد العرب الجنوبية كان يدين بمجمع آلهى خاص ، والذى تصدى لمعارضة هـذا الرأى هو العلامة (هومل) ولو أنه لقى معارضة عنيفة فقال إن جميع شعوب بلاد العرب الجنوبية كانت تدين بمجمع آلهى واحد ولم يكن لـكل شعب مجمعه الخاص[1] . ومن الجدير بالملاحظة أننا نجد عند شعوب بلاد العرب الشمالية أسماء مشتركة بين عدد من الآلهة حتى أصبح من السهل جمعها كلها فى مجمع واحد كما هو الحال فى بلاد العرب الجنوبية . ومما يثير الدهشة حقا أننا نجد أسماء الآلهة واردة حتى وقت قريب فى نقوش عربية جنوبية أيضا ولو أنها ليست معروفة إلا فى بلاد العرب الشمالية[2] . وتتفق الآلهة الشمالية مع الآلهة الجنوبية فى كل شىء أساسى تقريبا مثلا وجود الـه مسيطر مثل (ال) أو (الـه) كما نجد آلهة مشتركة بين العرب الجنوبيين مثل (الات) أو (شمس) فهذه مظاهر لم تراع من قبل .

وأكثر من ذلك فالدراسة المقارنة للأساطير تطلعنا على أن الفـكرة الخاصة بالآلهة عند العرب الجنوبيين متصلة ومتقاربة مع الفـكرة العربية الشمالية أكثر من قرابتها بالحبشية . وذلك بسبب وجود ثقافة غير سامية قديمة فى بلاد الحبشة . وفى الواقع أننا نجد عند الساميين الجنوبيين سواء كان قبل النبى أو بعده روابط خاصة شاملة رغماً من قيام المميزات المحلية . وذلك هو الذى حدا برجال تاريخ الأديان إلى اعتبار الشعوب السامية الجنوبية وحدة لا تتجزأ .

والخطأ الثانى الذى اعتاد الـكثيرون الوقوع فيه فأضر بتاريخ الديانة السامية الجنوبية خطأ منهجى .

---

(١) Fr. Hommel : Auf. u. Abh : II, 1900

(٢) H. Derenbourg : Se culte de la déesse Al. 'Ouzzà en Arabie au IV, siécle de notre ère.

والشيء الذى يجب التنبيه إليه هو جمع أسماء الآلهة وتفسيرها فما هذه إلا وسيلة لتكوين فكرة عن تلك الديانات الوثنية من ناحية ولمعرفة شخصيات الآلهة من ناحية أخرى ، وهذه هى الخطوة الضرورية لإدراك كنه الديانات ومعرفة حقيقة الآلهة وذلك لأن اسم الله ليس هو الله نفسه أو الإسم الوحيد الذى يدلنا على ذات الله ، وذلك لأن الاله من الآلهة كان يسمى بعدة أسماء ، وقد يخطئ الإنسان ، ويعتقد أن كل اسم من هذه الأسماء يدل على إله خاص مستقل ولذلك نجد الإنسان يتصور آلهة بقدر عدد أسماء الإله الواحد . فقد حدث أن بعض الباحثين اعتاد عند درس مجموعة من الالهة أن يقيد كل اسم جديد لاله من الآلهة الذى وجد ذكره فى بعض المصادر أو النقوش كاله جديد وبذلك أصبحت لدينا سلسلة طويلة من الالهة . ومثل ذلك كمثل من يتخذ من الأسماء المتعددة لملك من الملوك ملوكا عديدين .

وعلى هذا النحو أصبح شغل الباحث الشاغل أن يهتم بعدد كبير من الآلهة فى بتمة واحدة . ويلاحظ أن أسماء الآلهة ليست واحدة فى الأزمنة المختلفة ، وفى الأماكن المتباينة قد نجد حقاً بعض الأسماء متكررة فى أماكن متعددة وفى عصور مختلفة إلا أن الكثرة المطلقة من الأسماء نجدها قاصرة على مكان خاص وإذا انتقلت شخصية الاله إلى جهة أخرى اتخذت أسماء أخرى .

فهذه الحقيقة تدلنا من ناحية على أن العبادات المحلية مختلفة ، ومن ناحية أخرى أن مجمع الالهة للشعوب السامية الجنوبية عبارة عن مجموعة من عدد لا ينتهى من الآلهة الذين لا تربط بينهم رابطة ما . وقد يتعقد الموضوع أكثر لو عرض الإنسان لهذه الأسماء من الناحية اللغوية البحتة . إذ أنه من المحتمل أن الأماكن المختلفة والأسماء المختلفة للآلهة المختلفة ما هى إلا ظاهرة سطحية فقط مصدرها اختلافات لغوية أو تعبيرات مختلفة لاله واحد . أما الأسماء التى تدلنا فى شيء من الصراحة والوضوح على شخصية الإله وذاته فإنها تختلف فيما بينها اختلافاً كبيراً جداً وتدل كل كلمة فى نفس الوقت على صفة خاصه لا تدل عليها الكلمة الأخرى .

وبجانب أسماء الآلهة التي لا نعرف مدلولها أو لا مدلول لها مثل (ال) أو (إله) أى (الله) ، وكذلك (الات) أو (الهة) و (هكهل) أو (كهل ان) أى الكهل و (العزى) أو (عزىان) أى القوية ، توجد أسماء لا شك فى أنها تدل على آلهة من آلهة الطبيعة ، فمثلا الاسم الذى نجده فى كل الجزيرة العربية وهو (شمس) و (ورخ) والأخير أقل انتشاراً من الأول و (شهر) أو (سين) أى القمر . أما عبادة الأفلاك فنجدها ظاهرة فى أسماء الأعلام مثل (عبد نجم) وإن كنا نجد من بين أسماء النجوم الإسم (عشتر) أى المشترى يذكر كاسم آله . ومن النادر أن نجد أسماء آلهة مثل (مدر) أو (بحير) يعنى (أرض) و (سما) أى سماء .

وعلى النقيض من الشخصيات المحسوسة لبعض الآلهة نجد شخصيات أخرى قد تكون أكثر وأعم لها دلالة معنوية أصبحت آلهة ومن أعمها الإسم (و د) بضم الواو أو فتحها ومعنى اللفظ (حب) و (رضى) أى (رحمة) و (سعد) و (حكم) أى حكمة و (صادق) أى عدل وهلما جرا . ومن ثم نجد أسماء أخرى نفهم منها أن الساميين الجنوبيين كانوا ينظرون إلى آلهتهم كأشخاص لها ما للأفراد من خصائص ومميزات مثلا نجد (حريمن) أو (محرم) بمعنى القديس و (رحمن) و (سمع) . كما نجد أسماء أخرى تدلنا على أن الإنسان نظر إلى أصحابها كحيوانات مثلا (ثور) وما إليه .

وهناك مجموعة أخرى من أسماء الآلهة لعبت دوراً هاماً فى نظام أسماء الأشخاص ، وهى تدل على القرابة مثلا (أب) أو (عم) أو (أخ) أو (أم) فهذه أسماء تشير إلى أن الآلهة كان ينظر إليهم كأفراد عائلة ، وقد سمى الأفراد بهذه الأسماء زعماً بأن الإنسان يتبع العائلة المقدسة . لكن توجد أسماء أخرى يفهم منها أن الإنسان (عبد) ربه وهنا يظهر الله كسيد يعنى (بعل) أو (ملك) .

ومن الأسماء المختلفة التى سبق ذكرها حتى الآن يتضح لنا أن للإله ذات عالمية لا تعرف حدوداً قومية أو جغرافية كما تتبين منها أيضاً أنها مشتركة عند

سائر الساميين لكن يوجد نوع آخر من الآلهة لا يصل سلطانها إلى منطقة أبعد من مكان معين له حدوده السياسية فلدينا الكثير من الأسماء التى تصف الآلهة كأنها أرباب مكان خاص أو معبد بعينه أو مدينة معينة . ومن الجدير بالذكر أيضاً أننا نجد بعض الأسماء التى يفهم منها أن لمسمياتها صفة قبلية أو قومية أو صبغة سياسية فعند الصفويين مثلا نجد إلهاً نفهم من اسمه أنه كان حامياً للقبيلة فهو (شع هقم) وفى النبطية (شيع القوم) أو (شييع القوم) ومعناه الذى يشيع القبيلة . وآله قبيلة (عويذ) يسمى فى النقوش الصفوية (جاد عويذ) ومعناه (الله عويذ) . وفى جنوب بلاد العرب نجد الآله (تالب ريام) وهو حامى قبيلة همدان . و (سين) هو الحضرمى و (عم) القتبانى و (المقه) السبأى و (ود) المعينى فهذه آلهة شعبية قومية عرفت الديانات العربية عدداً كبيراً منها .

فنظرة سطحية إلى آلهة الساميين الجنوبيين تطلعنا على صورة مختلفة الألوان . إذ نجد شخصيات مختلفة تبدو لنا كما لو أنه ليست بينها رابطة أو صلة لكن ليس معنى هذا أنه لا توجد بين هذه المجموعة من المعبودات صلة ما تربط بينها وإلا أصبحنا أمام مجموعة من المتناقضات ، هذه الرابطة تفرض على الباحث أن يستعين بهذه الأسماء لإدراك الصلة القائمة بين الآلهة من ناحية وإدراك وظيفة هذه المعبودات من ناحية أخرى . ولعل السبب الذى يفرض على الباحث العناية بدراسة الأسماء هو تقدير الباحث إلى مقدار الجهد الذى بذله الإنسان فى سبيل خلق هذا الاسم وإطلاقه على هذا المعبود أو ذاك . فالإنسان قبل أن يوجد الاسم يجب عليه ولا شك أن يكون لنفسه فكرة عن هذا المعبود ، وعن الصورة التى يتصوره عليها . فالاسم وصف للمسمى لأن الإنسان وصف المسمى بالاسم الذى خلعه عليه لذلك كلما تتسع الفكرة التى عند الإنسان عن المسمى (الله) كلما يفيض خاطره بالمسميات أو الألقاب .

أما القوة التى تمنح الآله أو الآلهة الأسماء أو الألقاب المختلفة فعظيمة جداً لا فى دين فحسب بل فى سائر الأديان ، ويكفى أن نفكر فقط فى الأسماء الكثيرة

لآله الشمس فى الديانتين المصرية والبابلية ، وكذلك فى الأسماء التسعة والتسعين لله فى القرآن الكريم كذلك الأسماء العديدة ليسوع ومريم فى الديانة المسيحية فلا غرابة إذن إذا وجدنا الديانات القديمة تعبر عن فكرتها عن الله بتعدد الأسماء التى هى التعبير اليومى الذى يستخدم للإشارة إلى ذات الله .

فأسماء الآلهة من هذه الناحية مصدر من أهم المصادر لفهم ذات الله وإدراك شخصيته ، وتطور تلك الذات وفهم هذه الشخصية . ففى الأسماء تتركز فكرة الشعب عن معبوده والأسماء هى كالحدود فى تطور الدين إذ ترينا اين ينتهى دور واين يبتدأ آخر . وهى تدلنا فى الوقت نفسه على تطور فكرة الله عند الشعب نفسه فى العصور المختلفة .

هذه الأسماء حيث تنعدم سائر المصادر هى المرجع الذى يعتمد عليه لفهم طبيعة الله وشخصيته ، وبالرغم من صحتها فالمعلومات التى نخرج بها منها قليلة وقد يتعذر علينا فهمها وإن كان من الثابت أننا من الأسماء العديدة للرب نستطيع أن نصل إلى شخصيات المعبودات القليلة وذوات الأسماء الكثيرة .

ومن بين أسماء الآلهة عند العرب الأقدمين مجموعات لأسماء آلهة وردت كصفات مثل (الكهل) (العربى الجنوبى كهل أن) أى الكهل . و(العزى) (العربى الجنوبى عزى أن) أى القوية . الرحمن (عربى جنوبى رحمن أن) أى الرحمن و(منعم) أى منعم و (حكيم) أى حكيم وغيرها . فهذا ليست أصلا أسماء مستقلة بل القاب أضيفت فيما بعد ، وهى القاب كانت مستعملة لآلهة موجودة .

ويوجد نوع آخر من الأسماء وضع كصفة أو للتعبير عن شكل خاص ففى العربية نجد مثلا ضمير الاشارة (ذو) للمذكر و (ذات) للمؤنث ، وبعدها اسماء فمثلا (ذو عقل) أى سيد أو صاحب عقل أى عاقل ومثل هذا التعبير نجده أيضا مع أسماء الآلهة مثلا (ذو خلاص) و (ذو شرى) و (ذو قبض) و (وذات أنواط) و (ذات حميم) و (ذات بمدن) وجميعها مستعملة فى معانى وصفة، وهى مستعملة كألقاب وليست أسماء[1] .

---

(1) W. Fell : Suedarabische Studien in Z D M G, 54, 1900

والدين العربي القديم كغيره من الاديان الفطرية. نجد فيه أسماء المعاني المستعملة كمدلولات مستقلة لله تقوم بدور هام جدا . فقد أثبت (أوسنر) أن عدد أسماء المعاني المستعملة للدلالة على آله في اليونان أو الرومان عظيم جدا فتلك الآلهة لم تكن من صنع خيال الشعراء والفنانين بل آلهة حقيقية وجدت وعبدت ووردت أسماؤها ضمن أسماء الاعلام وهذا النوع من أسماء الآلهة يستعمل عادة للدلالة على المعاني الوصفية فمثلا (أثينا نيكي) ليس معناه النصر لأثينا بل أثينا الناصرة أي المانحة النصر وكذلك (أثينا ايجيبيا) ليس معناه أثينا الصحة بل أثينا المانحة الصحة . وغيرها كثير وهنا يعترضنا سؤال كما يقول (أوسنر) عما إذا كانت اللغة قد عرفت أصلا الفاظ معاني يعني أن صيغة الكلمة الدالة على اسم معنى وجدت في اللغة لتأدية اسم معنى أصلا أو أن هذه الدلالة على اسم المعنى دلالة متأخرة إذ أن كثيرا من أسماء المعاني هو في الاصل صفات[1] .

ونفس هذه الملاحظة نستطيع أن نوجهها إلى أسماء آلهة الساميين فاللفظ العربي الجنوبي (حكم) معناه الأصلي في الحقيقة ليس (حكمة) بل (الحكيم) و (ود) ليس (الحب) بل (المحب) و (سعد)[2] ليس (سعد أو حظ) بل (مسعد) . وأسماء بعض الآلهة الشمالية أمثال (نهى) و (رضى) ليس معناها في الأصل (ذكاء) و (إحسان) أو (عفو) أو (رحمة) معناها جميعها يجب أن يكون (الذكي) و (الحسن) و (الرحمن) . وقد نتج هذا من أن أسماء الآلهة تظهر أحياناً كصفات وفي حالات أخرى ذات معاني وصفية .

والاسم القتباني الإلـهي (حكم) أي حكمة جاء ذكره مثلا عند الحبش كحكيم أي الحكيم بينما على العكس من ذلك الاسم الحبشي الإلـهي (محرم) أي قدسية أو قداسة جاء ذكره عند القتبانيين (حرم أن) أي أي القدس . والاسم الإلـهي

---

(١) H Usener : Götternamen.., 1896

(٢) هليفي ٦٨١ و ZDMG, 24, 1870

العربى القديم (رحيم) أى الرحمة يأتى عادة بمعنى الصفة يعنى الرحيم (فى العربية الجنوبية رحمن أن) وفى العربية الشمالية (الرحيم) . والاسم العربى الشمالى للمشترى هو (رضى) وورد ذكره أيضاً (منعم)[1] .

لكن إذا كانت أسماء المعانى لها دلالات وصفية وربما كانت أصلا صفات فيظهر لنا أن الإسم المعنوى للآله لا يدل (كما كان يظن) على ذات آلهية . وذلك لأن الإسم إسم معنى وفى مثل هـذه الحالة ليس هو الإسم الأصلى المعترف به فى الشمائر الدينية كما يرى (أوسنر) ذلك بحق بل هو لقب أو صفة لالـه ينظر إليه من المؤمنين به بنظرات احترام مختلفة فتخلع عليه الأسماء والألقاب المتنوعة التى تدل على صفاته العديدة .

وختام القول فإنه توجد فى الوثنية العربية ، وكذلك فى الوثنية السامية أسماء كثيرة من أسماء الالهة هى فى الأصل أسماء وتدل على معانى إسمية . لكن بالرغم من ذلك فهى فى هذه التسمية ليست أصيلة والـكثير منها يستعمل كبدل ، ومن ثم أصبحت أسماء الأعلام والنقوش شاهدة على أن عدداً عظيما من هذه الأسماء الإسمية هو فى الواقع عبارة عن أسماء متعددة لالـه واحد .

شخصيات الآلهة

فى وسط ذلك الجمع من الآلهة نجد الالـهة (شمس) . وفى علم النقوش والـكتابات العربية الجنوبية (أبيجرافى) تتبين أن سائر الأسماء الإلـهية المؤنثة تحوم حول هذه الالـهة وتدل عليها . فالأسماء المركبة من (ذات) وأسماء أخرى مؤنثة كلها ألقاب لالـهة الشمس العربية العظيمة ، والتى تسمى أحياناً (الات) أو (الآلهة)[2] .

---

(١) Ditlef Nielsen : Abstrakte Götternamen O L Z 1915

(٢) E. Osiander : Zur himjarischem Alterthumskunde. Z D M G, 19, 1864 ; 54, 1900.

وقد رافقت هذه الالـهة المستعمرين العرب إلى بلاد الحبشة كما نجدها أيضا فى شمال بلاد العرب إلى ذهبنا فهى (شمس) أو (الآت) أى الالـهة ، ونحن نعرف هـذا ليس فقط عن طريق الرواية والمصادر المـكتوبة ، بل عن طريق النقوش الجاهلية أيضا . وهنا يظهر لنا أن الملاحظة التى لاحظها العلماء على بلاد العرب الجنوبية صحيحة ، فطالما نحن فى الجزيرة العربية فجميع الأسماء المؤنثة للالـهة هى القاب أو صفات لالهة الشمس - إن الإسم شمس كالقوة الجاذبة التى تجذب إليها سائر أسماء الآلهة الآخرين .

إلـه فلـكى آخر هو (عثتر) وهو نجم الزهرة وهو مذكر وكثيرا ما نجده فى نقوش بلاد العرب الجنوبية وله عدة أسماء فلـكية وغير فلـكية ، وهو يوجد أيضا فى النقوش الحبشية كما يوجد فى النقوش السامية الأخرى .

ويظهر أن الـه القمر قليل الوجود خاصة إذا بحثنا عنه بين الأسماء الفلـكية لذلك كان هذا الإله هو آخر من وجد من بين سائر الآلهة . وقد أثبت (هومل) عام ١٩٠٠ أن تلك الشخصيات الالهية الواردة فى النقوش العربية الجنوبية هى الشخصيات الرئيسية وهى الشخصيات القومية ، أعنى التى عبدت كآلهة قومية وقبلية فى سائر بلاد العرب شمالها وجنوبها ، وعند الحبش الأقدمين أيضا(١) .

وكذلك هنا فى حالة الزهرة ، وفى حالة آلـهة الشس نجـد أن الـكوكب هو محور ثابت بمساعدته نستطيع أن نجمع مجموعات كاملة لأسماء آلهة تنتمى إلى بعضها ونقسمها أقساماً . فإذا كان ذلك هو الصواب ، وكان الأمر كذلك يعنى أن هذه الشخصيات الالـهية الثلاث (التثليث) موجودة فى بلاد العرب القديمة ، وتحت أسماء وألقاب متنوعة متعددة يتبادر إلى أذهاننا السؤال الآتى ، وهو يتصل بمعرفة ما إذا وجدت إلى جانب تلك الشخصيات آلهة أخرى فى العالم الإلـهى لبلاد العرب القديمة . وللأجابة على مثل هذا السؤال يجب أن يستعين الباحث بمادة نافعة جداً وهى العبارات المستعملة فى نداء هذه الآلهة ذلك النداء الذى لا يتغير ، وهى الميزة التى تميز النقوش العربية الجنوبية .

---

(١) Fr. Hommel : Aufs. und Abhandlungen II, 1900 ; Fr. Hommel Grundriss der Geographie und Geschichte des alten Orients, 1904..

ومن الحقائق التي لا يمكن إنكارها إننا عند دراسة عبارات النداء هذه يتبين لنا مدى جبن الإنسان وخوفه من هذه الآلهة حتى لا يقع تحت سلطانها فتبطش به وفي بلاد اليونان مثلا أقام الإنسان مذابح للآلهة ، ولآلهة مجهولين (بوموي اجنستون ثون Βωμοὶ ἀγνωστων δεῶν) وقد وجد مثل هذا المذبح بولس في أثينا ، وعليه الكتابة الآتية (إلى الاله المجهول — اجنستو ثيو ἀγνώστω δεώ (راجع Acta 17, 23) .

ولعل هذا هو السبب الذي حدا بالعربي الجنوبي إلى أن يستعمل في أعياده الدينية التي كان يقيمها ، والتي كان يذكر فيها آلهته إلها آلها ، إسماً واحداً يشمل الجميع [1] وقد عرض لمثل هذه الصيغ (د . ه . موللر و ي . ه . موردتمان) فعرضا لثالوث معين كما وجد (موردتمان) في النداء السبائي مقومات الثالوث (عثتر والمقه وشمس) أي الزهرة والقمر والشمس . وقد حاول (هومل) أن يقسم هذه الأسماء ويوزعها على أربع شخصيات . لكن أثبتت الأبحاث الأخيرة أن الإنسان لن يستطيع أن يخرج على الثالوث في بلاد العرب الجنوبية . كذلك الحال في بلاد الحبش القديمة ، فقد وجد مثل هذا الثالوث في عبارات النداء ، وفي سائر أسماء الآلهة العربية الشمالية التي توصلنا إلى فهمها وتبينا فيها عنصر التثليث [2] .

* * *

وكيف نستطيع الآن أن نوفق بين هذه النتيجة وبين ما نعرفه عن الآلهة الساميين ودياناتهم القمر الشمس والمشترى (سين شمس عشتر) إذ أنها الدعامة الأساسية للعقيدة ، وهـذه المجموعة معروفة أيضاً منذ زمن بعيد عند البابليين الأشوريين أيضاً ، وكما أشار (نيلسن) في مؤتمر تاريخ الأديان الرابع المنعقد في ليدن حيث ذكر أنه يجب أن نعتبر هذا الثالوث أو التثليث ظاهرة سامية عامة إذ أن التثليث معروف كذلك عند الساميين الشماليين أيضاً [3] .

---

(١) Z D M G, 20, 1866, J. A. 1845

(٢) J H. Mordtmann und D.H. Muller : Sabaeische Denkmäler, 1883

(٣) D. Nielsen : Gemeinsemitische Götter, Actes du IV. Congres international d'histoire des religions 1913.

والحقيقة أن هذا التثليث الفلكي هو النواة الأصلية عند الساميين لنشأة القصص والأساطير ، وهو أيضاً العامل الذى نجده شائعاً فى سائر أساطير الشعوب الفطرية .

ونلحظ عند الأوربيين أن الكوكبين المشهورين لديهم هما الشمس والقمر ، وكذلك عدد عظيم من النجوم، والزهرة عندهم هى نجم الصباح أو المساء ولو أنه أكثر إضاءة من النجوم الأخرى . أما فى المناطق الاستوائية فيشع هذا النجم ضوءه قويا بحيث يترك ظلا وله فى البحار ضوء لا يقل عن ضوء القمر حتى أن الإنسان ليستطيع أن يستعين به فى القراءة والكتابة . وفى النهار هو النجم الوحيد الذى يستطيع الإنسان رؤيته بالعين المجردة إلى جانب الشمس والقمر وهو لا يرى للعين كمجرد نقطة بل يظهر وكأنه دائرة نجم صغير ، فالنجم المعروف باسم (الواقع) فى السماء هو أكثر النجوم إشعاعا فى نصف السماء الشمالى لكن شعاع الزهرة يفوقه بنحو خمسين مرة . وإذا أردنا أن نعبر عن ذلك بالتخطيط حسب وجهة النظر الأوربية لكان ذلك التخطيط (جرافيك) عبارة عن قرصين وعدد من النقط .... ٥٥ . أما فى المناطق الاستوائية حتى درجة ٤٠ شمالا أو جنوباً عرضاً فبواسطة ثلاثة أقراص وعدد من النقط .... ٥٥٥ .

فمن وجهة نظر الغربيين يكفى أن يؤمن الإنسان بدين فلكى قوامه الشمس والقمر كآلهين رئيسيين لكن فى بلاد العرب والبلاد المجاورة يظهر فلك ثالث لذلك كان التثليث ضروريا . فجاءت الزهرة الوضاءة إلى جانب الشمس والقمر . لذلك كان هـــذا النجم عند هومر هو (كلليستوس أن اورانو استير χαλλιατος ἐν οὐιρανῷ ἀστηρ (الإلياذة ٢٢/٣١٨) كما غناه (اوفيد) كأكثر النجوم وضوحا وإضاءة وقال (بلينيوس) عنه أنه أكبر النجوم[1] .

أما العرب فقد أطلقوا عليه (النجم الثاقب) (سورة ٨٦ ى ١) وفى اللهجة المهرية يسمى (كبكيب نوير) أى النجم المنير أو (زهر) أى النجم أو النجم وعند العبريين يسمى (كوكب اور) أى النجم المضىء . وعند الآراميين (كوكب نوجا) أى النجم المضىء وعند البابليين (نيجيتو جيتملتو

---

(١) Nat. Hist 2 : Iam magnitudine extra cuncta alia sidera est, claritatis quidem tantae,. ut unius hujus stellae radiis. umbrae reddantur.

شوتر تو) أى النور التام العظيم أو (شرت كـكابى) أى ملـكة النجوم .

وللسبب عينه نجد ذكر القمر والشمس والزهرة كأكبر مصابيح سماوية ، ويفرق (ديموكريت Democrit) بين نجم الصباح والشمس والقمر وبين بقية الـكواكب (استيريس ἀστέρες) ويطلق (بلينيوس) على الزهرة منافسة الشمس والقمر[1] وعند الساميين الأقدمين كانت الشمس والقمر والزهرة هى أكبر اجرام السماء . وهن سيدات نجوم السماء فالزهرة ليست إذن نجماً عادياً بل هى فلك عظيم كالفلـكين الآخرين[2] . ويفرق بين الـكواكب من الناحية الفلـكية عند الشعوب المتمدينة بينما بقية الشعوب لا تدرك إلا الزهرة كما أن مرورها بالشمس والقمر سبب نشأة كثير من الأساطير[3] . لذلك تلعب الزهرة إلى جانب القمر والشمس دوراً هاماً عند الشعوب الشمالية . ولا أدل على ذلك من أن هناك أغنية عند الروس البيض ترجمتها

ولو أنها صغيرة إلا أنها مضيئة .

وهى سيدة النجوم[4] .

ولهذا السبب كانت السماء عند العرب البدائيين ، وفى الديانة العربية القديمة عبارة عن القمر والشمس والزهرة فقط .

يتفق الفن العربى القديم مع النصوص العربية القديمة من حيث الـكواكب الثلاثة فنحن نلتقى بهذا الثالوث فى كثير من الرسوم. إذ أن العربى القديم لم يكن يترك فرصة سانحة إلا وينتهزها ليعبر عن هذه العقيدة، ولم يصور العرب الاقدمون — كما أشار المؤلف فى مؤلفات سابقة — هذه الالهة فى صورة أشكال آدمية إذ أن صور الآلهة أو تماثيلهم غير معروفة عندهم سواء فى جنوب بلاد العرب أو فى بلاد الحبشة وإذا وجدت فى بلاد العرب الشمالية فمن الثابت أنها دخيلة جاءت إلى العرب الشماليين من شعوب سامية شمالية ذات حضارة رفيعة . أما شارة آلهة السماء

---

(١) W. H. Roscher : Ausfuhrliches Lexikon der.. 1897 — 1909

(٢) H. Winckler : Himmels... 1903

(٣) Paul Ehrenreich : Die allgemeine Mythologie

(٤) W. Manhardt : Die lettischen Sonnenmythen...

فهى تلك الشارة التى نجدها عليها فى السماء ففى النصب التذكارية نجد شارة الـه القمر (هلالا) أفقياً ‿ وشارة الـهة الشمس دائرة وشارة الزهرة نجمة[١] . فهذه الصور ليست كما كان يظن رمزاً أو شارات للآلهة كما نبه إلى ذلك (زيكه Ziecke) فى الاساطير الهندية الجرمانية[٢] لأنها شبيهة بالآلهة . ففى الديانة السامية القديمة نجد الالهة ينظر إليها كأجرام سماوية كما هو العكس فى علم الفلك السامى القديم حيث أشير إلى الاجرام السماوية كآلهة[٣] .

وبجانب التصور الأولى الفطرى الذى نجده فى الفن العربى الجنوبى نجد بعض الأشكال المنتظمة التى يتكرر حدوثها . فالنجم ، والمقصودة هنا هى الزهرة ، يعبر عنه غالبا فى الفن البابلى الأشورى بثمانية خيوط إشعاعية[٤] ، وكثيرا ما نجد فى النصب التذكارية السبائية والحبشية القديمة والقتبانية أن الهلال معه هالة وفى حالات كثيرة يصعب على الباحث أن يتبين عما إذا كانت هذه الهالة شارة إلى الشمس أو الزهرة. والنقوش الموجودة لدينا لا تعطينا تفسيرا لذلك فعلى النصب البابلية الأشورية تدل هذه الهالة غالبا على قرص الشمس ، وأحيانا على الزهرة وكثيرا ما يشار إلى الكوكبين بأبعاد متساوية[٥] .

فالعالم العربى الجنوبى الأثرى إلا وهو الهمدانى (القرن العاشر الميلادى) يقول (أكليل الكتاب الثامن) أن المكان الجبلى المقدس المسمى (ريام) فوق قمة جبل (أتقا) فى أرض همدان حوله توجد المدن التى تحط عندها جموع الحجاج رحالها .

وهناك أيضا قلعة الملك وأمام باب القلعة يوجد حائط عليه لوحة رسمت عليها صورة الشمس وأضيف إليها الهلال فإذا خرج الملك من القلعة فإن نظره يقع على صورة الشمس فقط وبمجرد رؤيته إياها ينحنى أمامها .

فلا شك فى أن اللوحة التى عرض لها الهمدانى ، وفيها الشمس والقمر

---

(١) A. Grohmann : Göttersymbole...

(٢) E. Siecke : Götteratribute... 1909

(٣) Paul V. Neugebauer u. E. F. Weidener : Ein astrrnomischer .. 1915.

(٤) Z D M G 19, 1865

(٥) Morris Jastrow jr. : Bildermappe... 1912

تتعلق بالموضوع الذى عرضنا له ، ويظهر أنه فى العصور المتأخرة أصبح يفهم تحت صورتى الشمس والقمر . كذلك ليس من المعقول أن يعتبر الإنسان الدائرة الصغيرة التى غالبا ما نجدها على النصب كرمز لنجم . فالحقيقة أن معظم النقوش المتعلقة بها إنما هى نذور للشمس ، ويرجح أن الهالة الموجودة ، تمثل قرص الشمس ، لكن القول الفصل فى هذا الموضوع لا يمكننا الوصول إليه عن طريق النقوش التى وصلتنا[1].

* * *

وأثر هذا التثليث الفلكى الذى كان منتشرا فى بلاد العرب فى العصر الجاهلى ما زال إلى يومنا هذا قائما فى عقائد الشعب وعاداته . والمؤلفون اليونانيون واللاتين والعرب يحدثوننا كثيرا عن طقوس تلك الإجرام السماوية عند العرب ، وحتى نزول القرآن الكريم كانت تلك الطقوس حية .

ويحدثنا هيرونيموس (حوالى ٤٠٠ م) فى تفسيره لعاموس ص ٥ عن الزهرة كآلـه مذكر عند الساميين الجنوبيين فيقول (Luciferum hucusque Saraceni venerantur) ويقول (فيلوسترجيوس) (القرن الخامس الميلادى) : إن عبادة الشمس والقمر عند الحميريين[2] كانت قائمة وهو يذكر الرسالة التى أرسلها إليهم (قونسطنطيوس) . و . و (نيلوس) الأكبر (منذ عام ٣٩٠ م) كان راهبا على جبل سينا ، وهو يتحدث عن عبادة الزهرة عند العرب . فهو يقول — هم لا يعرفون آلها روحيا أو من عمل أيديهم بل يقدسون نجم الصباح ويقدمون له عند طلوعه أحسن ما غنموه ... كما أنهم يضحون له أطفالا جميلة فوق أكوام من أحجار وذلك عند وقت الفلق .

وحدث أن سرق العرب (ثيودولوس) الصغير ابن نيلوس وقدموه قربانا لنجم الصباح لـكن بينما كانوا يقضون الليل فى عمل الاستعدادات اللازمة لتقديم هذا القربان قضى الطفل البائس ليله باكيا متألما وفى الصباح عند ما حان وقت

(١) A. Grohmann : Göttersymbole... 1914

(٢) δύουσιν ἡλίῳ χαὶ σελήνῃ χαι δαιμοσιν ἐπιχωρίοις.

تقديم القربان كان العرب يغطون فى نومهم ولما استيقظوا وجدوا الشمس طالعة ووقت تقديم القربان قد مضى فنجا الغلام من تلك المحنة[١] .

وتتفق هذه القصة مع ما نعرفه من الطقوس الدينية عند العرب الجاهليين فالصابئى العربى وصف وصفا بليغا وقيل عنه إنه كعربى لم يعرف آلها روحيا أومن صنعة يديه ، والعرب يقدسون عادة النجم الثاقب كذلك قال (نيلوس) . ويذكر (كليمنس الـكسندرينوس) أن العرب يقدسون الحجر وكلاهما صادق فى خبره فالدين العربى الساذج دين عبادة طبيعية فعوضا عن أن نجد آلهة معنوية نجد إجراما سماوية ، وعوضا عن أن نجد نصا للآلهة نجد أحجارا عادية غير منحوتة كما توجد فى الطبيعة .

وليس بعجيب أيضاً أن نجد الزهرة آلها ذكرا فى الديانة العربية القديمة وقد عرض (فلهوزن) للنجم الثاقب هذا ، وحاول أن يقنعنا أن الزهرة هى العزى إلا أنه لم يأت بدليل بينما يقول (روبرتسون سميث) وبحق ، أن الطقوس الدينية للزهرة لا تتفق وتلك المعروفة عن (العزى) فى بلاد العرب على أن نستثنى القبائل العربية المتأثرة بطقوس عبادة (عشترت) الأشورية ، والتى كانت مستعملة عند الآراميين .

والشعر العربى يذكر الزهرة مذكرة وحتى عندالعرب الذين عرفهم (نيلوس) فقد كان هذا النجم مذكرا أيضا واسمه (اوسفوروس εωσφόρος) وليس (افروديت) أو (أورانيا) ولا أدل على صحة هذا القول من أن العادة جرت أن يقدم القربان من جنس المقرب إليه أن كان ذكرا فذكروإن كان أنثى فأنثى . فنى حران حيث كانت عبادة آله القمر ، وحيث نظر للقمر كشيخ أصبح قربانه رجلا هرما ممتلىء الوجه (يقدم لك القربان على صورتك) . ولـكن هنا كان ينظر إلى الزهرة كطفل صغير يتفق ومكانته بين العائلة المقدسة كابن لاله القمر وأمه آلهة الشمس .

ويقول (يوحنس الدمشق) (القرن الثامن الميلادى) وقد نشأه أمير عربى وتوفى كراهب فى فلسطين عام ٧٥٤ م أن العرب قدسوا النجوم ، ومن بين هـذه النجوم النجم الثاقب (προσχυνήσαντες τῶ ἑωςφορω ἄστρω)

---

(١) Migne : Patrologia...

ويذكر (اويثيموس زيجابينوس) (حوالى ١١٠٠م) أن الاسماعيليين قدسوا في العصور الخالية (πάλαι) النجم الثاقب . وقد بالغوا فى تقديسه حتى أنهم اعتبروه آلها ذكرا (τήν 'Αφροδίτην δέον ὀνομάζοντες)[١]
وقد حذر القرآن الكريم عبادة الشمس أو القمر (سورة ٤١ ى ٣٧) ومن هذا التحريم يتبين لنا أن القرآن رمى إلى تحريم الالهة الرئيسية الوثنية فالشمس والقمر كانا المعبودين الرئيسيين فى بلاد العرب الشمالية كما هو الحال فى البلاد العربية الجنوبية أيضا . وفى القسم الذى ورد فى سورة ٨٦ ى ١ أطلق عليه لفظ (النجم الثاقب) كذلك أطلق عليه القرآن اسم (الطارق) ويفهم من الاية التالية أن المقصود به هو النجم الثاقب أى الزهرة إذ ورد (الطارق النحم الثاقب) أى زهرة أو النجم سورة ٥٣ ى ١ ...

وقد ورد ذكر الثلاثة فى سورة ٥٥ ى ٤ وما يليها (شمس قمر والنجم وفى السورة ٦ ى ٧٤ (قارن سورة ٣٧ ى ٨٦) جاء وصف ابراهيم بالتوحيد خلافا لمعاصريه الذين كانوا وثنيين تخالف عبادة (كوكب والقمر والشمس) . وقد تكون هذه الكواكب هى معبودات معاصريه وكانت تذكر عادة حسب الترتيب التالى (عثتر قمر شمس) .

وحتى يومنا هذا ما زلنا نجد بين العرب والاحباش كثيرا من بقايا الديانة الطبيعية تحت ستار الاسلام أو المسيحية إذ نجد شيئا من طقوس القمر والشمس والنجم الثاقب . ويحدثنا الاستاذ (ليتمان) عن عبادة القمر فى الحبشة كما يحدثنا (بلجراف) عن عبادة الشمس وتقديس الزهرة ، وهى النجم الثاقب عند بدو بلاد العرب[٢] .

أسرة الآلهة

أسماء ، شخصيات ، كواكب ، هذه هى النواحى الثلاث التى تعتمد عليها

---

(١) F. Tuch : Z D M G 3, 1849...

(٢) E. Littmann : Sternensagen und Artrologisches aus Nordabessinien 1908...

أبحاث العلماء للوصول إلى كنه عبادة الآلهة . فالأسماء الآلهية التى تظهر لنا كما لو أنها معانى ترجع فى الأصل إلى شخصيات آلهية وإنها من ناحية أخرى نشأت عن إجرام سماوية طبيعية غير شخصية .

وبعد بحث حول مجموعـــة من الأسماء وصلنا إلى ثالوث آلــهى يعتبر بحق هو الأساس لـكل تعاليم الآلهة . وقيام هذا الثالوث نشأ، لا عن تطور من بسيط إلى مركب بل من عوامل طبيعية كانت فى الأصل ميتة ، وعلى هذا الاعتبار أصبح الدين الطبيعى دين مدنية وحضارة . وهنا نلتقى بنفس التطور الذى حدث فى سائر أنواع الديانات والنواحى الدينية فـكل نواحى الحياة الدينية كانت أصلا تفهم من الناحية الطبيعية المادية . فالله فى الأصل شىء مادى قد يراه الإنسان فى السماء أو فى هيئة صنم، وهو يشعر ويحب . والخطيئة عند الساميين الأقدمين، كما هو الحال عنــد سائر الشعوب الفطرية ، كانت شيئا ماديا ينتقل إلى الآخرين عن طريق اللمس . كما إننا نستطيع أن ننقلها إلى القربان الذى ينوب عنا لمسح الخطايا . وكذلك الخلاص من الخطية يحدث أيضاً عن طريق مادى ، وذلك بأكل أو شرب لحم آلهى ودم آلهى هو الموجود فى الحيوان فالأكل والشرب إنما يقع على الله الموجود فى الحيوان أو فى القربان ، وقد لاحظ ذلك وبحق (روبرتسون سميث)[1].

ومع مرور الزمن وتقدم الحضارة والمدنية تحولت هذه النواحى المادية إلى أخرى مثالية فأصبحت الافلاك السماوية الميتة عبارة عن شخصيات لها كيانها الخاص وهى حاملة المثل العليا .

ومن الثابت أن بيت القصيد فى فـكرة الله عند العرب الاقدمين مركز فى مسألة تقديس التثليث الفلـكى القمر . الشمس . النجم الثاقب (الزهراء) لـكن الثابت أيضاً أن هذه الأفلاك لم تـكن هى وحدها الأشياء الطبيعية الميتة فالطريق الذى سلـكناه حتى الآن فى أبحاثنا : أسماء شخصيات أفلاك : يثبت أن آلهة العرب الاقدمين كانت أكثر من الافلاك .

---

(١) W. Robertson Smith : Lectures on the Religion of the Semites 1889.

D. Nielsen : Der dreieinige Gott... 1922

ولا توجد بين الاساطير المنتشرة فى العالم أسطورة تقوم بدور هام فى تجسيد الكواكب كالاسطورة المتصلة بالقرابة أو العائلة . فهذه الاسطورة العالمية تقول إن زواجا يتم بين القمر والشمس وإنهما يجتمعان مرة فى كل شهر . وعند إتجاه الكوكبين نحو الارض[1] ويتصل بهذه الاسطورة الرأى القائل بأن القمر مذكر والشمس أنثى لذلك أصبحت الشمس مؤنثة فى العربية والألمانية مثلا بينما القمر مذكر . والعكس فى اليونانية إذ أن (هليوس) أى شمس مذكر و (سيلين Selene) أى قمر مؤنث . وفى اللاتينية (سول Sol) مذكر و (لونا Luna) أنثى ، وكذلك الحال فى الفرنسية والإنجليزية .

أما الفكرتان فتابعتان لبعضهما ، ولو أن الأولى أقدم . ومن هنا نشأ الخلاف بين الشمس والقمر . وتأنيث هـذه أو تفكير تلك . وإذا لاحظ الإنسان كل شهر سير القمر فى السماء فإنه يجده مسرعاً فى سيره بخـلاف الشمس حتى إذا ما جاء وقت النقصان استطاع أن يلحق الشمس ، وفى نفس الوقت يأخذ القمر فى الاختفاء تدريجياً حتى يغيب عنا بعد أن يلحق بالشمس ثلاث ليال يظهر بعدها هلالا ثانياً . ومن ثم يأخذ فى الزيادة ثانية ويبتعد عن الشمس . فحركات القمر وقربه أو بعده من الشمس واختفاؤه معها ثلاث ليال شهرياً حمل الإنسان الفطرى فى سائر أنحاء العالم على الاعتقاد بأن ذلك زواج سماوى وأثر هـــذه الأسطورة نجده حياً فى شعوب كثيرة (ἱερός γάμος) .

ويستخدم اليونانيون لالتقاء القمر بالشمس الكلمة (σύνοδος) وهى تدل فى نفس الوقت على نـكاح . وفى الهندية نجـد (سم جم sam gama) فى نفس المعنى أيضاً .

وفى أغنية من أغانى الزفاف فى الريجفادا نجـد (سم sam) أى (القمر) و(سوريا Surya) أى (شمس) يمدحان كمثل أعلى للزواج . يجب على البشر الأخذ به . ومن الغريب أن الفرد من أفراد البراهمة لا يقرب امرأته إلا مرة واحدة كل شهر .

(١) F. L. W. Schwartz : Sonne, Mond und Stern 1864
E. B. Tylor : Primitue Culture
W. Mannhardt : Die lettischen Sonnenmythen.

وفى الأسطورة اليونانية الرومانية نجد فكرة زواج القمر بالشمس أو زواج الآلهة القمرية بالآلهة الشمسية تقوم بدور هام حتى أن سكان أثينا اتخذوا أيام اجتماع القمر بالشمس أياماً للزفاف .

كذلك الحال فى الأسطورة الجرمانية نجد نفس العناصر إذ نجد عند الجرمان وعند الاستلنديين وقت اجتماع الشمس بالقمر هو وقت الزفاف عندهم خاصة وقت ظهور الهلال .

وفى الأساطير الأولية للمتوانيين نجد ظاهرة الحب السماوى هى الظاهرة المحببة إلى نفوسهم . فمثلا نجد فى (منه ١٤) ما ترجمته :

فوق البحر يعبر (بركون) (إله القمر)
إلى الجانب الآخر ليحضر امرأة
ومع العروس تأتى الشمس
خلال الغابات ملتهبة

وفيما يتصل بالأيام الثلاثة التى يتصل فيها القمر بالشمس يقول القمر (منه ٧٣) ما ترجمته :

ثلاث ليال أعددت السرير
منتظرا النائم الآخر
وفى الليلة الرابعة لم أعد السرير
رافقت الحبيبة (الشمس) إلى المنزل
نساجة غطاء النجوم

ويبدأ الزواج عادة فى فصل الربيع (منه ٣٦)

أخذ القمر الشمس
زوجاً فى أول الربيع
واستيقظت الشمس مبكرة
ترك القمر منذ ذاك[1]

---

(١) W. Mannhardt : Die lettischen Sonnenmythen... S. 82 — 83

وولدت للشمس والقمر النجوم . هكذا تقول الأسطورة . وإن كانت هناك أسطورة أخرى تقول أن النجوم نشأت عن تكسر حدث للشمس ، وفى أسطورة الأسرة تظهر النجوم كأبناء للشمس والقمر فقد جاء فى أغنية روسية ما ترجمته :

الشمس المضيئة هى سيدة البيت
القمر المضئ هو سيد البيت
والنجوم المتلألأة هى أطفالها(١)

وتدعى النجوم ، كأبناء للشمس ، الحكماء ، وهم يظهرون فقط بعد غياب الشمس ، ومن ثم يتبعونها . فقد جاء فى (منه. ٥) ما ترجمته :

عرجى أيتها الشمس وتلفتى فى جريانك
من يتبعك ويسير فى ظلالك
مئات من الأطفال الحكماء
حفاة الأقدام يبحثون عنك

وكما أن فكرة الزواج جعلت من الشمس والقمر شخصين حقيقيين كذلك أسطورة الأسرة تجعل من العدد العديد من النجوم أشخاصاً أحياء يقطنون السماء . وهؤلاء الأشخاص هم أبناء الشمس والقمر . وكما أن الشعوب الفطرية تعتقد أن سائر البشر انحدروا من حواء وآدم كذلك ظنوا أن سائر الأجرام البشرية مصدرها آدم سماوى وحواء سماوية .

لكن الشيء الجدير بالنظر هو ما جاء فى الاساطير العادية المنتشرة بين الشعوب الفطرية خاصاً بالنجم الثاقب (الزهراء) فهذا النجم يقوم بدور هام إلى جانب الشمس والقمر . وهذا الدور ما زال غامضاً لحد ما عند الشعوب التى على جانب ما من الرقى . رأينا أن النجم الثاقب يتمتع بمكانة ممتازة بين الشمس والقمر لذلك عرف بالإبن بينما ظلت النجوم الاخرى فى مرتبة أخرى لم تبلغ مرتبة الالـهة . ولم تنحط إلى مرتبة الإنسان إنما وضعت فى مرتبة تناسب ما عرف

---

(١) W. Mannhardt : Die lettischen Sonnenmythen... S. 303
Ditl Nielsen : Der dreieinige Gott, Berlin 1912,
Ditl. Nielsen : Die Sterne als Söhne Gottes, S. 259 ff.

فيما بعد بمرتبة الملائكة ولو أن جميع هذه النجوم تعتبر أبناء للشمس والقمر إلا أن الذى تقوم به فى الوجود لا يتناسب ودور الزهراء التى يرد ذكرها دائماً إلى جانب الشمس والقمر وتكون معهما ثالوثاً الـهياً من أب وأم وإبن . وقد رمزت الأسطورة إلى هذا الثالوث بدوائر تبين التفاوت الموجود بين أفراد هذا الثالوث .

وفى الطقوس الدينية تذكر الزهراء إلى جانب الشمس والقمر . وفى أسطورة الأسرة تذكر كطفل إلى جانب الوالدين كما يرمز إليه برمز صغير بخلاف القمر والشمس . وهذه الظاهرة موجودة بقاياها فى جهات مختلفة من العالم ، والآن نكتفى بذكر بعض الأمثلة .

فاللتوانيون يعتقدون أن النجوم هى أبناء الله أعنى أبناء القمر لكن من بينها يوجد نجم واحد يعرف بأنه ابن الله، وهو يذكر فى الأسطورة بهذه الصفة إلى جانب الوالد والوالدة . هذا النجم هو نجم المساء وهو نجم الصباح وهذا ما حمل اللتوانيين على القول بأن لله ابنين .وهكذا كان الحال عند اليونان إذ قدسوا نجم المساء ونجم الصباح كابنين لله Διός χουροι أى (الديوسكورين) وكذلك عند الهنود حيث نجد Acvins لنجمى المساء والصباح .

فنحن نرى أن الأسرة الإلـهية قد انتشرت فى السماء ،وعن الإلـهين الرئيسيين الشمس والقمر نشأت سائر النجوم ، وهى أبناء الله لكن اختار النجم الثاقب كابن له .

أما سائر النجوم فهى كائنات إلـهية أو كائنات انحدرت من أصل إلـهى ومنزلة هذه النجوم هى منزلة الملائكة عند الشعوب المتحضرة، وقد تتصل فكرة الملائكة أصلا بهذه الصورة البدائية .

هذه هى الفكرة الساذجة لتعليل الخليقة وأنها بالرغم من بساطتها هامة جداً فى الدين السامى .

إن أسطورة الأسرة أو القرابة خلقت من النجوم آلهة وخلع الإنسان عليها صفات وخصائص الأسرة البشرية من أب وأم وابن ، فنحن نرى هنا كيف أن الله أصبح أباً والبشر أبناءه ،وهذه الفكرة هى التى ظلت باقية حتى تجلت واضحة فى الديانة المسيحية حيث نجدها تصور عيسى ابناً لله .

النجم الثاقب هو إبن وسائر النجوم ملائكة بالتعبير المصطلح عليه فى الديانات المتأخرة . ولا شك فى أن فكرة الملائكة أخذت عن هذه العقيدة القديمة[1] .

ومن ثم نجد اعتقاداً آخر قد نشأ عند الشعوب الفطرية ، وبعض الشعوب المتمدينة وهو أن بنى الإنسان والحيوانات يتبعون الاسرة المقدسة ، فالإنسان مثل النجوم ولد من الالـهين العظيمين[2] .

وأسطورة الأسرة أو القرابة جعلت من الآلهة الفلكية غير الشخصية آلـهة شخصية ، ومن ثم جعلت من هذه الشخصية شيئاً روحيا بحتا ، وفكرة اعتبار الله أبا للبشر ، وأن البشر ابناء الله ظاهرة قديمة جداً فى الديانة السامية القديمة رافقت الدين فى مختلف عصوره وأطواره من حالته الفطرية إلى ظهور المسيحية .

فلذلك إذا أردنا أن نستعرض فكرة الله عند العرب الأقدمين ، وأردنا أن نكون فى استعراضنا مخلصين للمصادر التى بأيدينا وجب علينا أن نعرض لطبيعة الآلهة فنفهمها ، ومن ثم كيف أنها بنيت على الاسطورة الفلكية . وهذا بالرغم من أن فكرة الله تختلف لحد ما فى الطبيعة الشخصية ، ولو أن هذا الاختلاف لم يفارقها فى الأدوار التاريخية المختلفة . والآن سنعرض للشخصيات الالـهية الثلاث تحت عنوان الـه القمر الـهة الشمس والزهراء .

الثالوث الفلكى

الـه القمر

أنى وجهنا النظر فى بلاد العرب القديمة ، وجدنا ذلك الالـه هو الالـه الرئيسى وهو الذى ينفرد بالكثرة المطلقة من الأسماء والألقاب فى الأساطير ، فى

---

(١) W. Mannhardt : Die lettischen Sonnenmythen. S. 305 ff

(٢) فى العهد القديم كثيراً ما يقارنا بالنجوم مثلا أيوب ٣٨ / ٧ والمزامير ١٤٨ / ٢ و / ٣ و ٨٩ / ٦ وكذلك اليوم عند المسلمين راجع S. I Curtiss : Ursemitische Religion im Volksleben des heutigen Orients, 1903, S. 142

الحياة اليومية فى الطقوس الدينية ، فى التقويم ، فى أسماء الأعلام نجده ظاهراً قويا مهيمنا على سائر نواحى الحياة السياسية والدينية هيمنة بمقارنتها بالدور الذى تلعبه الشمس فى الديانات السامية الشمالية ، حيث الشمس هى الآلـه الأكبر نصل إلى النتيجة الآتية وهى أن الديانة العربية القديمة ديانة قمرية[1] . ولعل السبب فى ذلك هو العوامل الجغرافية والمناخية . فالشمس محرقة متعبة بينما القمر هو دليل الحادى ، ورسول القافلة . وليس عبثاً أن نرى فى العربية التعبير (القمران) للشمس والقمر[2] .

وإذا أردنا أن نبحث عن آلـه القمر عن طريق أسمائه الفلـكية لتعثر علينا الأمر وما استطعنا الاهتداء إليه إلا بعد جهد جهيد وذلك لقلة وروده فى النصوص التى وصلتنا إلا أننا نجده بين الأسماء غير الفلـكية التى تبين لنا نواحى أخرى من نواحيه كآلـه شخصى . وقد أثرت هذه الأوضاع فى شخصيته حتى أصبحنا لا نجده فى عالم النصب إلا متأخراً .

أما الأسماء العادية للقمر كآلـه قمرى ، والتى نجدها عند مختلف الشعوب السامية فهى (ورخ) و (سين) و (شهر[3]) فهذه الأسماء غالبا ما نجدها فى مختلف النقوش سواء كانت فى جنوب بلاد العرب أو بلاد الحبشة أو فى شمال البلاد العربية[4] لـكن الشىء الأهم هو أن كل الأساطير التى لدينا بمحتوياتها الدينية المختلفة ترجع كلها إلى القمر .

وفى الرموز الحيوانية اختير الثور لقرنيه اللذين يذكران بالهلال كحيوان

---

(١) Fr. Hommel : Aufsätze und Abhandlungen II
Fr. Hommel : Der Gestirndienst dei alten Araber
D Nielsen : Die Altarabische Mondreligion, 1904

(٢) I. Ideler : Lehrbuch der Chronologie, 1831 Z D M G, 13, 1859
Alfred von Kremer : Uber die südarabische Saga Z D M G, 22, 1868

(٣) اللفظ العادى فيما بعد هو (قمر) لـكن فى كثير من اللهجات العربية الجنوبية ما زلنا نجد إلى اليوم (شهر) .

(٤) Fr. Hommel : Aufsätze und Abhandlung

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مقدس لآلـه القمر فهو يسمى (ثور) . وكذلك الحال عند الشعوب السامية جنوبية[1] .

وكما أن الشمس هي الأم العظمى الالآـهة كذلك القمر هو الأب السماوى . ومن عدد عظيم من الأسماء والألقاب يتضح لنا أن هذا الالآـه كان ينظر إليه كالجد الأكبر للقبيلة ، للشعب ، وبنى آدم . ومن هذه الأسماء نجد لفظ (أب) وكذلك (عم) وقد أصبح ذلك اللفظ فى العربية المتأخرة قاصراً على (العم) . لكن قديماً كان يدل على نفس المعنى الذى يدل عليه لفظ (أب) بمعنى الجد الأكبر أو الأصل . وبهذا المعنى يلعب هذا اللفظ الدور الهام فى وصف ذلك الالآـه بكونه الرحمن الرحيم بالبشر وحاميهم[2] .

ومن بين أسماء الالآـهة أيضاً نجد الاسم (كهل) بمعنى (كاهل) أى كهل ونجد هذا اللفظ كثير الورود فى النقوش العربية الجنوبية والشمالية ويصور هذا اللفظ آلـه القمر عند الشعوب السامية الشمالية كأنه رجل كهل وكذلك قد يصور عند العرب الجنوبيين أيضا[3] .

وكرجل كهل يصوره العرب أيضاً كرئيس للقبيلة فهو أى آلـه القمر فى كل الأساطير السامية (الحـكيم) و (القدوس) و (العادل) فيظهر لنا الآن المعنى الواضح المستعمل عند العرب الأقدمين مثل (صادق) أى (العادل) و (حكم) أى (الحـكيم[4]) ونجد أيضاً أسماء أخرى لالآـه آخر وهو (نهى) وهذا الاسم كثير الورود فى النقوش الثمودية المنتشرة فى شمال ووسط الجزيرة وربما يقرأ هذا الاسم (ناهى) أى الذكى أو الحـكيم[5] ونفهم كذلك بعض الأسماء العربية

---

(١) D. Nielsen : Altarabische Mondreligion, 1904
A. Grohmann.: Göttersymbole und Symboltiere

(٢) D. Nielsen : Der dreieinige Gott, Kap. 5, S. 77 — 78 Anm., S. 199 ff., 212 ff.

(٣) جلازر ٢٩٩ وهليفى ٢٣٧ .

(٤) D. Nielsen : Neue Katabanische Inschriften

(٥) I. Halevy : Nouvelles Remarques sur les Inscriptions proto-Arabes.

الجنوبية أمثال (حرمن) أى القدوس والاسم (محرم) وهو اسم الآله الحبشى الأكبر[1] .

وكثيرة جداً الأسماء التى تصف ذلك الآله بأنه (المبارك) و (المعين) و (الحامى) وخصوصاً (الأب الحنون) . فالشعب كان يتصوره ويشعر نحوه كأنه أب، وهذا الشعور هو المحور الرئيسى الذى تدور حوله الأسماء التى أطلقها الشعب عليه . أما الصلة بين الأب والابن فقد فهمت فى أول الأمر على أنها صلة بشرية طبيعية[2] :

اسم آخر من أسماء الآلهة كان معروفا عند العرب الجاهليين إلا وهو (ود) أى حب . ويقصد هنا الحب الآلهى ضد الحب الجنسى، وقد جاء فى نقش لجلازر ٣٢٤ فى لوح من البرنز سبأى اشتراه من صنعاء وهو محفوظ الآن فى دار العاديات ببرلين (قدم عبد أصداق وأبناؤه ... إلى آله القمر (ود) (ودم شهرن) هذا النقش وهذه المبخرة عوضاً عن المبخرة التى سرقت من مقامه ...) فهنا نجد أن (ودم شهرن) يعنى (ود شهران أى آله القمر ود أو ود القمر) وقد وصف (ود) فى نقش معينى من برقيش (هلفى ٥٠٤ السطر الثانى) و (هومل النصوص العربية الجنوبية ص ٩٥) كيف أن (عم) وصف بالاسم (ى ع ن) أى السامى (القمر) فربما يدل ذلك على أنه وصف كأنه آله القمر ... فود إذن هو اسم لآله القمر العربى .

وقد ورد لفظ (ود) كثيراً فى الثمودية كتحية وكآله وجد فى النصوص اللحيانية . ففى النقش اللحيانى (جوسان و سفنياك رقم ٤٩) .. نجد (عبد ود) أى كاهن ود[3] وقبيل ظهور الإسلام ورد اسم ذلك الآله ضمن أسماء أعلام كما ذكر فى القرآن الكريم سورة ٧١ ى ٢٢ وقد حكى القرآن عنه بأنه آله جاهلى قديم وجد قبل زمن الطوفان[4] .

---

(١) D. Nielsen : Die äthiopischen Gotter, Z D M G, 66

(٢) الله المثلث .

(٣) أوتنج ٨٤٥ و D. H. Müller : Epigraphische...

(٤) L. Krehl : Ueber die Religion der vorislamischen Araber, 1863, J. Wellhansen : Reste arabische

وانتشار عبادة ذلك الآلـه يتفق ومركزه الدينى والاجتماعى فى المملكة العربية الجنوبية القديمة فكثيراً من الطلاسم والعزائم تحمل الكتابة (اب م و د م) أو (و د م اب م) فهنا لا يستعمل لفظ (اب) أو (و د) فاعلا لجملة ما لكن معنى العبارة الحقيقى (الأب محبة — الصديق —) أو (حب — الصديق — هو الأب) .

ووظيفة أخرى من وظائف آلـه القمر العربى الجنوبى القديم تركت عند الساميين الأقدمين أثراً عميقاً جداً جعلها جديرة بالعناية والاهتمام . نحن نعلم أن الساميين ينظرون إلى القبيلة والشعب كعائلة واحدة وأن هـذه العائلة ترجع فى الحقيقة إلى (أب) واحد ، وذلك الأب الأسطورى هو فى الواقع آلـه القبيلة أو آلـه الشعب، وفى العصر الذهبى لعبادة الأفلاك كان أبو القبيلة هو آلـه القمر .

والمعينيون حسب النقش المعينى الشمالى (أويتنج ٥٧) هم أولاد (هـ — ود) يعنى (أولاد ود)[١] والشعب القتبانى هو (ولدعم)[٢] والسبائيون حسب نقش صرواح العظيم (جلازر ١٠٠٠) هم (ولد المقه) وابن المقه ود وعم والمقه وكلها أسماء لآلـه القمر . فمن هذا يتبين لنا أن الديانة العربية القديمة عرفت آلـه القمر وعند مختلف شعوبها وتحت اسم خاص كآلـه شعبى . وفى نفس الوقت هو الآلـه الأسطورى أو أبو القبيلة الأصلى الذى منه انحدرت القبيلة[٣] .

ولا نستطيع هنا أن نعرض لسائر أسماء وألقاب آلـه القمر عنـد العرب الأقدمين لكن إسماً واحداً يجب أن نذكره هنا وهومشترك فى هذه الأسماء جميعها وبه تتصل أكبر مشكلة فى الديانات السامية[٤] . وذلك الإسم هو (ال) أو (آلـه) بمعنى (الله) أو (ال) .

أما المعنى البدلى لهذه الكلمة فلا يهمنا كثيراً فى هذا المكان . لكن نلاحظ فى جميع اللغات السامية أن لفظ (ال) أو (آلـه)، فى عهد تعدد الآلـهة، يقابل

---

(١) D. H. Müller : Epigraphische

(٢) D. Nielsen : Neue Katabanische

(٣) D. Nielsen : Der sabäische Gott Ilmukah

تماماً لفظ (الات) أو (الآلهة) ليس فقط كبدل لكل الـه أو آلهة لكن كثيراً ما جاء كاسم علم كاسم خاص لالـه .

وكثيراً ما نجد (الله) فى الأسماء السامية القديمة كالـه من الالـهة التى كانت تقدس ، ولو أننا نادراً ما نلقاه كالـه له طقوسه الدينية الخاصة ، فقد جاء ذكره فى نقش (هد اد وبنامو) الذى عثر عليه فى شمال سوريا حيث نجد (هداد و ال) و(ريشف) و(ركوب) ال وشمس. وجاء فى النقوش العربية الجنوبية من مدينة حرام ذكر (ال) كالـه إلى جانب آلهة آخرين . وفى نقش (هليفى ١٥٠) مثلا نجد خادماً لـ (ال) و(عثتر) وفى (هاليفى ١٤٤) نجد (او س . ال) من قبيلة (ريمن) وهو كاهن (ال) و (عثتر)[1] .

ومثل (الالـه) (ه ا ل) ومختصراً (ه ل ه) نجد نفس الالـه فى النقوش العربية الشمالية سواء فى الثمودية أو الصفوية . فمن الحقائق الهامة أننا نجد نفس الالـه وقد جعل منه الإسلام الـهاً والـه العرب الوحيد . فقد كان هذا الالـه معروفاً منذ قرون عديدة فى النقوش العربية الشمالية قبل النبى العظيم . وصدق (ديسو Dussaud) فى قوله : أن النقوش الصفوية أخبرتنا وللمرة الأولى وبدليل لا يقبل الشك كيف أن (الله) كان معروفاً لدى العرب وكان مقدساً خاصة فى المجمع الالـهى العربى الشمالى قبل أن يبشر به الإسلام كالـه للتوحيد[2] . لكن يلاحظ على ذلك :

١ — ان (الـه) الوارد ذكره فى النقوش الصفوية ذكر أيضاً فى النقوش الثمودية التى عثر عليها (هوبر) عام ١٨٩١ ، وذلك ضمن أسماء أعلام ، وعلاوة على ذلك فقد كان مثل (ا ل) معروفاً فى كل مجاميع النقوش العربية القديمة . فذلك الالـه ، وذلك الاسم كانا إذن معروفين فيها قبل الإسلام ليس فقط فى شمال بلاد العرب بل وفى كل الجزر العربية .

---

(١) Lidzbarski : Handbuch der nordsemitischen Epigraphik I, 1898 ; J. A. 1872

(٢) René Dussaud : Les Arabes en Syrie avant l'Islam, Paris 1907

٢ — أما الـ (هـ) الواردة قبل (آلـه) فهى ليست (ها) النداء بل هى أداة التعريف العربية الشمالية . فنى اللهجات العربية الشمالية تظهر الأداة عادة قبل أسماء الأعلام والآلهة . فنى العربية الشمالية نجد (ه آلـه) وهى تقابل فى العربية الجنوبية (آلـه ن) (جلازر ٢٨٠٤ السطر الخامس) معينى[1]. و(جلازر ٥٥٤) سبأى[2] . كما هو الحال فى اسم الآلـه (كهل ن) يعنى الـكهل و(رحمن ن) أى الرحمن . والآن أصبح من الواضح أن الآلـه العربى الشمالى الذى عرف فيما بعد باسم (الله) عند المسلمين هو فى الواقع من (ا ل ا آلـه) وهو معروف كما اتضح لنا ذلك من النقوش الجاهلية العربية الشمالية (هـ ا آلـه) . ف (ا آلـه) القرآن يتفق تماما من ناحية حقيقته مع (ا آلـه) النقوش العربية القديمة . فهو يحمل نفس الأسماء والصفات والألقاب ، وهو مثله أيضاً ا آلـه العالمين وليس ا آلـه قبيلة أو شعب ولم ينظر إليه يوماً من الأيام كانسان أو عبر عنه كانسان . وهو يشبهه من الناحية الشكلية أيضاً فالاسم هو الاسم الجاهلى العربى الشمالى المعروف والفرق الوحيد هو أن أداة التعريف ، التى لو وجدت فى السامية الأم ، تتكون فى اللهجات السامية المختلفة من ضمائر أشارة مختلفة متباينة بينما فى النقوش العربية الجنوبية نجد أن التعريف يعبر عنه عادة بالحاق (— ن) إلى المعرف فنحن نجد فى النقوش العربية الشمالية نفس أداة الأشارة (هـ) تستعمل كأداة تعريف كما هو الحال فى العبرية . فهذه حقيقة لها قيمتها وأثرها فى النزاع القائم حول أصل اليهود ، والوطن الذى جاءوا منه وفى لهجات أخرى عربية شمالية نجد (ا ل) وفى السريانية والآرامية نجد (ا آلـها) فهى نفس الـكلمة المعرفة ومعناها (الله) وهذا (الله) لم يأت فقط مع محمد بل كان معبوداً مقدساً فى أنحاء بلاد العرب منذ العصور القديمة . ولو أن (ال) أو (آلـه) فى عصر تعدد الآلـهة لم يلعب دوراً هاما إلا أنه كما هو ثابت أنه الآلـه الرئيسى عند الشعوب السامية منذ العصور التاريخية .

أما من ناحية الطقوس فقد ورد (ال) أو (ا آلـه) قليلا نادراً . إذا ملنا

(١) Fr. Hommel, Südarabisch., WZ K M, 1888 e

(٢) Ed. Glaser : Zwei Inschriften, CIS p. 4 T. 2

مقورن بالآلـهة الآخرين لـكن فى أسماء الأعلام العربية القديمة نجد الأمر على عكس ذلك[1].

وعند الساميين الشماليين نجد اسم الآلـه (بعل) كثير الورود ومعنى هذا اللفظ (سيد) وهو يقابل (ال) عند العرب[2].

و (ال) فى كتاب العهد القديم بالرغم من دلالته على إلـه عبرى قديم إلا أن أهميته تضاءلت ولم يرد له ذكر إلا فى الشعر أو بعض المواضع الأخرى[3].

وأخيراً نجد حركة إصلاح دينى عند الساميين تصل بشخصية هذا الآلـه إلى مكانة ممتازة ، وذلك لأن العقيدة السامية حررت هذا الآلـه الرئيسى وفصلته عن سائر الآلـهة . ولم تقف هذه العقيدة بهذا الآلـه عند هذا الحد بل استنكرت وجود آلـهة أخرى إلى جواره . وهذه الظاهرة نجد مايشبهها فى تاريخ الأديان ، ففى مصر القديمة نرى (امنحوتب الرابع) يقوم بحركة اصلاح دينية عظيمة قصد منها جعل الآلـه الشمسى لا الآلـه الأعظم فحسب بل الآلـه الواحد الأحد أيضاً . وفى القرآن الكريم نجد كل صفحة من صفحاته تفيض بالحديث عن (الله) الأحد الصمد[4].

وشعار الاسلام هو (لا آلـه إلا الله) وهكذا كانت وصية العهد القديم (لويهى لك الوهيم احريم) (خروج ٢٠ ى ٣) أى لاتتخذ (تـكن) لك آلـهة أخرى وذلك الآلـه الذى يتكلم هكذا هو نفس الآلـه الذى نجده عند سائر الساميين هو بعينه آلـه الاسلام ، ورب محمد . الآلـه يحمل اسما خاصا فعند العبريين (يهو) واللفظ العبرى (الوهيم) ماهو إلا صيغة أخرى للفظ السامى العام (آلـه)[5]

---

(١) Fr. Hommel : Die Altisraelitische. 1897

(٢) Ed. Meyer in Roschers Lexikon der...

(٣) D. Nielsen : Mordarabischen Götter...

(٤) J. A. 1859

(٥) الوهيم صفة جمع إلـه مع التعظيم .

ولقد اعتقد (رينان)[١] وتبعه (الجرنج) وغيره اعتماداً على هذا الاسم الشائع بين الساميين أن عقيدة التوحيد قديمة عندهم بالرغم من قيام الأدلة على انتشار فكرة الآلهة خاصة فى أسماء الأعلام [١] . والظاهرة الأخيرة استغلها فريق آخر وأنكر وجود الآله (ا ل) عامة [٢]

وسواء صح هذا الرأى أو ذاك فالمهمة الملقاة على عاتق تاريخ الأديان كشف الستار عن حقيقة هذا الآله ، وان سائر المحاولات التى بذلت فى سبيل معرفة معنى اللفظ لم تأت بفائدة ما ، ويعتقد أن دراسة الأسماء المركبة التى جاء فيها هذا اللفظ قد تعيننا لفهم هذا الآله ومعرفة خصائصه. هذا مع الاحتياط عند دراسة الأطوار التى مر بها هذا الآله فى النقوش العربية القديمة خاصة عندما تتحدث عنه كاله للقمر [٣] .

يقرر المؤلف أن هذا الآله كان فيما قبل التاريخ يمثل قوة ما من القوى كتلك التى نجدها شائعة عند كثير من الشعوب الفطرية . وان هذه القوة الالهية أو هذه الشخصية شبهت فى عصور متأخرة بهجوم سماوى توقفت عليه حياة الساميين الأولين ، ومما يرجح هذه الفكرة ويدعمها أن اله القمر كانت له منزلة لا تطاولها منزلة أخرى من الناحية العقلية ، وان هذا الآله بعد مجئ التوحيد إلى العبريين والعرب أخذ يقوم بدوره أيضاً من الناحية الفلكية ، ومن ثم نجده فيما بعد يتجرد من القمر ، ويعود إلى حالته الأولى أعنى أنه اله شخصى عقلى لا علاقة له بالمظاهر الطبيعية .

وبعد التسليم بهذه المقدمات يجب ملاحظة أن (ا ل) أو (الآله) فى العصر التاريخى كما تحدثنا النقوش السامية القديمة ، والتى ترجع إلى عصر تعدد الآلهة

---

(١) E. Renan : Histoire Général et système compare des langues Sémitiques, 1855

(٢) Fr Hommel : Die altisraelitische...
H. Zimmern : Die Keilinschriften und das A T, 19C3

(٣) D. Nielsen : Ueber die nordarabischen Götter
يعارضه D. S. Margoliouth : The Relations between Arabs and Israelites... 1924.

كان ينظر إليه كالـه قرى لذلك يجب أن نعرض لدراسة اسمه هنا ضمن أسماء آلـه القمر . أما تعدد الآلهة عند الساميين فقد يكون مرجعه تقديسهم لمظاهر الكون المختلفة. ومن النقوش العربية القديمة يتضح لنا أن الشمس والقمر نظر إليهما كما لو أنهما زوجان وأن القمر هو الذكر والشمس هى الأنثى وثبت من تلك النقوش أيضاً أن (الات) أو (الـهة) اسم من أسماء الشمس لذلك من الجائز أن (ال) أو (الـه) اسم من أسماء القمر .

ونعلم أن الالـه الأعظم عند العبريين كما هو الحال فى الممالك العربية القديمة كان يسمى بجانب (الله) أيضاً (يهو ، و ، ود ، و القه) وهذه الأسماء تدلنا على أنه كان الـها شمسيا . ولما قد ثبت أن هذه الأسماء تصف الـه القمر فالنتيجة الحتمية التى لا بد وأن نصل إليها هى أن (الله) اسم آخر لنفس الالـه وهو أيضاً الـه قرى .

وفى الواقع فأسماء الأعلام العربية الجنوبية مثل (ال ذرح) أى (الله يضىء) و (ال شرح) أى الله يتلألأ و (ال يبع) أى الله يشع و (ال مبت) أى الله مضىء وأسماء أعلام صفوية مثل (ظهر ال) أى (ال يظهر) و (عبر ال) أى (ال عبر) و (سمر ال) أى ال نور القمر وغيرها تدل على أن (ال) كان يعبد فى شخصية القمر كما يظهر ذلك لنا واضحاً فى أسماء الأعلام العربية القديمة .

وثابت فى تاريخ الأديان أن (الله) اسم من أسماء القمر ونشهد هذه الظاهرة واضحة فى الاسطورة اللتوانية حيث يطلق على القمر لفظ (الله) .

ثلاثة أيام وثلاث ليال .

كان الله فى خصومة مع الشمس .

هزمت الشمس القمر .

بحجر فضى [1] .

وهذه الخصومة التى تدوم ثلاثة أيام إنما تشير إلى الأيام التى يتصل فيها القمر بالشمس بدليل ذكر لفظ قمر عوضا عن الله .

---

(١) Mannh. 71 Spr. 311 : Die lettischlen. .
E. Siecke : Götterattribute, 1909

وهناك مجموعة أخرى من المواد تدلنا على أنه كما هو الحال مع (الوهيم) فى العهد القديم كذلك أيضاً (آلـه) القمران فقد كان فى الأصل آلـها قمريا وما زال متصفا ببعض الصفات القمرية .

ولا نستطيع هنا أن نقرر عما إذا كان اتخاذ المسلمين للهلال رمزاً يتصل بهذا الموضوع أم لا ؟ وعلى كل حال فالصلة قائمة بين (الله) و (هبل) كما اشار إلى ذلك (هوجو فنكلر) ، وهـذه الصلة تشبه تلك التى نجدها بين (ود ، والقه ، وعم) إذ هى أسماء مكانية لآلـه القمر[1] . والقول بأن (السيـد) مثله مثل القمر هو زوج آلـهة الشمس ، وأنه أى السيد يسكن إلى اللات صيفا والعزى شتاء . والقسم بعضو النسل لله عند العرب المعاصرين[2] وأسطورة العائلة التى يحدثنا القرآن عنها . والحقيقة الواقعة هى أن مثله مثل آلـه القمر لا صاحبة له ولا ولدا[3] والحج الذى يحدث كل عام عند عرفة يحمل صفات قمرية وكذلك التقويم القمرى الإسلامى الذى قضى على النظام الشمسى كلها ولا شك تدلنا فى وضوح على أن الصفات القمرية التى يتصف بها الله حتى عصر النبى محمد وما عرض الإسلام للشمس والأعياد الشمسية والتوقيت الشمسى إلا تثبيتا لوحدانية الله ، والإبقاء على الكعبة واحترامها . والحج ، والطقوس الأخرى كلها بقايا العبادة القمرية .

إلهـة الشمس

فقيرة جداً فى الألقاب آلـهة الشمس (شمس) ، وفى الجنوب تسمى بأسماء عديدة ولو أنها فى أيامنا هذه غامضة . وفى شمال بلاد العرب تسمى عادة (ه الات) أو (ال الات) أعنى الآلـهة .

---

(١) Hugo Winckler : Arabisch...

(٢) Jul Wellhausen : Reste...

(٣) Fr. Buhl : Muhammeds religiose...

وأسماء الشمس فى بلاد العرب الجنوبية غالباً ما تبدأ بلفظ (ذات) كما يرجح أن آلـهة الشمس كانت تسمى عند المينيين (نكرح) وهو اسم غريب غامض وعند السبائيين نجد من أسمائها (ذات حميم) و (ذات بعدن) و (ذات غضرن) و (ذات برن) وفى النقوش القتبانية نجدها تسمى (ذات صنتم) و (ذات صخرن) و (ذات رحبن[١]) .

أما الاسم (ذات حميم) فيشير إلى آلـهة الشمس كجسم سماوى حيث قد يدل اللفظ على معنى (المتقد) وهذا اسم مطابق جداً للشمس العربية . والأسم (ذات حميم) كان يطلق قديما على آلـهة مكان مقدس أو كان يدل معناه على الحارسة أو الحامية أو الحافظة[٢] وقد ترجم البشر الدانيمركى (اوالف هوير) الذى عاش مدة فى بلاد العرب الجنوبية هذا اللفظ فى خطاب إلى المؤلف بعبارة (الساخنة المتقدة) أو (آلـهة الحرارة القوية للشمس أو الحرارة[٣] .

ونستطيع الآن بشىء من المقارنة اللطيفة أن نصل إلى نتيجة هامة . فهذه التسمية الجنوبية تقابلها تسمية شمالية يطلقها العرب على آلـه الشمس فاسمه (ال حمون) و (بعل حمون) فهذان الاسمان مذكران وذلك لأن المعبود الشمسى عند الساميين الشماليين مذكر . فلفظ (حما) فى العبرية كان يدل فى أول الأمر على معنى (حرارة الشمس) (قارن مزمور ١٩ ى ٧) ، ومن ثم أطلق على الشمس ، ولا مجال إلى الشك فى أن لفظ (حمان) مرادف لنفس الكلمة ، وذلك لأننا عند القرطاجنيين نجد (بعل حمان) يعبر عنه بنفس الصفات التى يعبر بها عن آلـه الشمس . والاسم يدل كما يرى (بوديسين) و (هين) على الله كسيد لحرارة الشمس المتقدة[٤] .

---

(١) Z D M G, 54, 1900

(٢) Z D M G, 20, 1866 ; J. H. Mordtmann : Himjarische Inschriften, 1893 ; Fr. Hommel : Aufsätze... 1900 ; Z D M G, 54, 1900

(٣) F. W. Lane, Arabic. English Lexicon

(٤) Wolf Wilhelm Baudissin : Adonis und Esmun 1911 John. Hehn : Die bibli. und die babyl 1913

وهكذا يتضح لنا الآن معنى اللفظ المختلف فيه فى العهد القديم أعنى لفظ (حمنيم) أى نصب أو عمود كان يقام فوق أو إلى جانب مذابح الاله (بعل) وتكون الفكرة التى يراد التعبير عنها هى (الـه الشمس) . وقد عرض لهذا اللفظ (ربى سليمان بن اسحق) المعروف عادة باسم (رشى) وهو المفسر المشهور للعهد القديم والتلمود فى العصور الوسطى . فقد قال عند حديثه عن هذه الكلمة التى مفردها (حمان) انها العبرية (حما) أى شمس وفسرها بقوله (صورة للشمس) أو (تمثال للشمس)[1] . وقد أثبتت الاكتشافات الحديثة صحة هذا الرأى . ففى كتابتين تدمريتين قدمت (حمان) إلى الـه الشمس . وفى كتابة نبطية وجدت فى حوران نجد أن هذه الكلمة تستعمل للدلالة أيضاً على شىء يتصل بالطقوس والعبادة[2] . فمن هذا يتبين لنا أن (حمان) يرد لا عند العبريين فحسب بل عند الآراميين ، والعرب الشماليين المتأثرين بالآراميين أيضاً .

فالـه الشمس عند الساميين يسمى بنفس الإسم الذى نجده عند السبائيين وهذا الإسم فطرى ، وهو أحد الأسماء التى لا تحمل أى معنى عقلى للمعبود بل تصفه فقط ، وتصفه كما هو فى الطبيعة . فهذه التسمية تثبت أيضاً أن الإسم قديم جداً وأنه مشترك بين الساميين الشماليين والجنوبيين . وقد كان عند الساميين الشماليين منتشراً جداً بدليل وجود تمثال للشمس عند العبريين والآراميين يحمل نفس الإسم[3] .

اسم آخر لآلهة الشمس العربية نجده فى الكتابات القتبانية الا وهو (ا ث. ر ت) وهو بعينه اللفظ العبرى (أشرت) فهذا الاسم القتبانى يشير عادة إلى آلهة الشمس وإلى زوج الاله (و د) كما يرجح (هومــــل) وقد أيد

---

(١) R. Salomonis Jarchi in Pentateuchum Commentarius Zu Lev. 26, 30

(٢) Vogué : Syrie centrale : Inscription Semitiques

(٣) CIS 539

هـــذا الرأى النقش (جلازر ١٦٠٠) حيث ورد ذكر جميع الثالوثات العربية الجنوبية[١].

وقد يمبننا على فهم هذا اللفظ الـكلمة العربية (أوثر) (ا ث ر) أى لمعان[٢] فمدلول كلمة (أثيرت) فى هذه الحالة لمعان قوى مثل (ذات حميم) على الحرارة القويه للشمس . فالاسم قد يكون فى الأصل إذاً (ذات أثر) أو (ربة أثر) أى اللامعة أو سيدة اللمعان . فلفظ (أثر) مختصر منها وهو كاسم لآلهة أضيفت إليه علامة التأنيث (— ت) . كما نلاحظ ذلك عند الساميين الشماليين . إذ نجد (عثتر) تصير (عثترت) . وكذلك (كوكب) تصير (كوكبة) و(دو شرى) يصير (شرى) ثم يصير (شريت)[٣].

هذا تفسير مرضى ، ويحتمل قيام تفاسير أخرى ، لـكن فى نقش نبطى آخر تسمى آلـهة الشمس العربية (الات) باسم (ربة ا ل اثر) أعنى سيـــدة اللمعان[٤] وعرب الصفا بالقرب من جنوب دمشق من الجهة الشرقية ، وهم نصف بدو يحترفون الزراعة فى المنطقة الواقعة شرق جبل الدروز أو جبل حوران ، لذلك كانوا على اتصال بالثقافة الآرامية النبطية الحورانية، والتى تمتاز بمميزات الحضارة السامية الشمالية ، ولذلك فهى متأثرة بطقوس عبادة الشمس السامية الشمالية . فنى النقوش الصفوية نجد آلـهة الشمس تذكر تحت اسم (الات) وهى ترسم أحيانا كقطعة من الشمس[٥] .

وقد تصور أيضاً حسب الطريقة السامية الشمالية إنسانا (بينما هـذا الرسم غير موجود فى السامية الجنوبية) . وهذا الانسان يمثل حسناء عارية . وهـذه

(١) Fr. Hommel : Aufsätze und Abhandl...

(٢) Lane ; Arab english Lexicon S. 18

(٣) Eduard Meyer : Die Israeliten... 1906

(٤) E Littmann, No 24, S. 22 — 23 (Princeton)

(٥) Dussaud et Macler : Mission dans les régions désertiques de la Syrie. 1903

الصورة تشبه فى الواقع عثال (عسترت). لكن وجود الشمس بجوار الرأس يجعلنا نجزم بأنها صورة آلهة الشمس[١].

وفى رموز الحيوانات عند العرب الأقدمين نجد أن الحصان كما هو الحال عند سائر الساميين وغيرهم يلعب دور حيوان الشمس المقدس لذلك فهو ينوب عن الـٓهة الشمس فى بلاد العرب الجنوبية والمساة (ذات بعدن)[٢].

لكن الظاهرة الهامة فى الديانة العربية هى اعتبار الـٓهة الشمس (اما) وآلهة ام) وهذه فكرة مصدرها اسطورة الأسرة فالـٓهة الشمس العربية القديمة تقابل عند الساميين الشماليين الآلهة (ام الزهراء) المساة (عشتر) أو (عشترت) ، ومن التسمية (ام عشتر) نفهم أنها أم طفل ، هو الطفل الآلهى المسمى (عشتر) وهى كالـٓهة ام وآلهة وحيدة هى مثل (عشتر) حامية النساء وآلهة الولادة والحمل[٣].

وكل هذه الصفات نراها مجتمعة فى الاسم (الات) أى (الاآلـهة) . فهذا الاسم يصور آلهة الشمس كشمس وكزوجة للالـٓه الأكبر الـٓه القمر وكالـٓهة ام . ولفظ (الات) أو (آلهة) يقابل المذكر (ال) أو (الـٓه) . وهو اسم عربى قديم نجده فى مختلف اصقاع الجزيرة من حضرموت واليمن حتى تدمر ومنطقة دمشق ، كذلك فى العصور القديمة ذكره هيرودوت أيضاً (٣و٨) وورد فى المصادر الجاهلية والقرآن الكريم .

الالـٓه الزهراء

فى الجنوب نجد لفظ (عشتر) هو الاسم العادى للزهراء ولالـٓه الزهراء وعند نداء السبائيين والمعينيين لآلهتهم نجد هـذا اللفظ أيضاً كذلك فى أسماء الأعلام المشتملة على بعض أسماء الآلهة مثل (أوس عثت) أى (عطية عشتر)

---

(١) Hommel Festschrift

(٢) A. Grohmann : Göttersymbole...

(٣) D Nielsen : Der dreieinige Gott...

كذلك (هوب عثت) و (لـ حى عثت) وهلما جرا . فهنا نجد أن (عثت) مختصرة من (عثتر)[1] .

وإلى جانب هذا فإننا نجد فى النقوش العربية الجنوبية كثيراً من أسماء الآلهة نعلم منها أنها أما اسماء للزهراء او صفات لها . أما معانى هذه الأسماء فغير معروفة إلى الآن ، ومن هذه الأسماء (ذو قبض) أو (ذو قبد) و (ذو يحرق) و (ذو جفت) و (ذو جرب) و (جرب) و (حجر) و (متب نتين) (وربما أيضاً متب قبت ومتب مذجب) . وكذلك بهر وير وغيرها[2] .

واسم آخر هو (عثتر شرقن) أو (شرقن) فقط وهو يفسر عادة بلفظ (عثتر) الشرق أى أن الزهراء نجم الصباح لكن (فل Fell) شرحه بالعربية الشمالية (الشارق) أو (شارقا) بمعنى المضىء أو (الساطع) .

لكن فى الشمال نلاحظ أن اللفظ (عثتر) أصبح نادرا بينما أصبح الاله الزهراء يسمى باسم آخر كان شائعا عند العرب الثموديين والصفويين الا وهو (رضى) . وهى تكتب عادة (ر ض و) أو (ر ض ى) أعنى الراضى .

وقد ورد هذا الاسم فى قائمة الأصنام التى ذكرها المسلمون الا أنهم لم يعرفوا الله المسمى بها ، وإن كان ليتمان قد أثبت ورود هذا الاله فى النقوش الصفوية والثمودية وقال عنه (ديو) بحق أنه الزهراء . لكن اعتقد (ديو) أن هذا الاله أنثى وليس كما هو معروف مذكرا ، ومصدر هذا الخطأ هو أنه خلط بين (الات) الواردة فى النقوش الصفوية والتى هى آلهة الشمس وبين الزهراء واعتقد أن (الات) هى الزهراء[3] .

أما المواضع التى تثبت أن (رضى) لقب من ألقاب الزهراء ، فقد عثر عليها جميعها فى الشمال فى الرها التى حكمتها أسرة عربية فى أوائل القرن الأول الميلادى

---

(١) D. Nielsen : Ueber die nordarabischen.

(٢) W. Fell : Südarabische Studien, ZDMG, 54, 1900

(٣) E. Littmann : Zur Entzifferung der Safa. .

وقدكانت حسب رواية (Johan, Oratio IV) محل عبادة الـه الشمس ذلك الالـه الذى كان يصاحبـه آلهان هما (أزيزوس Azizos) و (مونيموس Monimos) وكان الأول يتقدم الشمس والآخر يسير خلفها وقد عرف من قديم أن النجمين هما نجم الصبح ونجم المساء . فالنجم (أزيزوس) هو الزهراء وهو نجم الصباح لأنه يسبق الشمس قبل شروقها بينما الآخر (مونيموس) هو نجم المساء الذى يغيب بعد غروب الشمس . وحقا فإننا نجد أن (أزيزوس) يرد كثيرا فى النقوش كالـه deus bonus puer Phosphorus) .

كل هذا لا يفيدنا طالما الأسماء المطلقة على هذه الالـهة ليست عربية أعنى أننا نستفيد منها طالما هى عربية . فالأسرة المالكة على الرها يتبين لنا من أسماء بعض أفرادها أن منهم من كان يسمى (منوس Mennus) و (ابجاروس Abgarus) وهلما جرا . وهذان أسمان عربيان لذلك وجب أن يكون الآلهان المذكوران سالفا عربيين ، فلفظ (أزيزوس) هو فى الواقع (عزيز) ، وهى صفة من صفات الله ومعناها القوى وكذلك (مونيموس) هو فى الواقع (منعم) . و (منعم) هذا هو الذى يمثل لنا نجم المساء ، وهو (رضى) الذى يحمل نفس المعنى ، وذلك لأننا فى أحد النقوش التدمرية نجد نفس الآلهين إلا أنهما لا يسميان هنا (عزيز) و (منعم) بل (عزيز) و (رضى) (راجع Sachu, ZDMG,35) . وهـذا النقش كـكثير من النقوش التدمرية مكتوب بالآرامية الا أن أسماء الآلهة ليست بالآرامية . أما الثقافة التدمرية فهى متأثرة بالبابلية واليهودية والمسيحية والعربية حيث نجد آلهة هذه الثقافات المختلفة ، وقد وجدت ترحيبا فى تدمر وترحيبا أكثر من الآلهة التدمريين الآراميين . وهذان الآلـهان عربيان باسميهما لذلك بقى الاسم (رضى) غريبا فى النقوش التدمرية إذ نظر للفظ كدخيل ، وعوضا عن أن يرسم الحرف (ض) بالحرف (ع) كما هى العادة فى التدمرية ظل الاسم مكتوبا بالضاد عوضا عن العين كما اعتقد القوم أن إداة التعريف العربية هى عنصر من عناصر الاسم لذلك نجده (ه رضى) أى (الرضى) . وكما أن الاسم (عزيز) ورد فى النقوش اللاتينية مصحوبا باللقب (بونوس bonus) أى (طيب) كذلك

الحال فى النقوش التدمرية إذ نجد الالــهين مذكورين ومعهما مضمون هذا اللقب أيضا إذ جاء (الهىء طى) كما أن (عزيز) نجده مرسوما على حجر تدمرى وقد رسم فى هيئة (طفل)[١] .

ومما هو جدير بالذكر أن هذا الالــه الزهراء كان يترك أثره حيثما انتقل شمال الجزيرة ، وهذه الآثار قد وصلتنا مكتوبة ، وهى بالرغم من قلتها مهمة جدا لأنها تعطينا فــكرة عن هذا الالــه .

وقدوصلتنا فى النقوش العربية مواد كثيرة جداً ومفيدة للغاية من الناحيتين الدينية والتاريخية إلا أن هذه النقوش نادراً ما تحدثنا عن طبيعة هذه الآلــهة وشخصياتها . كما أن كثيراً من أسمائها وصفاتها مازالت إلى اليوم غامضة كما أن الطقوس العربية الدينية القديمة كانت نادراً ما تحتاج إلى صور أو صور آلهة علماً بأنها لو كانت قد استخدمتها ووصلتنا لاستفدنا منها فائدة لا تعدلها الفائدة التى نرجوها من الــكتابات .

وشخصية كشخصية الزهراء التى لعبت دوراً هاماً فى تطور الديانات السامية فى العصور المتأخرة مازالت فى كثير من نواحيها غامضة . وعن طريق الصادر غير العربيــة فقط نستطيع أن نتعرف إلى أنه كان يقدس كطفل إذ يذكر فى الــكتابات اللاتينية دائماً (puer) أى (طفل) وفى تدمر نجــده معروضاً كطفل عار . أما الــكوكبان العظيمان الشمس والقمر فقد تصورهما العرب ، كما تشهد بذلك المصادر التى وصلتنا ، كشخصين. أما الزهراء فطفل[٢] ، وهذه ظاهرة نلمسها فى كثير من الديانات التى نجدها عند الشعوب الفطرية ، ويستطيع العقل إدراكها .

---

(١) W C. Wright : The Works of the Emperor Julian 1913, J. H. Mordtmann. Z D M G 32, 1878. Clermont. Ganneau : Recueil. Lidzbarski : Ephemeris. . E Littmann : Semitic Iuscriptions ; D. Nielsen : Der dreieinige Gott

(٢) D. Nielsen : Der dreieinige Gott. .

كذلك نعلم أن الإسمين (منعم) و (رضى) اسمان لاله طفل، وهو كطفل يكون عادة (منعماً) و (رضى) ، وكما نعلم أيضاً نجم الزهراء عند العرب وغيرهم ينظر إليه لطبيعته المزدوجة كنجم للمساء ونجم للصباح كالهين . أما الزهراء وعرضه فى هذه الصورة فذلك يفسر لنا ظواهر كثيرة كانت غامضة . ففى تقرير (نيلوس ص ٢٠٣) نرى كيف أن (ثيودولوس) الصغير قدم قرباناً للزهراء وكان قربان الزهراء عبارة عن الأطفال الذين على جانب عظيم من الجمال فقد جاء فى نص حرانى[1] — اننا نحضر لك قربانا يشبهك — وهذا هو السر فى تقدمة هذا الطفل قرباناً للزهراء .

كذلك يوصف الزهراء بصفة (ذو الخلصا) أى الطاهر أو النقى وهـذه الصفة لن يسهل علينا إدراكها إلا إذا علمنا أن الزهراء طفل .

ومن أسماء الأصنام فى الجاهلية (ذو أخلص) أو (الأخلص) وهذا الإسم نجده كثيراً فى المصادر العربية . وكان يعبد فى (تبالْ) فى طريق القوافل بين صنعاء ومكة ، وكان هذا المعبد ينافس الكعبة فى مكة . وقد ذكر هـذا الالـه فى أماكن أخرى عربية دون أن يذكر المؤلفون المسلمون شخصية هذا الالـه وصفاته .

وقد اعتقد (توخ Tuch) عام ١٨٤٩ م أن اسم هذا الالـه ما هو إلا صفة للزهراء (راجع مجلة المستشرقين الألمان جـ ٣ ص ١٩٣ — ١٩٧) ، وقد أثبتت الاكتشافات الأخيرة صحة اعتقاده وهذه ظاهرة عجيبة للأسماء العربية للزهراء سواء كانت هـذه الأسماء منتشرة عند العرب الشماليين أو النازلين على الحدود حيث تغلب الحضارة السامية الشمالية إذ كان يظهر هذا الالـه فى شكل امرأة فمثلا (ملك) هـذا الاسم الكثير الانتشار كاسم من أسماء الزهراء يصير عند الساميين الشماليين (ملـكة) ، و (عثتر) يصير عند الكنعانيين (عشترت) و (كوكب) يصير عند الآرامين (كوكبة) ، و (خلص) يصير عند النبطيين وغيرهم من العرب الشماليين (خلصة) وهذا الاسم المؤنث من أسماء الله التى كثيراً

---

(١) D. Chwolson : Die Ssabier . 1856

ما ترد مع أسماء الأعلام فى النقوش السينائية كما هو الحال أيضاً فى النقوش الثمودية ، وقد يكون فى اليونانية أيضاً (ذو الخلص) (الخلاص) فإذا وجدنا الهاً عربيا مثل (ذو الخلص) أو (خلص) يصير عند الشماليين (خلصة) والنتيجة التى لا بد منها أن هذا الآله صار الهة . وهـذا التغيير حدث فقط مع الزهراء .

وهذا يؤدى إلى شىء من تداعى الخواطر ينتهى بنا إلى القول بأن اسم الآله (ملك) أعنى (ملك) هو على ما يرجح اسم آخر من أسمـاء الزهراء . ومجىء لفظ (ملك) عند العرب الجنوبيين ودلالته علاوة على (ملك) على اسم آله اعتقده قديما (نيلسن) فى كتابه عن النقش القتبانى عن ملك من الملوك (جلازر ١٦٠٠) كما أن العثور على اسم العلم (عبد مالك) أى خادم الآله مالك فى نقش عربى جنوبى حديث (لندرج ٤) قوى ولا شك افتراض (نيلسن) وأكده كما أن مجموعة أسماء الأعلام السبائية التى ذكرها (فيبر) مقابلة لاسم (عبد مالك) يؤيد الفـكرة القائلة بأن هذا الاسم كان منتشراً عند العرب الجنوبيين[1] .

وفى النقوش الثمودية التى عثر عليها (ليتمان) فى وسط الجزيرة العربية جمع هذا العالم[2] هـذا الاسم . كما أننا نجده أيضاً فى النقوش الصفوية (ملك ال) وكذلك (ملك) أعنى الذى يعتبر كملك، وهذه الظاهرة منتشرة عند العرب الجنوبيين والشماليين على السواء لـكن حتى اليوم لم نجد من الأدلة ما يؤيد أن هذا الاله هو الاله العربى الزهراء الا أن بعض الشواهد قد ترجح هذا الرأى .

فى النقوش العربية الجنوبية تطلق على التوالى أسماء مختلفة للآلهة الثلاثة الخاصة بالقمر والشمس والزهراء هكـذا جاءت فى نقش قتبانى (جلازر ١٦٠٠) وفى نقوش قتبانية أخرى نجد أسماء هذه الآلهة هكذا (ود عثيرت ملك) .

---

(١) Ditlef Nielsen : Studier over...

(٢) E. Littmann : Zur Entzifferung der thamudischen Inschriften.

كما نقرأ هذا الترتيب فى سائر النقوش العربية الجنوبية حيث نجد ذكر (ود) و (عثيرة) و (ملك) كما نقرأ كيف أن الملك بنى ورسم معبد ود وعثيرة و (مختن) الآلـه (ملك) . ونحن نعلم أن (ود) هو اسم الآله القمر و (عثيرة) امرأة (ود)وهى الآلهة الشمس ، لذلك يرجح أن (ملك) يقصد به هنا (الزهراء) كما أنه يتضح من هذه النقوش أيضاً أن الإسم (ملك) بدل اعنى صفة ، وهذه الكلمة معرفة هنا بينما فى النقوش العربية الجنوبية على عكس العربية الشمالية نجد أن أسماء الأعلام غير معرفة . فلفظ (ملك) إذن يجب أن يقابل لفظ ملك ومن عبارة (محل عبادة ملك) الواردة فى النقش السالف الذكر يفهم أن المقصود ملك سماوى لا أرضى .

وكلقب إلـه من الآلهة نجد لفظ (ملك) ونفهمه على ضوء العبادة العربية القديمة للملك فلفظ (ملك) ومدلوله نشأ طبيعياً على الأرض ومن ثم حمل بعد ذلك وأطلق على كائن سماوى . والآن نعلم من النقوش أن الملك فى بلاد العرب القديمة وعند الأحباش كان يعبد كإلـه وربما كممثل أرضى للإلـه (عثتر) ، ومن ثم تجسد ليمثل الزهراء وأن الإلـه الزهراء قد حل فيه الالـه الذى نزل من السماء إلى الأرض وتقمص شخصية الملك . وهذا الحلول فى الملك يحصل فعلا أما عند ولادة الملك أو قبل ولادته . فالملك العربى لم يولد ولادة عادية كسائر البشر بل يولد من سلالة إلـهية والثالوثات الإلـهية كما رأيناها كان ينظر إليها كعائلة حيث القمر هو الوالد ، والشمس الأم ، والزهراء الابن . ويتبع هذه الأسرة الإلـهية الملك ، هو الذى ينظر إليه كالزهراء حيث يذكر فى النقوش كإبن للقمر .

وفى النقش العربى الشمالى لأمرئ القيس نرى أن الإلـه (سعد) هو الذى ولد (إمرء القيس) ملك جميع العرب والمتوج على رأسه بتاج . فقد ورد (ذو ولد هو) . وملك أوسن فى جنوب بلاد العرب هو ابن (ود) وهو كإبن للإلـه له فى معبد خاص طقوسه الدينية الخاصة كطقوس الإلـه . كذلك الملك القتبانى هو مثل الزهراء وهو الابن البكر للالـه (انبى) كذلك الملك العظيم لبلاد الحبشة يكرر فى نقشه أنه ابن الإلـة (محرم) وهو الذى ولده (ذا ولدنى) (هذا اللفظ الأصلى) فنى جميع هذه النقوش نجد الملك كابن لإلـه القمر لأن (سعد) و(ود) و (انبى) و (محرم) كلها أسماء مختلفة لالـه القمر العربى . والأساطير والقصص الحبشية

تقول أن الملك الحبشى هو ابن الأنثى الشمسية المساة (ماكد) أو (بلقيس) والبطل القمرى (حكيم) سليمان[١] .

ولو أن معظم النقوش مسيحية العصر إلا أننا بالرغم من ذلك نجد فيها أصل الأسطورة السامية الملوك وقد لعبت هذه الأسطورة دوراً هاماً عند الساميين الشماليين فى الماضى والحاضر إذ مازلنا نجدها حتى اليوم فى المسيحية . ففى الآداب البابلية الأشورية نجد هذه الأسطورة منذ آلاف السنين قبل المسيح وعند العبريين نجدها تتجلى فى أسطورة المسيح ومن ثم ظهرت أخيراً فى أسطورة يسوع .

وأسطورة الملوك العربية تجعلنا نعتقد أن (ملك) هو لقب من ألقاب الزهراء وذلك لأنه إذا كان الملك ابنا لإلـهى القمر والشمس فإنه يستطيع فقط أن يلقب بهذا اللقب كمثل للزهراء فهو الذى حل فيه هذا الإلـه وتجسد كما أنه هو الإبن البكر لإلـه القمر فالزهراء السماوى شبيه بالملك الأرضى وهو فقط الذى يسمى باسم (ملك) .

ورمز الملك التاج ، وقد وقد حفر التاج حسب رواية ابن الكلبى على صنم الالـه (ذو الخلص) فى (تبال) وقد رأينا فيما سبق الشبه القوى بين هذا الإلـه وبين الزهراء ، والتاج شعار هذا الإلـه وهذا بدهى إذا كان الزهراء ملكا .

* * *

الله والإنسان

ولو أن الحديث عن العلاقة بين الله والانسان يتطلب فى الواقع سفرا خاصا إلا أننا سنحاول هنا عرض هذه العلاقة فى شىء من الايجاز إتماما للبحث وتحقيقاً للفائدة .

لم ينفرد العرب بالتمسك الدينى والتعصب لعقائدهم بل شاركهم فى ذلك سائر الساميين فلن نجد فى الشعوب قاطبة ما نجده فى الأسرة السامية حيث يؤثر الدين

---

(١) J. Halévy : Revue Sémitique, 1903, XI.
M. Lidzbarski : Ephemeris.., E. Littmann Deutsche Aksum-Exp. Bd. IV, ZDMG, 66.

فى حياة الفرد من المهد إلى اللحد كما يؤيد هذا ما نقرؤه فى النقوش القديمة . كما انفرد الجنس السامى بتقاليده وعاداته وعلومه وفنونه التى ارتبطت بالدين والعقائد الدينية ارتباطا لن نجد ما يشبهه عند جنس آخر . فالدين عندنا ليس مظهراً من مظاهر الثقافة أو الحضارة بل هو قوة الحياة التى تصبغ كل مظاهر الثقافة والمدنية بصبغتها وتطبعها بطابعها . فالساميون الذين جاءوا للعالم بالديانات العالمية الثلاث اليهودية والمسيحية والاسلام هم كما يقال شعب الله وشعب الديانات .

وظاهرة عجيبة نلحظها عند العرب الجنوبيين القدماء فهم كانوا لا يكتفون بتقديم الأوانى المقدسة فقط للآلـهة بل حتى حصونهم وأبراجهم ومنازلهم وأرضهم وأنفسهم وحيواناتهم أيضاً وذلك رغبة فى وقايتها وحمايتها .

وقد عثر على لوح نحاسى فى (شبوة) العـاصمة القديمة لحضرموت ومحفوظ الآن فى المتحف البريطانى نقرأ فيه أن شخصا وهب للآلـه الخاص بالقمر (سين) ذهبا وبخورا روحه وحواسه وأبناءه وممتلـكاته وذاكرة قلبه[1] .

فهذا التدين القوى العميق لم يتغلغل فى نفس الأفراد فقط بل فى حياة الشعب أيضاً ففى النقوش العربية القديمة بصفة خاصة نلحظ السلطة اللاهوتية وتغلغلها . فالله هو رب الشعب ، وهو كبير رجال الدين (مكرب) . وفيما بعد نجد الملك يعرف كابن للآلـه وكوكيل له . فالله والحاكم والشعب هم قوام الدولة [2]

وتعتمد العلاقة بين الله والانسان على أسطورة الأسرة والقرابة ، وهـذه العلاقة هى علاقة الأب وأبنائه ، وهذه الظاهرة تتبين لنا بصفة خاصة عند العرب الجنوبيين فى أسماء الأعلام ، وقد أدرك (رو. تسون سميث) هذه الظاهرة وقرر أن الديانة قائمة على علاقة القرابة . فبين الله وعباده تقوم قرابة الدم وهذه ظاهرة عامة عند سائر الساميين وخاصة فى العصور القديمة وهذه هى أقدم صورة للديانة السامية فى الجزيرة العربية ، وما زالت إلى اليوم حية نراها فى نظام القبيلة .

---

(١) المتحف البريطانى رقم ٦ Osiander : Zur himjarischen Altertumskunde, ZDMG, Bd. 19, 1865, Fr. Hommel : Südarabische Chrestomathie.

(٢) أنظر الفصل الثالث من هذا الـكتاب

وفى النقوش العربية الجنوبية نجد أن لفظ (خالق) أو معناه غير معروفين فلفظ الجلالة (الله) هو والد القبيلة ، ووالد الشعب ، وكل من أفراد القبيلة والشعب أبناء الله كما أن القبيلة أقدم مظهر من مظاهر الجماعات الالـهية حيث نجد الأسرة الالـهية تشمل سائر الأفراد[1] .

وفيما يتعلق بالـه القمر كوالد سماوى أبناؤه البشر فقد سبق الكلام عليه والـهة الشمس كانت مثل (عشتر) السامية الشمالية هى الأم السماوية وحامية المرأة والـهة الوضع والحمل . وفى نقش سبائى من (صرواح) نجد رجلا وإمرأته يقدمان لهذه الوالدة السماوية (أم عشتر) نذرا لأبنائهما الأربعة أربعة تماثيل من الذهب ، وذلك لأنها اهدتهما ولداً وثلاث بنات . وهؤلاء الأطفال على قيد الحياة وهم مبعث سرور كبير للوالدين كما يذكران فى هذا النقش إن (أم عشتر) قد تتفضل وتهدى خادمها (يصبح) وزوجة (كربيت) أطفالا أصحاء يكونون سبباً فى سعادتهما وسعادة الأطفال[2] . وفى نقش سبائى آخر نقرأ أن شخصاً قدم لربته (عزين) أى (القوية) تمثالا من الذهب يمثل إمرأة بخصوص ابنته (أمة عزين) التى كانت مريضة[3] .

ومما لا شك فيه أن الطقوس الدينية هى العلاقة الخارجية بين الإنسان والله وعند العرب الجنوبيين الذين كان يتغلغل الشعور الدينى فى حياتهم من الولادة إلى الوفاة نجد أن حياتهم كانت سلسلة متصلة من الطقوس الدينية كما أن هذه الطقوس تدلنا فى الواقع على جزء من هذه العلاقة بين الإنسان والله .

وسبق أن تحدث (رودوكاناكيس) عن المعبد كسوق من الأسـواق التجارية ، كما تحدث عنه كسيد له أملاكه وله سلطانه . وتحدث عن المعبد من

---

(١) R. Robertson Smith : Die Religion der Semiten D. Nielsen : Der dreieinige Gott...

(٢) J. et H. Derenbourg Etudes sur l'épigraphie du Yemen Paris 1884.

(٣) H. Derenbourg : Le culte de la déesse al'Ouzza., Ed. Glaser Suwa und ɑ 905.

حيث مظهره وفنه المعارى (جرومان) . كما سبق الحديث عن رجال الدين والمذابح والقرابين والأعشار وما إليها فى الفصول السابقة من هـذا الكتاب خاصة فى الفصلين الرابع والخامس .

ومن الجدير بالملاحظة هنا أن النصب والصور التى تقام للالهـة عادة مفقودة فى الديانة العربية الجنوبية غير معروفة . أما عبارة (بنى عثتر ورق م) الواردة فى السطر السابع من نقش (جلازر ١٠٠٠ ب) فتشير إلى صحن . والدمى المذهبة أو صور الحيوانات والبشر فإنما تمثل أو تنوب عن القرابين أو لـكى يحمى الله ما تمثله هذه الدمى .

وفى المتحف العثمانى باستنبول يوجد نقش سبائى ، وعلى نفس الحجر توجد بقايا رسم دمية بين حيوانين ، ومن نص النقش يتضح لنا أن المقدم يتقدم للآلـه (ذو سماى) بهذه الدمية وهذين الجملين وهى جميعها من ذهب لـكى يحميه من مرض الجمال أى (بن بدلم بعر[1]) .

وفيما يتصل بالنذور التى نجدها وبكثرة عند العرب الجنوبيين فقد عثر على كثير من الأذرع والأرجل وقد تمثل هـذه نظائرها المريضة ويقرر كل من (مردتمان) و (ملار) أن الغزالين المصنوعين من الذهب واللذين عثر عليهما عبد المطلب عند كر بئر زمزم ترجمان إلى فـكرة النذور عند العرب الجنوبيين[2] كذلك الخمسة الفيران الذهبية ، وكذلك الخراجات الخمسة الذهبية التى قدمها الفلسطينيون لآله إسرائيل كان الغرض منها حفظهم من الفيران والخراجات (سفر صموئيل الأول ص ٦) . كما أن النذور الصغيرة كالأذرع والأرجل تذكرنا أيضاً بتلك التى نقدم اليوم للمذابح الـكاثوليـكية ، وفيهـا يقول (هينريش هينه H. Heine) ما ترجمته :

من يقدم يداً من الشمع
ومن يقدم ساقا من الشمع

---

(١) J. H. Mordtmann und D• H. Müller: Sabäische Denkmäler, 1883

(٢) الغزالة أو الوعل الحيوان المقدس للزهراء

يشفى جرح اليد

ومن يقدم ساقا من الشمع

تشفى ســـــاقه

* * *

الديانة العربية القديمة والسامية الشمالية

بالرغم من المبانى العظيمة والسلطان السياسى والثقافة العالية التى نجدها عند شعوب بلاد العرب الجنوبية إلا أن دياناتهم كانت ساذجة فى كثير من عناصرها فالدين العربى الجنوبى دين بدوى تطور من الديانات السامية الشماليــة فى الوقت الذى كان فيه أصحابها يحترفون الزراعة . وهــذه السذاجة الدينية لا نلمسها فى الطقوس ، ودور العبادات، وعدم وجود صور ،أو أصنام للآلهــة فقط بل فى نظر هذه الديانات للآلهــة أيضــاً . وفرق ظاهر هو أن الشمس والزهراء يظهر أن جنسهما قد تغير عند الساميين الشماليين . أما القمر فهو مذكر عند سائر الساميين بينما نجد الشمس مؤنثة عند الساميين الجنوبيين مذكرة عنــد الشماليين ، وعلى العــكس من ذلك الزهراء مذكر عند الجنوبيين مؤنث عند الشماليين .

فهذا الفرق ملاحظ ونجده حداً فاصلا بين الساميين الشماليين والجنوبيين ، وهو الحد الجغرافى أيضــاً . فحيث نجد الشمس مذكرة والزهراء مؤنثة فنحن فى الشمال ، وإذا وجدنا العــكس فنحن فى الجنوب . وفى منطقة الحدود نجــد شيئاً من الخلط وهذا المزج بين الوجهتين أتعب الباحثين كثيراً قبل اكتشاف النقوش العربية الجنوبية[1] التى يطرد فيها تأنيث الشمس وتذكير الزهراء .

وهذا التغيير فى جنس الشمس والزهراء يشير إلى انتقال الديانة الساميــة القديمة من الجنوب إلى الشمال وتغيرها بسبب البيئة الجديدة التى أوجدت فيها هذه البيئة التى أثرت فى الدين تأثيراً بعيداً . والشيء الذى تجب مراعاته هو أن

---

(١) J. Wellhausen : Reste....; R. Dussaud, Les Arabes en Syrie, S. 123 , 144.

الشمس المذكرة عند الساميين الشماليين يجب ألا تقارن بالشمس المؤنثة عند الساميين الجنوبيين . كذلك الزهراء (عثتر) المؤنثة عند الشماليين مع (عثتر) المذكر عند الجنوبيين إذ وجه الشبه كالآتى :

سامى جنوبى شمس (مؤنث) سامى شمالى عشتر — عشترت (مؤنث الزهراء) سامى جنوبى عثتر (مذكر الزهراء) سامى شمالى شمس (مذكر) . أعنى أن الالهين لم يتغيرا كما يظهر ، من حيث الجنس بل من الناحية الفلكية . فهنا تغيير فى الوضع الطبيعى فـ (شمس) العربية أو العربية الجنوبية أصبحت أما (الالهة الأم) ولها نفس الاسطورة التى تنسب للالهة عشتر — عشترت عند الساميين الشماليين . إلا أن تغيير الحالة الاجتماعية جعلها تقدس فى شخص كوكب آخر فهى لا تقطن قرص الشمس بل نجم الزهراء[1] . وهـذه الظاهرة نلحظها مع (عثتر) المذكر فى الاسطورة العربية أو العربية الجنوبية ، فقد أصبح عند الساميين الشماليين يقدس فى قرص الشمس .

أما السبب فى هذا التغيير فقد عرض له نفس المؤلف أعنى (نيلسن) فى موضع آخر[2] فهذا التغيير يتصل بتطورات مختلفة طرأت على الديانة السامية القديمة خاصة عند ابتداء ظهور ملوك الدولة البابلية الآشورية فهذا السلطان الذى بلغه الملوك حمل على الملك والأبن السماويين فالملك الأرضى أصبح بسبب أسطورة الحلول ابن الله فأصبح شبيهاً به . وهـذه الحالة تتغلغل فى نواحى الدين المختلفة فيظهر الآله الأكبر ويتجلى بينما تأخذ أهمية الآله القمرى فى الضآلة حتى يتحد مع الشمس كوكب النهار الذى تتوقف عليه حالة الفلاح والزراعة .

وهذا التطور أدى إلى تطور آخر فى العلاقة بين الله والإنسان فالآله الأكبر ليس هو الوالد الحبيب الذى ينسب إليه البشر كأبناء جسديين بل صار آلها قويا مهابا . وما الإنسان إلا العبد أو التراب . الآله الأكبر لم يعد والداً للبشر فنلتمس فى أجسادهم روح الله وتـكتسب الأجساد بذلك الخلود والأبدية بل (خالق)

---

(١) فى الجنوب اللات والعزى وفى الشمال الزهراء .

(٢) بخصوص التثليث لاحظ العبارات المختلفة الخاصة بمختلف الآله

يخلق البشر كالدمى من الطين[1] وهناك فرد للشرف وآخر للعار (راجع رسالة رومية ص ٩ ى ٢١) .

وفيما يتعلق بالصورتين المتعارضتين المتنافستين لله كوالد ، والله كآله فترجمان فى الأصل إلى عاملين رئيسيين فى الديانات السامية . وهما عاملان يتنازعان السلطان دائما . وقد عالج هذه الظاهرة (بوديسين Baudissin) فى مؤلفاته الكثيرة خاصة موضوع (رب) أو (سيد) فى الديانة التى قد توصف بأنها (ديانة سيد) ولو أن (بوديسن) يعتقد فى أن الله هو مانح الحياة أعنى هو الخالق الرحمن الحبيب[2] .

ولا أدل على وجود هاتين الظاهرتين فى الدين من كثرة ورود الأبطال إلى جانب أسماء الأعلام المركبة من (عبد)[3] ، ولما جاء السيد المسيح جمل من البنوة الآلهية شيئا روحيا بعد أن كان جسديا وبذلك استطاع أن يجمل العقيدة العربية القديمة ، وكذلك الفكرة السامية القديمة تحيا مرة أخرى وقضى على فكر العبودية الدنيئة .

لكن فى العصر الهلليني نجد المسيحية الوثنية تتأثر فتطلق لقب (سيد) الوثنى على المسيح . وفى الإسلام نجد (الله) ليس والداً بل هو الملك القوى لذلك كان الإسلام ممثلا ديانة الملك والسيد .

* * *

الديانة العربية القديمة والإسرائيلية

إسرائيل أصغر الشعوب السامية الشمالية . وقد هاجر من بوادى شمال الجزيرة إلى البلاد الزراعية حيث ترك الحياة البدوية وأخذ بحياة أهل المدر الزراعيين .

---

(١) سفر التكوين ١ — ٢ واشعيا ٤٥ و ٩ وارميا ١٨ و ١

(٢) Baudissin : Adonis und Essmann 1911; Otto Eisfeldts : Von Lebenswerk , ZDMG, 60

(٣) J. Wellhausen, Reste; Th. NoldekeZDMG, 40, 1886 R. Smith : Religion der Semiten, 1899.

وبالرغم من ذلك فقد احتفظ بعناصر دينية عربية قديمة وسامية أقدم لذلك أصبح من المهم عند دراسة العهد القديم أن نعنى بالنقوش العربية القديمة عنايتنا بالآثار البابلية الأشورية . فهذه النقوش التى اكتشفت حديثاً تلقى شعاعاً جديداً على دراسة العهد القديم . وذلك لأننا سنستعرض أمامنا قصصاً قديماً فى أسلوب جديد .

ومن بين الشعوب السامية الشمالية نجد العبريين ينفردون بالتحدث عن الآباء الأولين ، وسيرهم ، وعن موسى والأساطير فكل هذه الأشياء ترجع فى الواقع إلى حياة البداوة الأولى التى كان يحياها العبريون وخاصة عند هجرتهم واستيطانهم الأراضى الزراعية . وعند العبريين فقط نلحظ إلى جانب قيام (بعل) السامى الشمالى وطقوس (عشترت) ووجود أثر الدين العربى القديم ومعارضته للدين الجديد .

ان الدين العربى القديم هو الحجر التاريخى للديانات السامية الشمالية إلا أن هذا الحجر كان يشكل بالشكل الذى يلتئم مع الحضارة الجديدة ، والثقافة المستحدثة . حتى أننا سنتبين هذا الحجر القديم بشىء من الجهد اليسير فنحن هنا سنمنى بحركة تطور دينى إذ أننا نجد فى الديانة الإسرائيلية اليهودية إلى جانب حركة التطور ظاهرة المحافظة والمحافظة الشديدة على الدين القديم دين الآباء والأجداد .

فى تاريخ تطور هذا الدين عند الإسرائليين نشعر دائماً بحركة دائمة بين الدينين العربى القديم والسامى الشمالى خاصة من وجهة نظر الدينين إلى الله . فالعبريون وقد تركوا الجزيرة فى عصور متأخرة إلى كنعان ظلوا بالرغم من ذلك على اتصال تام بالحياة الصحراوية ، وكانوا يرون أن عصرهم الذهبى إنما هو ذلك العصر السالف عصر أيامهم وطفولتهم وعصر أيام آبائهم الأولين يوم كانوا يحيون حياة البداوة المطلقة الحرة لذلك احتفظوا بكثير من خصائص العروبة القديمة وبتعبير آخر خصائص العنصر السامى القديم ، وذلك لأن بلاد العرب هى وطن الساميين ومهدهم الذى لم يخضع يوما من الأيام للأجنبى وسلطانه .[1]

---

(١) D. Nielsen : Der dreieinige Gott. S. 385 ff

وقد عرض قديمًا عـدد كبير من الباحثين لدراسة الطقوس والشعائر الدينية عند العبريين ومقارنتها بالعربية القديمة إلا أن خيرمن أدى هذه‌هم (هوجوفنكلر) و (فريتز هومل) قديما و (د . س . مرجوليوث) حديثا .

أما (هوجو فنكلر) فقد اهتم كثيرا بالنقوش العربية الجنوبية لذلك فهو يعتقد أنّ بلاد العرب الجنوبية كانت وطنا ثقافيا عظيما فهى التى احتفظت بروح سامية صافية ، ومن هنا قد تفيدنا كثيراً عند فهم الإسرائيليين الأولين .(١)

أما (فريتز هومل) فهويحاول شرح كثير من الألفاظ العبرية بالدين العبرى، وعلى ضوء النقوش العربية الجنوبية خاصة المعينية التى عثر عليهـا حتى فى شمال بلاد العرب . (٢)

ويجد (د . س . مرجوليوث) فى اللغة العبرية خاصة فى أسماء الأعلام مظاهر قديمة جداً تتفق وما نجده فى النقوش العربية الجنوبية — حقاً أنهم لم يفدوا من فلسطين إلى سبأ بل قد يكونون قد وفـدوا من سبأ إلى فلسطين

Thoy certainby did not come from Palestine to Saba they may have comefrom S. To. Palestine.

ومن هذه المقارنات اللغوية ينتهى إلى النتيجة الآتية ، وهى نسبة الإسرائيليين أو على الأقل ناحيتهم الروحية إلى بلاد العرب .

That the emigrants were recruited by elements from various South Arabian communities.

إلا أن المواد الخطيه التى بأيدينا لا تعيننا على تحديد المـكان بالضبط ذلك المـكان الذى وفد منه العبريون لـكن تجعلنا نعتقد أن المهاجرين امتزجوا بعناصر من جماعات عربية جنوبية مختلفة .

(١) النقوش الأكادية والعهد القديم برلين ١٩٠٣

(٢) Fr. Hommel : Die altisraelitische....

" " : Der Oestirndienst ....

Hugo Winckler : Geschichte Israels II, 1900

" " : Abraham als Babyl...

but as colonists carrying with them to their new home the memoires of a developped political organization, with usages and practicis.

وهؤلاء المهاجرون الذين هاجروا إلى فلسطين يجب ألا ننظر إليهم كقبائل همجية لا ثقافة لها بل كمستعمرين يحملون معهم إلى وطنهم الجديد بقايا أنظمة سياسية ناضجة وخلفهم تاريخ having a history behind them.[1]

والاتفاقات اللغوية والدينية التي عثر عليها حتى اليوم تدلنا على أنه يجب ألا نقصر بحثنا فى الجزيرة العربية على أصل العبريين فحسب بل على أصل الديانة العبرية أيضاً إذ أن الشريان الرئيسى للديانة العبرية يتصل حقيقة ببلاد العرب القديمة .

وقد يكون من سبق الحوادث أن نقول أن هناك أثراً كبيراً جداً من سبأ ومعين وقتبان كما يعتقد بعضهم إذ الواقع هو أن وطن القبائل العبرية والديانة العبرية يجب أن يبحث عنه فى شمال غرب الجزيرة العربية وفى منطقة كانت مركزا من مراكز الثقافة العربية القديمة .

فنحن نجد الطقوس العربية القديمة المجردة من الصور عند العبريين كما نجد عندهم أيضاً التثليث العربى القديم . فعند العبريين (يهو وبعل وعشترت) وقد كان هذا الثالوث يقدس فى عصر الملوك من جميع أفراد الشعب مع ملاحظة أن بعل أصبح كما هى العادة عند الساميين الشماليين (الشمس) ومذكر ، وعشتر (الزهراء) مؤنثة إلا أنه بالرغم من ذلك فإننا نجد الظاهرة العربية الأصلية القديمة أعنى الشمس كآلهة أم ومؤنثة كما نجد الزهراء مذكرا فى مثل حلم يوسف (تكوين ص ٣٩ ى ٩ — ١٠) وكذلك فى زواج يهوه بالشمس ، وفى جميع الحالات التى ترد فيها شمس مؤنثة [2] .

---

(١) The Relations between Arabs and Israelites London 1924, S. 8, 10, 23, 25.

(٢) Zeitschrft f. alttest. Wissensch, Jahrg 1895, Hugo Winckler; Geschichte Israels II, 1980. D. Nielsen : Der dreienige Gott.. 1922, S. 328 - 331.

أما (يهوه) رئيس الثالوث فيظهر فى الهيئة العربية القديمة جداً كما يرجح ورود الأسم فى النقوش اللحيانية [١] .

وفى أى ثالوث ترد فيه الشمس والزهراء يجب أن نرتقب مجيء القمر ولدينا الكثير من الأدلة التى تؤيد أن الآله العبرى (يهوه) هو فى الأصل آله قمرى . وليس معنى هذا أن الآله الذى كان يهيمن على الوجود فى العهد القديم هو آله القمر بل المقصود أنه نشأ أصلا من نفس الأصول ، مثله فى ذلك مثل الآلهة الشعبية والقومية التى نجدها فى الحضارة العربية القديمة .

وكما أن الحصان عند العرب الأقدمين وعند العبريين (الملوك الثانى ص ٢٣ ى ١١) هو الحيوان المقدس التابع للشمس تبعية النور للقمر كذلك كان يهوه فى العصور القديمة يرسم فى صورة (ثور) ويقدس (خروج ص ٣٢ ى ٤ وما بعدها) والملوك الأول ص ١٢ ى ٢٨) و (هوشع ص ٨ ى ٥) ، وفى مذبحه نجد قرنين .

والليل هو الوقت المقدس ، وهو الوقت الذى كان يتجلى فيه (يهوه) ، وفيه كانت تقام الأعياد ، وكانت هذه الأعياد أعياداً قمرية مرتبطة بمواطن القمر كما كان يحتفل بالهلال والبدر . ويتجلى لنا القمر فى الزيادة والنقصان فى قرابين النار . فقد جرت العادة أن يضحى للقمر إذا ما صار بدراً عند عيد فصل الخريف (سفر العدد ص ٢٩ ى ١٢ — ٣٢) ففى اليوم الأول يضحى بثلاثة عشر عجلا ، وفى اليوم الثانى باثنى عشر وفى اليوم الثالث احد عشر وهلما جرا ، وفى اليوم السابع سبعة عجول فقط . وكان هذا الأسبوع يبدأ عادة باليوم الذى يصير فيه الهلال بدراً وينتهى بالربع الأخير من الشهر القمرى . فيلاحظ أنه فى اليوم السابع للأسبوع كانت تضحى سبعة ثيران ، وهذا الترتيب يدلنا على أن القربان كان يقدم للبدر ، وذلك بتضحية أربعة عشر ثوراً فى اليوم الرابع عشر من الشهر القمرى . ثم أن عدد الثيران يأخذ فى النقصان تبعاً لنقصان القمر .

---

(١) Jaussen et Savignac: Mission Archéologique: D. S. Margoliouth Relati ns..

ومن اثنين وعشرين سنة تقريباً أثبت المؤلف أن يوم السبت والأعياد الأسبوعية الأخرى ترتبط عند العرب الأقدمين والعبريين ترتبط بأيام المحاق الثلاثة كما تتصل كل شهرين بمواقع القمر ، والغاء هذا التقسيم كان بسبب محاربة عبادة القمر كما أن محمداً حارب للسبب عينه الأعياد التي كانت تتفق والشمس ، وذلك قضاء على الشمس وعبادتها .

أما التعبيرات التي كانت تستعمل عند ظهور (يهوه) فغالباً عبارة عن اصطلاحات فلكية تستعمل عند طلوع القمر وغيابه ، وهي تدلنا على لغة دينية صورية وأصل قمري[1] .

كذلك نفهم من العهد القديم أن الديانة العبرية القديمة قبل النبي كانت توصف بأنها ديانة قمر وشمس وكوكب (راجع أرميا ص ٨ ی ٢) و (الملوك الثاني ص ١٧ ی ١٦ و ص ٢١ ی ٣ و ٥ و ص ٢٣ ی ٤ — ٥) ، وأيوب يفخر بأنه لم يصل يوماً ما سراً للشمس أو القمر (أيوب ص ٣١ ی ٢٦ .....) .

وقد رأينا أن الصورة الأصلية لتقديس مظاهر الطبيعة مع القمر والشمس المؤنثة ترجع في الأصل إلى بلاد العرب كذلك رأينا أن آله القمر كان ينظر إليه ككبير للآلهة وكآله قوي الذي كان يسمى علاوة على اسمه المشترك عند جميع الساميين باسم آخر إلا وهو (يهوه) فككبير الآلهة كما يتبين لنا من النقوش العربية القديمة وقبيل عصر النبي وقبل انتصار التوحيد أخذ يحرر نفسه من القمر وأصبح يعبر عنه كما هو الحال في بلاد العرب القديمة برجل كهل (دنيال ص ٧ ی ١٣) وكوالد للشعب والبشرية كما أن النظر إليه كابن وأب وشعور الأبوة لم يضعف بسبب الشعور السامي الشمالي إلا وهو شعور العبودية نحو الله .

ووحدانية هذا الآله وهيمنته لا نجد مايشبهها في بلاد العرب قبل النبي محمد (صلعم) لكن فيما يتعلق بسيطرة الآله وسلطانه المطلق من الناحية السياسية والذي أدى إلى تركيز محل عبادته كما يتبين لنا من اسماء الأعلام يؤيد ولا شك فكرة النظر إلى الله نظرة توحيدية :

---

(١) D. Nielsen : Die altarabische Mondreligion. 1904.

والآن فقد ألقى نور جديد على الطقوس الدينية العبرية التى أحضرها (يهوه) من شمال غربى بلاد العرب من سينا وقادش[1] حيث كان الوطن الأصلى ليهوه . وهناك أصبح يبحث عنه فيما بعد . هناك عرفت القبائل العبرية الله ، وهناك تجلى الله للشعب ، وهناك سمع موسى وصاياه ، وهناك تعلم الشعب الدين وطقوسه . وقد كان (يثرو) والد زوج موسى قسيساً عربياً قديما (خروج ص ٣ ى ١) كذلك هرون (خروج ص ٤ ى ١٤) واللفظ الذى أطلقه العهد القديم عليهما هو (كوهين) و (ليفى) فهذان اللفظان اللذان يستعملان فى العهد القديم كغيرهما من الاصطلاحات الدينية يجب أو يرجح أن يكونا عربيين . فلفظ (كوهين) هو العربى (كاهن) أما (ليفى) فقد عثر عليه (هومل) فى النقوش العربية الشمالية التى وجدها فى (علا ددان) . وسواء نظر للأخبار الواردة فى الخروج والخاصة بنشأة الديانة العبرية فى بلاد العرب كتاريخ أو قصة أو اسطورة فالشىء الذى لا شك فيه هو أن هذا الاله الذى تجلى للاسرائيليين اله متصل بعواطن القمر .

ومن التقويم الذى نجده فى شريعة القسيسين والمتعلق بخروج بنى اسرائيل من مصر (خروج ص١٢) يبدأ الخروج، وينتهى بإصحاح١٩ من نفس السفر وكان هذا الوقت هو الذى يقرب فيه المصريون البكرى فى عيد الفصح فى اليوم الحادى عشر من الشهر الأول . أعنى عندما يصير الهلال بدرا و (يهوه) يتجلى فى منتصف الليل حيث يظهر (خروج ص ١١ ى ٤) ويسير فوق مصر (خروج ص ١٢ ى ١٢) واللفظ المستخدم فى الموضع الأول هو (يصا) ومعناه (يظهر أو يشرق) . وفى الموضع الثانى (عبر) أى (عبر) واللفظان يستخدمان كاصطلاحين فلكيين لسير الأفلاك .

وعبور الاسرائيليين البحر (خروج ص ١٤) أعنى فى نهاية خليج السويس كان وقت الجزر حتى وقت الهلال حيث الله أعنى هنا القمر الذى يسبب المد

---

(١) Ed. Meyer : Die Israeliten., 1906 ;
Hugo Gressmann : Mose und seine Zeit 1913

والجزر[١] . والقمر هو الذى يجفف قاع البحر فى الصحراء (خروج ص ١٦) (عظمة يهوه) و (وجه يهوه) ويجتمع الشعب أمامه ليلا أعنى البدر (١٥ يوما من الشهر الثاني) . وفى الليل يقدم اللحم قربانا للبدر والسبت الأسبوعى يستمر فى الواقع من وقت البدر حتى الربع الأخير فهو أيضاً متصل بوجوه القمر . كذلك ظهور الله فى جبل سينا فإنه مرتبط بظهور القمر الجديد فى اليوم الثالث من الشهر الثالث[٢] .

كذلك نور القمر يرتبط بمنازله ، وهذا يتصل بأعياد اليهود الرئيسية ، وفى الأوقات المتأخرة حيث لا حديث عن عبادة القمر وتقديسه إلا فى شىء من الاحترام كذلك فأول الشهر القمرى ومنتصفه يومان مقدسان والليلة التى يتجلى فيها ضوء القمر ليلة مقدسة ترتبط بها كبرى الأعياد .

* * *

الدين العربى القديم والإسلام

نعم هناك من الأسئلة ما لا نستطيع الإجابة عليها لكن شيئاً هاما هو فكرة الله فى القرآن الكريم ، فهذه الفكرة لها أصولها فى الدين العربى القديم ، وقد تجلت هذه الفكرة ووضحت عما قبل . فالوثنية التى حاربها نبى الإسلام بقوة مدته فى الوقت نفسه بمادة ساعدته على خلق الدين الجديد ، وذلك لأن الاله هو الله الوارد ذكره فى القرآن وهو الاله العربى القديم الأكبر وما الوثنية إلا شركا حيث أشرك القوم آلهة أخرى مع هذا الاله[٣] .

ومنذ أن أصدر (ابراهام جيجر) كتابه ماذا أخذ محمد من اليهودية :

Abraham Geiger Was hat Mohammed aus dem judenthume

---

(١) S. 443 .

D. Nielsen : Altarabische Mondreligion S. 171 ff

(٢) S. 144 — 164

(٣) أنظر ما قبل .

واتجه نظر العلماء إلى البحث عن أصول الإسلام فى اليهودية ، وما كاد (فلهوزن) يصدر كتابه عن بقايا الوثنية العربية . ألا واعتبرت المسيحية مصدراً آخر من مصادر الإسلام الرئيسية[1] .

حقيق أن الثقافة السامية الشمالية تركت أثرها فى شمال بلاد العرب وحقيق أيضاً أن اليهودية والمسيحية انتشرتا فى بلاد العرب قبل عصر محمد بزمن بعيد وحقيق كذلك أن محمداً عرف هذه الديانات كما أنه استعان بشىء من أخبار أهل الكتاب لكن هذه الأمور وتلك الأخبار التى استعان بها هى فى الواقع بالنسبة للنبي العظيم أمور ثانوية سطحية جداً بالنسبة للاسلام وجوهره وبالنسبة لنظرته إلى الله ومن هذه الناحية نجد أثر اليهودية والمسيحية ضئيلا جداً ولولا ذلك ما استطاع الإسلام أن يظهر كدين مستقل له أصوله وتعاليمه التى وقفت وتقف إلى اليوم تواجه اليهودية والمسيحية . نعم ان محمداً جادل اليهود والمسيحية ولم يتوان عن ترديد القول أن ربه هو الرب الذى كان للعرب من قبل ، والذى صلى له العرب قديماً وعبدوه ، وهـذا الرب لم يكن للعرب الرب الأعلى (سورة ٢٣ ى ٨٦ — ٩٢) و (سورة ٢٩ ى ٦١ و ى ٦٣) و (سورة ٣٠ ى ٣٩) و (سورة ٣١ ى ١٠ و ٢٤) و (سورة ٣٢ ى ٣) و (سورة ٣٥ ى ٣٨) و (سورة ٣٩ ى ٣٩) بل الأحد أيضاً فى وقت الشدة والضيق (سورة ١٦ ى ٥٥) و (سورة ٣٩ ى ٦٥) و (سورة ٣٠ ى ٣٢) و (سورة ٣١ ى ٣١) و (سورة ٣٩ ى ١١ و ٥٠) وكلما عثرنا على مادة من مواد تاريخ بلاد العرب القديمة والديانات السامية كلما تزداد عقيدتنا فى صحة هذه الصورة التى رسمها لنا القرآن .

ولفظ (الله) الوارد فى القرآن هو (ال) أو (آلـه) الوارد فى النقوش العربية القديمة وأكثر من ذلك فكثير من أسماء الله وصفاته الواردة فى القرآن نجده فى هذه النقوش القديمة كذلك بعض الاصطلاحات الدينية الخاصة بالإسلام

---

(١) A. L. Wensinck : Muhammed und die Propheten (Acta orientalia 1922, Vol 2. Pars 3, S. 168-198).

وهـذا موضوع جدير بأن يعالج على حدة ، ونحن نكتفى هنا بذكر بعض الأمثلة القليلة .

(الرحمن) استعمله القرآن فى العصر المكى كثيراً عوضاً عن (الله) ولفظ (الرحمن) هو فى الواقع إسم لإله فى السبائية (رحمن ان)[١] .

(الرحيم) استعمله القرآن كثيراً كلقب لله وهو يوجد فى النقوش الصفوية كإسم لإله (هرحيم) (هرحم) وفى النقوش السبائية (رحيم) (رحم)[٢] .

ومن بين مجموعة الأسماء الواردة فى القرآن ، وفى النقوش العربية القديمة التى تصف الله بأنه حبيب البشر ، وانه هوالذى يريد لهم الخير ، وانه قريب وصديق نجد لفظ (و د) فلفظ (و د) يدلنا حقيقة على هذه المعانى وكذلك الحال مع الأسماء الأخرى الواردة فى القرآن مثل (سميع) و (حليم)[٣] . كما نجد الإسم العربى القديم (حكم) وهو يصف الله كحكيم . ونفس اللفظ نجده فى القرآن (حكيم) وغير هذه الأسماء نجد الشيء الكثير .

وعلى العكس من ذلك فالإسلام يرفض كل الأسماء التى تصور الله كوالد وكذلك الألفاظ الدالة على أى نوع من قرابة بين الله والناس . (الله) ليس (والدا) بل هو (رب قوى) وأحياناً يجلس على عرش بعيد المنال ، والإنسان ليس طفلا أو إبنا لله بل عبده، فالفرق بين الله والانسان بعيد جدا فالنظر إلى الله بهذا المنظار له أسبابه القديمة جداً فى الوثنية السامية الشمالية التى انتشر أثرها فى الجـزيرة وبلغ المدينة ومكة فى العصور القديمة . كذلك نجد (الله) عند النبى يشبه (ال) أو (آلـه) عندالعرب الأقدمين فهومثلهما آلـه عالى ولم ينظر إليه بتاتاً كإنسان .

أين وطن التوحيد ومن أين جاء ؟ فالقول بانفراد هذا الله بالسلطان من أثر المسيحية مرفوض فالمسيحية التى كانت حتى عصر محمد لم تكن توحيدية بل متعددة

(١) سورة ٢٣ و س ٢٩ و س ٣٠ و س ٣١ و س ٣٢ و س ٣٥ و س ٣٩

(٢) سورة ١٦ و س ٢٩ و س ٣٠ و س ٣١ و س ٣٩

(٣) CIS p. 4. الأرقام ٦ س ١٥ — ١٩ والأرقام ٥٣٧ — ٥٤٣ .

J. Halévy, Revue des Études juives, 1891.

D. S. Margoliouth : The Relations, 1924.

الآلهة فيسوع وأمه كانا يقدسان كـكائنين إلـهين[١] . وقد تـكون اليهودية قد أثرت لـكننا نعلم أن إلـه اليهود كان إلـها قومياً ولم يكن عالمياً[٢].

لـكن نبي الإسلام لم يرد بخصوصه فى القرآن أنه أول موحد فى العالم بل نرى الحديث عنه وعن التوحيد يشمل عدداً من الأشخاص خاصة أولئك الأنبياء الذين قد سبقوه ودعوا لنفس الله وعبدوه ومن بين هؤلاء نجد أشخاصاً من الـكتاب المقدس كما نجـد أنبياء عربا أرسلهم الله لمختلف الشعوب العربية القديمة[٣] .

ومحمد يشعر بالقرابة الشديدة بينه وبين هؤلاء الأنبياء ، الذين لم يتركوا لنا كتابات ، أكثر من قرابته للأنبياء الآخرين لذلك يسمى نفسه النبي الأمى (سورة ٧ ى ١٥٦) . ولفظ (حنيف) (آرامى حنيف) يدلنا فى نفس الوقت على الفرق بين هؤلاء وبين أصحاب الديانات التى تركت كتبا[٤] .

وإذا بحثنا عن الذين مهدوا للتوحيد الذى يدعو إليه القرآن فإننا يجب أن نلجأ إلى القرآن نفسه ، فالـكتاب الـكريم يشير إلى أن توحيده مستمد من بلاد العرب القديمة وهنا نلمس التطور والتدرج الذى انتهى إلى محمد وختم به فهو خاتم الأنبياء والرسل حقاً ويرى (هوبرت جريمه) أن التوحيد الإسلامى انعكاس للتوحيد العربى الجنوبى ونظرة التوحيد الإسلامى إلى الله نظرة عربية جنوبية فهو (رحمن) وعند الجنوبيين (رحمن ان) وهو سيد السموات والأرض ، ويحاول هذا العالم أن يثبت من عبارات القرآن وألفاظه أثر العرب الجنوبيين فى الإسلام[٥]

(١) س ٤ ى ١٦٩ وس ٥ ى ٧٦ — ٧٩ و ١١٦ — ١١٧ وس ٣ ى ٧٢ — ٧٤
Fr. Buhl : Muhammeds religiöse Fork..., 1924, S. 31-33, 71-72.

(٢) Jul. Wellhausen : Reste .. S2 36.
Herbert Grimme : Muhammed, 1904.

(٣) A. L Wensinck : Muhammed ...

(٤) Fr. Buhl : Muhammeds ...
,, ,, : Hanîf in El.

(٥) H. Grimme Mohammed, 1904, S. 48-50.

إلا أن (جريمه) لم يوفق فيما ذهب إليه[1] ومثله مثل (مرجوليوث) الذى ذهب بعيداً فى آرائه .

يجب ألا نعتقد أن قيام الإسرائيلية أو الإسلامية تأثر مباشرة ببلاد العرب الجنوبية فما الاسلام إلا خاتم حركة التطور التى بدأت فى بلاد العرب القديمة، وقد كانت الثقافة العربية القديمة وقت ظهور الاسلام قوية جدا فى بلاد العرب الجنوبية كما أن كثيراً من الاصطلاحات الإسلامية الدينية التوحيدية نجده فى النقوش العربية الجنوبية القديمة فلفظ (شرك) مثلا هو التعبير الفنى للقرآن عن تعدد الآلهة وقد جاء هذا اللفظ فى نقش سبأى دالا على نفس المعنى[2] ولدينا من النقوش ما يبشرنا أننا بدراستها نستطيع أن نؤرخ ونفهم العصر الذى سبق الاسلام فهما صحيحاً .

(انتهى)

---

(١) Nöldeke : Festschrift, 1906, S. 453-461.

(٢) D. H. Müller : ZDMG, Bd. 30, 1876

J. H. Mordtmann und D. H. Müller : WZKM, 10, 1896, CIS p. 4. t. 2

Fr. Hommel : Südarab Chrest, S. 116.

استكمال

للدكتور

فؤاد حسنين علي

العرب قبل الإسلام

ينظر المؤرخون إلى العصر السابق لظهور الإسلام عادة على أنه عصر ظلمات وفوضى لذلك استودعوه غيابات الجهالة وأطلقوا عليـه اسم العصر الجاهلى فالمؤرخون السابقون ومن سايرهم من اللاحقين يعتبرون ذلك العصر وكأنه بالنسبة لبلاد العرب عصر الخلق والتكوين فالعربى قبل الإسلام لم يعرف حضارة ولم يتذوق ثقافة بل ظل طيلة حياته يضرب فى بوادى الجهالة وعدم المعرفة فلا ثقافة تقوم أخلاقه ولا مبادئ سـامية تنظم حياته وتحكم مجتمعه فالعرب فى نظر أولئك المؤرخين عبارة عن أقوام بسطاء العقيدة يدينون بأحط أنواع الوثنيات ويحيون حياة دينية أقرب ما تـكون إلى حياة الشعوب المتوحشة منها إلى حياة المثقفين المتمدينين وليت الأمر ينتهى عند هذا فالمؤرخون يصورون العربى وقد جرد من نعمة الفنون والآداب فـكأنى بهم يريدوننا أن نعتقد أن العربى لم يعرف العربية وأدبها من شعر ونثر، ويذهبون بعيداً فيجهلون أو يتجاهلون تلك الدول التى قامت على أطراف الجزيرة كدولة البابليين الأشوريين والآرميين والـكنعانيين والمعينيين والسبأيين هذه الدول التى أهدت إلى الإنسانية خير ما يهدى إليها من تشريع ودين وعلوم وفنون أرست أساس حضارتنـا الحالية وعلومنا العصرية . ولعل الدافع إلى هذا الفهم الخاطئ للعرب هو المقابلة بين عهدين والمقارنة بين عقيدتين فما قبل الإسلام يجب أن يكون عصر ظلام وجهالة والاسلام نور وهداية فما قبل الاسلام همجية ومع الاسلام تفتحت المدنية ، هناك كفر ، وهنا إيمان هناك جهل وهنا علم هناك ظلم، وهنا عدل، هناك فوضى ، وهناك نظام . وفات أولئك المؤرخين أن تصور العرب هذه الصورة شيء لا يشرف الاسلام ولا يرفع قدره فالهوة ليست سحيقة كما يتصورون وإلا لعجز العرب عن إدراك عظمة الرسالة المحمدية وما استطاعوا الايمان بها والاستشهاد فى سبيلها . أما سبب هذا التشويه لتاريخ العرب قبل الاسلام فالرغبة الاسلامية الملحة فى القضاء

على الوثنية الجاهلية قضاء مبرما فالاسلام حارب الوثنية العربية حربا لاهوادة فيها حتى كاد يستأصلها فحقرها وشوهها ونسب إليها أشياء لم يثبت التاريخ حتى اليوم صحتها . ولم تقف هذه الحرب عند العقائد الجاهلية بل تناولت حتى الشعر الذى هو ديوان العرب فلمن القرآن الشعر والشعراء ، والشعر كما نعلم دليل قوى على رقى العقلية العربية وسموها حيث نجد عروضا وأوزانا وفلسفة وحكمة وفنونا شعرية مختلفة تفيض بها دواوين الشعر الجاهلى .

لكن مع تقدم الزمن توفر على دراسة التاريخ العربى وكشف آثاره ومخلفاته جماعة من العلماء الذين لا يدينون بالاسلام ولا تهمهم عن قريب أو بعيد الدعاية للاسلام أو للوثنية ، ومن هؤلاء العلماء نفر من الأوربيين المسيحيين الذين دفعتهم رغبة البحث العلمى إلى إستكمال التاريخ المقدس لذلك نجد منذ القرن الثامن عشر بعثات علمية منتظمة تتجه إلى مختلف أنحاء الجزيرة العربية فتكشف لنا الحضارات العربية المختلفة وكانت نتيجة هذه البعوث أن حصلنا على كثير من المعلومات التى تلقى أشعة قوية على هذا الماضى العربى السعيد فقد علمنا أن فى بلاد ما بين النهرين قامت حضارة عظيمة كما أهدت تلك البلاد إلى الأنسانية شريعة حورابى وما إليها من مختلف الفنون والعلوم والآداب وغير البابليين الأشوريين ،نجد الآراميين والكنعانيين .. والأوجريتيين والدور الذى لعبه الفينيقيون أشهر من أن يشار إليه هنا ، وفى جنوب الجزيرة قامت عدة دول مثل معين ، وسبأ ، وقتبان ، وحضرموت . وقد لعبت هذه الدول قديما دورا هاماً فى تجارة العالم القديم وبخاصة بين الدول المطلة على المحيط الهندى والواقعة على البحر الأبيض المتوسط ، وقد اضطرها هذا الدور إلى السيطرة بحراً على البحر الأحمر والخليج العربى وبراً على طريق القوافل الممتد بين جنوب الجزيرة وشمالها .

وتفيدنا النقوش التى اهتدت إليها هـذه البعوث أن بلاد العرب الجنوبية شأنها شأن اخواتها فى شمال الجزيرة وشرقها بلغت مرحلة عالية جداً فى نظام الحياة الإجتماعية والمدنية فقد عرفت النظم النيابية التى لا تقل تقدماً عن أحدث الدساتير تداولا ، فقد كانت هناك مجالس تمثل الشعب تمثيلا نيابياً كما كان هناك مجلس قبلى إلى جانب العرش .

أما الفنون والعمارة فقد خلفت لنا مايشهد بعظمتها وتقدمها اليست هى صاحبة سد مارب وشوامخ القصور ، واليست العقائد العربية الجنوبية هى من أسس العقائد التى بلغتها الوثنية قديما ! ولما كنا فى صدد الحديث عن بلاد العرب السعيدة فأننا سنمر سريعاً إلى الديانة العربية القديمة ممثلين بها لعظم الأثر الذى تركته فيا جاءنا من عقائد وديانات ، فهذه الديانة التى حاربها الإسلام مضطراً ، إذ أن على الانتصار عليها كان يتوقف نجاح الدعوة الإسلامية أوفشلها ، هى المرآة الصادقة للحياة الروحية فى بلاد العرب الجنوبية فى العصر الجاهلى وأن علم تاريخ الأديان لم يعرف حربا بين دينين كتلك التى شنها الاسلام فالكتاب المقدس مثلا احتفظ بالكثير من آثار الديانات القديمة كذلك المسيحية بخلاف القرآن الذى لم يحتفظ الا بالقليل النادر ، وذلك لأنه لا يوجد دين عالى يبغض تعدد الآلهة بغض الاسلام له كذلك لم يغرم دين بالتوحيد غرام الإسلام به لكن هذه العداوة وتلك البغضاء لم تحل دون ذكر القرآن الكريم أحياناً اسماء بعض هذه المعبودات الوثنية فقد جاء فى سورة نوح (وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ، ولا يغوث ، ويعوق ، ونسرا) وذكر القرآن لود وسواع ويغوث ويعوق ونسر يرجح أن هذه المعبودات هى التى كانت سائدة فى جنوب الجزيرة وقلبها حتى قبيل ظهور الاسلام .

أما الوثنية العربية فى عصرها الذهبى فلم يصلنا منها عن طريق الاسلام شىء يذكر اللهم إلا ما جاءنا عنها فى اسماء الأعلام العربية القديمة المركبة مثل (عبد ود) و (عبد شمس) و (عبد قيس — أمرؤ القيس —) و (عبد مناف) و (عبد العزى) و (وهب اللات) لكن حتى هذه الأسماء فقد حاربها الإسلام واستعاض عنها بأسماء مثل (عبد الله) و (عبدالرحمن) و (عبدالصمد) وغيرها لكن معبوداً وثنيا قديماً جاءنا ذكره فى كثير من النقوش العربية الجاهلية إلا وهو (آل) أو (آله) أو (كهل) ويمثل الأخير آلـه القمر وكأنه رجل كهل وهو (الحكيم) و (القدوس) و (العادل) . هذا المعبود هو ولاشك الذى تطور وأصبح فى الإسلام (الله) وهو ولاشك آخر مظهر من مظاهر تطور معنى

الله التاريخى فى الديانة العربية الجاهلية ، فالله فى الإسلام هو آله واحد ، وهو رب العالمين ، وهو من هذه الناحية غير آله اليهود الخاص بهم وهو بعيد أيضاً عن تعدد الآلهة فى المسيحية .

ويجب الا يتبادر إلى أذهاننا أن بلاد العرب ظلت حتى ظهور الإسلام بعيدة عن الديانتين الساميتين الأخريين أعنى الموسوية والمسيحية ، فالتاريخ يحدثنا أن قبائل يهودية كانت نازلة فى أجزاء مختلفة من الجزيرة ، كذلك المسيحية قد شقت طريقها اليها منذ حوالى القرن الخامس الميلادى ، ومن الثابت أيضاً أن يهوديا يدعى ذو نواس تمكن من اعتلاء عرش اليمن حوالى عام ٥٠٠ م واضطهد المسيحيين هناك فبادر مسيحيو الحبشة إلى مناصرتهم وقضوا على الاسرة اليهودية الحاكمة وجعلوا من اليمن ولاية مسيحية حبشية لكن اليمنيين أرادوا التخلص من الأحباش فاستعانوا بالفرس الذين عاونوهم على طرد الحبش من البلاد وأن حاولوا فيما بعد إحتلالها .

وكانت نتيجة هذا الصراع أن هاجرت قبائل يمنية أخرى إلى قلب الجزيرة وشمالها غير تلك التى هاجرت قبل الميلاد وتذكر كتب التاريخ والسير أن كثيراً من القبائل التى نزلت يثرب وما جاورها وكانت تقيم هناك حوالى القرن السادس الميلادى أمثال الاوس والخزرج هى قبائل يمنية الأصل كذلك الحال مع النازحين إلى فدك وخيبر ويمنية أيضاً هـذه القبائل التى تكونت منها دولتا الغساسنة والمناذرة هؤلاء الذين لعبوا دورا خطيراً فى تاريخ الجزيرة العربية وفى بعث حركات الإصلاح الدينى بها وإذا ذكرنا تلك القبائل يجب ألا يفوتنا ذكر (كندة) فهذه القبيلة اليمنيـة التى نزحت إلى قلب الجزيرة وعاشت فى القرنين الخامس والسادس الميلاديين كانت تعتمد على عصبيتها فقط ولم تعتمد على فارس أو بيزنطه أما العامل الأساسى فى زوالها فهو عدم إعتمادها على دين يقوى عزمها . ولا أريد أن أستطرد وأطيل الحديث عن الوثنية الجاهلية أو الديانات السماوية الأخرى التى عرفتها الجزيرة بل اكتفى بهذا القدر حتى أعود إلى حديث الدين مرة أخرى وأتحدث عن المقدمات التى مهدت لظهور الإسلام والحضارة العربية الإسلامية وبعث النبى محمد فى مكة مركز الرأسمالية والفقر وطن الشبع والجوع وملتقى الديانات

والعقائد ، مكة التى كان كل مافيها فى ذلك العصر يمهد ويبشر بظهور دين جديد ألا وهو الإسلام، ويؤسفنى أن أقررهنا أن النتائج العلمية للبعوث الأوروبية فى الجزيرة العربية قد نشرت فى مختلف اللغات الأجنبية ولم يظهر فى العربية من هذه البحوث العلمية إلا النادر القليل وبالرغم من هذه الصرخات المدوية المنادية بالقومية العربية فما زالت البحوث العربية الرفيعة حتى كتابة هذه السطور فى يد الأجانب ولست مبالغاً إذا قلت أن ثمرات المطابع الاسرائيلية أغنى وأوفر من هذا النتاج الهزيل الذى تطالعنا به مطابعنا العربية أحياناً كما أن الطريق للحاق بالأجانب مازال شاقا بعيداً فلا مراجع متوافرة ولا دراسة جامعية أصيلة ولا حملات تحاول القيام بأعمال علمية حقيقية يقصد من ورائها البحث العلمى الخالص لا الدعاية الرخيصة إبتغاء الحصول على درجة أو الاحتفاظ بمنصب من مناصب الدولة وإلا فأين المؤلفات العربية الأصيلة حول مهد الديانات وموطن الساميين وأرض الحضارات العريقة لا عجب فما أكثر الأدعياء بين صفوفنا . ؟

وقد شعرت بهذا النقص وذلك الحرج فأخذت على نفسى أن أخطو الخطوة الأولى فأنقل إلى العربية ترجمة أو تلخيص ما كتبه بعض الأجانب وبخاصة مؤلفات أولئك الذين أرتفعت بهم بحوثهم إلى مرتبة وأن لم تبلغ الكمال فهى أقرب إليه .

ففى يناير ١٩٢٧ ظهر كتاب حول التاريخ العربى القديم ، وبخاصة بلاد العرب السعيدة قبل الإسلام ، وقد وضع هذا الكتاب عدد من الأساتذة المختصين فى الجزيرة العربية آثاراً ، وتاريخاً ، ولغة ، وأدبا فمنهم (نيلسن) وقد اختص نفسه بفصلين الأول فى تأريخ علم البحث والتنقيب فى بلاد العرب الجنوبية فتحدث عن البعوث العلمية الأوربية التى اقتحمت هذه البلاد فى الفترة الممتدة من عام ١٧٦٠ حتى اندلاع نيران الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ — ١٩١٨) . وقد حاول (نيلسن) جهده أن يكون المصور الأمين فنقل إلينا أخبار هذه البعوث والنتائج التى جاءت بها ومدى الفائدة التى عادت على العلم منها ولا شك فى أن عملية الحصر والجمع عملية شاقة إلا أنها مأمونة الجانب سليمة العواقب

إذ ما على المؤلف إلا أن يعرض للقارىء هذه الحقائق التى خرجت إلى الوجود وابتعدت عن الحدث والتخمين . ولم يكتف (نيلسن) بهذا الفصل بل ختم الكتاب بفصل خامس اختصه بالديانة العربية الجنوبية وتوفيقه فى هذا الفصل لا يقل عن توفيقه فى الفصل الأول ، وذلك لأن الديانات القديمة لشبه الجزيرة العربية تتفق فى عناصرها الروحية ، وأن اختلفت فى طقوسها بسبب التطورات الاجتماعية التى تعرضت لها الجزيرة العربية فدارس الديانات العربية يجد الصلة قوية جداً بين عقائد الشرق والغرب أو الشمال والجنوب بل بين هذه الديانات العربية الوثنية وبين الأخرى السماوية أعنى الموسوية والمسيحية والإسلام وهل كان الاسلام مثلا الأملة ابراهيم حنيفا ! وقد عاون (نيلسن) على تجويد هـذا الفصل ، بالرغم من قلة المواد العربية الجنوبية التى وصلته حتى كتابة هذا الفصل ، الدراسات الدينية الأخرى سواء الوثنية منها أو السماوية لذلك كثيراً ما قابل المؤلف بين العقيدة العربية الجنوبية وبين الاسلام أو غيره ، وأحياناً جانبه التوفيق فى هذه المقابلة مما اضطرنى إلى التصرف فى الترجمة مع التزام الروح العامة للموضوع .

وغير (نيلسن) نقرأ الفصل الثانى للعلامة (فريتز هومل) وهو الفصل الذى عقده للتاريخ العام لبلاد العرب الجنوبية ، هذا الفصل هو فى الواقع أوهن فصول الكتاب وأكثرها قلقلة فالكثرة المطلقة من الأحكام الصادرة فيه قائمة على الحدث والتخمين لا الحقيقة والواقع وذلك لأن كتابة تاريخ أمة من الأمم ولو فى فترة من فترات الزمن تتطلب قبل كل شىء استحضار سائر المواد اللازمة للفترة ومن ثم يقبل عليها المؤرخ ناقداً فاحصاً مستخلصاً منها المادة التاريخية لهذه الحقبة متجنباً الخوض فى القصص والأساطير ، وبدون هذا لن يستطيع مؤرخ أن يدعى أنه وفق فيما كتب . والعلامة (فريتز هومل) يعترف بهذا صراحة ويعتذر بأنها محاولة لعمل تخطيط كروكى لتاريخ بلاد العرب الجنوبية وهذا التخطيط قد ينير السبيل لمن يأتون بعده ، وقد استعاض مؤلف هذا الفصل عن ندرة المواد التى تحت يده بمؤلفات مؤرخى العهود القديمة من يونان ورومان وعرب بل لجأ حتى إلى الكتب المقدسة وجميعها مراجع لا يرجع إليها مؤرخ

إلا مستشهدا أو محللا فلا عجب إذن إذا جاء هذا الفصل مهلهلا ضعيفاً ، وهو يوحى إلى القارىء أنه فى حاجة ماسة إلى التحقيق والتقويم .

وغير المؤلفين السابقين نقرأ الفصل الثالث لعالم قدير إلا وهو (نيكولوس رودوكا ناكيس) وهو يونانى هاجر إلى النمسا واستوطنها وتدرج فى المراكز الجامعية حتى أصبح أستاذ اللغات العربيـة الجنوبية فى جامعة جراتز بالنمسا وقد أغنى هذا البحاثة العالم ببحوثه الطريفة المبتكرة التى جلت لنا الكثير من النواحى الغامضة فى تاريخ الجزيرة العربية وعلى يديه تخرج عدد كبير من المختصين فى هذه الدراسة والذين يحملون اليوم لواءها أمثال (ماريا هوفنر) التى تجود علينا دوما بكثير من مؤلفاتها الطلية التى تدل على دقة فى البحث وانصاف للحقيقة . وقد اختار هذا العلامة لنفسه الحياة العامة للدول العربية الجنوبية فصورها تصويراً يكاد يكون صادقا فبعد مقدمة استعرض فيها الدول العربية الجنوبية التى قامت قبل الإسلام والحروب الطاحنة التى قامت بينها، والدور التجارى الهام الذى لعبته هذه الدول ، والمنافسة القوية بين هذه الدول من ناحية والرومان والأنباط من ناحية أخرى عرض للدستور والتشريع والإدارة فذكر كيف أن تلك البلاد عرفت النظم الدستورية إذ كانت توجد بها مجالس نيابية تمثل الشعب ، وكان يوجد مجلس قبلى إلى جانب العرش كما كانت تمثل القبائل المختلفة فى الهيئات التشريعية المتعددة التى كانت إدارة البلاد بيدها ، وضمانا لتنفيذ التشريعات كان يقوم إلى جانب العرش مجلس للدولة ، ومجلس للقبائل وأعضاؤهما يكونون الحكومة . وبعد أن فرغ من عرض الحياة النيابية ونظام الحكومة عرض للاقتصاد القومى وللمعبد وصلة الدين بالدولة .

أما العالم الرابع إلا وهو (أدولف جرومان) فقد وضع الفصل الرابع وهو خاص بالناحية الأثرية لبلاد العرب الجنوبية فتحدث عن العمارة والبلاستيك والفنون اليدوية والفنون الدقيقة وبالرغم من التوفيق الذى صادفه إلا أنه كما أخبرنى شخصياً مشتاق إلى إعادة الكتابة فى هذا الموضوع نظراً لكثرة المواد التى تجمعت لديه اليوم .

ولكن هذا الكتاب الذى ظهر عام ١٩٢٧ قد حقق رسالته التى كتب من أجلها حقاً فهو مرجع لا يستغنى عنه كل من يعنى بالجزيرة العربية سواء من الناحية التاريخية أو الدينية أوالأدبية فهذا الكتاب يصور لنا بلادالعرب السعيدة قبل الإسلام فيخرج القارىء منه بصورة واضحة وضاءة ! فهو مرجع لن يستغنى عنه باحث ، وقد أدركت عندما تدارسته إبان طلبى العلم بألمانيا أن المكتبة العربية فى حاجة ماسة إلى هذا السفر لذلك ما كدت أعود إلى مصر حتى عرفت به مواطنى خاوات جامعة الأمم العربية ترجمته وأسندت أمر هذه الترجمة إلى أحد زملائى بكلية الآداب لكن هذه الأمنية لم تتحقق ونفضت الجامعة العربية يدها منه فتقدمت إلى إدارة الثقافة العامة بوزارة المعارف المصرية عام ١٩٤٩ راغبة فى ترجمة هذا الكتاب فأقبلت عليه راضيا مغتبطا شاعراً أننى أؤدى خدمة جليلة للمكتبة العربية وفرغت من هذه الترجمة عام ١٩٥٠ أى بعد إصدار الكتاب بنحو ثلاثة وعشرين عاماً وهى فترة طويلة حقاً ظهرت فى أثنائها بحوث أخرى كثيرة لحملات علمية مختلفة، وقد أبديت هذا الرأى للقائمين على إدارة الثقافة وقتذاك فأخذوه بعين الاعتبار ووعدوا بتنفيذه عند الشروع فى نشر الترجمة . ثم مرت أعوام وأعوام ووقعت أحداث وراءها أحداث حتى كان عام ١٩٥٦ واتصلت بى إدارة الثقافة ورغبت فى نشر هذا الكتاب كما رجتنى الاشراف على هذا النشر واستكماله وبعد لأى ما قبلت وأنا ميقن أن استكمال هذا الكتاب يكاد يكون من الأمور العسيرة جدا وذلك لأنه مرت فترة تقرب من الثلاثين عاماً بين نشر الأصل الألمانى والترجمة العربية وهذه مدة مليئة بالبحوث التى نشرت فى مختلف اللغات والتى كانت نتيجة أعمال بعوث عالمية دولية أضافت الى معلوماتنا عن بلاد العرب شيئاً كثيراً سواء فى الناحية التاريخية أو الدينية أو الأثرية أو الأدبية أو اللغوية ومما يؤسف له حقا أن كثيراً من هذه المراجع غير موجود فى مصر واستحضارها يكاد يكون متعذراً .

الفصل الأول

تاريخ العلم

وقفنا فى الفصل الأول عند الحديث عن آخر أعمال البحث والتنقيب التى التى قام بها العلماء الغربيون فى بلاد العرب الجنوبية حتى اندلاع نيران الحرب الأوربية الأولى ١٩١٤ — ١٩١٨ ورأينا أيضاً فى ذلك الفصل النتائج الهامة التى توصل إليها العلماء فى سبيل كشف النقاب لا عن أسرة اللغات السامية فحسب بل عن آدابها وتاريخها كما تقدمت معلوماتنا عن ديانات تلك البلاد وعقائدها والدور الذى قامت به شعوب الجزيرة فى سبيل تطور تاريخ الحضارة الإنسانية ، والفضل فى جميع هذا يرجع إلى أمثال (ادورد جلازر)[1] الذى كان أول عالم أوربى حاول وضع مؤلف فى تاريخ بلاد العرب الجنوبية وجغرافيتها معتمداً على النتائج التى توصل إليها عن طريق رحلاته إلى بلاد العرب السعيدة ، ولولا عاجلته منيته عام ١٩٠٨ لفاض علمه علينا بكثير من الحقائق العلمية التى تسد الثغرات الكثيرة الموجودة فى تاريخ بلاد العرب الجنوبية . وغير (جلازر) نذكر (جزينيوس) و (أوسيندر) و(هليفى) و (بريتوريوس و (د . ه مللر) وغيرهم . والآن نريد أن نتتبع هذه المجهودات لنرى مدى التقدم الذى أحرزه علم الدراسات السامية حتى يومنا هذا .

كانت الحرب العالمية الأولى من أكبر الضربات التى وجهت إلى النهضة العلمية فى الدراسات السامية فحل الركود ووقفت البحوث وعطلت المطابع لكن ما كادت تضع الحرب أوزارها حتى أخذت انجلترا تعمل جاهدة فى سبيل تعويض ما فاتها محاولة بسط نفوذها وتمكين سلطانها فى البلاد العربية الجنوبية[2]

(١) E. Glaser : Skizze der Geschichte Arabiens von den ælteste Zeiten bis Muhammad ausschliesslich nach inschriftlichan Quellen. Muenchen 1889

E. Glaser : Skizze der Geschichte und Geographie Arabiens. Berlin 1890.

(٢) Richard H. Sanger : The Arabian Peninsula. New York 1954.

متسترة وراء البحث العلمي تارة والأخذ بيد القبائل المتخلفة تارة أخرى فأخذت تتودد إلى أسرة عربية جنوبية تعرف باسم أسرة (كثيرى) وتقربت إليها بمختلف الوسائل ولا سيما فهى تعلم تماماً أن تركيا هى التى كانت قد أسندت إلى آل كثيرى أمر الاشراف والهيمنة على الموانى الحضرمية وتعلم انجلترا أيضاً أن أسرة عربية جنوبية أخرى ظهرت فى الميدان السياسى العربى منذ عام ١٨٣٠ م إلا وهى أسرة (قعيتى) التى جمعت ثروة طائلة من الهند ومن ثم اشترت من أحد سلاطين آل كثيرى مدينة (قطن) ثم دب التنافس بين الأسرتين واشتعلت نيران الحرب الأهلية بينهما وأخذت السياسة البريطانية تلعب دورها وناصرت آل (قعيتى) على آل (كثيرى) ولم يأت عام ١٨٨٨ إلا وكان نجم آل كثيرى قد أخذ فى الأفول . فكل هذه الدسائس البريطانية مهدت للسياسة الإنجليزية عقب الحرب العالمية الأولى لضرب ضربتها الأخيرة فى حضرموت والاستيلاء عليها فجعلت من آل قعيتى حكاما على حضرموت تحت حماية التاج البريطانى وأصبح وادى حضرموت أيالة عدنية ، لكن آل كثيرى لم يستسلموا نهائياً لإرادة بريطانيا أو آل قعيتى بل كثيراً ماثاروا وقاتلوا وأحدثوا كثيرا من الإضطرابات والقلاقل بالرغم من معاهدة الصداقة التى نجحت إنجلترا فى عقدها عام ١٩١٨ بين الأسرتين ، وهكذا ظلت الحالة مضطربة حتى فكر الانجليز فى عدن فى استغلال حضرموت والعمل للاستيلاء على الجهات الشرقية من البلاد العربية وبخاصة تلك التى يريدون بسط حمايتهم عليها . ففى منتصف القرن العشرين قام عدد من الانجليز المقيمين بعدن بعدد من الرحلات الاستطلاعية إلى موانى هذه المحمية ، وفى عام ١٩٣٤ أرسلت إنجلترا أحسن خبير لديها فى منطقة المحيط الهندى ألا وهو (و . هـ . إنجرامز) ليكون مستشارا مقيماً فى (مكلا) وقد كسب هذا المستشار الانجليزى ثقة العرب وولاءهم وبذلك نجح فى نشر النفوذ البريطانى تدريجيا فى داخل البلاد العربية ، وفى عام ١٩٣٧ نجح هذا المستشار فى عقد محالفة مع سلطان الشحر ومكلا تعهد فيها البريطانيون بتعيين مستشار دائم للسلطان كما تعهد السلطان بالعمل بنصائحه إلا فيما يتصل بالمسائل الدينية وعادات البلاد وتقاليدها واستمر العمل بهذه الاتفاقية قائماً حتى عام ١٩٤٠م .

وإذا تركنا حضرموت واتجهنا إلى بلاد اليمن أو بتعبير أدق إلى بلاد الامام

نجد عام ١٩٢٨ بعثة أوربية من العالمين (رتجينز[١]) و (فون فيسمان) تفد إلى اليمن فيستقبل الأمام العالمين استقبالا لم يكن متوقعا فيرحب بهما ويغتبط بوصولهما ويرجوهما الاشراف على أعمال الحفر التي كان يقوم بها في قرية (حقه) الواقعة شمال صنعاء وهكذا أتيحت ولأول مرة الفرصة للعامل اليمني لأن يعمل تحت إشراف عالمين خبيرين بالحفر وأصوله فتكللت أعمال البعثة بالتوفيق .

وفي عام ١٩٣٦ أرسلت جامعة القاهرة (فؤاد الأول سابقا) بعثة أثرية إلى بلاد اليمن ، وقد صرفت هناك حوالى ستة شهور زارت خلالها حضرموت زيارة عابرة كما قامت في ناعط بالقرب من صنعاء ومشهد ببعض الحفائر وعني الدكتور خليل يحي نامي أحد أعضاء البعثة بنشر النقوش التي جاءت بها بعثة الجامعة المصرية ، ومما يؤسف له أن البعثة المصرية لم تنشر إلى اليوم النتائج الأثرية .

وفي نفس العام زار اليمن سوري يدعى (نزيه مؤيد العظم[٢]) وأقام في صرواح ومارب وكتب عن رحلته رسالة نشرها في القاهرة عام ١٩٣٨ أما النقوش التي عاد بها فقد درسها (ج . ريكمنز[٣]) . وفي عام ١٩٣٧ نجد ثلاث رحالات هن (ج . كاتون طمسون) و (ا جاردنر) و (ف . شترك) يفدن إلى حضرموت وفي وادي (عمد) مقابل (حريضة) كشفن عن معبد لإله القمر وازلن التراب عنه كما عثرن على عدد من النقوش وكشفن عن وسيلة من وسائل الري القديمة التي كانت مستخدمة في البلاد قبل الإسلام ومازالت موجودة حتى يومنا هذا وفي الوادي المعروف الآن باسم (وادي بيش) ، وقد نشرن نتيجة رحلتهن عام ١٩٤٤م ومن ثم نجد (ف . شترك) تقوم بمفردها بعدد من الرحلات إلى بلاد العرب السعيدة وقد نشرت الشيء الكثير عن نتائج رحلاتها[٤] .

---

(١) S. C. Rathjens und H. von Wissmann : Vorislamische Altertuemer. Hamburg 1932.

(٢) نزيه مؤيد العظم : رحلة في بلاد العرب السعيدة من مصر إلى صنعاء .
نزيه مؤيد العظم · رحلة في بلاد العرب السعيدة من صنعاء إلا مارب .

(٣) G. Ryckmans : Inscriptions sud-Arabes, 7éme serie : Le Muséon 55 (1942).

(٤) G. Caton Thompson : The Tombs and Moon Temple of Hureidha (Hadhramaut) Oxford 1944.

وقد دفعت هذه النتائج القيمة التي جاء بها عدد من الرحالة نفرا من العلماء إلى المغامرة فرحلوا إلى بلاد العرب السعيدة يجوبون ديارها إلا أن أحدا منهم لم يقم بحفائر واقتصر النشاط على نقل النقوش والكتابات التي عاونت كثيرا على دراسة اللغة اليمنية السبائية وتطور الكتابة العربية الجنوبية ، ولعل أشهر هؤلاء المغامرين هو (فيلبي)[1] كما أن أنفع وأخطر رحلة قام بها هى تلك التي تمت في عامى ١٩٣٦/١٩٣٧ حيث بدا من جده مارا بخرمه فمسير فنجران إلى شبوة وتريم فى حضرموت. ومن ثم واصل السير حتى بلغ الشحر وقد نشر النتائج التي توصل إليها فى رحلته هذه فى كتابه الذى صدر عام ١٩٣٩ كما استلحق (بستون) هذا الكتاب ببحث عن النقوش والكتابات التي اهتدى إليها (فيلبي) .

ثم جاء (فان در مويلن وفون فيسمان)[2] وقاما برحلة أخرى عام ١٩٣٧ غير رحلتهما الأولى التي قاما بها عام ١٩٣١ وقد تعاونا فى رحلتهما الثانية مع كل من (بتينا فون فيسمان وفون فاسيلفسكى) فأتوا جميعهم لعلم اللغات السامية بفوائد كثيرة .

وغير هذه الرحلات العلمية المظهر نجد أخرى سياسية المظهر والمخبر كتلك التي قام بها (هارولد) و (انجرامز)[3] وقد أفادتنا هذه الرحلات من الناحية الجغرافية وزادت معلوماتنا عن اقليم حضرموت ، ومن ثم نجد فى عام ١٩٣٨ الصاغ (ا . هاملتون) يقوم بزيارة إلى شبوه عاصمة حضرموت وفى عامى ١٩٤٥/١٩٤٦ قام (تزيجر) بعدة رحلات فى بلاد العرب السعيدة وزار عدة أماكن تحدث عنها فى مقالاته التي نشرها فى الصحيفة الجغرافية[4] :

---

(١) J. B. Philby : Sheba's Daughters. London 1939.

(٢) D. van der Meulen und H. v. Wissmann : Hadramaut. Some of its Mysteries Unveiled. Leiden 1932.

D. van der Meulen. Aden to the Hadramaut. London 1947.

(٣) Harold and Doreen Ingrams : Arabia and the Isles. London 1942 / 43.

(٤) Geographical Journal 100 (1942), S 103-23.

A. Hamilton : The Master of Belhavan.

,, : The Kingdom of Melchior, London 1949.

وقد حدث أن غزت أرجال من الجراد بلاد اليمن فاستغاثت حكومة الإمام بمصر ورجتها العون فى دفع الكرب فأرسلت جامعة القاهرة (فؤاد الأول) عام ١٩٤٥ السيد محمد توفيق فانتهز فرصة وجوده هناك ورجا الإمام أن يأذن له فى زيارة الجوف فشاهد كثيراً من خرائبه الأثرية وصورها كما صور آثاراً أخرى زادت فى ثروتنا العلمية وقد نشر جزءاً منها عام ١٩٥١ كما انفرد الدكتور خليل يحي نامى بنشر بعض النقوش التى جاء بها .

وفى عام ١٩٤٧ زار الدكتور أحمد فخرى اليمن عدة مرات وانتهز فرصة وجوده هناك وزار ثلاث مناطق أثرية وهى صرواح ومارب والجوف وأحضر معه عدداً من الرسومات والصور ومجموعة من مائة وثلاثين نقشاً لم تنشر من قبل ومعلوم أن صرواح كانت قديماً مركز الدولة السبائية وقد ظلت محتفظة بمكانتها حتى بعد أن حلت محلها مارب ، وأشهر بناء فى صرواح هو ذلك الذى يعرف اليوم باسم (الخربة) وهو عبارة عن معبد بيضاوى الشكل وكان للاله المقه اله القمر وقد صور احمد فخرى غير هذا المعبد معبداً آخر يعرف اليوم باسم معبد (محرم بلقيس) أو (دار بلقيس) وعلى بعد أربعة كيلومترات جنوب المدينة توجد بقايا معبد يشبه ذلك الموجود فى صرواح أعنى معبد اله القمر المقه ويطلق على هذا اسم (آوم) أو (آوام)[١] ويطلق عليه السكان اليوم (محرم بلقيس) ويصفه (ريكمنز) فيقول أنه بناء مستدير الشكل يتراوح قطره بين اثنين وثمانين وتسعين متراً[٢] .

ومن مارب سافر أحمد فخرى إلى الجوف وهو قلب دولة معين وفى طريقه إلى براقش التى كانت قديماً تسمى باسم (يثل) زار (خربة سعود) و (والدويب) التى عرفت قديما باسم (كتل) كما زار أيضاً (كمنا) و (البيضاء) التى عرفت قديما باسم (نقش) والسوداء وهى (نشن) وأخيرا زار (الحزم) وهى على بعد كيلو مترين من (حرم) القديمة .

---

(١) W. Thesiger : Geographical Journal (Band 108 ff).

(٢) Ryckmans : "C'est une construction de forme circulaire, de 82 m. 90 de diam'etre".

ومن حسن الحظ أن ظهرت فى صحيفة التيمس اللندنية بتاريخ ٢٤ فبراير ١٩٥٠ مقالة[1] عبارة عن عرض موجز لرحلة على ظهر حصان من (بيحان القصاب) فى وادى بيحان مارا بطريق (مبلقة) إلى خرائب (هجر حنو الزرير) ومن ثم العودة إلى (بير هجيوبه) و (اسيلان) وبالقرب منها (كتلان) وهى فيما يرجح (كحلان) حيث توجد بقايا (تمنع) القديمة عاصمة الدولة القتبانية ، ويذكر الكاتب أن فى وادى بيحان توجد خرائب عديدة . وتمنع هذه هى التى سبق أن زارها من قبل (ج . و . برى) وعام ١٩٤٨ (س . هـ . انجه) . رأينا من العرض الموجز السابق المجهودات التى بذلتها بعض الدول الأوربية والعربية فى سبيل الكشف ودراسة بلاد العرب الجنوبية والآن يخطر لنا سؤال هام ما هو موقف أمريكا من هذا النشاط العلمى وإلى أى حد ساهمت فى هذه النهضة العلمية ؟ فى عام ١٩٤٧ حلقت طائرة أمريكية تحمل عددا من أعيان اليمن وبعض الأمريكيين فوق خرائب اليمن وفيما بين عامى ١٩٥٠ — ١٩٥٢ نظمت مؤسسة دراسة الإنسان الأمريكية حملتين علميتين برئاسة الأثرى المشهور (وندل فيلبس) أحد أبناء كاليفورنيا واهتمت البعثة فى رحلتها الأولى بمحمية عدن بينما اتجهت فى حملتها الثانية إلى اليمن وقد ضمت عدداً كبيراً من الأثريين أمثال (البريت) أحد أساتذة جامعة (هوبكينز) وكان هو كبير الأثريين ، وقد توصلت البعثة إلى نتائج قيمة سواء فى اليمن أو فى الأجزاء الغربية من محمية عدن كما قامت بدراسة مستفيضة حول طرق الرى قديماً فى مملكة قتبان فضلا عن حفائرها فى تل حجر بن حميد التى كشفت فيها عن كثير من الفخار الذى يرجع إلى ما قبل الميلاد كما كشفت عن معابد وقصور فى (تمنع) العاصمة القديمة لقتبان ، وبفضل هذه الكشوف علمنا أخر مرة خربت فيها (تمنع) وكان ذلك حوالى عام ٢٥ ق . م . كما كشفت البعثة جزءا من مدافن هذه المدينة القديمة ، ولما كان الهدف الأساسى لهذه البعثة هو (مارب) فقد بلغتها وكشفت لنا عن خرائب ترجع إلى القرن السابع ق . م . فهناك كشفت عن معبد لإله القمر وعن سد مارب كما عثرت على كثير من الآثار البرنزية والرخامية

---

(١) A Tour with the Aden Police (Times 24th February 1950.

وبعض النقوش السبأية وبالرغم من اختلاف وجهات النظر بين حكومة اليمن والبعثة فإن النتائج التى حققتها اغنتنا كثيرا فى هذه الناحية من الدراسات العربية ، وذلك لأن هذه البعثة كانت مجهزة بأحدث وسائل الكشف والتنقيب كما كان من اعضائها عدد مشهور فى المحيط العلمى . وما نشرته البعثة من نتائج يبشر بأنها توصلت إلى ما كانت تبغى ، فالمعروف أنه فى ابريل ١٩٥١ عقدت البعثة الأمريكية لدراسة الإنسان اتفاقا مع أمام اليمن الأمام أحمد صرح بمقتضاه للبعثة بعمل حفائر فى منطقة تقع حول مارب ومحيطها نحو خمسة وعشرين كيلومترا ، وفى أول نوفمبر ١٩٥١ بدأت البعثة حفائرها إلا أنها اضطرت فى ١٢ فبراير ١٩٥٢ إلى أيقاف أعمال الحفر نظرا لقيام بعض الخلافات بين البعثة ورجال الحكومة اليمنية ، وقد أدى هذا الخلاف إلى ضياع الآثار القيمة فالآثار التى اهتدت إليها فى (محرم بلقيس) ذات أهمية بالغة ، وفى (ظفار) وطن البخور والواقعة شرق حضرموت صرفت البعثة حوالى عشرة شهور كشفت فيها عن هذه المنطقة تماما كما قامت بحفائر فى (البليد) و (خور روري) . والشيء الجدير بالملاحظة أن المعبد الذى يعتقد (البريت) أنه اعشتر قد وجدت فى فنائه مجموعة من الأحجار المستخدمة فى رصفه وكل حجر يحمل حرفا من حروف الابجدية العربية الجنوبية ومرتبة ترتيبها لكن مع تجانس الشكل . والفضل فى أزدياد ثروتنا العلمية عن بلاد العرب الجنوبية يرجع ولا شك فى الأعوام الأخيرة إلى هاتين الجملتين العلميتين [١] .

---

(١) G. W. van Beek. Recovering the Ancient Civilization of Arabia ; Bi Ar 15,1 (Feb. 1952)

W. F. Albright, The Chronology of Ancient South Arabia in the Light of the First Campaign of Excavation in Qataban (BASOR) 119 (1950), p. 5—15.

L. Th. Lefort, Deux récentes Missions, Scientifiques dans le Proche Orient. Bull. Acad. Roy. de Belgique, Cl. des Lettres, Ve se rie Tome 36 (1950) p. 276—81.

A. Jamme, Une Expédition archéologique américaine en Sud-Arabie.

A. M. Honeyman, The Letter-Order of the Semitic Alphabets in Africa and the Near East. Africa 22 (1952) p. 136—47.

F. Albright, A. Jamme, A Bronze Statue from Mareb, Yemen. The Scientific Monthly 76, No. (1953), p. 33—35.

W. Phillips : Qataban and Sheba London 1955

وفى نفس الوقت الذى كانت تباشر فيه الحملة الأمريكية أعمالها فى الجنوب تحرك فى بلاد العرب السعوديه فى ٨ نوفبر ١٩٥١ ركب مكون من (ريكمنز) و (ابن أخيه) و (ليبنز) وبزعامـــة (فيلبى) من (جده) ماراً بالطائف و (أبها) عاصمة عسير إلى نجران ، ومن هناك حيث يسير طريق الربع الخالى على حدود الصحراء إلى الرياض وقطعوا بسيارتهم نحو خمسة آلاف كيلومتر فى أرض مجهولة[١] وقد عادوا ومعهم مجموعة كبيرة من الآثار منها نحو اثنتى عشرة ألف كتابة قد نسخت ، ومن بينها تسع آلاف كتابة ثمودية وثلاثة آلاف نقش سبأى وفيها عدد لايستهان به من الخربشات ، والأخـيرة تفيدنا من ناحية معرفة تاريخ تطور الخط وبالقرب من عين ماء عثرت البعثة على نقش لأبرهة الحبشى وهو يرجع إلى عام ٥٤٧ م كذلك عثرت على نقش يرجع إلى عام ٥١٨م وهولذى نواس الذى اضطهد المسيحيين مماحرض نجاشى الحبشة على تسيير حملة ضده ، واهتدت البعثة أيضاً إلى عدد كبير من النقوش والخرائب كما وجدت عدداً من النقوش العربية الإسلامية فهذه النقوش فى مجموعها إلى جانب هذه الرحلة الـكشفية تفيدنا من حيث معرفة جغرافية الأقاليم وتخطيط البلدان وقد نشر تقرير مفصل عن هذه الرحلة والنتائج التى توصلت إليها [٢].

ولـكن يجب أن نقرر ونحن نختم كتابة هذا الفصل الخاص بأعمال الـكشف والتنقيب التى تمت فى بلاد العرب أخيراً أن بلاد العرب بعامة فى حاجة ماسة إلى أعمال البحوث العلمية لتجلى الـكثير من تاريخها وحضارتها وثقافتها وعقائدها بل وحتى لغاتها وذلك لأن تاريخ هذه البلاد ما زال غامضاً حتى اليوم وفى حاجة ماسة إلى الـكشف عنه .

---

(١) Ex Arabie Séodite. La Revue générale Belge, Mai 1952.

(٢) A. Jamme, Une Inscription Hadramoutique en Bronze. Orientalis 22 (1953) p. 158—65.

A. Jamme, Apercu général des Inscriptions copiées a Mareb (Yemen). Bull. de l'Acad. Royale de Belgique (Cl. des Lettres) 5e serie, T. xxxvIII (1952) p. 289—306.

الفصل الثاني

التاريخ العـــام

لبلاد العرب الجنوبية

إذا استثنينا النقوش البابلية الآشورية والكنعانية والمعينية والسبائية واللحيانية والثمودية والصفوية والنبطية والعربية الشمالية فإن كتباً علمية أو أدبية حول تاريخ بلاد العرب القديم لم تصل إلى أيدينا ، نعم أن من بين هذه النقوش ما يحدثنا عن ملك من الملوك أو حرب من الحروب أو أسرة من الأسر الحاكمة ، لكن مجموعة كاملة أو شبه كاملة تفتتح عهداً وتختمه لأمة من هذه الأمم العربية لم يصلنا بعد وكل ما كتب عن تاريخ بلاد العرب أو الشعوب العربية لا يتعدى محاولات جاءتنا نتيجة جهد مضنى قام به جماعة من رجالات الدراسة الشرقية من لغوية ودينية ، وليس السبب فى هذا هو انعدام أدوات الكتابة فقد وجدت إلا أن يد العبث امتدت إلى الوثائق فأبادتها أو هشمتها وتركتنا نتخبط طويلا حتى نوفق إلى الاهتداء إلى الخطوط الرئيسية لتاريخ شعب عربى بعينه .

وقد ظلت الحال كذلك حتى ظهرت الديانات السماوية وظهرت لها كتب مقدسة حرص اتباعها على تسجيلها للخلف وحفظها من التحريف والتبديل فجاءتنا التوراة أولا والأناجيل ثانياً والقرآن ثالثاً وهذه الكتب الدينية الثلاثة هى ولا شك من أهم الوثائق التى جاءتنا لا لتاريخ الشعوب العربية فحسب بل الوحى العربى أيضاً . فى التوراة نقرأ الكثير من التاريخ ولو أنه كتب ليكون تاريخ شعب بعينه إلا وهو الشعب اليهودى إلا أن اليهود كانوا فى تاريخهم الطويل كغيرهم من الشعوب القديمة عرضة للنصر والهزيمة فعادوا من عاداهم وصافوا من صافاهم وهم فى عدائهم وصفائهم يتحدثون عن هذه الشعوب المختلفة

حديثاً لا يخلو من الفائدة لا للمؤرخ فقط بل للعالم الاجتماعي أيضاً، فالتوراة مصدر تاريخي من أهم مصادر الشرق الأدنى ، ثم جاء الإنجيل فكان مصدراً آخر يصور لنا التطور الديني الذي بلغته العقلية الشرقية في ذلك العصر والإنجيل في هذا التصوير يحلق على الشرق من عل فلا تقف أمامه حواجز ولا تعترضه عوارض فالإنجيل لم يأت لشعب بعينه بل للناس كافة فكمل العهد القديم وخرج به من جموده . ثم جاء الإسلام وأنزل القرآن فدون في حياة الرسول وجمع بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى فكان الرسول خاتم الأنبياء إذ أن القرآن آخر سفر مقدس من الأسفار السماوية . وهذه الكتب مجتمعة تكون مصدراً تاريخياً من أهم المصادر التي وصلتنا فهي تؤرخ الشعور الديني العربي في فترة تبلغ من عمر تاريخ الشرق نحو ١٥٠٠ عام وهذه فرصة لم تتح لشعب من شعوب العالم لكن كل كتاب ديني من هذه الكتب جاء مقوما أو مكملا لسابقه لذلك حارب كل ما يمت إلى العهد القديم بصلة وبمقدار توفيقه في هذه الحرب تكون مكانته فالإسلام مثلا حارب أولا الوثنية العربية الجاهلية حربا شعواء وحارب كل ما يتصل بالجاهلية حتى الشعر الذي هو ديوان العرب فقد سخر القرآن منه ومن قائليه ، فإذا كان الأمر كذلك مع اللغة التي نزل القرآن بها فموقفه من لغة الوثنية يجب أن يكون أمر وأشد لذلك نجد المؤرخين المسلمين يهملون عامدين عند كتابة تاريخ العرب والجزيرة العربية مصدراً من أهم مصادرهم التاريخية أعني الكتابات العربية القديمة ونحن لا نطالبهم بالمصادر البابلية الآشورية أو الكنعانية أو المصرية القديمة أو اليونانية أو اللاتينية إنما نطالبهم بالكتابات العربية التي كانت معروفة في عهدهم أننا نطالبهم بالمعينية السبائية مثلا وقد كانت حتى السنوات الأولى للإسلام معروفة متداولة وكذلك الحال مع الصفوية واللحيانية والثمودية والنبطية والدليل على المام العلماء بلغة تلك الكتابات ما جاءنا عن نشوان الحميري ،وهو ممن عاشوا في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين. فهو يذكر لنا الأبجدية الجنوبية ويفهمها فهماً جيداً لذلك مما يؤسف له حقاً أن المؤرخين الإسلاميين خلطوا بين التاريخ والدين وتناسوا هذه الكتابات القديمة التي ظلت

على الاهمال والنسيان حتى جاء القرن التاسع عشر الميلادى فاقبل العلماء الأوربيون عليها باحثين مفسرين فانطقوها بآيات بينـات جلت معالم التاريخ العربى وأسدت إلى العالم أجل الخدمات وأعظمها .

وكانت النتيجة المحتومة لاهمال العرب لهذه النقوش أن شحنوا كتبهم بالقصص والأساطير وذلك لأن التاريخ العربى يقوم عند أولئك المؤرخين الإسلاميين على أسس من العقيدة الجديدة لا على أسس تاريخيـة علمية فالمؤرخون الإسلاميون جامعون لـكل شىء سواء كان ديناً أو فلسفة أو علماً أو تاريخاً والمؤرخ عادة يبدأ بآدم فيطوى العصور والأجيال طياً حتى يصل إلى عصره ومتى بلغ العصر الإسلامى فاضت قريحته بالاسرائيليات واستطرد من قصة إلى قصة وأسطورة إلى أسطورة وهو فى ثنايا قصصه وأساطيره قد يذكر شيئاً يونانياً أو بيزنطياً فالتاريخ على هذه الصورة مفـكك مرقع لذلك سرعان مايفقد المؤرخ الأرض التى يقف عليها ويرجع العرب والعقائد العربية إلى عناصر أجنبية وقد بالغ أولئك المؤرخون فى الدور أو الأدوار التى أداها أولئك الأجانب إلى العرب جنسا وعقيدة ولغة وأدبا حتى مسخوا ذلك التاريخ وحجبوا عنا الوجه العربى الفصيح . وحتى أحسن كتاب عربى تاريخى بين أيدينا الا وهو كتاب ابن خلدون لم يخل من هذه الهنات فقد اعتمد على أمثال ابن اسحق وابن الـكلبى وابن هشام والطبرى والمسعودى وغيرهم وقدعرض فيما عرض له لإنساب الاسر العربية الملـكية القديمة ومن بين ملوك العرب وملـكاتهم بلقيس ، ويذكر هذا المؤرخ أنهذه الملـكة زارت سليمان بعدأن أتمت على عرش سبأ سبع سنوات وإذا تركنا ابن خلدون إلى التاريخ العبرى لنتبين عصر حكم سليمان انتهينا إلى النتائج الآتية أن سليمان بن داود جلس على عرش اسرائيل حوالى عام ٩٩٧ ق م . ومن ثم شيد معبده فقصره فملا صيته وذاعت شهرته فأقبل الزائرون يتحققون ما ترامى اليهم من عظمة سليمان وحـكمته ، ويذهب المؤرخون الاسرائيليون فى تقديرهم الزمن الذى صرفه سليمان فى بناء معبده وقصره بعشرين عاماً أى حوالى ٩٧٥ ق . م . فتكون بلقيس قد جلست على عرش مملـكة سبأ حوالى عام ٩٦٨

ق م . ويذهب ابن خلدون بعيداً ويذكر أن بلقيس جلست على عرش سبأ حوالى ٣٤ عاماً أى تركت العرش حوالى عام ٩٤٤ ق . م . ثم يستطرد ابن خلدون ويحدثنا عن والد بلقيس وعن الملوك الذين سبقوها فلا نشعر إلا وقد رجعنا إلى عهد يتوغل فى القدم إلى ما قبل خروج اسرائيل من مصر وهذا لا يمكن أن يكون دقيقاً لذلك يجب على المؤرخ الحديث أن يكون حذراً عند محاولة الإستفادة من هذه الكتب العربية ، والشيء الجدير بالذكر اننا لا نكاد نظفر فيما جاءنا من كتب تاريخية عربية على شيء يتصل بمملكتى معين وسبأ ومدى ازدهار الحضارة وإتساع التجارة فى تلك العصور الغابرة ثم ابن قتبان وحضرموت واوسان وأين سد مأرب وما إليه من مختلف وسائل الرى التى جعلت من تلك البلاد جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار ثم أين حملة (اليوس جللوس) وغيرها فقد أهملها المؤرخون العرب. لكن لا نكاد نصل إلى عصر ذى نواس وحادث الأخدود حتى يتبارى المؤرخون فى سرد القصص والأساطير حتى تأتى حملة أبرها وعام الفيل فتتدفق الأخبار ويغزر الخيال .

ويحدثنا أولئك المؤرخون أيضاً أن أحد الزعماء الجنوبيين ويدعى (ذويزن) وهو سيف أبو مرة لجأ إلى فارس طالبا مساعدة بلاده للتخلص من نير الاحتلال الحبشى الذى دام حوالى ٧٢ عاما ، والصحيح الثابت أن هـذا الاحتلال الحبشى لم يدم أكثر من ٤٧ عاما من ٥٢٥ ـ ٥٧٢ م وتحدثنا بعض الأخبار أن سيفا هذا توجه أول الأمر إلى بيزنطه وحاول عبثا إقناع قيصرها بوجوب إرسال حملة تقاتل إلى جانب الجيش اليمنى الذى يبغى تحرير البلاد من الاحتلال الحبشى البغيض لكن القيصر دفعه تعصبه الدينى إلى رفض هـذا الرجاء فتوجه سيف إلى الحيرة راجيا النعمان بن المنذر الحاكم من قبل الفرس على الحيرة التوسط لدى كسرى لتحقيق رغبته لكن كسرى شق عليه أن يضحى بأبناء بلده ويطعمهم لرمال الصحراء وقسوتها وبعد إلحاح شديد وافق على أن تتكون الحملة من نزلاء السجون الفارسية وأن يتراوح عددهم بين ثمانمائة أو أكثر تحت إمرة ضابط يدعى وهريز، ولم تكد تبلغ الحملة اليمن وتنضم إلى أبناء اليمن حتى التحموا

بجيش الحبشة تحت إمرة نجاشيها المسمى مسروق الذى لقى حتفه وولى جيشه الادبار ، وهكذا نجد اليمن تتحرر من الاحتلال الحبشى وإن بقى وهريز بها على رأس قوة فارسية للمحافظة على الأمن لكن لم يمض زمن طويل حتى حاول الفرس الاستيلاء على البلاد فقاومهم العرب أشد مقاومة وتوفى وهريز باليمن حوالى عام ٦٠٠ م فخلفه على قيادة جيشه ابنه (مرزبان) ومن ثم ابنه (خورخوسان) واستمرت الحالة بين مد وجزر حتى ظهر النبى محمد صلعم فشعر (باذان) الحاكم الفارسى لليمن بالحاجة الماسة إلى اعتناق الإسلام وقد تم له ذلك حوالى عام ٦٢٨م ٠

هذا بعض ما نجده فى مصادرنا العربية عن الجزيرة العربية وهى صورة لا شك ناقصة وإذا تركنا هذا النوع من المراجع جانبا ولجأنا إلى الآثار والنقوش مستجوبين انطلقت تحدثنا حديثا طليا عن هذا الماضى السعيد وتلك العصور الذهبية التى سبقنا الغرب إلى كشف الغبار عنها وإجلائها ٠ ولعل أقدم نقوش سامية تكشف لنا النقاب عن بلاد العرب السعيدة هى النقوش الاشورية فقد جاء فيها ذكر ملكين سبأيين هما (يثع امر) و (كريب ايل) ومن حسن الحظ أن هذين الملكين السبأيين قد حفظتهما لنا بعض النقوش السبأية التى وصلتنا وهما (يثع امر) و (كريب ايل) ومن الثابت أن أولهما كان يجلس على عرش سبأ فى العام ٧١٥ ق . م . والثانى حوالى عام ٦٨٥ق .م . إلا أنه لم يصلنا من النقوش مايعيننا على معرفة مدة حكم كل منهما لكن الشىء الجدير بالذكر أن الوثائق البابلية الأشورية تذكر عددا آخر من الحكام الذين يسمون بهذين الإسمين لذلك لا نعرف على وجه التقريب أى هؤلاء الملوك هو الذى جاء ذكره فى النقوش السبأية لنستطيع على هديه تاريخهما وإن كان من المحتمل أنهما حكما فيما بين عامى ٧٢٠ ــ ٦٨٠ ق . م . وقد جاءتنا نقوش أخرى يستفاد منها أن أربعة مكربين سبقوا (يثع امر) إلى عرش سبأ ، وقد حكم هؤلاء المكربون البلاد حكما متصلا ابنا عن والد وإذا قدرنا أن مدة حكم الحاكم عبارة عن فترة تبلغ حوالى العشرين عاما رجعنا فى تاريخنا لقيام هؤلاء المكربين إلى

حوالى عام ٨٠٠ ق م . وهو العام الأول من حكم مكرب سبأ (سمه على) وهو جد (يثع امر)[١] .

أما الفترة التى سبقت حكم هؤلاء المكربين فلا تقدم لنا النقوش السبأية التى وصلتنا شيئا عنها يستطيع المؤرخ الاعتماد عليه عند تاريخ هذه الفترة، وهكذا يجد المؤرخ نفسه فى بحر من الظلمات تتاقفه أمواجه حتى تلقى به إلى ضفاف القرن العاشر ق . م . حيث يقال أن بلقيس زارت سليمان .

وتحدثنا النقوش العربية الجنوبية أيضا أن سبأ ليست أول دولة عرفتها بلاد العرب السعيدة فقد سبقتها دول وقامت عروش ونحن نعلم أيضاً أن سبأ أول ما ظهرت كانت قبيلة متنقلة فى شمال البلاد العربية لا فى جنوبها وتشهد بهذا هذه الآيات العبرية الواردة فى سفر أيوب وغيره ، والذى حدث أن الدولة التى كانت لها السكلمة العليا فى جنوب البلاد العربية وكانت تسمى فيما يرجح (معين) دبت فيها عوامل الشيخوخة والاضمحلال وأخذ سلطانها يضعف تدريجياً حتى أن أحد قضاة سبأ الأهو (كريب آل) تمكن عام ٦٨٠ ق . م . من الحصول على كسب تجارى وسياسى من الدولة المعينية والآن وقد أصبحت تحت يد المؤرخ كتابات معينية سبائية أصبح فى استطاعتنا أعطاء صورة عن معين وأن كانت ناقصة إلا أنها كفيلة لان تقرب إلى أذهاننا المستوى الذى بلغته دولة عربية جنوبية فى تلك العصور .

معـــين

المعينيون شعب عربى قديم كان يقطن أول ما عرف فى التاريخ جنوب بلاد العرب ويرى بعض المورخين أن بلاد العرب السعيدة هى الوطن الاصلى للاسرة السامية ومن الجنوب خرجت حوالى الالف الثالث ق . م . موجات من الهجرات المتلاحقة إلى شمال بلاد العرب حيث كون أولئك المهاجرون فيما بعد

(١) H. St. J. B. Philby : The Background of Islam Alexandria 1947 pp. 32.

الشعبين اللذين عرفا فى التاريخ باسم الفينيقيين والعبريين لـكن هذا الرأى الذى لم يقو على الصمود أمام الأراء العلمية الحديثة وجد من يردده فى السنوات الاخيرة أمثال (ب . فيلبى) فى كتابه عن تاريخ العرب قبيل الاسلام والذى صدر فى الاسكندرية عام ١٩٤٧ م . فقد ذكر هذا المؤلف الانجليزى فى ص ٩ ما ترجمته (وإنى اعتبر بلاد العرب الجنوبية هى الوطن الاصلى لهذا الجنس من البشر المعروف الآن باسم الجنس السامى وهو يمتاز عن سائر الشعوب بلغته المعروفة باسم اللغة السامية) . وكما جانب التوفيق (فيلبى) فى هذا الرأى فقد أنحرف كثيرا فى الفصل الذى عقده فى كتابه هذا عن الثقافة المعينية حيث خلط بين الابجديتين الساميتين الشمالية والجنوبية كما أرجع عامل الرسم فى الابجدية السامية الشمالية إلى السمارية ونسى أو تناسى أن عامل رسم الابجدية الفينيقية أو أو تصويرها قد أخذ عن الهيووغليفية المصرية كما أخذ الفينيقيون عن قدماء المصريين فـكرة الابجدية وقد تنبه إلى هذه الحقيقة بعض العلماء القدماء . امثال بلوتارك وتنسيتوس وغيرهما حيث ذكروا أن الابجدية الفينيقية مصرية الاصل واستعارهاالفينيقيون عن مصر وأعاروها لقدماء الفرس واليونان وقد لقيت هذه الفـكرةالقديمة تعضيداً كبيرا فىالقرن التاسع عشر الميلادىعندما حل (شمبليون) عام ١٨٢٢ م رموز اللغة الهيروغليفية فظهر أمثال (بروجش) و (هالفى) الذين كانوا يرون فى الهيروغليفية أو الهيراطيقية الاصل الذى استمدت منه الابجدية الفينيقية وجودها . ولـكن هذا الرأى عارضه أمثال (زيتة) الذى أعتقد أن الابجدية الفينيقية من وضع الفينيقيين الذين استعانوا بالمصرية القديمة بدليل الاعتماد على حروف المبانى فى كل من اللغتين للتعبير عن المعانى المختلفة فهذه الظاهرة الهامة فى الفينيقية أعنى ظاهرة اهمال الحركات وقصر استخدامها على التفرقة بين المعانى المتـكافئة تدلنا فى الاصل على أنها كتابة صور قصد بها قبل كل شىء التعبير عن الفـكرة لا النطق بها وإذا راجعنا تاريخ الـكتابة المصرية القديمة وجدناها الوحيدة التى يمـكن أن تـكون المثل الاعلى الذى استعان به الفينيقى عندما فـكر فى أختراع ابجديته فبدأ استخدام الصورة للتعبير عن

الفكرة مأخوذ ولا شك عن الهيروغليفية . أما الاشكال التى استخدمها للدلالة على هذه الصور فمن اختراعه . فرأى (فيلبى) فى هذا الفصل من كتابه هو رأى قديم لا يهتم به أحد الآن .

وسواء كانت بلاد العرب السعيدة هى الوطن الأصلى للساميين أولم تكن فالشعب المعينى شعب جنوبى وإن انتشر فيما بعد فى بلاد العرب وخارجها فنجده فى مصر وفى بعض الجزر اليونانية وقد ترك لنا كثيراً من النقوش والآثار لكن مما يؤسف له أن معظم ما جاءنا من هذه النقوش لا يحمل تاريخا أو يشير إلى حادثة من السهل تاريخها اللهم إلا هذا النقش الذى عثر عليه فى مصر فقد كتب فى العام الثانى والعشرين من حكم الملك بطليموس السادس أى حوالى عام ١٥٩ ق . م . فمن هذا النقش يتبين لنا أن جالية معينية كانت نازلة مصر وأنها فيما يرجح كانت تتجر فى الطيب والبخور وقد كانت هذه التجارة رابحة ورائجة جداً فى العصور القديمة لاستخدامها فى المعابد وما إليها .

أما الشعب المعينى فقد مر بمختلف مراحل التطور والرقى شأنه فى ذلك شأن الشعوب الأخرى التى انحدرت من عنصر مهذب لكن مما يؤسف له حقا أننا لا نستطيع أن نتغلغل فى تاريخه حتى نصل إلى أساس صلد نستطيع واثقين تشييد صرح التاريخ العربى الجنوبى القديم سواء من الناحية السياسية أو الاجتماعية عليه وكل ما وصلنا لا يكفى لمعرفة مكانة المعينيين من الشعوب العربية الجنوبية الأخرى ، فالعلماء يذهبون مذاهب مختلفة مثلا حول ظهور المعينيين على المسرح السياسى فمن العلماء أمثال (جلازر) و (هومل) و (فيمر) و (فيلبى) من يقول بقدم المعينيين والقتبانيين والحضارمة وأن تاريخ المعينيين يرجع إلى حوالى ١٢٠٠ ق . م . فالمعينيون فى رأى هذا النفر من العلماء أقدم من السبأيين بينما نجد أمثال (د . ه . ملر) و(مارتين هارتمان) وغيرهما يقولون بالعكس، وهناك فريق ثالث من العلماء على رأسهم (ك . ملاكر) يذهب طريقا وسطا ويقرر أن القتبانيين والمعينيين جاءوا مباشرة بعد سبأ وقد تم ذلك فى فترة تبلغ نحو قرن .

ولو كان الخلاف بين العلماء يقف عند مكانة كل من معين وسبأ من

الأخرى لهان الأمر لكن الخلاف استتبع خلافات أخرى حول الفترة التى ظهرت فيها معين أو سبأ ومن المسير حقا الآن أن يصدر مؤرخ رأيا قاطعا حول ملوك دولة ما من دول بلاد العرب الجنوبية والزمن الذى ملكوا فيه ومن هنا أدركنا أن أسلم الوسائل لإعطاء صورة للقارىء عن ملوك تلك الممالك أن نضع تحت يديه الآراء المختلفة حتى تستكمل الدراسة الأثرية لبلاد العرب السعيدة وعندئذ فقط يصبح من اليسير على المؤرخ ترجيح رأى على آخر .

يعتقد (فيلبى) أن عرش المملكة المعينية تناوبته خمس أسرات تفصل بين الأسرة والتى تليها فترة مظلمة لا نعرف عنها شيئا كما أن مدة ملك كل أسرة تقوم على الفرض والتقدير لا على الحقيقة والواقع ، فهو يقدر مثلا أن مدة حكم الملك لا تتجاوز العشرين عاما كما يفترض أن فترة الانتقال بين الأسرة والأسرة تبلغ أيضاً نحو عشرين عاما ويذكر (فيلبى) أن أول عهد مملكة معين بهذه الأسرات الملكية قد يرجع إلى عام ١١٢٠ ق م . حيث حكمت الأسرة الأولى وكان عدد ملوكها أربعة فمدة ملكها لا تتجاوز الثمانين عاما تليها فترة انتقال من عشرين عاما ، ومن ثم جاءت الأسرة الثانية وعدد ملوكها تسعة من بينهم ثلاثة أزواج كل زوج من أخين فمدة حكم ملوك الأسرة الثانية نحومائة وخمسين عاما ابتداء من عام ١٠٢٠ ق . م . ثم فترة الانتقال لتأتى الأسرة الثالثة وقد ملك فيها أربعة ملوك ابتداء من عام ٨٥٠ ق . م . فالأسرة الرابعة وملوكها ثلاثة أو أربعة ابتداء من عام ٧٥٠ ق . م . فالاسرة الخامسة من ملكين أو ثلاثة ابتداء من عام ٦٧٠ ق . م . فعدد ملوك المعينيين يبلغ نحو اثنين وعشرين ملكا تقريبا وهم فيما يرجح كما يلى :

١ — ١١٢٠ ق م . . (الأسرة الأولى) ال يفع وقه

٢ — ١١٠٠ ق . م . وقه ال صديق (ابن الملك السابق)

٣ — ١٠٨٠ ق . م . اب كريب يثع (ابن الملك الثانى)

٤ — ١٠٦٠ ق . م . عم يثع نبط (ابن الملك الثالث)

١٠٤٠ ق . م . فترة إنتقال بين الأسرة الأولى والأسرة الثانية (٢٠ عاما)

٥ — ١٠٢٠ ق . م . (الأسرة الثانية) صدبق ال ملك حضرموت ومعين

٦ — ١٠٠٠ ق . م . ال يفع يثع (ابن الملك الخامس) وكان ملك معين فقط لأن أخاه (شهرعلن) تولى ملك حضرموت .

٧ — ٩٨٠ ق . م . حفن ذريح (ابن الملك السادس) وجلس أخوه معد كريب على عرش حضرموت

٨ — ٩٦٥ ق . م . ال يفع ريام (ابن الملك السابع) ملك معين وحضرموت وذلك لأن ابنى معد كريب اللذين لم يرد أسمهما لم يتوليا العرش .

٩ — ٩٥٠ ق . م . هوف عثت (ابن الملك الثامن)

١٠ — ٩٣٥ ق . م . اب يدع يثع (ابن الملك الثامن)

١١ — ٩٢٠ ق . م . وقه ال ريام (ابن الملك التاسع)

١٢ — ٩٠٥ ق . م . حفن صديق (ابن الملك التاسع)

١٣ — ٨٩٠ ق . م . ال يفع يفش (ابن الملك الثانى عشر)

٨٧٠ ق . م . فترة إنتقال بين الأسرة الثانية والأسرة الثالثة (٢٠ عاما)

١٤ — ٨٥٠ ق . م . (الأسرة الثالثة) يثع ال صديق

١٥ — ٨٣٠ ق . م . وقه ال يثع (ابن الملك الرابع عشر)

١٦ — ٨١٠ ق . م . ال يفع يشير (ابن الملك الخامس عشر)

١٧ — ٧٩٠ ق . م . حفن ريام و وجه ال نبط (ابنا الملك السادس عشر)

٧٧٠ ق . م . فترة انتقال بين الأسرة الثالثة والأسرة الرابعة (٢٠ عاماً)

١٨ — ٧٥٠ ق . م . (الأسرة الرابعة) اب يدع ريام

١٩ — ٧٣٠ ق . م . خـــال كريب صديق (ابن الملك الثامن عشر)

٢٠ — ٧١٠ ق . م . ـحـ فن يثع (ابن الملك التاسع عشر)
ربما شارك أخاه (أوس) فى الملك .

٦٩٠ ق . م . فترة انتقال بين الأسرة الرابعة والأسرة الخامسة (٢٠ عاما)

٢١ — ٦٧٠ ق . م . (الأسرة الخامسة) يثع ال ريام

٢٢ — ١٥٠/٦٣٠ ق . م . تبع كريب (ابن الملك الحادى والعشرين)
ويحتمل أنه شارك أخاه (حيو) فى الملك

وهـذا الرأى الذى يتمسك به (فيلبى) فى كتابه الذى صـدر عام ١٩٤٧ ويؤكده فى بحث له نشره عام ١٩٥٠ فى المجلد الثالث والستين من مجلة (موزيون) وسبقه إليه تقريبا آخرون أمثال (فريتز هومل) فى الفصل الثانى من هـذا الـكتاب يخالفه فيه كثيرون أمثال (و . ف . البريت) الذى نشر فى العدد ١١٩ من مجلة المدارس الأمريكية للأبحاث الشرقية بحثا حـول تاريخ بلاد العرب الجنوبية فى ضوء النتائج الأولى لأعمال الحفر التى قامت بها البعثة الأمريكية الأولى فى تمنان جاء فيه ذكر الملوك المعينيين على الترتيب والتاريخ التاليين .

١ — اليفع يثع (ابن صدق ال) (ملك حضرموت) حوالى عام ٤٠٠ ق . م .
٢ — ـحـ فن ذريح (ابن السابق)
٣ — اليفع ريام (ابن الملك الأول): وهو أيضاً ملك حضرموت
٤ — هوف عثت (ر) ابن الملك السابق)
٥ — ابيدع يثع (أخ الملك السابق) وفى أيام ملـكه (جـلازر ١١٥٥)
اندلعت نيران الحرب بين مصر وميديا (اسم معار من الأرامية كان يطلق على الامبراطورية الفارسية الميدية) وهى الحرب التى وقعت عام ٣٤٣ ق . م . لما فتح ارتخرس أوخوس مصر ولم يمض على إستقلالها ستون عاما .
٦ — وقه ال ريام (ابن الملك الرابع)
٧ — حفن صدق (اخ الملك السابق ؟)
٨ — اليفع وقه حوالى عام ٢٥٠ ق . م .

٩ — وقه ال صدق (ابن السابق) ؟
١٠ — ابى كريب يثع (ابن السابق) وقد جاء إسمه فى دادان فى عصر لحيانى متأخر
١١ — عمى يثع نبط (ابن السابق)
١٢ — يثع ال صدق
١٣ — وقه ال يثع (ابن الملك السابق) . هذا الملك وخلفه كانا تابعين فيما بعد الملك شهر يجيل يهرجب ملك قتبان حوالى عام ١٥٠ ق.م.
١٤ — ال يفع يشور (ابن الملك السابق) وقد جاء أسمه أيضا فى دادان
١٥ — حفنم ريام (ابن الملك السابق)
١٦ — وقه ال نبط (أخ الملك السابق) ؟ وقد أسمه أيضاً فى دادان

. . .

ثم يذكر (البريت) أن هناك مالا يقل عن خمسة ملوك معينيين إلا أن زمانهم غير معروف وهم أبى يدع (ريام ؟) وابنه خالى كريب صدق وابنه حفنم يثع ثم يثع ال ريام وابنه تبع كريب . (١)

ومن ثم نجد (البريت) يحصر المدة التى قامت فيها المملكة المعينية بالفترة الممتدة تقريباً بين عامى ٤٠٠ و١٠٠ ق . م . بينما يرى (ملاكر) أن هذه الفترة تقع فيما بين القرنين الثامن والثالث قبل الميلاد .

رأينا الآراء المختلفه حول قيام مملكة معين والملوك الذين جلسوا على عرشها ورأينا من هذا العرض التفاوت الكبير بين الذين تعرضوا لتاريخ هذه المملكة لامن الناحية الزمنية فحسب بل من ناحية الأسرات المالكه أيضاً ومن الجدير بالملاحظة أن هذا التفاوت الزمنى يؤثر تأثيراً بليغاً فى معرفتنا للدول العربية الأخرى وذلك لأن قيام كل دولة جنوبية مرتبط بالأخرى وبخاصة إذا سلمنا بأن الدولة السبأية قامت على أنقاض المعينية فتاريخ ظهور السبأيين على مسرح التاريخ العربى يجب أن يكون فى رأى هؤلاء معاصراً لفترة الاضمحلال التى مرت بها الدولة المعينية .

---

(١) William Foxwell Albright : The Chronology of Ancient South Arabia in the Light of the First Campaign of Excavation in Qataban (Reprinted with new pagination from the Bulletin of the American Schools of Oriental Research, No. 119 pp. 5-15

حضرموت

ومن ثم هناك مشكلة تاريخية أخرى وهى أن من بين المؤرخين من يعتقد فى أن الدولة المعينية كانت تضم عدداً من الأقطار العربية الجنوبية الأخرى مثل حضرموت وادان ولو لفترة محدودة من الزمن وذلك بدليل أننا كثيراً مانجد بعض ملوك معين يلقبون أيضاً بلقب ملوك حضرموت إلى جانب معين لكن نجد من النقوش ماينص على إنتقال حضرموت مثلا إلى سلطان السبأيين أو القتبانيين وهكذا اختفت حضرموت من التاريخ المعينى حتى جاء الملك السبأى (كريب ال وتر) الذى حارب قتبان وانتزع جزءاً منها وضمه إلى حضرموت تحت إمرة ملك يدعى (يدع ال) الذى يعتقد (هومل) أنه ابن الملك (سمه يفع) الذى جاء ذكره فى نقش عثر عليه فى وادى بيحان فى سياق الحديث عن إصلاح سور مدينة (ميفعم) عاصمة حضرموت فى ذلك الوقت ويشير هذا النقش أيضاً إلى ملك حضرمى آخر يدعى (ال سمع ذبيان) بن (ملك كريب) وكان يملك إلى جانب أو خلفا للملك (يدع ال بين) وقد جمع (هومل) بين هؤلاء الملوك الأربعة كأفراد أسرة واحدة جلست على عرش حضرموت زهاء ستين عاماً ابتداء من عام ٦٥٠ ق . م . لكن فى أوائل القرن السادس امتد النفوذ السبأى لا الى قتبان فحسب بل إلى حضرموت أيضاً وظلت الأخيرة ولاية سبأية حتى أواخر القرن الثالث قبل الميلاد .

وعلى كل حال فالنقوش التى تحت تصرفنا لا تمدنا بشخصيات هامة استطاعت أن تمتلى عرش حضرموت إبان فترة تبلغ نحو ثلاثه قرون أو أكثر بالرغم من كثرة الآثار التى عثر عليها منذ أن كتب (هومل) فصله الخاص بالتاريخ مع التنويه بالذكر بالفائدة العظمى التى عادت علينا منها فى فهمنا لحضرموت داخل إطار الدول العربية الجنوبية الأخرى إذ لا يوجد نقش من هذه النقوش يشير عن قريب أو بعيد إلى ملك حضرمى جلس على عرشها قبل عام ٢٠٠ق٠م٠ وأن جاءتنا أسماء عدد من الملوك لا نعرف شيئاً عن الزمن الذى جلسوا فيه على عرش حضرموت

ولعل أهم ملك جاء ذكره هو (يدع ال بين) بن (رب شمس) وقد ذكره (هومل) اعتماداً على رأى (جلازر) على أنه قد يكون آخر ملوك حضرموت وأنه ملك قبل عام ٣٠٠ ميلادى لكن (فيلبى) يعترض عليه إذ أنه عثر عام ١٩٣٦ عند (عقله) على نقش جاء فيه ذكر للملك (يدع ال بين) بن (رب شمس) كاول ملك لأسرة ملكية ظلت تملك عدة أجيال كما يذكره النقش على أنه مؤسس (شبوه) التى كانت مدينة شهيرة أيام (بلينى) (حوالى ٢٣ — ٧٩)م و (سترابون) (حوالى عام ٥٤ق٠م٠ إلى عام ٣٤ م) .

وقد عثر (هرولد انجرمز) عام ١٩٣٩ عند أول وادى (عرمه) على نقش آخر لنفس الملك وقد يرجع هذا النقش إلى ما قبل تأسيس شبوه وهذا يشير إلى الصعوبه التى قد يجدها المؤرخ حتى من النقوش التى يهتدى إليها ومن الجائز أن الملك المشار إليه فى النقش الذى عثر عليه فى (شبوه) هو غير الملك الذى يعنينا أمره هنا بالرغم من تشابه الأسماء لذلك من الجائز إرجاع تاريخ (شبوه) وقيام هذه الأسرة إلى القرن الثانى قبل الميلاد وبخاصة فإن ذلك العصر كان يتطلب قيام أسرة حضرمية تبادر إلى تأسيس عاصمة جديدة تمكنها من الهيمنة على مواصلات تجارة البخور وبخاصة فدولة سبأ كانت قددبت إليهامنذ القرن الثالث قبل الميلاد عوامل الانحلال والتدهور .

ويميل نفر من المؤرخين إلى الاعتقاد بأن الأسرة الملكية الحضرمية الأولى ظلت مالكة قرابة مائة عام ثم جاءت بعدها أسرات أخرى يرجح أنها استمرت فى الحكم من الفترة الممتدة بين عامى ١٠٠ق٠م٠ و ٢٩ م) ويطلقون على هذه الفترة من تاريخ حضرموت عادة اسم فترة (شبوة) وجاء فى نقش سبأى أن عرش حضرموت كان يجلس عليه ملك يدعى (ال عز يليط) بن (العن) وقد يكون هو الملك (اليازوس) الذى ذكره صاحب كتاب (ريبليس ماريس أريتريا **Périplus Maris Erythraei** والذى ألف حوالى منتصف القرن الأول الميلادى وقد ذكر أنه ملك بلادالبخوروالطيب وهويعيش فى عاصمته (سباتا **Sabbatha**) ويمتد سلطانه إلى (قنا) (بير على) وامتد كذلك إلى جزيرة سقطره فن الواضح

أن طريق تجارة البخور الممتد بين (قنا) و (شبوه) كان تحت سيطرة ملوك حضرموت . ويذكر (و.ه. شف W .H. Schoff) ناشر هذا الكتاب أن الملك (اليازوس) كان فيما بين عامى (٢٥و٦٥م) وكان يعاصره الملك (كرب ال) وذاك فى الفترة الممتدة بين عامى ٤٠و٧٠م .

أما ملوك حضرموت كما يذكرهم عدد كبير من المؤرخين من بينهم فيلبي فهم كما يلى .

١ — ١٠٢٠ ق م. صدق ال (ابن ؟) ملك حضرموت ومعين .

٢ — ١٠٠٠ ق م. شهـد علن (ابن الملك السابق) ملك حضرموت . اخوه الأكبر المسمى اليفع يثع خلف الوالد على عرش معين .

٣ — ٩٨٠ ق م. معدى كرب (ابن اليفع يثع) .

٩٦٠ ق م. أبناء الملك الثالث لم يخلفاه على عرش حضرموت الذى اندمج فى مملـكة معين وهـكذا ظل طيلة ثلاثة قرون حتى عام ٦٥٠ ق م.

٤ — ٥ — ٦٥٠/٥٩٠ ق م. ال سمع ذبيان (ابن ملك كرب) و (يدع ال) بين (ابن سمه يفع) ٥٩٠ ق . م . اندمجت حضرموت فى سبأ أو قتبان .

٥٤٠ ق . م . أصبحت حضرموت جزءاً من سبأ حتى عام ١٨٠ ق . م.

٦ — ١٨٠ ق م. يدع ال بين (ابن رب شمس) أصبح مؤسس مملـكة حضرموت الجديدة وعاصمتها (شبوة) منذ عام ١٧٥ق م.

٧ — ١٦٠ ق م. ال ريام يديم (ابن الملك السابق) .

٨ — ١٤٠ ق م. يدع أب غيلان (أخ الملك السابق) .

٩ — ١٢٠ ق م. ال عز (ابن الملك السابق) . اخ أمين .

١٠ — ١٠٠ ق . م . يدع أب غيلان (ابن أمين وابن أخ الملك السابق)

١١ — ٨٠ ق . م . يدع ال بين (ابن الملك السابق)

١٢ — ٦٠ / ٣٥ فجوة فى التاريخ غير معروفة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١٣—٣٥ ق . م . عم ذكر (ابن ؟) ربما لم يملك

١٤—١٥ ق . م . ال عز بلط (ابن السابق)

١٥—٥ ق . م . الهن أو (صلفن) (ابن السابق)

١٦—٢٥/٦٥ م . ال عزيلط (ابن السابق) اليازوس الوارد فى (بريبلوس) آخر من جلس على عرش حضرموت التى يحتمل أن تكون قد اندمجت فى مملكة سبأ .

١٧—٦٥ م أب يسع (ابن ؟) مكرب ولم يكن ملكا

١٨—٨٥ م يرعش (ابن السابق) » » » »

١٩—١٠٥/١٢٥م علهن (ابن السابق) » » » »

١٢٥/٢٩٠م لانعرف مكربا أو ملكا فى هذه الفترة لكى يحتمل أن حضرموت كانت تحكم بواسطة مكربين تحت سيادة سبأ وذوريدان حتى اندمجت فيها فى عام ٢٩٠ م .

ويخالف هؤلاء المؤرخين فريق آخر من بينهم (البريت) فحكام حضرموت سواء كانوا ملوكا أو مكربين هم على الترتيب التالى :

يدع ال (كان معاصراً للملك كرب ال وتر أول من جلس على عرش مملكة سبأ وكان ذلك حوالى عام ٤٥٠ ق . م .

. . .

صدق ال (ملك حضرموت ومعين) وقد عاش فى أواخر القرن الخامس قبل الميلاد .

شهر علن لن (ابن السابق وأخ ال يفع ملك معين)

معد كرب (ابن ال يفع يشع ملك معين)

. . .

غيلان

يدع أب غيلان (ابن غيلان) جاء ذكره فى نقش عثر عليه فى وادى بيحان وقد نشره (ب . جمع P - Jamme) ويرجح أنه يدع اب غيلان الذى كان حليفاً لملك سبأ (علهان نهفان) حوالى عام ٥٠ ق . م .

ال عز يليط الأول كان معاصراً لملك سبأ (شميرم أوتر) حوالى عام ٢٥
ق . م . وربما هو مثل ال عز (ابن عمى ذكر) الذى يظهر
اسمه فى نقش عثر عليه فى وادى بيحان وقد نشره (ب . جم
P - Jamme) كما ورد هذا الإسم أيضاً فى كثير من النقوش
التى عثر عليها (فيلبى) فى (عقلة) بحضرموت .

ال عز يليط الثانى كان معاصراً لملك سبأ (ثاران يعب يهنعم) اعتمادا على النقش
الذى عثر عليه (فيلبى) فى (علقه) ورقمه ٨٢ وربما هو نفس
الملك الذى جاء ذكره فى نقش (جلازر ١٦٢٩ = ١٤٣٠)
وقد عثر عليه فى وادى بيحان وتاريخه عام ١٤٤ للفترةالسبأية
أى عام ٢٩ م . ووالده هو (صلفن) أو (الهن) وقد يكون
هو أيضاً (اليازوس) الوارد ذكره فى (بريبلوس) حوالى عام
٥٠ م وكان معاصراً للملك السبأى (كرب ال) وهو (كرب
ال وتر يهنعم) وتفصل بينه وبين (ثارن) فترة حكم ملكين

يدع أب غيلان (ابن اميثم) . أما الترتيب التاريخى للملوك الآتى ذكرهم
فليس محققاً إلا أن النقوش التى جاء فيها ذكرهم قد ترجع من
الناحية البليوجرافيكية إلى القرن الأول قبل الميلاد .

يدع ال بين (ابن السابق)

ال سمع ذبيان (ابن ملك كرب) وكان هذا الملك معاصرا للسابق

. . .

أما الملك (رب شمس) وخلفاؤه (يدع ال بين) و (ال ريام يدوم) و
(يدع أب غيلان) ـ راجع كتاب فيلبى حول تاريخ العرب قبيل الإسلام ص ٨٤ ـ
٨٨ وهلما جرا — فهم يرجعون اعتماداً على النقوش التى ذكروا فيها إلى العصر
البليوجرافيكى . والملك (يدع ال بين) هو الذى أعاد بناء (شبوة) ويرجح أن
هذا البناء تم فى غضون القرن الثانى الميلادى إذ أنه من المؤكد أن بقايا شبوه
ترجع إلى عهد رومانى .

لكن إذا تركنا الملكة وعرشها وانتقلنا إلى نظام الحكم والحالة الاجتماعية للشعب وجدنا أنفسنا أمام مملكة كغيرها من الممالك العربية الجنوبية فبالرغم من أن الملك كان يستمد قوته من حقه المقدس إلا أنه كان يحكم مملكته حكما دستوريا فالى جانبه كان يوجد مجلس عام كما أن المدن كانت تحكمها حكومات محلية تشبه نظام العمد فى مصر وكان هؤلاء العمد يعينون بالانتخاب ويعاونهم مجلس من شيوخ المدينة أى بتعبير آخر مجلس بلدى .

أما الشعب فكان فى مجموعه شعبا ارستوقراطياً يؤيد نظام الطبقات ويقر الرق وكان متدينا متسامحاً يحترم المرأة ويقدس نظام الأسرة مخلصاً لمليكه ووطنه ويرجح أن هذا النظام الذى كان سائداً فى بلاد العرب السعيدة قد نقله المعينيون إلى الشمال حيث نجد الفينيقيين وعن الآخيرين أخذته بعض شعوب البحر الأبيض المتوسط وكثير من المدن اليونانية .

قتبان

ليس موقفنا من تاريخ هذه المملكة بأحسن من موقفنا من سائر الممالك العربية الجنوبية الأخرى التى انحدر إلينا شىء من آثارها ، واهتدى الرحالة إلى بعض نقوشها ، فمملكة قتبان لا شك فى قيامها لكن متى ومن هم أهم ملوكها ؟ هذا ما يقف المؤرخ أمامه حتى يومنا هذا حائراً فهناك نفر من الباحثين أمثال (هومل) و (جرومان) و (رودوكاناكيس) وغيرهم يعتقدون أن تاريخ قتبان يجب أن يكون معاصرا لمعين أو سبأ أو معين وسبأ معا ، وهذه النظرة تستتبع الاضطراب الملاحظ فى تقرير الزمن الذى ملك فيه أولئك الملوك أو تاريخ ظهور الملكية عامة هناك . وهذا ما يدركه القارىء فى الفصل الذى عقده (هومل) للتاريخ . أما (فيلبى) فيرى أن المرجح لديه أن تاريخ قتبان كان كما يلى :[1]

١ — ٨٦٥ ق . م . سمه على (ابن ؟) مكرب ؟

٢ — ٨٤٥ ق . م . هوف عم يهنعم (ابن الأول) مكرب

(١) H. B. Philby : The Background of Islam. Alexandria 1927.

٣ — ٨٢٥ ق . م . شهر يجيل يوهرجب (ابن الثانى) ملك

٤ — ٨٠٠ ق . م . ورو ال غيلان يوهنعم (ابن الثالث) ملك

٥ — ٧٨٥ ق . م . فرع كرب يهودع (ابن الثالث) ملك

٦ — ٧٧٠ ق . م . شهر هلال (ابن ذرا كرب) الابن الثالث للثالث ملك

٧ — ٧٥٠ ق . م . يدع أب ذبيان يوهرجب (ابن السادس) مكرب وملك

٨ — ٧٣٥ ق . م . ... (ابن السادس)

٩ — ٧٢٠ ق . م . شهر هلال يوهنعم (ابن السابع) ملك

١٠ — ٧٠٠ ق . م . نبط عم (ابن التاسع)

١١ — ٦٨٠ ق . م . يدع أب ينيف (يجيل ؟) يوهنعم ؟ (ابن ذمار على ؟ أخ التاسع) .

١٢ — ٦٦٠ ق . م . ... (ابن الحادى عشر)

١٣ — ٦٤٠ ق . م . سمه وتر (ابن ؟) ملك ؟

١٤ — ٦٢٠ ق . م . ورو ال (ابن الثالث عشر) ملك ؟

٦٠٠ ق . م . فترة مظلمة

١٥ — ٥٩٠ ق . م . أب شبم (ابن ؟) ملك ؟

١٦ — ٥٧٠ ق . م . أب عم (ابن الخامس عشر) ملك

١٧ — ٥٥٥ / ٥٤٠ ق . م . شهر غيلان (ابن الخامس عشر) ملك ؟

٥٤٠ ق . م . اندمجت قتبان فى سبأ نهائيا .

أما (البريت) فيخالف (هومل) و (فيلبى) ويقترح الآتى[1] :

١ — سموهو على وتر . مكرب

٢ — هوفى عم يوهنعم (ابنه) وقد ترك نقشين يرجمان إلى حوالى القرن السادس ق . م . مكرب .

---

(١) W. F. Albright : The Chronology of Ancient South Arabia in the Light of the first Campaign of Excavation in Qataban (Bulletin of the American Schools of Oriental Research, No. 119 pp. 5-15.

٣ — شهر .

٤ — يدع أب ذبيان يوهنعم (ابنه) مكرب

٥ — شهر هلال يوها . (ابن يدع أب) مكرب

. . .

٦ — سموه وتر . ربما كان مكوب وقد هزمه يثمع أمر وتد مكوب سما .

. . .

٧ — وروال . ربما كان مكوبا وقد كان تابعا للملك كرب آل وتر أول ملوك سبأ حوالى عام ٤٥٠ ق م .

ويلاحظ (البريت) أنه لا يوجد ما يثبت أن هؤلاء الحكام اطلقوا على انفسهم لقب (ملك) كما لا يوجد ما يثبت أنهم عاشوا فى أواخر تاريخ مملكة قتبان .

٨ — شهر . مكرب

٩ — يدع أب ذبيان (أبنه) آخر مكرب وأول ملك ترك لنا كثيرا من النقوش ومن بينها النقش الذى وجد خارج المدخل الجنوبى لمدينة تمنع وهو يرجع إلى أواخر القرن الخامس ق . م

١٠ — شهر هلال (ابن يدع اب)

١١ — نبط عم (ابن شهر هلال)

. . .

١٢ — ذمدى عالى

١٣ — يدع أب يجيل (أبنه) كان معاصرا للملوك سبأ لفترة تبلغ نحو ثلاثة أرباع قرن (جلارز ١٦٩٣)

. . .

١٤ — أب شيبام

١٥ — شهر غيلان (أبنه) صاحب نقوش عديدة من بينها تلك التى عثر عليها عند المدخل الجنوبى لمدينة تمنع .

١٦ — بى عم (ابن شهر غيلان)

١٧ — يدع أب (يجيل ؟) اخ بى عم

عثرت البعثة الأمريكية فى حفائرها بحجر بن حميد على نقش قديم جاء فيه (. . . يد) ع أب . ى ج (ل . . . / . . . س) هـ ر » غيل (ن . . .

ولن يمكن إقامة هذا النقش دون اقحام لفظ ـ بن ـ بين جزءى النقش .

١٨ — شهر يجيل (ابن يدع أب) صاحب نقوش عديدة وهوقاهر المعينيين حوالى عام ٣٠٠ ق م .

١٩ — شهر هلال يوهنعم (أخ شهر يجيل) صاحب نقوش عديدة عثرت عليها البعثة عند المدخل الجنوبى لمدينة تمنع كذلك صاحب مسلة تمنع وسيد المعينيين .

وقد نشرت الدكتورة ماريا هوفنر بحثا حول هذه المسلة معتمدة على مجموعة (برى) و (جلارز) المحفوظة بفينا راجع[1]

٢٠ — يدع اب ذبيان يوهرجب . وروده فى القائمة غير مؤكد[2] .

. . .

٢١ — فرع كرب

٢٢ — يدع اب غيلان (ابن السابق) . وقد شيد بيت يفش فى عهده وربما فى النصف الأول من القرن الثانى قبل الميلاد . ويدل النقش كما يدل البناء على أن هذا أقدم نقش ذكر بيت يفش .

. . .

٢٣ — هوفى عم يوهنعم . حوالى عام ١٥٠ ق م .

٢٤ — شهر يجيل يوهرجب (أبنه) اعاد بناء البرج القائم عند المدخل الجنوبى لمدينة تمنع كما أعاد بناء يفش وأقام الأسد البرنزية . هو سيد المعينيين .

٢٥ — ورروال غيلان يوهنعم ابن (شهر يجيل) سك النقود الذهبية فى حوريب وعليها الاسم ورروال غيلان وربما يكون هو الذى ضربها .

٢٦ — فرع كرب يوهودع (ابن شهر يجيل واخ ورروال غيلان)

٢٧ — يدع اب ينوف . ضرب نقودا ذهبية فى حوريب .

٢٨ — ذريبع كرب

---

(١) Maria Hoefner, Wiener Zeitschrift fuer die Kunde des Morgenlandes, 42, (1935) pp. 47-61.

(٢) راجع بخصوص هذا الإسم : Mordtmann und Mittwoch, Mitteilungen der Vorderasiatisch-aegyptischen Ges., 37 (1932), Nu. 54.

٢٩ — شهر هلال يوهقبض (ابنه) ، وقد يكون هو شهر هلال الذى سك نقودا ذهبية فى حوريب ونقشه الموجود فى حوريب والآخر الموجود فى بيت (يفعم) غرب المدخل الجنوبى لمدينة تمنع وجد فى نقش آخر وهو عين النقش الأول مدونا على أدوات كانت ضرورية لأحدى البنايات التى يتجلى فيها آخر فن بلغه المعمار القتبانى قبل خراب تمنع ومن غير المعقول أن (يفعم) شيد هذا البناء فى زمن أبعد من خراب تمنع بنحو عشرين عاما .

وفى حوالى ٥٠ ق . م . خربت تمنع وانتهت دولة قتبان .

وإذا علمنا أن (البريت) كان كبير جيولوجى البعثة الأمريكية إلى بلاد العرب الجنوبية وأنه سجل رأيه السابق فى بحثه الذى نشره فى مجلة المدارس الأمريكية للابحاث الشرقية عدد ١١٩ ص ٥ — ١٥ عام ١٩٥٠ م ثم يطلع علينا مدير تلك البعثه وهو (وندل فيلبس) عام ١٩٥٥ بكتاب حول أعمال البعثة وبعض النتائج التى توصلت إليها ويذكر رأيا آخرا لهذا الجيولوجى العظيم يغاير بعض المغايرة رأيه السابق فهو يذكر التقويم الآتى لتاريخ بلاد العرب الجنوبية .

هجرة القبائل السينية (تمتاز لهجتها باستخدام السين فى صيغة البيئة وضمير الغائب (القتبانية والمعينية والحضرمية) من الشمال إلى مواطنها التاريخية . قبل عام ١٥٠٠ ق . م . هجرة القبائل الهائية (تمتاز لهجتها باستخدام الهاء فى صيغة السببية وضمير الغائب) (السبأية)

من الشمال	قبل عام ١٢٠٠ ق . م
بدء انتشار قوافل الإبل فى بلاد العرب	قبل عام ١٠٠٠ ق . م
تاريخ ملكة سبأ التى ذكرها الكتاب المقدس	حوالى عام ٩٥٠ ق . م
التاريخ التقريبى لأقدم نقش عرف فى قتبان	القرن العاشر ق . م .
تاريخ أقدم مكرب سبأى	حوالى ٨٠٠ ق . م .
يثع وتر السبأى يرسل الجزية إلى سرجون الآشورى	٧١٥ ق . م
كرب ال بين السبأى يرسل الجزية إلى سنخريب الآشورى	حوالى ٦٩٠ ق . م .
كرب ال وتر يؤسس ملكا فى سبأ	حوالى ٤٥٠ ق . م

———

صدق ال الحضرمى يؤسس مملكة معين	حوالى ٤٠٠ ق . م
يدع أب ذبيان يؤسس ملكا فى قتبان	القرن الرابع ق . م
شهر هلال يوهنعم يقيم مسلة فى تمنع	القرن الثالث ق . م
يدع أب غيلان يؤسس بيت يفش فى تمنع	أواخر القرن الثانى ق . م
شهر يجيل يوهرجب يصل بقتبان إلى ذروة قوتها	أوائل القرن الأول ق . م
ورو ال غيلان يسك عملة ذهبية فى قتبان	حوالى ٥٠ ق . م
شهر هلال يوهقبض يشيد بيت يفعم فى تمنع	بعد عام ٥٠ ق . م
غزو اليوس جللوس لجنوب بلاد العرب	٢٤ ق . م
تدمير تمنع والقضاء على قتبان	حوالى القرن الأول الميلادى
وصف بلاد العرب الجنوبية كما جاء فى وصف البحر الأريترى	حوالى ٥٠ م
قيام مملكة ثنائية من سبأ وذوريدان	حوالى ٧٠ م
وصف بطلميوس لبلاد العرب الجنوبية	حوالى ١٥٠ م
توحيد سائر بلاد العرب الجنوبية تحت سلطان واحد	حوالى ٣٠٠ م
الغزو الحبشى لبلاد العرب الجنوبية	حوالى ٥٢٥ م
الغزو الفارسى لبلاد العرب الجنوبية	حوالى ٥٧٥ م
أحدث النقوش الحميرية	أواخر القرن السادس الميلادى
اعتناق بلاد العرب الجنوبية الإسلام	بعد عام ٦٣٠ م [1]

هذا عرض لمختلف الآراء حول تقويم قتبان وتاريخها ومن هـذا العرض يتبين القارئ مدى البلبلة التى تنتابه عندما يحاول دراسة هذا التاريخ ، وقد ينتهى إلى ما انتهى إليه غيره من قبل أعنى الحاجة الماسة إلى خلق جو من التعاون التام بين الحكومة اليمنية والبعثات العلمية التى لا تبغى إلا العلم والعلم فقط والواقع أن البعثة الأمريكية بالرغم من الصعوبات التى لاقتها إلا أنها وفقت كثيراً فى مهمتها وحتى تنشر جامعة (جونز هوبكينز) الأمريكية نتائج أعمال هذه البعثة فإننا سنظل عاجزين عن سد الثغرات الموجودة فى تاريخ بلاد العرب

(١) Wendell Phillips : Qataban and Sheba. London 1955. pp. 222 f.

الجنوبية فنحن نعلم مثلا أن البعثة عثرت عند المدخل الجنوبى لمدينة تمنع على عدد من النقوش المهمة حيث نقرأ فيها كثيراً من المراسيم الرسمية التى تشتمل على أسماء عدد من ملوك قتبان ومن بينهم (شهر يجيل يوهرجب) الذى جلس على عرشها حوالى عالم ٧٥ ق.م. وهنالك عثرت البعثة أيضاً على عمودين عظيمين عليهما نقوش فى كل نقش ما يقرب من خمسة وعشرين سطرا كما اهتدت البعثة أيضاً إلى نقشين آخرين فى بناء أطلقت عليه البعثة إسم بيت يفعم ووجدت بناءا آخرا أسمته بيت يفش وفى البيت الآخير عثرت على أسد من البرنز وهو تقليد للفن اليونانى الذى كان سائداً فى مصر وبخاصة فى الإسكندرية فى عصر لم يتجاوز منتصف القرن الثانى قبل الميلاد ، وقد جاء فى أسفل هذا الأسد نص يبين لنا صانعى هذا الأسد كما تبينت البعثة من نصوص أخرى أن بيت يفش هذا قد شيد أيام ملك قتبانى يدعى (شهر يجيل يوهرجب) وهو الذى أمر بإقامة الأسد ، من هنا يرجح أن هذا الملك عاش فى القرنين الثانى والأول قبل الميلاد وليس كما ذكر المؤرخون السابقون فى الثامن قبل الميلاد . فنقوش يفش ويفعم وأسد تمنع ساعدتنا على معرفه التاريخ التقريبى لهذه النقوش أولا وتلك الفترة من تاريخ قتبان ثانياً فهى تمتد من القرن الرابع قبل الميلاد إلى الأول الميلادى .

وقد انتهزت بعثة (وندل فيلبس) المعاملة الحسنة التى لقيتها من أمراء بل حارث ووادى بيحان وكشفت من النقوش والآثار ما سيخدم العلم والعروبة خدمة جليلة حقاً ولو أردت أن أسوق دليلا على حسن التعاون بين البعثة الأمريكية وأمراء العرب وشيوخهم فى تلك البلاد فانى أجد أجمل من ذكر شيء مما جرى فى حفلة وداع البعثة فى وادى بيحان حيث قام الشريف حسين أمير بيحان وشكر لمدير البعثة جميل أخلاقه وحسن صنيعه ومساعداته القيمة لسائر سكان الوادى كما كرر شكره للحفائر التى قام بها فى بلده لذلك رغب فى أن يخلع عليه إسماعربيا فعوضاعن (مستر) (شيخ) وعوضاعن (وندل فيلبس) (حسين على) ولأنه عاش بين قبيلة بل حارث ونقب فى أراضيها لقبه بالحارثى فإسم مدير البعثة الأمريكية سيصبح (الشيخ حسين على الحارثى) كما رجاه الشريف بإسمه وإسم مواطنيه أن يتقبل هذه التسمية الجديدة ويعتبرها رسمية .

غادرت البعثة قتبان بعد أن نقبت فيها موسمين متتالين أولها امتد من ٤ مارس إلى ١٨ إبريل ١٩٥٠ وفى هذا الموسم كشفت البعثة عن وادى بيحان والمدخل الجنوبى الشرقى وحجر بن حميد وحيد بن عقيل ومنزل خاص . أما الموسم الثانى فقد امتد من ١٧ فبراير إلى ١١ مايو ١٩٥١ وفيه واصلت البعثة عملها الذى بدأته فى الموسم السابق[١] . وقد أغنتناعلما ومعرفة بهذا الجزء من بلاد العرب الجنوبية فقد تعرفنا الآن على عدد من مكربيها وملوكها كما تعرفنا إلى بعض الأحداث التى وقعت إبان حكم ملوك لم تصلنا من قبل إلا أسماؤهم وقد توصلت البعثة إلى الجزم اعتمادا على ما تجمع لديها من نتائج بأن المدن القتبانية كانت آهلة بالسكان فى الألف الثانى قبل الميلاد .

أما التاريخ القتبانى الذى يستطيع المؤرخ الأخذ به والاعتماد عليه فيرجع إلى القرنين العاشر أو الحادى عشر قبل الميلاد وهو التاريخ الذى قد يرجع إليه النقش المخربش الذى حل رموزه (جام) وهو يعتبر أقدم نص جاءنا من بلاد العرب الجنوبية كما أن عصر هذا النقش كان فترة انتقال فى تاريخ قتبان إذ بعده يظهر عصر المكربين الذين حكموا قتبان عدة قرون وقد وصلتنا أسماء عدد منهم وقد حكموا البلاد فيما بين القرنين السابع والخامس قبل الميلاد ففى القرن الخامس نجد مكربا يدعى (يدع أب ذبيان) ويرجح أنه شيد المدخل الجنوبى لمدينة تمنع وهو ابن المكرب القتبانى (شهر) ثم نجده فى نقوش أخرى وقد خلع على نفسه ألقابا أخرى فهو (يدع أب ذبيان) مكرب قتبان وجميع أبناء عم (الإله الرسمى لقتبان) وأوسان وكحد ودهس وتبنو . وفى نقش آخر نجده يلقب علاوة على الألقاب السابقة بمكرب يرفع وأبناء الجنوب وأبناء الشمال . ثم نجده يشن عدة حروب ينتصر فيها فيما يرجح على سبأ ويستولى على إقليم مراد وهذا يفسر لنا اهتمامه بإنشاء الطرق ليربط بين أطراف مملكته ولعل أشهر طريق شيده هو المعروف باسم مبلقة وقد عثر شرقيه عند بئر (هيره) على نقشين عظيمين

---

(١) A. Jamml P. B. : Les expéditions archéologiques améicaines en Arabie du Sud (1950-1953) (Estratto dalla Rivista mensile Oriente Moderno. Anno XXXIII, No. 3, marzo 1953).

(جلازر ١٦٠١ و١٦٠٢) . وهذا المكرب الذى يرجح أنه أول من توج نفسه ملكا على قتبان أو من بين أوائل الملوك الذين جلسوا على عروشها اهتم كثيراً بإقامة المبانى وبانتهائه تنتهى الأسرة المالكة الأولى التى جلست على عرش قتبان وجاءت بعدها الأسرة الثانية وقد ظلت على العرش زهاء قرن من الزمن من عام ٣٥٠ — ٢٥٠ ق . م . وكان أول ملوكها هو (ابشيبم) وإبنه (شهرغيلان) الذى ترك لنا كثيراً من النقوش بعضها وجد فى المدخل الثانى لمدينة تمنع ولعل أشهر ملك عرفته هذه الأسرة هو الملك (شهر يجيل) وقد جاء ذكره فى نقش جلازر ١٦٠٢ وقد اعتلى عرش قتبان حوالى عام ٣٠٠ ق . م . وهو الذى أصدر أمره ببناء معبد للاله عم فى وادى لبخ وفى مدينة ذو غيل . وقد جاء فى أحد النقوش المنسوبة إليه أنه قوض عرش معين ويعتقد الأستاذ (البريت) أنه عاش فى نهاية القرن الرابع قبل الميلاد وبعد وفاته خلفه أخوه (شهر هلال يوهنعم) وهو الذى أقام المسلة التى عثر عليها فى مدينة تمنع . وبوفاته انتهت الأسرة الملكية القتبانية الثانية وتناوب عرش البلاد عدد من الملوك لم يستطع مؤرخ اليوم أن يعين أزمنتهم أو ترتيبهم وكان آخر ملك جلس على عرش قتبان فى تلك الفترة هو (يدع أب غيلان) وفى عهده كما سبق أن ذكرنا بنى بيت يفش وزخرفه بالأسد البرنزى وهناك رأى يرجح أن ذلك قد تم حوالى القرن الثانى قبل الميلاد[1] .

وبعد ذلك استولت على عرش البلاد أسرة ملكية ثالثة وقد ظلت متربعة على دست الحكم فترة تمتد من ١٠٠ إلى ٢٥ ق . م . وأول ملوكها هو (هوف عم يوهنعم) وإبنه يسمى (شهريجيل يوهرجب) وهوالذى أعاد بناء برج المدخل الجنوبى لبيت يفش أما إبنه فيدعى ورو ال غيلان يوهنعم ويرجح أنه أول من سك نقودا ذهبية قتبانية وأخ هذا الملك يدعى (فرع كرب يوهودع) وهو آخر ملك فى هذه الأسرة جلس على عرش قتبان .

---

(١) Hermann von Wissmann und Dr. Maria Höfner : Beiträge zur historischen Geographie des vorislamischen Südarabien. (Akademie der Wissenschaften und der Léteratur. 1952. Nu. 4).

إنتهت الأسرة الثالثة تخلفها على عرش البلاد عدد من الملوك الذين ظلوا يباشرون سلطتهم طيلة القرن الأول قبل الميلاد ، ولعل أشهرهم هو (شهر هلال يوهقض) وهو ابن (ذرئ كرب) ويرجح أنه هو الذى شيد بيت (يفعم) داخل المدخل الجنوبى لمدينة تمنع .

هذا ما يمكن قوله حتى اليوم فى الأسر الملكية القتبانية . أما إذا تطرقنا إلى التعريف بأزهى العصور التاريخية التى مرت بها تلك المملكة فأرجح الآراء يميل إلى الاعتقاد بأن عصر قتبان الذهبى هو الممتد من ٣٥٠ — ٥٠ ق م . فمن هذا العصر وصلتنا أهم مجموعة من النقوش ، ومنها نتبين أن قتبان كانت فى ذلك العصر أهم مملكة فى بلاد العرب الجنوبية حيث أخضعت لسلطانها كلا من معين وسبأ . لكن حدث قبيل الميلاد أن غزا شعب غير معروف عاصمة قتبان وأحرقها كما ظهرت مملكة أخرى إلى عالم الوجود تسمى مملكة سبأ وذو ريدان ، وقد قامت على أنقاض كل من قتبان وسبأ ومعين . أما ذو ريدان فقد يعنى إله جبل ريدان القائم فى جنوب وادى بيحان . وقد ظلت دولة سبأ وذو ريدان قائمة مدة تبلغ قرنين ونصف القرن . أما عاصمتها فكانت مدينة مارب .

والشىء الجدير بالملاحظة هنا أن دولة سبأ وذو ريدان لم تكن الوريثة الوحيدة لقتبان فهناك دولة أخرى شاركتها الغنيمة وهى حضرموت التى ضمت إلى رقعتها جزءاً من قتبان وبذلك استطاعت حضرموت منافسة سبأ وذو ريدان مدة امتدت حتى أواخر القرن الأول الميلادى . ويجب ألا يفهم من هذا أن قتبان قد فقدت سلطانها نهائياً ، فقد عثرت البعثة الأمريكية فى (مارب) على نقش جاء فيه أن الملك (نبط) ملك قتبان كان معاصراً لملك سبأ ويضمه (البريت) فى القرن الأول الميلادى . والملك (نبط) هذا هو بعينه الملك (نبط) بن الملك (شهر هلال) الذى جاء ذكره مع ابنه (مرثد) كملك لقتبان فى نقش عثر عليه عام ١٩٥١ فى (حجر بن حميد) . ويظهر أن ملوكاً قتبانيين استطاعوا المحافظة على الجزء الغربى من قتبان واتخذوا من مدينة (حريب) عاصمة لهم واكتفى الحضارمة بالإستيلاء على جزء من شرق البلاد ، وخربوا تمنع فى الفترة الممتدة بين عامى

٢٥ و ١ قبل الميلاد . ويرجح أن النقش الذى عثرت عليه البعثة عام ١٩٥١م فى (حجر بن حميد) هو أحدث نقش قتبانى ملكى وهو يرجع إلى قبيل العصر المسيحى أو بتعبير آخر الوقت الذى خربت فيه مدينة (تمنع) .

سبـــأ

يزعم نفر من مؤرخى بلاد العرب الجنوبية أن أواخر القرن السابع قبل الميلاد كان فترة تحول وانتقال فى تاريخ تلك الدول عامة ، ويرى هذا النفر أيضاً أن نجم دولة معين كان يأخذ فى تلك الفترة فى الأفول بينما تلألأ نجم أمة أخرى هى أمة السبأيين التى أخذت تصارع معين وتقهرها . ويرى هؤلاء المؤرخون أيضاً أنه فى عام ٦٨٠ ق. م. ظهر البطل السبأى (كرب ال) وأخذ يتسلم من معين تدريجياً مقاليد التجارة والسياسة وليس هذا السبأى هو أول من تولى الأمور فى سبأ فالنقوش التى بأيدينا تقرر أنه عام ٨٠٠ ق. م. ظهر فى سبأ أول مكرب وقد أقبل من شمال الجزيرة مجتاحاً بلاد المعينيين وجيرانهم من الحضارمة والقتبانيين إلا أننا لا نعرف على وجـــه التقريب متى ولماذا . ثم نجد مع مرور الزمن المكربين السبأيين يستقرون فى صرواح ومارب ويشيدون المعابد ، ويقدمون القرابين إلى الآلهـــة . ويعتقد أولئك المؤرخون أن معين لفظت النفس الأخير حوالى عام ٦٠٠ ق . م . فالذى حدث أن سبأ بعد أن قضت نحو قرنين تحت حكم عدد من القضاة أخذت تمارس سلطان السيادة والقوة فى بلاد العرب السعيدة ، ولعل أول قاض قبلى سبأى هو (سمه على) (حوالى ٨٠٠ — ٧٨٠ ق. م.) وقد جاء ذكره فى نقش يتحدث عن تقديمه البخور والمر إلى الإلآـه القوى (المقه) ومن هذا النقش يتبين أيضاً أن القاضى يقدم البخور بإسمه ونيابة عن قبيلته التى قادها من الفيافى والقفار إلى الأرض السعيدة التى تفيض لبناً وعسلاً ، وقد خلفه ابنه (يدع ال ذريح) الذى شيد معبداً فى صرواح وهى المدينة التى اختارها المكرب الأول قاعدة لبلاده للإلآـه المقه وقد شيد (يدع ال ذريح) غير هذا المعبد معبداً آخراً للإلآـه المقه، واشتهر فى مارب .

وخلف (يدع ال ذريح) قاض آخر وهو (يثع امر وتر) وقد جاءنا عنه أنه شيد معبداً لإلـه القمر الذى أطلق عليه السبأيون لفظ (هوبس) فى قرية (دبير) الواقعة فى منتصف الطريق بين مارب والمدن المعينية الواقعة فى الجوف وهذا يشير إلى تغلغل السبأيين فى البلاد المعينية . ثم تولى مقاليد الحكم فى سبأ (يدع ال بين) وهو ابن (يثع امر وتر) وقد سار فى طريق سلفه وجاءنا ما يفيد أنه كان يحصن مدينة (نشق) التى عرفها الرومان فيما بعد تحت إسم (نسكا Nesca) ويعرفها العرب اليوم تحت إسم (خربة البيضا) وهى واقعة فى الجوف وقد يتبادر إلى ذهننا أنه أقبل على تحصينها بعد نصر أحرزه على سكانها لكن لا يعلم المؤرخون تماماً عما إذا كان هذا النصر قد تم فى عهده أو عهد والده بينما يرجح (فريتز هومل) أن هذا النصر تم على يد عمه (سمه على ينف) الذى جاء ذكره فى بعض النقوش التى عثر عليها فى تلك المنطقة . لكن ليس لدينا ما يؤيد هذا الرأى أعنى أن هذا الشخص (سمه على نيف) كان مكرباً سبأياً والمحتمل أنه لم يكن الشخص الذى أحرز هذا النصر وربما ابنه (يثع امر) وهو ملك آخر غير السابق الذى خلف (يدع ال بين) وملك فى العشرين سنة الأخيرة من القرن الثامن قبل الميلاد ويرجح أنه هو الذى أرسل الهدايا إلى الملك الأشورى (سرجون) كما جاء ذلك فى نقش الملك الأشورى . وبالاختصار لا نعرف شيئاً عن (يثع امر) إلا أنه كان والداً لخلفه (كرب ال بين) وقد حرص (يثع أمر) على المحافظة على ما تركه له سلفه من فتوحات ولم يتوسع فيها ، وقد نفترض أنه وابنه (كرب ال بين) كرسا حياتهما للمحافظة على السلام لذلك اشتهر عهدها بالازدهار والتقدم وتوجا عملهما ببناء سد مارب . ثم خلفه (ذمار على) ولا نعلم أكان ابنه أو حفيده وهو والد (سمه على ينف) وهو كما يظن ثالث من تسموا بهذا الاسم ولو أنه أول من عين نفسه ملكاً على سبـــأ وينسب إليه أنه صاحب فكرة ومنفذ أكبر مشروع للرى عرفته بلاد العرب ، وذلك بالرغم من أن سكان مارب كانوا ذوى خبرة بشئون الرى إلا أن سدودهم كانت بدائية حتى جاء (سمه على ينف) المكرب السبأى الثامن وأحدث تطورا خطيراً

فى وسائل الرى؛ إذ جاء فى فم الوادى، وحيث تنساب المياه من فوق التلال والجبال وشيد سداً يعرف باسم (رحب) فنظم وسائل الرى وجعل الأرض صالحة لإنتاج الغلات طوال العام لكن حتى هذا السد لم يف بحاجات جميع الأراضى الصالحة للزراعة لذلك تقرر إقامة سد آخر وترك أمر تنفيذ هذا المشروع إلى ابن (سمه على) وخليفته واسمه (يثع امر بين) الذى أقام سده الجبار المعروف باسم سد (حبيض) أو (حبابض) الذى مكن كثيراً من الأراضى من الاستفادة من أكبر كم من المياه التى كانت من قبل تجرى عبثاً فلا تفيد زرعاً أو ضرعاً . فالأعمال الجليلة التى قام بها هذان الحاكمان حققت أكبر عمل هندسى للرى عرفته الجزيرة العربية فى تاريخها عامة فسد مارب يقوم شاهد عدل على عظمتها فهو من عجائب العالم القديم وهو يرجع إلى الفترة الواقعة بين ٦٥٠ و ٦٣٠ ق م .

ومما هو جدير بالملاحظة أن الحاكم (يثع امر بين) لم تشيد فقط سد (حبابض) بل زاد فى سد (رحب) طولاً وعرضاً وارتفاعاً . وبذلك استطاع زيادة مساحة الأراضى الزراعية وبخاصة حول مارب حيث أصبحنا نجد جنتين إحداهما علياً وأخراهما سفلى وقد اكتسبتا شهرة عربية دائمة وقد زادت جميع هذه الإصلاحات من مكانة مارب وجعلتها عاصمة للدولة السبأية وحلت محل صرواح ، ومما لا شك فيه أيضاً أن (يثع امر بين) هو الذى قام بحملاته العسكرية القوية ضد القبائل والدويلات المجاورة كما تحدثنا النقوش التى عثر عليها فى مارب .

لكن هذه الحروب وتلك الحملات التى قام بها (يثع أمر بين) لم تكن الأخيرة من نوعها فى جنوب بلاد العرب إذ لم يكد يخلفه (كرب ال وتر) (٦٢٠ — ٦٠٠) ق م الأوعاد الكرة ثانية وبعد أن أحرز النصر على خصومه اعتلى عرش سبأ لا ككوب بل كملك تأكيداً لزوال الأسرة الملكية المعينية ثم أردف هذا النصر بنصر آخر على قتبان ومن ثم ظهرت له فى الميدان دولة أخرى لم يكن يحسب لها حسابا من قبل الأوهى دولة أوسان ومعها عدد من الحلفاء أمثال سعد ومعافر وإقليم (دثينا) و (دهس) و (تبنى) وسائر القبائل النازلة هناك شرقاً حتى حضرموت . ويرجح بعض المؤرخين أن (يدع ال) ملك

حضرموت كان وقتذاك متحالفاً مع (ورو ال) ملك قتبان المستبعد ومع (كرب ال وتر) وبمساعدتهما فيما يظهر استطاع (كرب ال وتر) القضاء على الاضطرابات والثورات ، وبذلك أصبح (كرب ال وتر) حرا فاتجه نحو معين ونجران . وبعد هذه الانتصارات التي أحرزها عاد إلى صرواح حيث سجل انتصاراته ، وقدم هذا السجل قربانا لآلهة سبأ (المقه) و (عثتر) و (هوبس) .

هذا ما يمكن قوله عن سبأ وتاريخها إذا ما جانبنا الاستطراد فى ذكر القصص والافتراضات وحتى هذا الكم قابل للتغيير والتبديل. وقد رأينا فى الفصل الذى أفرده (هومل) للتاريخ أراء لا يقره عليها من جاءوا بعده من المؤرخين فها هو (فيلبى) مثلا يذكر فى كتابه سالف الذكر رأيا يراه قريبا من الواقع فكربو سبأ وملوكها تعاقبوا على عرشها على الوجه الآتى :

١ — ٨٠٠ ق . م . سمه على (مؤسس أول أسرة مكربين) .

٢ — ٧٨٠ ق . م . يدع آل ذريح (ابن الأول)

٣ — ٧٦٠ ق . م . يثع أمر وتر (ابن الثانى)

٤ — ٧٤٠ ق . م . يدع آل بين (ابن الثالث)

٥ — ٧٢٠ ق . م . يثع أمر وتر (ابن سمه على ينيف وحفيد الرابع) وكان معاصرا لسرجون ملك بابل)

٦ — ٧٠٠ ق . م . كرب ال بين (ابن الخامس)

٧ — ٦٨٠ ق . م . ذمار على وتر (ابن السادس) أوحفيد (ابن سمه على ينيف أخ السادس ؟)

٨ — ٦٦٠ ق . م . سمه على ينيف (ابن السابع وبانى سد رحب)

٩ — ٦٤٠ ق . م . يثع امر بين (ابن الثامن وبانى سد حبابض)

١٠ — ٦٢٠ ق . م . كرب ال وتر (ابن السابع) آخر مكرب سبأى حتى عام ٦١٠ ق م . حيث أعلن نفسه ملكا بعد قضائه على معين .

١١ — ٦٠٠ ق . م . سمه على ذريح (ربما ابن العاشر) مؤسس الأسرة الملكية الثانية .

١٢ — ٥٨٠ ق . م . كرب ال وتر (ابن الحادى عشر)

١٣ — ٥٧٠ ق . م . ال شرح (ابن الحادى عشر)

١٤ — ٥٦٠ ق . م . يدع ال بين (ابن الثانى عشر)

١٥ — ٥٤٠ ق . م . يكرب ملك وتر (ابن الرابع عشر)

١٦ — ٥٢٠ ق . م . يثع امر بين (ابن الخامس عشر)

١٧ — ٥٠٠ ق . م . كرب ال وتر (ابن السادس عشر)

١٨ — ٤٨٠ ق . م . سمه على ينيف (ابن السابع عشر ؟)

١٩ — ٤٦٠ ق . م . ال شرح (ابن الثامن عشر)

٢٠ — ٤٤٥ ق . م . ذمار على بين (ابن الثامن عشر)

٢١ — ٤٣٠ ق . م . يدع ال وتر (ابن العشرين)

٢٢ — ٤١٠ ق . م . ذمار على بين (ابن الحادى والعشرين)

٢٣ — ٣٩٠ ق . م . كرب ال وتر (ابن الثانى والعشرين)

٣٧٠ ق . م . فترة انتقال تبلغ عشرين سنة .

٢٤ — ٣٥٠ ق . م . ال كرب يوهنعم الأسرة الملكية السبأية الثالثة .

٢٥ — ٣٣٠ ق . م . كرب ال وتر

٢٦ — ٣١٠ ق . م . وهب ال (ابن سرو ؟)

٢٧ — ٢٩٠ ق . م . انمار يهنعم (ابن السادس والعشرين)

٢٨ — ٢٧٠ ق . م . ذمار على ذريح (ابن السابع والعشرين)

٢٩ — ٢٥٠ ق . م . نشم كرب يهنعم (ابن الثامن والعشرين)

٢٣٠ — ٢٠٠ ق . م . فترة انتقال

٣٠ — ٢٠٠ ق . م . نصر يهنعم مؤسس الأسرة الملكية السبأية الرابعة
(أخ صديق يحب)

٣١ — ١٨٠ ق . م . يهب ال يحظ

٣٢ — ١٦٠ ق . م . كرب ال وتر يهنعم (ابن الحادى والثلاثين)

١٤٥ / ١٣٠ ق . م . اغتصاب (يريم أيمن وابنه عاهن نهفن منذ عام
١٣٥ لعرش سبأ ، وقد استمر (عاهن نهفن) كملك
لسبأ حتى عام ١١٥ ق . م .

٣٣ — ١٣٠/١٢٠ ق . م . فرعم ينهب استرد العرش ؟ (ابن الثاني والثلاثين)

٣٤ — ١٢٥/١٠٥ ق . م . ال شرح يهذب (ابن الثالث والثلاثين)

وهومؤسس الأسرة الملكية الخامسة كملك لسبأ وذوريدان.

٣٥ — ١١٠/٩٠ ق . م . يزيل بين (ابن الثالث والثلاثين)

٣٦ — ٩٥ / ٧٥ ق . م . نشا كرب يمن يهرحب (ابن الرابع والثلاثين)

٣٧ — ٨٠ / ٦٠ ق . م . وتر يهمن (ابن الرابع والثلاثين)

٣٨ — ٦٠ ق . م يدس يهصدق ربما (ابن السابع والثلاثين)

٣٩ — ٤٠ ق . م . ذمار على يهبر الأول (ابن الثامن والثلاثين)

٤٠ — ٢٠ ق . م . ثرن يعب يهنعم (ابن التاسع والثلاثين)

٤١ — ١ م . ذمار على يهبر الثاني (ابن الأربعين)

٤٢ — ٢٠ م . ذمار على بين ؟ (ابن أخ الحادى والأربعين)

٤٣ — ٤٠/٧٠ م . كرب ال وتر يهنعم (ابن الثاني والأربعين)

٤٤ — ٦٥/٨٥ م . هلك امر (ابن الثالث والأربعين)

٤٥ — ٧٥/٩٥ م . ذمار على ذريح (ابن الثالث والأربعين)

٤٦ — ٩٥ / ١١٥ م . يدع ال وتر (ابن الخامس والأربعين)

١١٥/٢٤٥ م . الأسرة السادسة لبنى يتع (حاشد) ملوك سبأ وذ ريدان.

تصويب وترتيب وزمن أفراد وجماعات مجهولة

٤٧ ؟ ⎫ ثمدر يهنعم (ابن ؟)
٤٨ ؟ ⎭ ٣٠ عاما عمدن بين يهقبض (ابن ؟)

٤٩ ؟ نشا كرب يزن (ابن تسه بن يهشم)
٥٠ ؟ وهب عثت يفد
٥١ ؟ ٣٠ عاما هوتر عثت يشف
٥٢ ؟ كرب عثت يهقبل

٥٣ ؟ ⎫ نشأ كرب أوتر ؟ ابن أخ التاسع والأربعين
٥٤ ؟ ⎭ ٢٠ عاما شهر ايمن (أخ الثالث والخمسين)

؟٥٥ } ٥٠ عاما | رب شمس نمران (ابن ؟)
؟٥٦ | سخمن يهشبه (ابن ؟)
٥٧ | يرم يهنعم (ابن السادس والخمسين)
٥٨ | سمد أوام عران (ابن ؟)

٥٩ — ٢٤٥ م . ال عز نوفان يهصدى (ابن ؟)

الأسرة السابعة (مكيل)

٦٠ — ٢٦٠/٢٨٠ م . يسر يهنعم (ابن ؟)

٦١ — ٢٧٠/٣١٠ م . شمير يهرعش (ابن الستين) ملك سبأ وذو ريدان وحضر موت ويمنت منذ حوالى عام ٢٩٠ م .

٦٢ — ٣١٠ م . يريم يرحب وربما ابن الحادى والستين

٣٤٠/٣٧٥ م . أول احتلال حبشى أيام حكم (الا عميدا) الذى أصبح يلقب بلقب ملك اكسوم وحمير وذو ريدان وحبشت وسله وتهامة (لم تذكر حضر موت)

٦٣ — ٣٧٥/٤٠٠ م . ملك كرب يهمن ابن أو حفيد الثانى والستين وقد هزم الحبش و استرد الملك للأسرة السابعة .

٦٤ — ٣٧٨/٤١٥ م . اب كرب اسعد (ابن الثالث والستين) اعتنق اليهودية عام ٤٠٠ م وهو أول ملوك الأسرة الثامنة اليهودية .

٦٥ — ٣٧٨/٤٢٥ م . ورو أمر ايمن (ابن الثالث والستين)

٦٦ — ٤٢٥/٤٥٥ م . شرح بيل يعفر (ابن الرابع والستين) وكان يلقب ملك سبأ وذو ريدان وحضر موت ويمنت وأعرابها سكان المرتفعات وتهامة .

٦٦ (أ) ٤٣٠/٤٤٠ م . معد كرب أخ السادس والستين .

٦٧ — ٤٥٥/٤٦٠ م . فترة خلو المنتصب عبد كلال

٦٨ — ٤٦٠/٤٧٠ م . شرح بيل يكف ؟ ابن السادس والستين (أ)

٦٩ — ٤٧٠/٤٩٠ م . ثرف (ابن الثامن والستين)

٧٠ — ٤٨٠/٥٠٠ م . لحى عثت ينيف (ابن الثامن والستين)

٤٩٥ م . ؟ قام مرثد الان بثورة فاشلة .

٧١ — ٤٩٠/٥١٠ م . معد كرب ينعم (ابن الثامن والستين)

٧٢ — ٥١٠/٥٢٥ م . ذو نواس (ابن ؟) .

٥٢٥ م . هزيمة وموت ذو نواس وابتداء الحكم الحبشي على يد (ارياط) و (ابرهة) حتى عام ٥٧٠ م .

٧٣ — ٥٢٥ م . سام يفع اشوع من حمير عين ملكا تحت السيادة الحبشية .

٧٤ — ٥٣٥ م . ؟ معد كرب ؟ (ابن الثالث والسبعين)

٧٥ — ٥٣٥ م . يزيد بن كبشت من كندة عين حاكما بدلا من الرابع والسبعين ؟ الذى عزله ابرهة

٥٤٢ م . قضى ابرها على الثورة التى شنها الخامس والسبعون بمساعدة الرابع والسبعين وقد أعلن نفسه ملكا تحت سيادة (رمحيس) ذو بيمن ملك أكسوم .

٥٧٠ م . حملة ابرهة إلى مكة والاحتلال الفارسى لسبأ الذى استمر حتى عام ٦٢٨ م .

٦٢٨ م . باذان المندوب السامى الفارسى الرابع اعتنق الاسلام وسلم سبأ الى النبي محمد .

هذه هى سبأ وتاريخها كما تصوره كثيرون قبل مجىء البعثة الأمريكية ، وقد رأينا فيما سبق بعض النتائج العلمية التى توصلت إليها ، وهنا فيما يتصل بسبأ يذكر (البريت) رأيا جديدا حول سبأ وملوكها فى صدد حديثه عن رأى (ك . ملاكر) فيما يتعلق بفترة حكم المكربين السبأيين فيذكر أن التواريخ التى يذكرها (ملاكر) فى حاجة إلى تصويبات كثيرة فالأثرى الأمريكى يعتقد أن الفترة التى حكم فيها المكربون السبأيون البلاد يجب أن تمتد من الزمن الواقع قبل عام ٧٥٠ ق . م . إلى حوالى عام ٤٥٠ ق . م . وليس كما يعتقد (ملاكر) من ٨٠٠ — ٣٥٠ ق . م . ويحدد (ملاكر) قيام الدولة القتبانية من حوالى

عام ٦٤٥ ق . م . حتى القرن الثالث ق . م . بينما يرى (البريت) أن الصواب من حوالى عام ٤٠٠ — ٥٠ ق . م . وبخصوص الصلة بين ملوك سبأ متقدميهم ومتخلفيهم فقد عرض لهـذا الموضوع (هومل) فى الفصل الذى عقده لتاريخ بلاد العرب الجنوبية حيث تحدث عن ملوك سبأ من ناحية ثم عن الصلة بينهم وبين ملوك سبأ وذوريدان . وظل الحال كذلك حتى جاء (البريت) وذكر قائمة أمراء أسرة (باكيل) التى كانت قابضة على زمام الأمور فى ذلك الوقت . وهؤلاء الأمراء كما يوردهم (البريت) هم :

نصرم يوهامن

. . . . .

وهب ال يحوز

|

كرب ال وتر يوهنعم

. . . . .

فرعم ينهب

ال شرح	يحضب	يازل بين

وغير هؤلاء الأمراء يذكر (البريت) أيضاً أسماء منافسيهم أعنى من أمراء الهمدانيين أيضا وكان يلقب كل منهم بلقب ملك من ريم ايمن . وهؤلاء الأمراء هم:

اعين (حوالى عام ١٢٥ ق . م .)

|

اوسلات رفشان (حوالى عام ١٠٠ ق . م .)

|

بريم ايمن (حوالى عام ٨٠ ق . م .)

|

بارج يوهرحب علهان نهفان (حوالى عام ٦٠ ق . م .)

شاعرم اوتر	يريم ايمن (حوالى عام ٣٥ ق.م.)

ويعتقد (البريت) أن المنافسة بين (باكيل) وغيرهم من (الهمدانيين) كانت شديدة جداً ولو أن معظم النقوش التى جاءتنا من تلك الفترة تفيدنا بالبوجرافيا أكثر منها سياسيا .

أوسان

إن نجاح حضرموت فى التخلص من سبأ وسيادتها والاحتفاظ باستقلالها والسيطرة على تجارة البخور دون أن تحاول بسط نفوذها السياسى غربا على مملكة قتبان يشير إلى قيام نظام حكم قوى فى جنوب بلاد العرب . وإذا أضفنا إلى هذا أن النقوش التى وصلتنا لا تشير عن قريب أو بعيد إلى نشاط قتبانى فى تلك الفترة رجحت عندنا الفكرة القائلة بأن قتبان كانت قد فقدت سيادتها كدولة مستقلة واكتفت بالحياة كولاية تابعة فى رأى بعض المؤرخين لدولة سبأ وقد كان ذلك طيلة القرون الثلاثة الأولى السابقة للميلاد . لكن الضعف دب إلى سبأ وأخذت قبائل أخرى تظهر على المسرح السياسى وتنافس سبأ السيادة مثل خولان وهمدان وسمعى وشامر وذوريدان وغيرها ، وقد أضر هذا التطور السياسى بسبأ ضررا بليغا إذ انتهزت دولة أخرى الفرصة ووطدت قدمها فى جنوب غرب بلاد العرب وأخذت تنافس سبأ من ناحية وحضرموت من ناحية أخرى واستمرت هذه المنافسة عدة أجيال وأخيراً فرضت دولة أوسان نفسها فرضا .

ويعتقد (فيلبى) أن أول ما ظهرت الملكية فى أوسان كان حوالى عام ٢٣٠ ق . م . وقد ظلت قائمة حتى حوالى عام ١٢٥ ق . م . ولعل أشهر ملك جلس على عرشها فى تلك الفترة هو (يصدق ال فرعم شرح عت) وهو كما يظن فيلبى ابن (معدال صلحان) وقد توسع المؤلف فى ذكر شجرة النسب فأوردها كما يلى :

١ — ٦٢٠ / ٦٠٠ ق . م . مرتو بن ؟ ذكر كملك لأوسان ، وقد هزمه الملك السبأى (كرب ال وتر) ويرجح أن أملاك أوسان قد ضمت إلى قتبان .

٢ — ٢٣٠ ق . م زيد بن ؟ من قبيلة بغيثات أول ملك ؟
٣ — ٢١٠ ق . م . معدال صلحان (ابن الثانى)
٤ — ١٩٠ ق . م . يصدق ال فرعم شرح عت (ابن الثالث) وكان أخا زيد سيلن وكانت له أخت .
٥ — ١٧٠ ق . م . معد ال سلهن (ابن الرابع) .
٦ — ١٥٠ ق . م . يصدق ال فرعم عم يثع ؟ (ابن الخامس) .
٧ — ١٣٥ ق . م . (فرعم ؟) زهمهان ال شرح ؟ ابن السادس .
٨ — ١٢٠ ق م . عم يثع غيلان لحى ؟ (ابن السابع) .
— ١١٥ ق . م . ضمت أوسان إلى سبأ وذو ريدان بعد انتصار ال شرح يهضب .

لكن (أوسان) كما يصورها (فيلبى) غير تلك التى يعرفها كثيرون غيره فنحن نقرأ فى النقش الذى سجل انتصارات (كريب ال وتر) على ملك أوسان (راجع جلازر ١٠٠٠ ا) فى أواخر القرن الخامس قبل الميلاد ما معناه: ولما هزم (كرب ال وتر) أوسان فى (وسر) ومحاها وملكها (مرتوم) :: كما عثر على عدة نقوش فى معبد يعرف باسم معبد (نمان) إلى جانب بعض النذور والقرابين المقدمة إلى الملك (يصدق ال فرعم شرح عت) ملك أوسان وهذا الملك هو ابن الآلـه (ود) وذلك لأن الملك كان يعتبر نفسه ابنا لله ويعتمد مؤرخو الأديان على هذه الحالة كدليل على قيام مملكة للإلـه فى بلاد العرب الجنوبية أيضاً والآلـه (ود) هو المعبود القوى لأوسان ومعين كما أن (عم) كان الـه قتبان و (سين) معبود حضرموت و (المقه) آلـه سبأ [1] .

(1) H von Wissmann und Maria Höfner : Beiträge zur historischen Geographie des vorislamischen Südarabien, p. 58 ff. 1953.

حملة اليوس جللوس

٢٤ ق . م .

تحدثنا فيما مضى عن دويلات ودول قامت فى بلاد العرب الجنوبية ورأينا من عرضنا لها أن إلمامنا بتاريخها ما زال حتى اليوم فى طور التكوين فالآراء مختلفة متضاربة حول قيام تلك وزوال أخرى وحتى ييسر الحاكمون الحاليون لبلاد العرب الجنوبية الطريق للبحوث العلمية المخلصة فسيظل تاريخ بلاد العرب الجنوبية رجما بالغيب وكل ما ذكرته وعرضته للقارىء ماهو فى الواقع إلا مجموعة من الآراء تجمعت لدى نفر من الباحثين الذين يحاولون جهدهم الاستفادة من المادة القليلة التى بين أيديهم والتى كلفهم الحصول عليها أحيانا ضياع أرواحهم .

لكن إذا تركنا الشرق العربى واتجهنا إلى أوربا وجدنا أنفسنا فى جو آخر أقل وعورة وأيسر معالجة فها هى حملة اليوس جللوس هذا القائد الرومانى الذى قاد حملة عام ٢٤ ق . م ضد بلاد العرب الجنوبية قد سجلها لنا أكثر من مؤرخ فها هو (بلينيوس) يذكر فى كتابه الرابع ما مفاده أن هذا القائد الرومانى خرب فى بلاد العرب الجنوبية أبان حملته كثيراً من المدن من بينها (نجرانا) و (نستم) و (كامونيكم) و(وما جوسم) و (نسكا) و (وكاريبتا) و (وماريبا) و (لا بكيا) ومن المرجح أن (نجرانا Negrana) هى (نجران) و (نسكا Nesca) هى (نشق) و (كامينيكم Caminacum) هى (كمناء) و(ماريبا Mariba) مارب و (لا بكيا Labecia) لوق ولما كانت (نشق)مجاورة جدا لمدينة (نشان) يطلق عليهما اليوم (البيضاء والسوداء) أما (كاريبتا Caripeta) فقد تكون (حريب) التى تعرف اليوم باسم (أساحل) فى رغوان ويذكر (بلينيوس) أيضا أن (كاريبتا) (حريب) هى أبعد مدينة بلغتها حملة اليوس جللوس بينما يقرر (سترابون) فى كتابه الرابع عشر أن الحملة بلغت مدينة (شهرا) وهى تقع على مسيرة ستة أيام من نجران ، وهناك دارت رحى معركة بين اليوس جللوس والعرب عند نهر قد يكون هو (غيل خارد) الذى

يجرى فى الجوف ، ويذكر (سترابون) أيضاً أن اليوس جللوس غزا المدن (إسكا Asca) و (أثرولا Athrula) وغيرهما و (إسكا) هى التى ذكرها (بلينيوس) تحت إسم (نسكا) أى (نشق) و (أثرولا) أو (أثلولا) هى (أثيل)، ويذكر (سترابون) أيضا أن اليوس جللوس حاصر مدينة (مرسيابا Marsiaba) وهدمها وهى مدينة شعب (عرمانيتاى) أيام حكم (اليزاروس Jlasaros) وهو (ال شرح يحضب) الذى لقب بلقب ملك سبأ وذو ريدان .

وبانتهاء حملة اليوس جللوس دخل تاريخ بلاد العرب الجنوبيـة فى غيابات الظلام ثانية وظل الحال كذلك حتى اتصل تاريخها بالعالم الخارجى والذى حدث أن الأمبراطورية الرومانية الشرقية ارادت أن تسير فى طريق أختها الغربية لـكنها اعتبرت بمصير حملة اليوس جللوس وفـكرت فى انتهاج وسيلة أخرى للقضاء على بلاد العرب الجنوبية وهى التى كانت تلعب فى ذلك الوقت الدور الذى تلعبه مصر منذ أن شقت قناة السويس فيها فمصر تهيمن على شريان من أهم شرايين الملاحة الدولية كذلك بلاد العرب الجنوبية لمركزها الجغرافى الهام على البحر الأحمر والمحيط الهندى وحيث يوجد مضيق باب المندب ، فالامبراطورية الرومانية الشرقية كانت حريصة على إنتزاع هذه المـكانة وإعطائها لمصر ومختلف الولايات الرومانية الشرقية الاخرى التى تستطيع الافادة من مركزها الجغرافى وبخاصة فأن المسيحية كانت قد استقرت فى كثير من الولايات الرومانية الشرقية حتى اضطر القيصر قنسطنطين عام ٣١١ م . إلى السماح بانتشار المسيحية فى بلاده ولم يأت عام ٣٧٥ م . حتى اعترف بها كدين رسمى للامبراطورية الرومانية الشرقية .

استقرت المسيحية فى الهلال الخصيب واتخذت من مدينة الرها مركزا رئيسيا لهـا كما امتدت دعايتها إلى الحيرة وغسان وحدث فيما يرجع أن أحد المبشرين المسيحيين من أبناء سوريا قام بحملة تبشيرية إلى بلاد الحبشة وقد بلغها فيما يظن حوالى عام ٣٢٠ م . ونجح فى مقابلة النجاشى وأقنعه بالعقيدة الجديدة فآمـن النجاشى بالمسيحية ولم تمض عشر سنوات على انتشار المسيحية هناك حتى عين أول أسقف فى بلاد الحبشة وهو يدعى (فرومنتيوس Frumentius) ومن هنا نتبين كيف أن المسيحيين السوريين قد نشطوا فى سبيل نشر المسيحية بين القبـائل

العربية وتاريخ المسيحية يحدثنا أن مبشراً سوريا آخر يدعى (فيون Phemion) نجح فى تنصير عدد من سكان بلاد العرب الجنوبية كما أقام كنيسة فى نجران وقد كان ذلك حوالى منتصف القرن الرابع الميلادى . والأسقف (فرومنتيوس) لم يكن رجل دين فحسب بل كان داعية سياسيا للاستعمار البيزنطى أيضاً فحوالى عام ٣٥٠ م أقنع النجاشى (عزانا) بوجوب اعتناق المسيحية فآمن النجاشى بها كما جعلها الدين الرسمى لبلاده لا فى القارة الأفريقية فقط بل فى بلاد العرب الجنوبية أيضاً التى كان قد استولى عليها سلفه (آل عميد) حيث كان يلقب بلقب ملك أكسوم وحمير وذوريدان وحبشة وسبأ وسلح وتهامة . ويعتقد المؤرخون أنه حوالى عام ٣٧٥ م تمكن العرب الجنوبيون من طرد دلأحباش وعاد عرش سبأ إلى أحد أبنائها مرة أخرى واسمه (ملك كريب يوهنعم) . وقد أشار إلى هذا الحادث نقش عربى قديم عثر عليه فى مارب .

والآن تواجهنا حقيقة أخرى وهى إذا كان (ملك كريب يوهنعم) قد استرجع عرش بلاده عام ٣٧٥م . فإن نقشاً آخر يرجع إلى عام ٤٥٠ م . يتحدث عن حفيده (شر حبيل) الذى جلس على عرش البلاد وقام بكثير من الإصلاحات الهامة وبخاصة فى سد مارب بعد أن أتلفته الفياضانات (وشرحبيل يعفر) هذا هو ابن (أب كريب اسعد) : وكان فيما يرجح يدين مثل جده بالعقيدة التوحيدية الجديدة والتى تتجلى فى عبادة المعبود (ذو سماوى) أى (سيد السماوات) .

ويحدثنا القصص العربى القديم أن ملكا يدعى (أب كريب أسعد) اشتهر قديماً تحت اسم آخر وهو (أسعد الكامل آل تبع) رحل إلى يثرب حيث استقبله اليهود ومن ثم اعتنق اليهودية ولما عاد إلى جنوب بلاد العرب أعلن اليهودية ديناً رسمياً للدولة ، ومازلنا إلى اليوم نعرف الدرب الذى سلكه هذا الملك والذى يعرف الآن باسم درب الفيل وقديماً (أسعد الكامل) وهو يربط بين اليمن وجنوب العربية السعودية . وسواء صحت هذه القصة أو لم تصح فالديانة اليهودية ظلت ديناً رسمياً لبلاد العرب الجنوبية طيلة حكم السبأيين المتأخرين لما أعنى من ٤٠٠-٤٥٢ م وآخر ملك يهودى هو ذلك المعروف باسم (ذى نواس) ويرجح أنه ملك من

٥١٠ — ٥٢٥ م وبوفاته انتهى تاريخ الأسرة السبأية اليهودية التى حكمت البلاد زهاء قرن ونصف قرن .

نعم كانت اليهودية طيلة ذلك العصر هى الديانة الرسمية إلا أن فترة الاحتلال الحبشى لم تنقض دون أن تترك أثراً فى عقائد البلاد فى منتصف القرن الرابع الميلادى . لقد ترك ذلك الاحتلال وبخاصة فى نجران بذوراً من المسيحية فتعاون الدينان السماويان على مطاردة الوثنية العربية القديمة واضطراها إلى الاحتماء بمكة . لكن يجب ألا يتبادر إلى أذهاننا أن الانسجام بين المسيحية واليهودية كان تاما فكثيراً ما اشتبك أنصارها فى نزاعات دموية ، ويحدثنا التاريخ أن بلاد العرب الجنوبية كانت فى أوائل القرن الخامس الميلادى مسرحاً لمذابح دينية . ففى عام ٥٢٢ م شن الملك اليهودى ذونواس حملة اضطهاد عنيفة نكل فيها بالمسيحين . لقد هاجم نجران وخير أهلها بين الردة أو القتل فتمسكوا بمسيحيتهم ، وكانت حادثة الأخدود التى سجلها القرآن الكريم فى سورة البروج إذ جاء (والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود إذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) فكان حادث الأخدود من الأسباب المباشرة التى أثارت غضب قيصر الأمبراطورية الرومانية الشرقية فاتصل بنجاشى الحبشة وطلب إليه ارسال حملة تأديبية إلى تلك الدولة اليهودية وقد تحققت أمنية القيصر وهزم الحبش ذا نواس وجيشه كما ثبتوا أصول المسيحية وجعلوا منها الديانة الرسمية للبلاد .

ويظهر أن المندوب السامى الحبشى كان يسمى (ارياط) ولم يكد يفرغ من ذى نواس حتى عين على عرش البلاد حميريا يسمى (سام يفع اشوع) ويرجح أنه كان مسيحياً ، وقد جاء ذكره فى كثير من النقوش حيث ورد أنه تولى حكم البلاد عام ٥٢٥ م وأنه استهل أحد هذه النقوش بعباره (باسم الرحمن وابنه يسوع المنتصر) ويرجح أن هذا الحاكم العربى الذى كان فى الواقع تابعاً لنجاشى الحبشة ظل فى منصبه حتى عام ٥٣٥ وحوالى ذلك الوقت ظهر (أبرهة) فعين أحد رؤساء كنده واسمه (يزيد بن كبشة) حاكما على كنده فتحدين الفرص وقاد ثورة

ضد (أبرهة) وانضم إليه (معد كريب) بن (سام يفع اشوع) وبعض الزعماء السبأيين الآخرين . لكن أبرهة انتصر على الثوار وبطش بهم ومن ثم انصرف إلى اصلاح ما أفسدته الثورة فى سد مارب وقد كان ذلك فى عامى ٥٤٢ و٥٤٣ م . وسجل أبرهة جميع هذه الأحداث فى نقش جاء فيه (بقوة وعظمة ورحمة الرحمن ومسيحه والروح القدس . أنا أبرهة وضعت هذا النقش كمندوب لملك الجمز (رحيس ذو بيمن) ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت وعربها فى الأماكن المرتفعة وتهامة . كما يحدثنا النقش أيضاً عن الثورة التى قام بها يزيد وهزيمته وترميم سد مارب وكيف أن الدولة انفقت نحو ٥٠٨٠٦ كيساً من الدقيق و ٣٦٠٠٠ حمل بلح و٣٠٠٠ جمل وثور و ٢٠٧٠٠٠ رأس ضأن اطعاما للعمال هذا إلى جانب وسائل النقل والحمل . كما أن السدكان يبلغ نحو ٤٥ ذراعا طولا و٣٥ ارتفاعا و١٤ سمكا كما جاء فى النقش حديث عن مرض تفشى فى البلاد وبخاصة بين العمال . وأخيراً نقرأ وصفاً للاحتفال الذى أقيم بمناسبة انتهاء العمل فى السد . وقد حضر هذا الاحتفال مندوب عن النجاشى وآخر عن قيصر بيزنطة وثالث عن فارس ، وآخرون يمثلون أمراء العرب المسيحيين من الأقطار الشمالية أعنى منذر الحيرة وحارث بن جبلة وابنه أب كريب من غسان .

فرغ ابرهة من الثورات وترمم سد مارب فانصرف إلى نشر المسيحية ومحاربة سائر الأديان الأخرى فى الجزيرة العربية فقوى ساعد مسيحى بلاد العرب الجنوبية واتخذ من نجران مركزا رئيسيا لحملته الدينية فنجد جماعة مسيحية فى صحراء اليمامة فى منتصف الطريق بين اليمن والحيرة وكذلك فى يثرب وعلى امتـداد الطريق التجارى إلى فلسطين وسوريا لكن بالرغم من جميع هذه المجهودات ظلت الوثنية العربية قوية ومركزة فى مكة حيث الكعبة ولعل هذا من بين الأسباب الأخرى التى دعت ابرهة إلى القيام بحملته عام ٥٧٠م . والتى اندحرت أشد اندحار، وظلت الوثنية ، العربية قائمة حتى جاء النبى محمد صلوات الله عليه فقضى عليها الإسـلام وطهر البلاد العربية جميعها منها .

لكن جميع هذه المجهودات التى بذلها إبرهة الحبشى لم تثن العرب الجنوبيين عن محاولة التخلص من نير الاحتلال الحبشى البغيض فثاروا مرارا وتكراراً وأخيراً

لجأوا إلى التحالف مع دولة الفرس لتشد أزرهم أسوة بمناصرة القيصرية البيزنطية لنجاشى الحبشه فأرسل خسرو الأول حملة فارسية تحت قيادة (وهرز) فقضت بمعونة العرب على أبرهة وجيشه ونجح العرب فى استخلاص حريتهم وتحرير بلادهم من ربقـــة الاستعمار الحبشى . لكن الفرس استمرأوا الرعى وأقاموا فى البلاد فترة تقرب من الستين عاماً فكأنى بالعرب الجنوبيين قد استبدلوا استعماراً باستعمار فتذمر العرب وثاروا ، وظلت الأمور تسير على هذه الوتيرة حتى توفى عام ٥٧٩ م خسرو أنو شروان ، وفى عام ٥٩٠ م تولى حفيده خسرو برويز فتطورت الأحوال من سيئ إلى أسوأ ، وفى أواخر القرن السادس الميلادى بعث الله محمداً العربى بالهدى ودين الحق فحرر البلاد العربية من أقصاها إلى أقصاها من الاستعمار الأجنبى ووحدها توحيداً لم تعرفه من قبل وخلق منها فى فترة وجيزة من الزمن إمبراطورية قلما عرف العالم مثلها والحقيقة التى يهمنا ذكرها أنه فى القرن السابع الميلادى انتصرت فارس على بيزنطة فأضعفتها . لكن لم تلبث الإمبراطورية الرومانية الشرقية طويلا حتى استردت مكانتها الأولى أيام القيصر (هيرقليوس) كما قتل عام ٨٦٣ م خسرو الثانى على يد ابنه ، فكان هذا إيذاناً بضياع الإمبراطورية الساسانية ، وأول ما تداعى منها بلاد العرب السعيدة حيث نجد حاكمها الفارسى (بازان) يعتنق الإسلام ، ومن ثم تسلم البلاد النبى محمد صلوات الله عليه ، وهكذا استسلم آخر حصن من حصون الوثنية العربية وانتشر رسل النبى داخل الجزيرة وخارجها يدعون إلى الإسلام .

كشاف الرسوم والخرائط

١٧ — جلازر ١١٤٧ جزء من نقش سبأى محفور (حجر جيرى) متحف فينا رقم ١٤ شكل ٧)

١٨ — آثار صغيرة من مجموعة جلازر . ثقل برنزى وخاتم حجرى متحف فينا رقم ٤٨ و ٥١

١٩ — قطعة نقد فضية عربية جنوبية ، متحف فينا رقم ٥٢ و ٥٣

٢٠ — خريطة تبين خط سير البعثة الألمانية الأكسومية .

٢١ — جزء من نقش سبأى من الحبشة وهو من النوع المحفور ارتفاعه ٢١٫٥ سم (البعثة الألمانية الاكسومية ج ٤ رقم ١) .

٢٢ — مسند عرش حبشى قديم قدم الآلهة الوثنيين وهو من الحجر الرملى وارتفاعه ١٣٤ سم . البعثة الألمانية الأكسومية ج ٤ رقم ١٠ شكل ٤

٢٣ — يوليوس أويتنج .

٢٤ — جزء من نقش معينى شمالى من العلا . جوسين وسافنياك البعثة الأثرية ج ٢ الأطلس اللوحة ٧٦ رقم ٢٤ ا و ب قارن اللوحة ١٠١ عن أويتنج ٥٥ .

٢٥ — نافورة مياه من خرائب العلا . جوسين وسافنياك البعثة الأثرية ج ٢ الأطلس اللوحة ٣٦ رقم ١ .

٢٦ — نقش لحيانى . جوسين وسفنياك البعثة الأثرية ج ٢ الأطلس اللوحة ٨٠ رقم ٤١ .

٢٧ — نقش لحيانى . جوسين وسافنياك البعثة الأثرية ج ٢ الأطلس اللوحة ٨٢ رقم ٤٩ .

٢٨ — خربشة ثمودية من بلاد العرب الشمالية عن أويتنج او ليتمان حل الكتابات الثمودية ١٩٠٤ اللوح ٣ منشورات جمعية الشرق الأدنى العام التاسع المجلد ١ .

٢٩ — نقش صفوى . أنوليتمان نقوش سامية نيويورك ولندن ١٩٠٥ الفصل الخامس ص ١٣٨ رقم ٢٤ .

٣٠ — تمثال من سيناء وعليه الأبجدية الجديدة .

٣١ — نقش سينائى عن جاردينر وبيت نقوش سيناء ١٩١٧ .

٣٢ — نقوش فى حائط كحلان تمنع (قرارات مجمع فينا مجلد ٢٠٠ البحث الثانى .)

٣٣ — عمود من مارب عن رسم لادورد جلازر .

٣٤ — عمود من حاز عن رسم لادورد جلازر .

٣٥ — عمود مدرج من صرواح عن رسم لادورد جلازر .

٣٦ — قمة عمود كورينثية من منكت عن رسم لادورد جلازر .

٣٧ — قطع معمارية من منكث عن رسم لادورد جلازر .

٣٨ — تخطيط للمنطقة المحيطة بمدينة مريب القديمة .

(ا) قرية مارب الحديثة .

(ب) أم القيس .

(حـ) مسجد سليمان .

(ى) حرم بلقيس .

(هـ) عمائد .

(و) أعمدة فى الجهة الشرقية من الناحية الجنوبية الشرقية من الروث .

(ز) بناء قديم بدون تخصيص .

(ح) معبد .

(ط) سور قديم لمدينة مريب .

(ى) وادى ضنه .

تخطيط أدورد جلازر ورسم أدولف جروهمان .

٣٩ — معبد يحا .

(ا) محاولة لإعادة بنائه من الخارج .

(ب) محاولة لإعادة تخطيطه .

عن البعثة الألمانية الأكسومية جـ ٢ ص ٨٠ شكل ١٠٥ و ١٠٠ .

٤٠ — زخرفة على حائط من معبد يحا . عن البعثة الألمانية الأكسومية ج٢ ص٨٣ شكل ١٧٤ و١٧٥ .

٤١ — تخطيط لمعبد صرواح عن رسم لادورد جلازر .

٤٢ — مذبح للبخور من المجموعة الفنية التاريخية بفينا عن د . هـ . ملر بلاد العرب الجنوبية القديمة ص ٤٧ .

٤٣ — رسم بارز من المتحف العثمانى باستنبول . البعثة الألمانية الأكسومية ج ٣ ص ١٨ شكل ٣٥ .

٤٤ — رسم بارز من يحا . عن البعثة الألمانية الأكسومية ج ٣ ص ٨٦ شكل ١٩٠ .

٤٥ — رسم بارز من مدينة الكفار . جلازر ١٣٣ عن رسم الجلازر .

٤٦ — خرابة برج نقب الحجر . عن صورة لبعثة بلاد العرب الجنوبية للمجمع العلمى بفينا .

٤٧ — تخطيط لبناء على جبل نقوم . عن رسم لجلازر .

٤٨ — صهريج حميرى عند منوره بالقرب من ضمار (عن و . ب . هاريس رحلة فى اليمن شكل مقابل ص ٣٨) .

٤٩ — مخزن مقبرة عند حران (عن و . ب. هاريس ص ٢٧٦) .

٥٠ — نصب من مارب . جلازر ٤٣٦ عن رسم لجلازر .

٥١ — نصب من المجموعة بفينا .

٥٢ — رأس لتمثال من مارب (عن ى . هـ . موردتمان) .

٥٣ — غطاء (ماسك) للوجه من المجموعة الفنية التاريخية بفينا (عن د . هـ . ملر بلاد العرب الجنوبية القديمة ص ٦١) .

٥٤ — تمثال للسلف من المتحف الحكومى ببرلين .

٥٥ — تمثال للسلف للملك اوسانى (عن د . س . مرجوليوث) .

٥٦ — لوحة بارزة (عن ك . جنو) .

٧١— حصان سبأى من البرونز محفوظ فى تشنلى كيوشك باستنبول (عن أدولف جروهمان رموز الآلهة ص ٧٠ شكل ١٨٤)

٧٢— جمل للاهداء من البرونز فى المكتبة القومية بفينا.

٧٣— جزء من أفعى برنزية من المجموعات الفنية التاريخية بفينا (عن أدولف جروهمان رموز الآلهة ص ٧٣ شكل ١٩١)

٧٤— حجر كريم سبأى بالمتحف البريطانى بلندن (عن أدولف جروهمان رموز الآلهة ص ٤٠ شكل ٩١)

٧٥— حجر كريم سبأى فى المتحف البريطانى بلندن (عن أدولف جروهمان رموز الآلهة ص ٥٦ شكل ١٤١)



أسماء الأماكن

المؤلفون والرحالة المعاصرون

الملوك

(ى)

أسماء الآلهة

فهـــــرس

الآيات الواردة فى الكتاب المقدس والقرآن الكريم

الفهرس العـــــام

فهرس النقوش

و١٤٠٧ و ١٤١٠ و ١٤١٢ و ١٤١٣
١٤١٥٠ و ١٤٢٦ و ١٥٤٦ و ١٥٤٨
و ١٥٤٩ و ١٥٧١ و ١٥٧٢
و١٥٨١ و ١٥٩٤ و ١٥٩٩ و ١٦٠٠
و١٦٠١ و ١٦٠٢ و ١٦٠٤ و ١٦٠٥
و١٦٠٦ و ١٦٠٩ و ١٦١٠ و ١٦١٢
و١٦١٨ و ١٦١٩ و ١٦٢٣ و ١٦٦١
و١٦٩٣

لندبرج

٤

لنبجر

١ و ٢ و ٧ و ١٠ و ١٢ و ١٤
و ١٥

لوفر

٥ و ٤٥٤١

مرسيليا

١

ميلز

٦

متحف برلين

٥٩٣ و ٥٩٥ و ٥٩٦ و ٦٠٤
و٦٠٩ و٦٣٩ و٦٤٩ و٦٥٣ و ٦٥٧
و ٦٧٢ و ٦٨٥ و ٧٤٣

المتحف البريطانى

٦

مجموعة النقوش الساميه

٦ و ١٣ و ٣٧ و٤٠ و٦٩ و٧٤
و٧٥ و٩٥ و٩٩ و١٨١و١٨٢و١٨٧
و ٣١٤ و٣١٥ و٣٣٤ و٣٦٣ و٣٩٧
و ٣٩٨ و٣٩٩ و٤١٨ و٤٢٨ و٤٥٥
و٤٨٨ و٥٣٧ و٥٣٩ و٥٤٠ و ٥٤١
و٥٤٤ و٥٥٧ و٥٥٨ و٥٥٩ و ٥٦٢
و٥٦٣ و٥٧١ و٥٧٢ و ٥٧٣

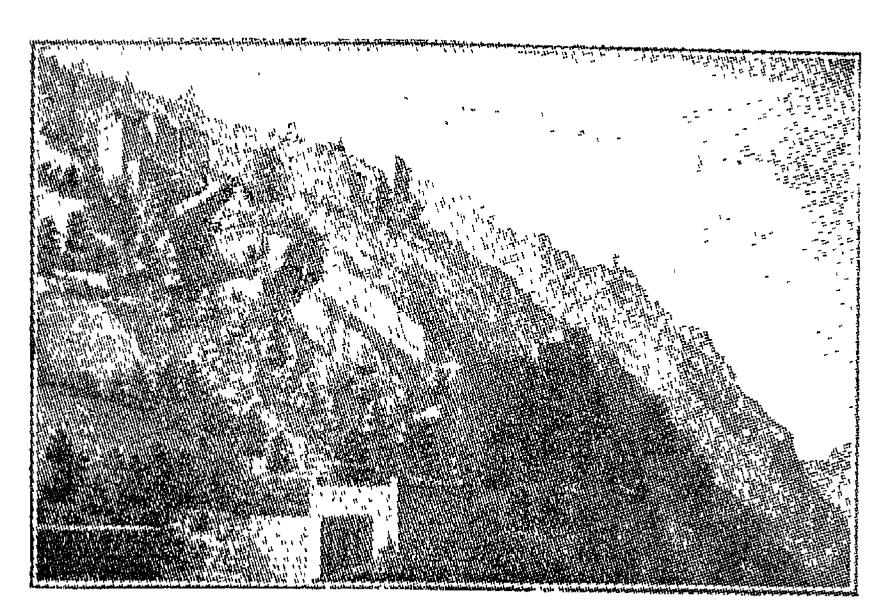




(١) الرحالة العظيم كارستن نيبور



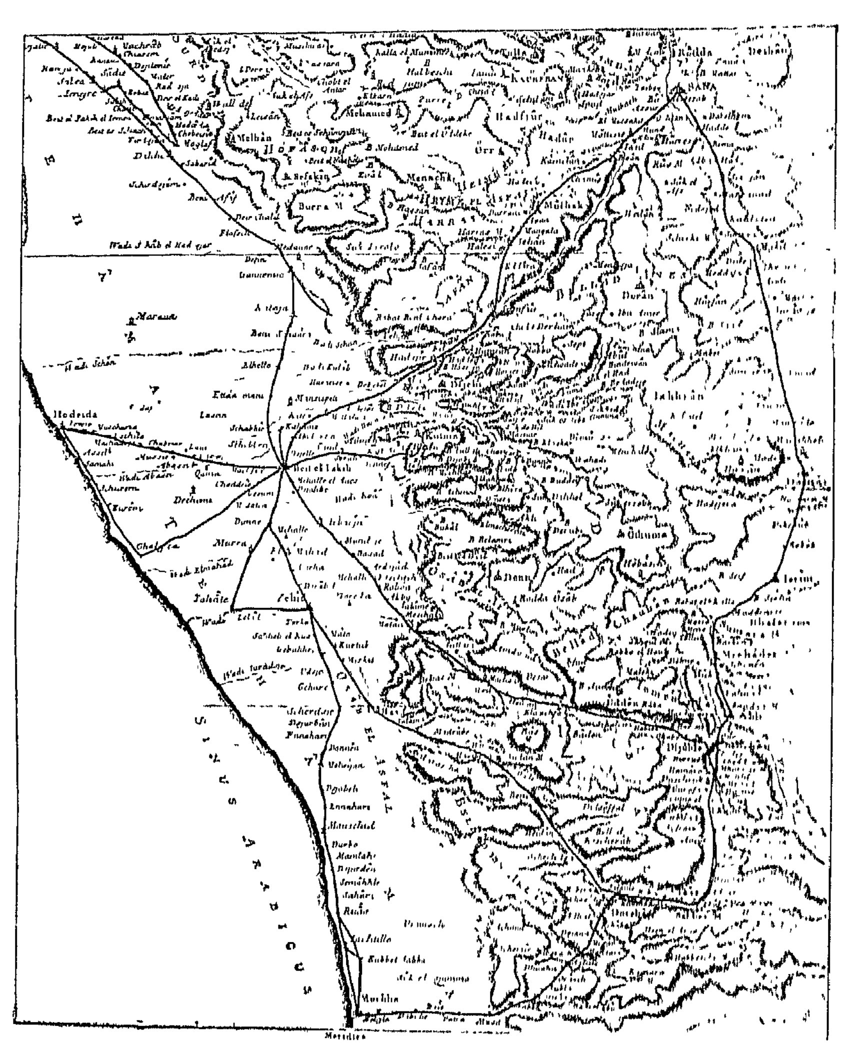
(٢) وجيه يمني (نيبور)



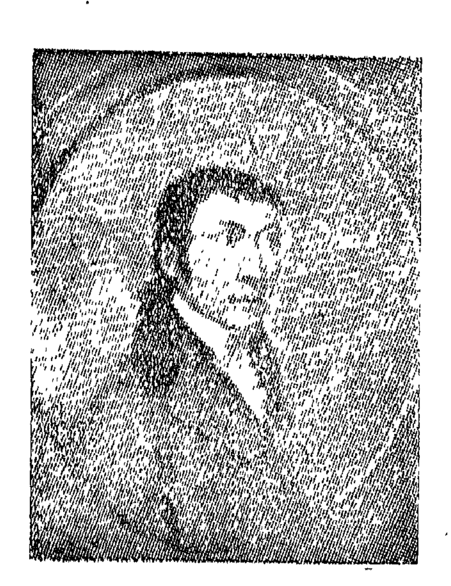
(٣) جبال بن ماخوذة عن (بورنفيند)



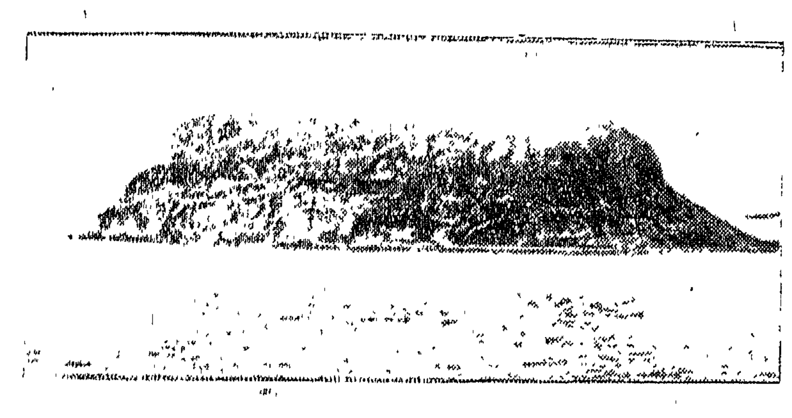
(٤) مدينة يريم عن (نيبور)



(٥) خريطة تبين اليمن وبها الطريق الذى سلكته بعثة نيبور



(٦) و . ى . ستزن



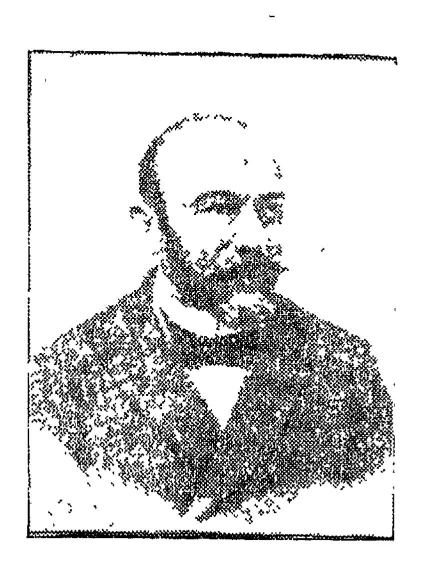
(٧) حصن الغراب

(٨) لوح لمعبد من عمران — المتحف البريطاني رقم ٧
(أو سيندر ٩ كوربوس رقم ٧٥)

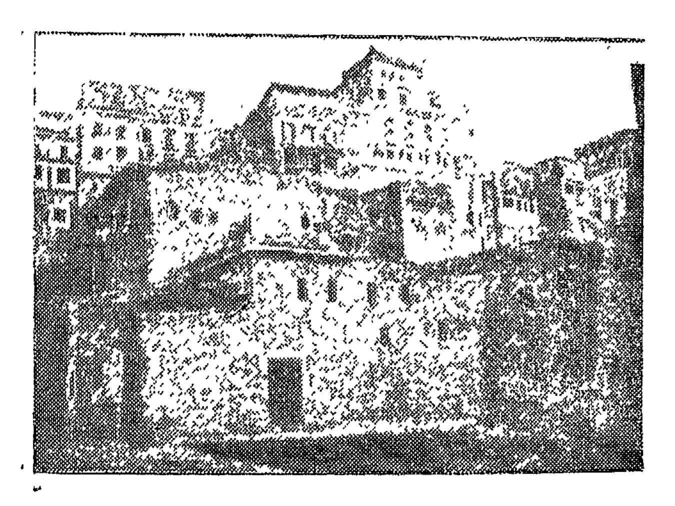


(٩) يوسف هليفى

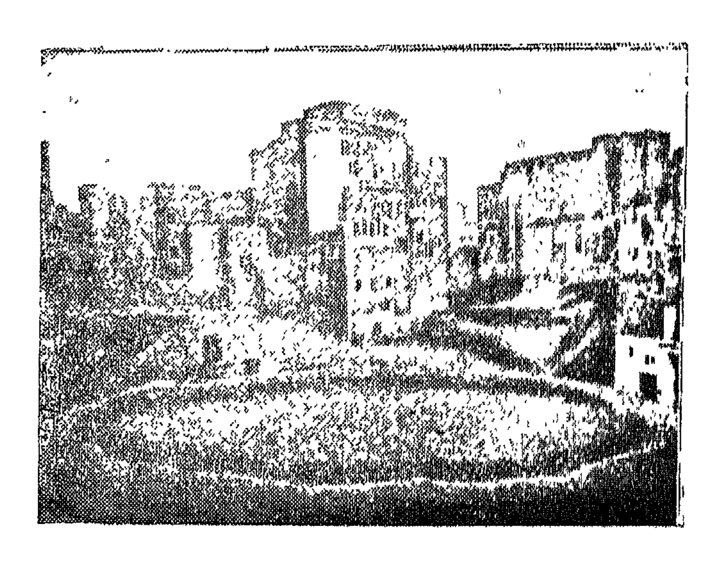
(٧٠) الطريق الذي سلكه هليفي في رحلته



(١١) ادورد جلازر

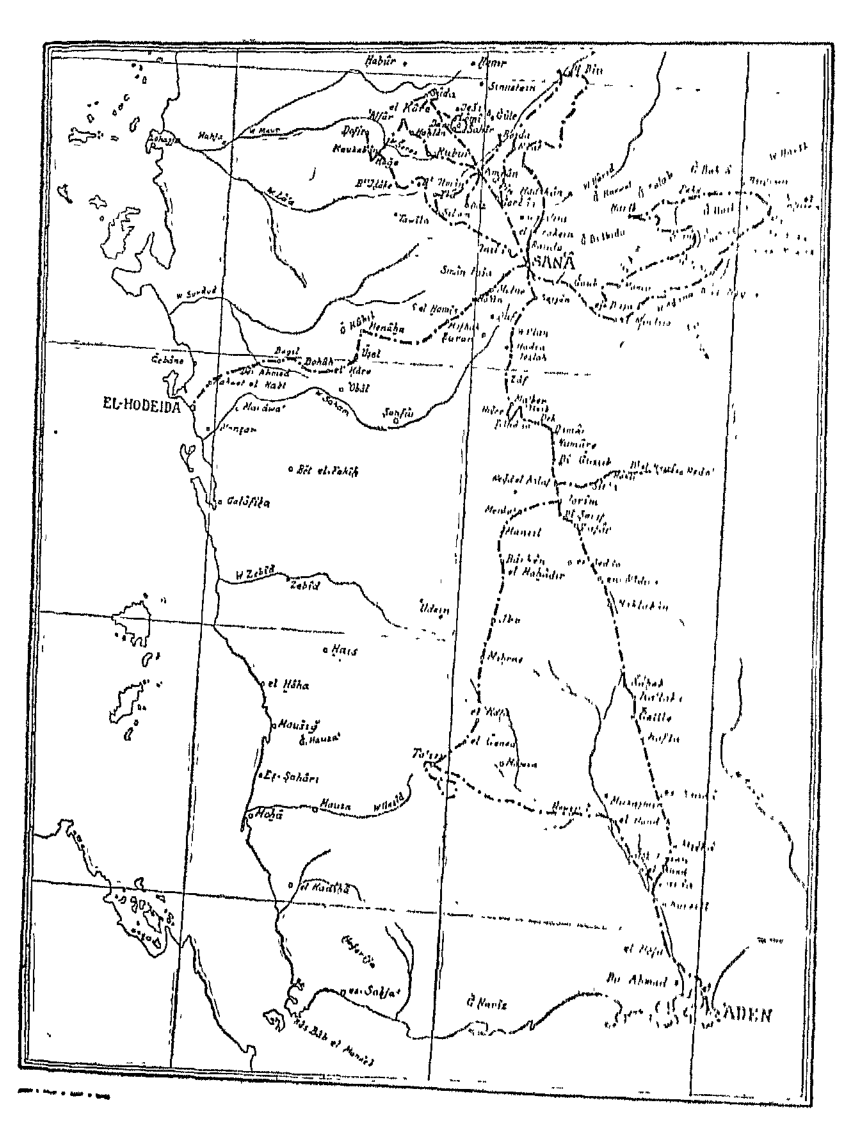


(١٢) خرائب برج غمدان فى صنعاء عن جلازر
(كوربوس ص ١ — ٤ شكل رقم ١)

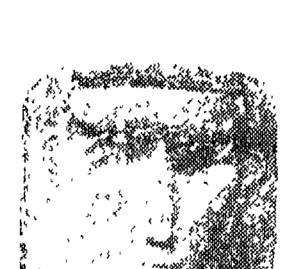


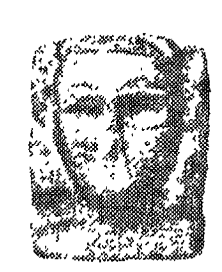
(١٣) برج جرقت القليس في صنعاء عن جلازر
(كوربوس ص ١ — ٤ شكل رقم ١)

(١٤) نقش جلازر رقم ١٦ نقش للتقرب إلى الآله تعلب ريام
(اللوفر ١٠، كوربوس ٢ شكل ٣)

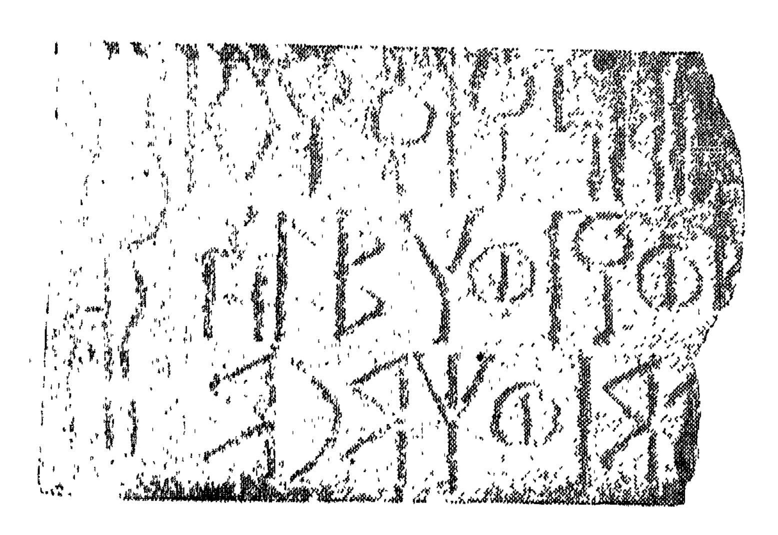


(١٥) خريطة تبين رحلات جلازر

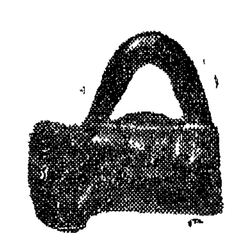




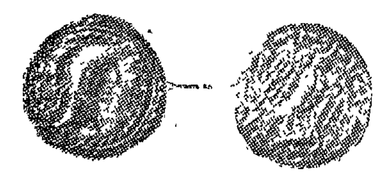
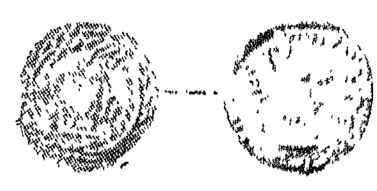

(١٦) رؤوس بارزة وجدت فى أحجار قبور عربية جنوبية متحف برلين رقم ٦ و ٥ و ٢٤٧٨ و ٢٧٠٤ نشرات المجموعات الشرقية عدد ٧ برلين ١٨٩٣ ص ٤٧ — ٤٨ شكل ٧)



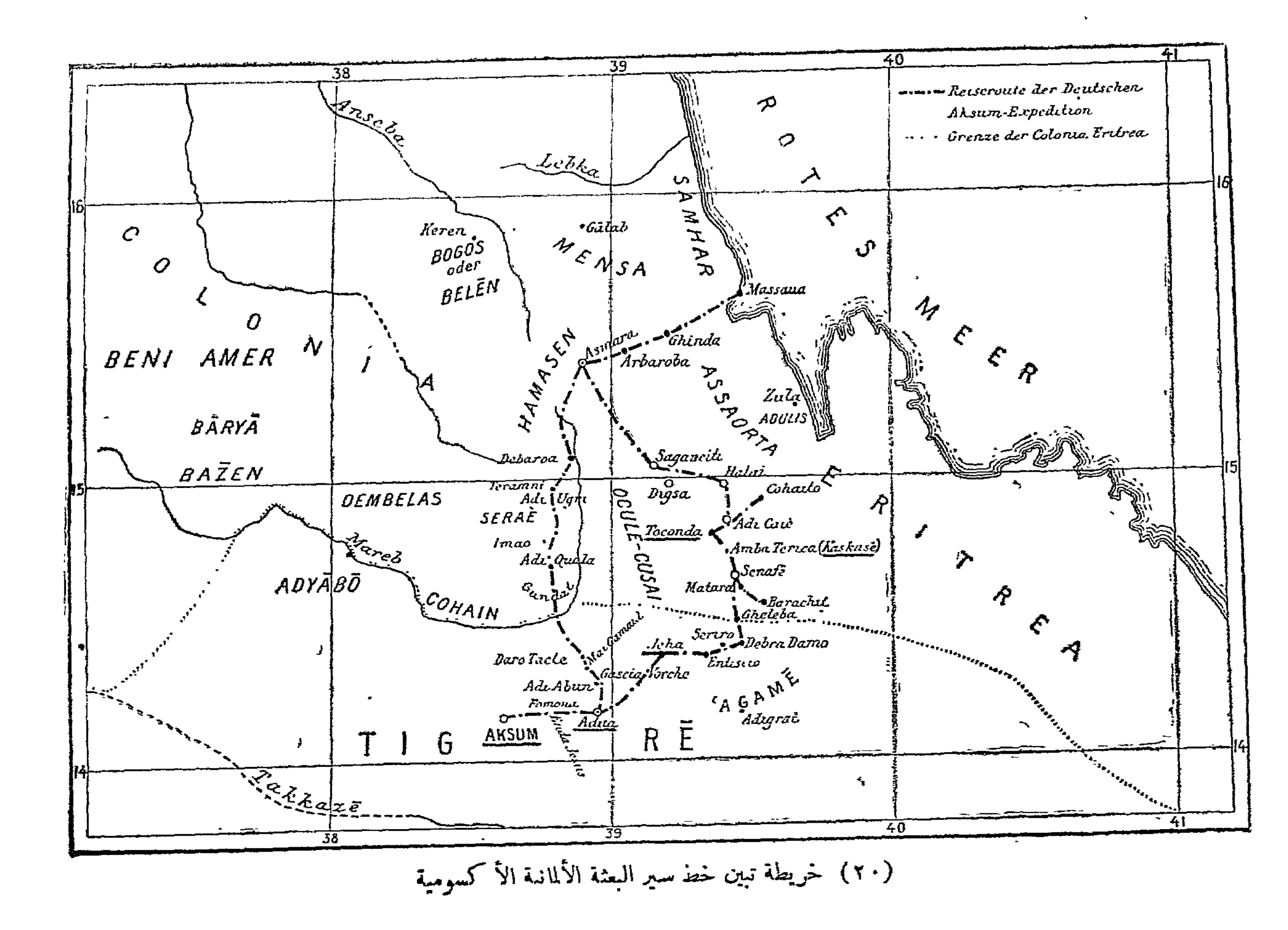
(١٧) جلازر ١١٤٧ جزء من نقش سبأى محفور (حجر جيرى)
(متحف فينا رقم ١٤ شكل ٧)



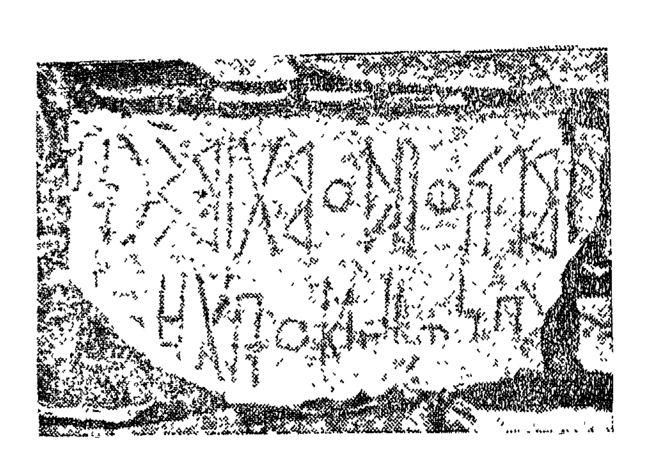

(١٨) آثار صغيرة من مجموعة جلازر
ثقل برنزي وخاتم حجري متحف فينا رقم ٤٨ و ٥١

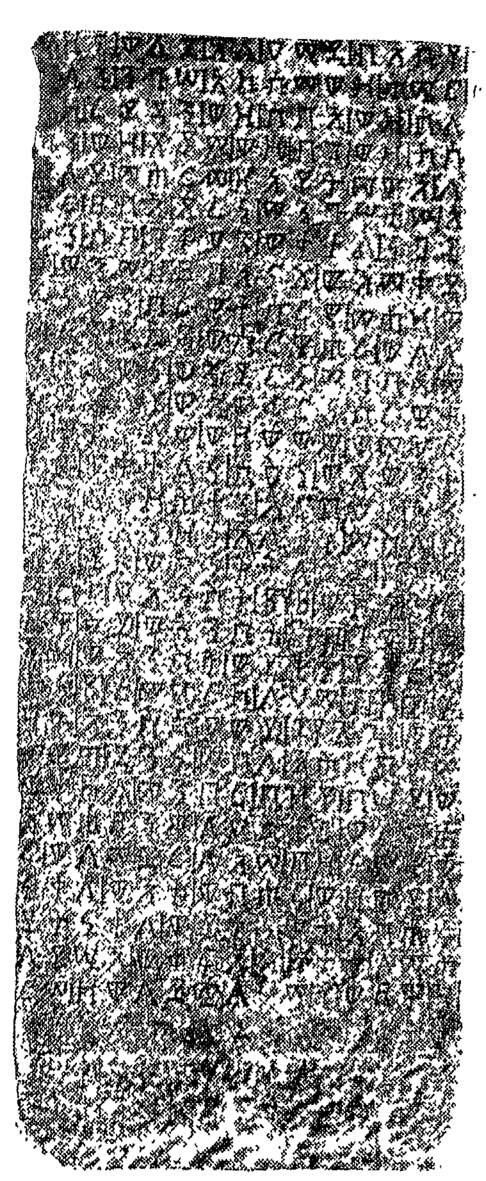
(١٩) قطعة نقد فضية عربية جنوبية ، متحف فينا رقم ٥٢ و ٥٣



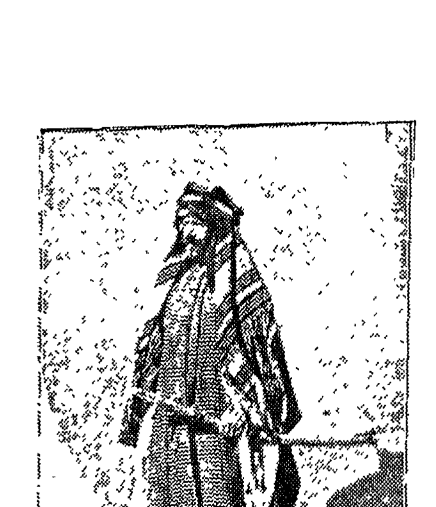
(٢٠) خريطة تبين خط سير البعثة الألمانية الأكسومية



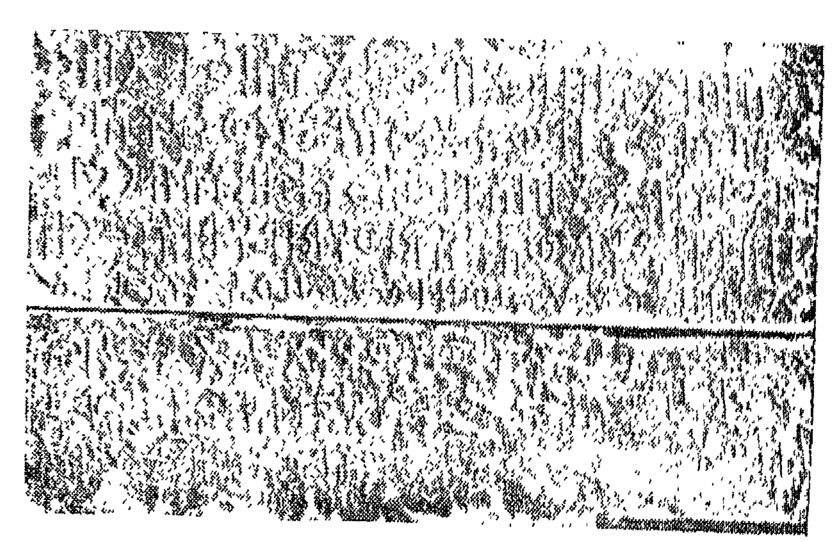
(٢١) جزء من نقش سبأى من الحبشة وهو من النوع المحفور ارتفاعه ٥و٢١سم
(البعثة الألمانية الاكسومية ج٤ رقم ١)



(٢٢) مسند عرش حبشى قديم قدم للآلهة الوثنيين وهو من الحجر الرملى وارتفاعه ١٣٤سم . البعثة الألمانية الأكسومية ج٤ رقم ١٠ شكل ٤



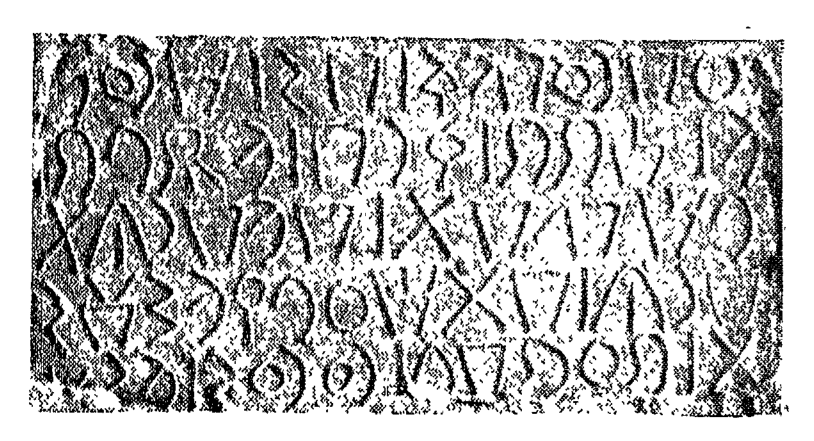
(٢٣) يوليوس أويتنج



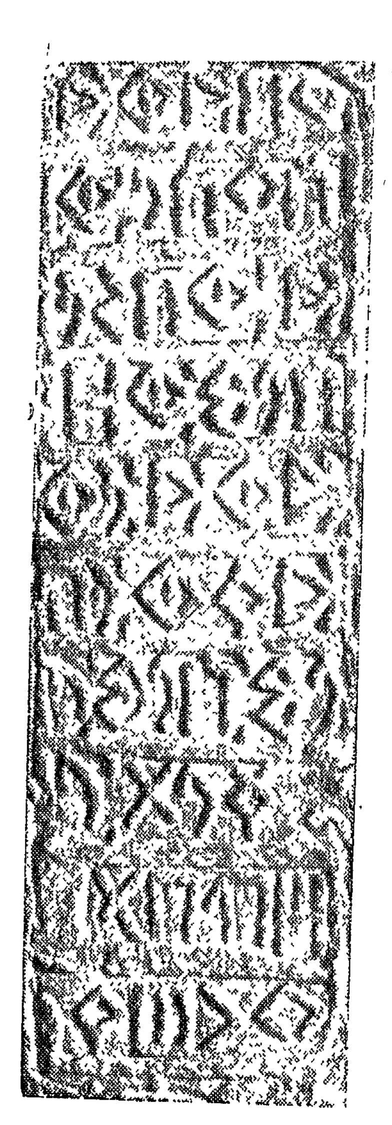
(٢٤) جزء من نقش معيني شمـال العلا . جوسين وسافنياك البعثة الأثرية جـ٢
الأطلس اللوحة ٧٦ رقم ٢٤ ا و ب قارن اللوحة ١٠١ عن أويتنج ٥٥



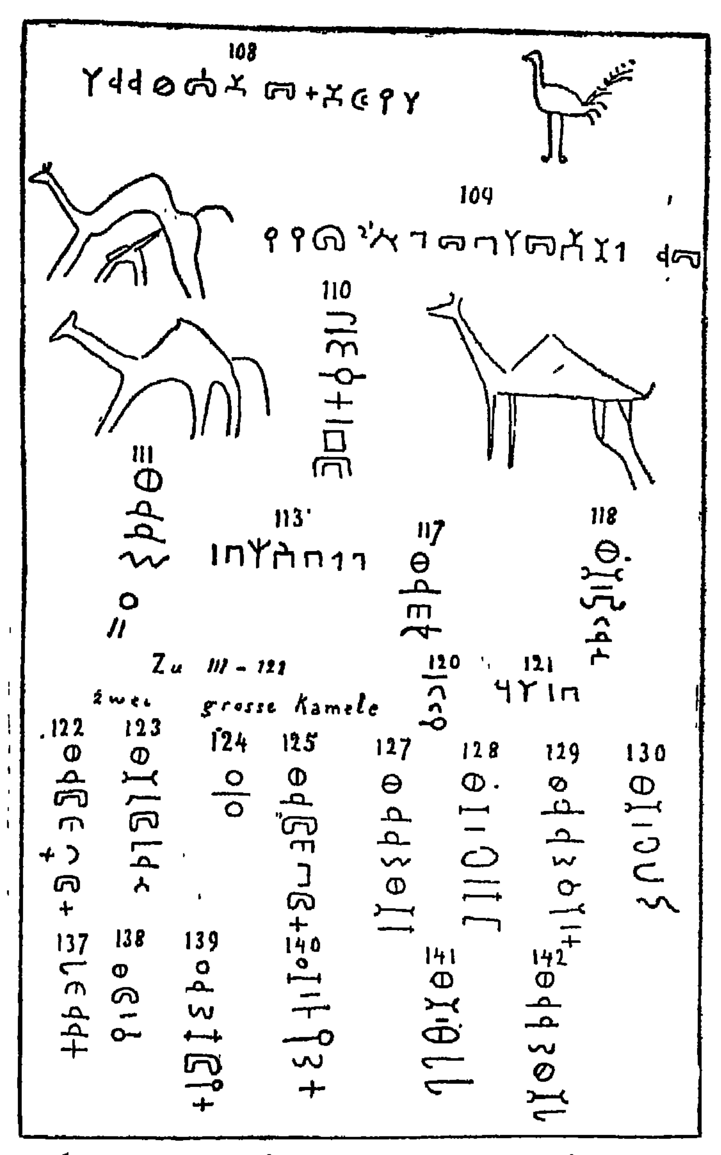
(٢٥) نافورة مياه من خرائب العلا . جوسين وسافنياك البعثة الأثرية حـ٢
الأطلس اللوحة ٣٦ رقم ١



(٢٦) نقش لحياني. جوسين وسفنياك البعثة الأثرية حـ٢ الأطلس اللوحة ٨٠ رقم ٤١



(٢٧) نقش لحيانى . جوسين وسافنياك البعثة الأثرية حـ٢ الأطلس اللوحة ٨٢ رقم ٤٩

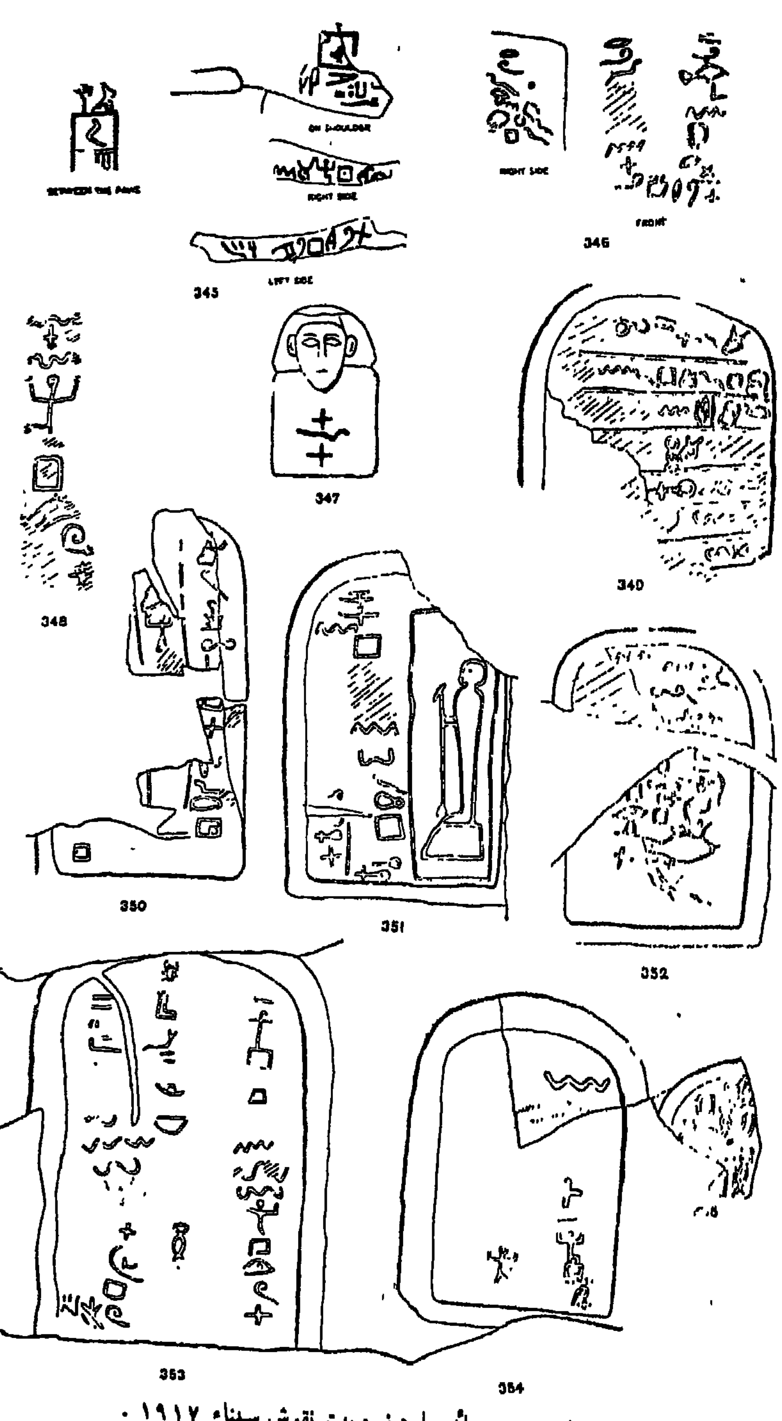


(٢٨) خربشة ثمودية من بلاد العرب الشمالية عن أويتنج انو ليتمان حول الـكتابات الثمودية ١٩٠٤ اللوح ٣ منشورات جمعية الشرق الادني العام التاسع المجلد ١

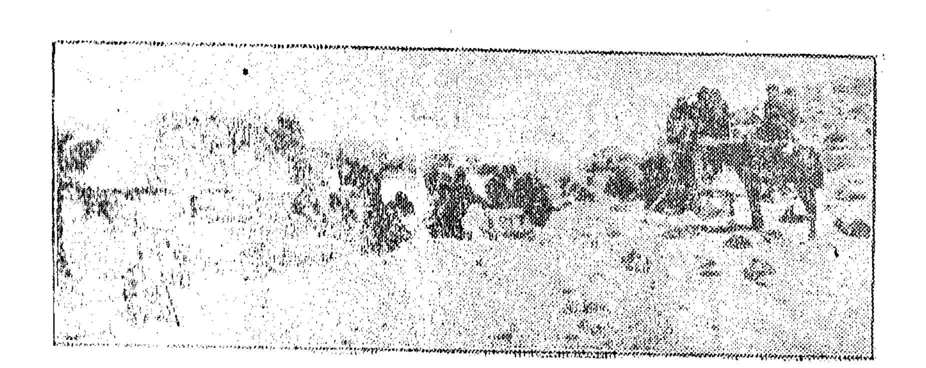


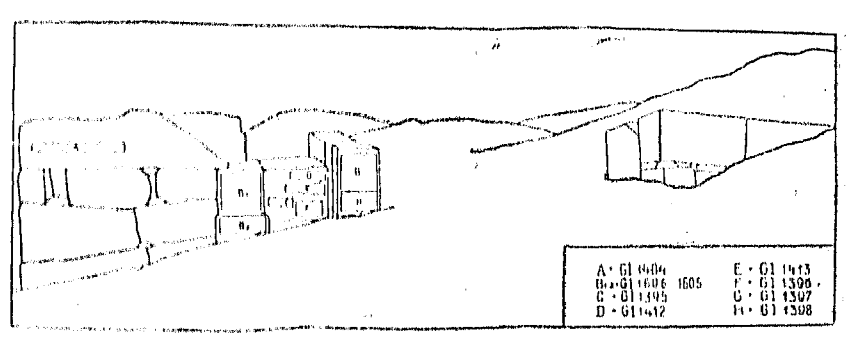
(٢٩) نقش صفوى . أنو ليتمان نقوش سامية نيويورك ولندن ١٩٠٥ الفصل الخامس ص ١٣٨ رقم ٢٤ .



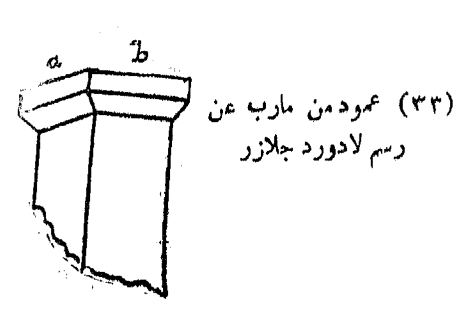


(٣١) نقش سينائى جارديز وبيت نقوش سيناء ١٩١٧ .

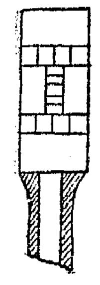




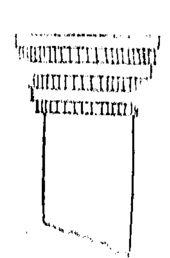
(٣٢) نقوش فى حائط كلان تمنع (قرارات تمم فينا مجلد ٢٠٠ البحث الثانى)



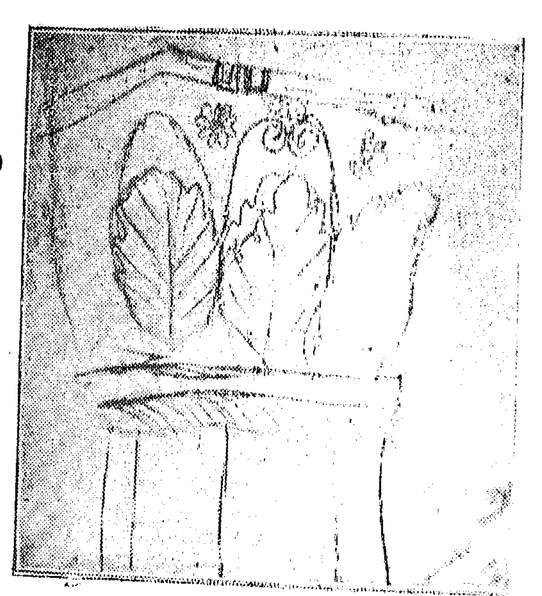
(٣٣) عمود من مارب عن
رسم لادورد جلازر



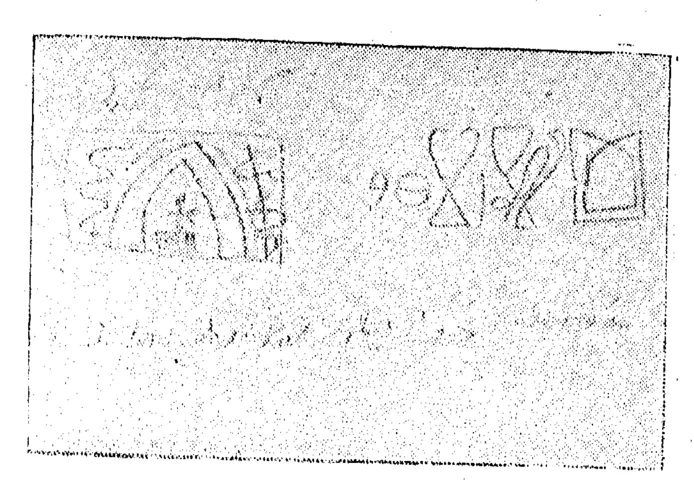
(٣٤) عمود من حاز عن
رسم لادورد جلازر



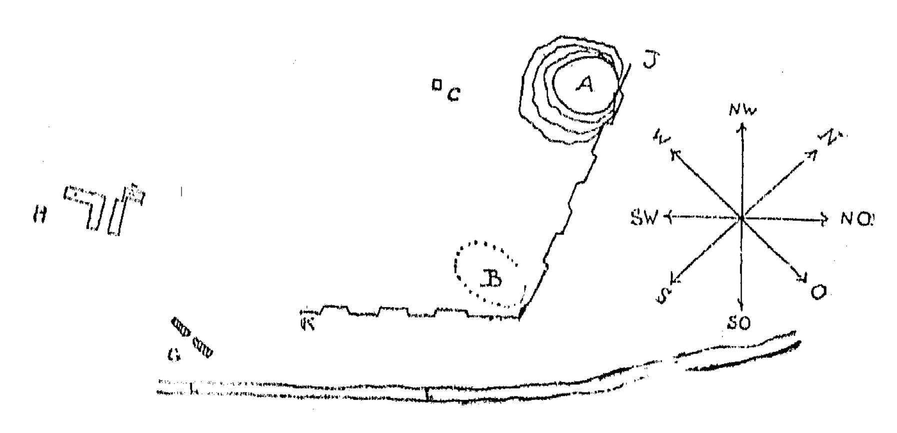
(٣٥) عمود مدرج من صرراح
عن رسم لادورد جلازر



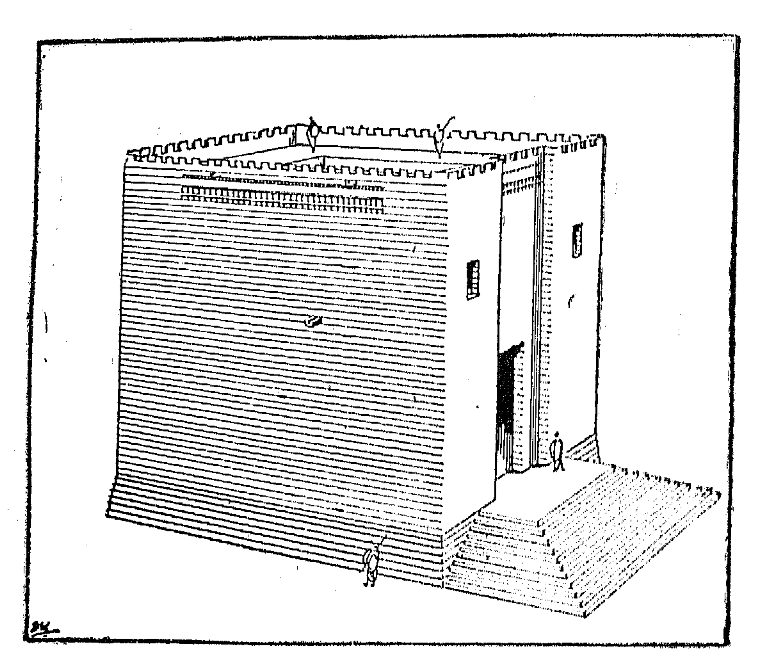
(٣٦) قة عمود كورينثيه من.
منكت عن رسم
لادورد جلازر



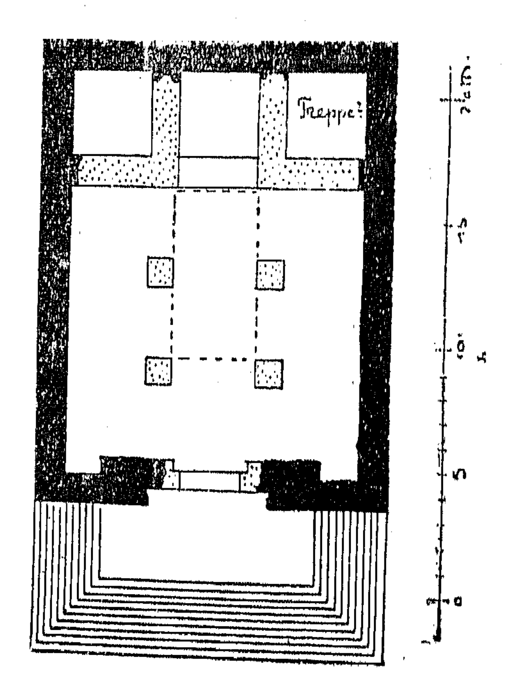
(٣٧) قطع معمارية من منكث عن رسم لادورد جلازر

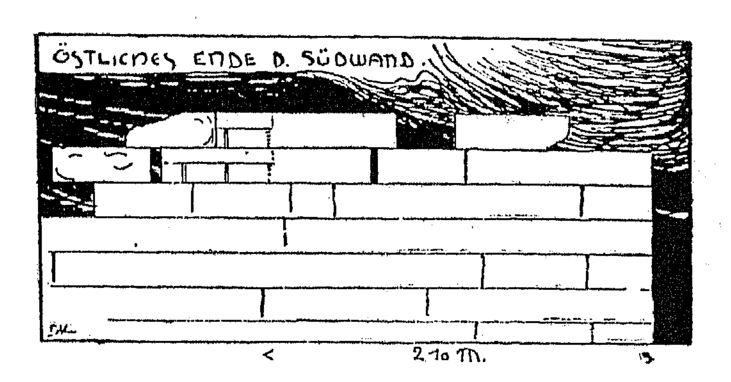


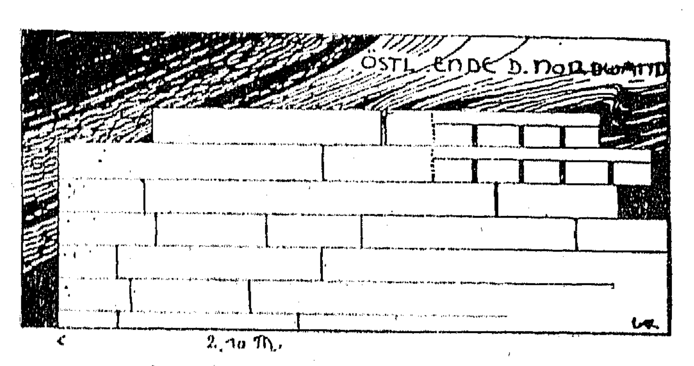
(٣٨) تخطيط المنطقة المحيطة بمدينة صريب القديمة



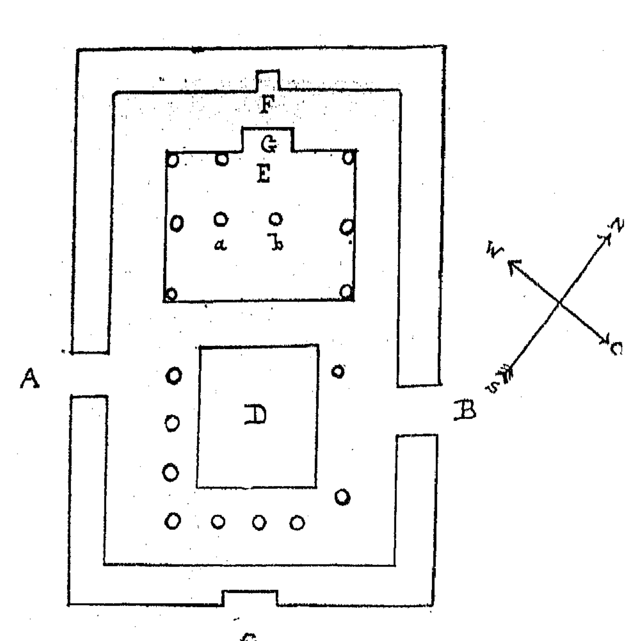
(٣٩) معبد يحا



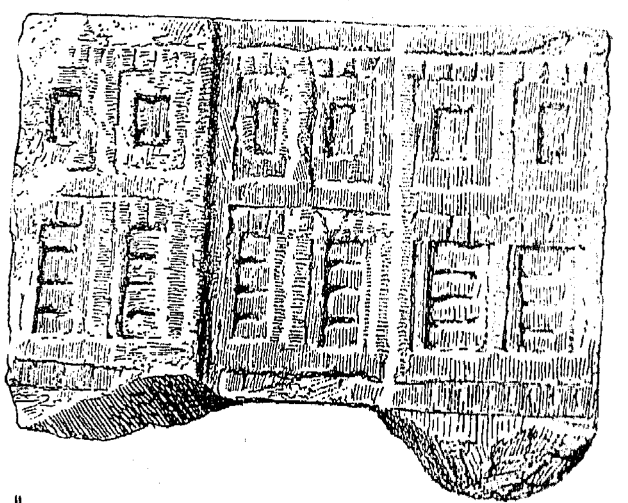




(٤٠) زخرفة على حائط من معبد يحا . عن البعثة الألمانية الأكسومية جـ٢ ص(٨٣ شكل ١٧٤ ، ١٧٥ و)

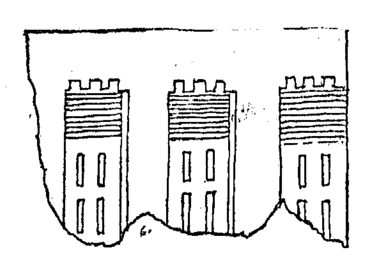


(٤١) تخطيط لمعبد صرواح عن رسم لادورد جلازر

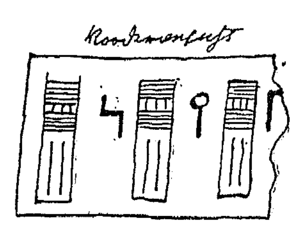


(٤٢) مذبح البخور من المجموعة الفنية التاريخية بفينا عن د. هـ. ملر بلاد العرب الجنوبية القديمة ص ٤٧

(٤٣) رسم بارز عن المتحف العثمانى باستنبول . البعثة الألمانية الأكسومية ح ٣
(ص ١٨ شكل ٣٥)

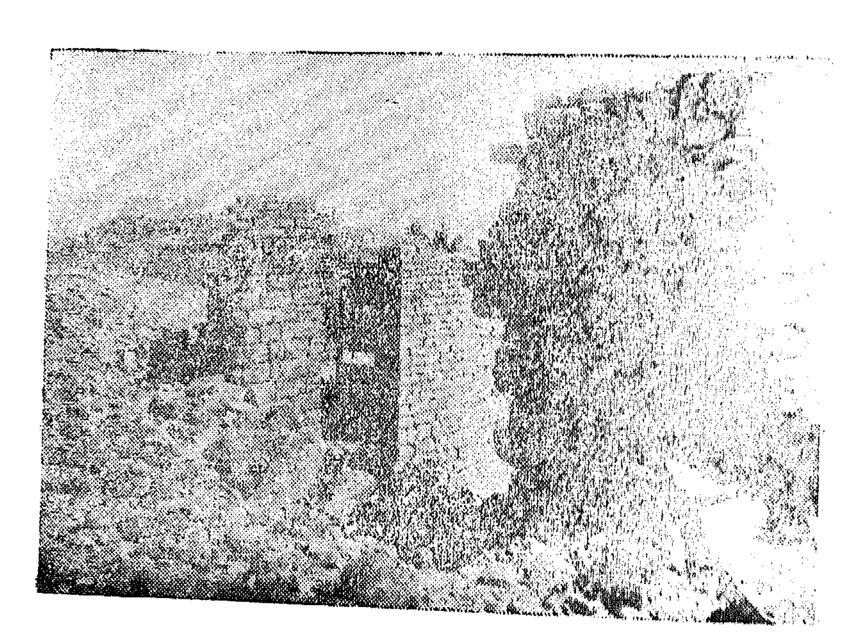


(٤٤) رسم بارز من يحا . عن البعثة الألمانية الأكسومية ج٣ ص٨٦ شكل ١٩٠

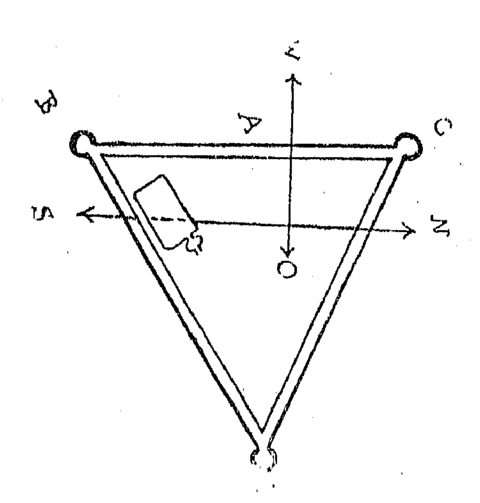




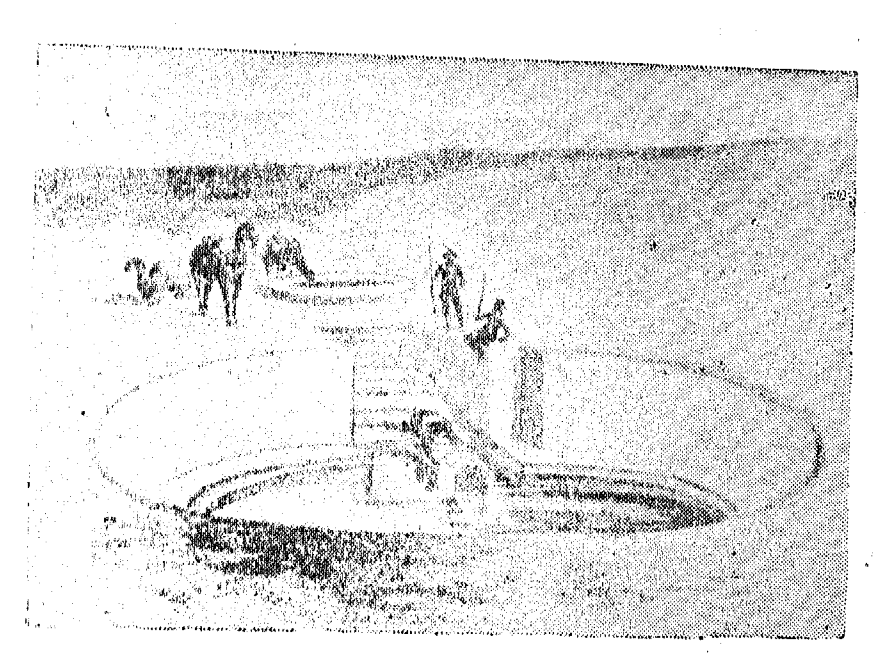
(٤٥) رسم بارز من مدينة السكفار . جلازر ١٣٣ عن رسم جلازر



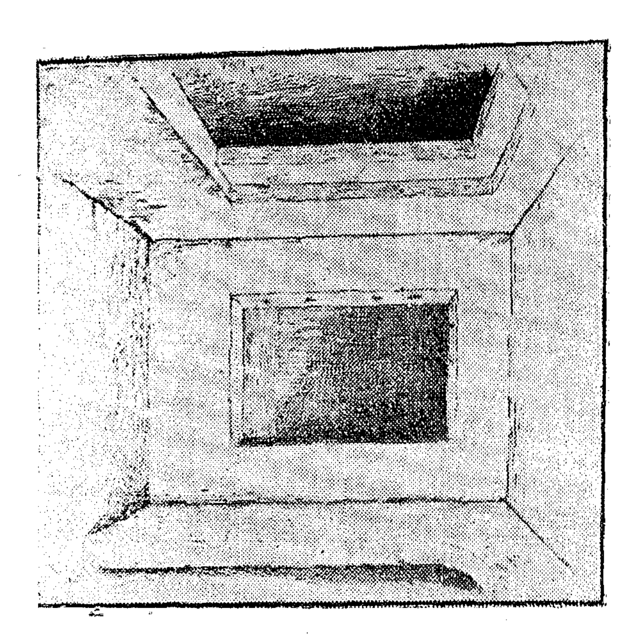
(٤٦) خرابة برج نقب الحجر . عن صورة لبعثة بلاد العرب الجنوبية للمجمع العلمي بفينا



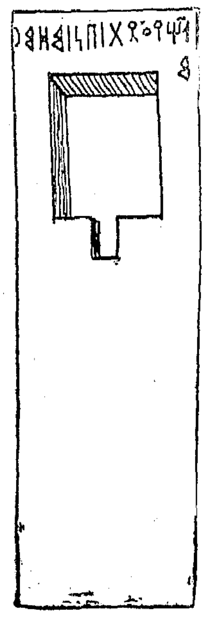
(٤٧) تخطيط لبناء على جبل نقوم - عن رسم جلازر



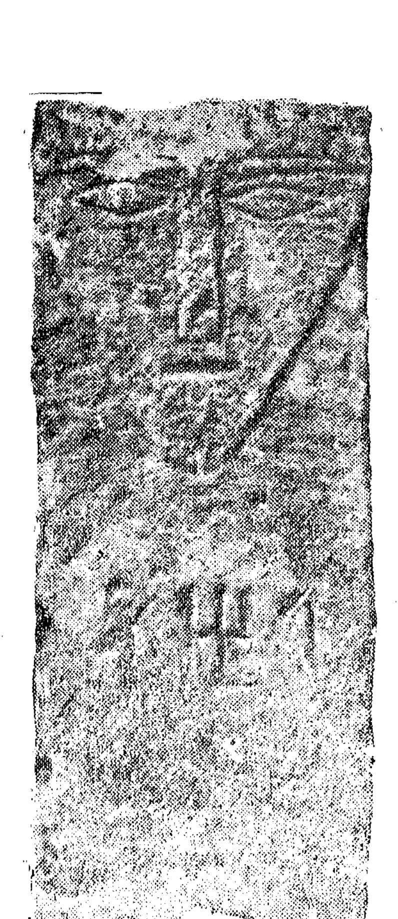
(٤٨) صهريج حميرى عند منوره بالقرب من ضمار (عن و . ب . هاريس
رحلة في اليمن شكل مقابل ص٣٨)



(٤٩) مخزن مقبرة عند حران (عن و . ب . هاريس ص ٢٧٦)



(٥٠) نصب من مارب . جلازر ٤٣٦ عن رسم جلازر



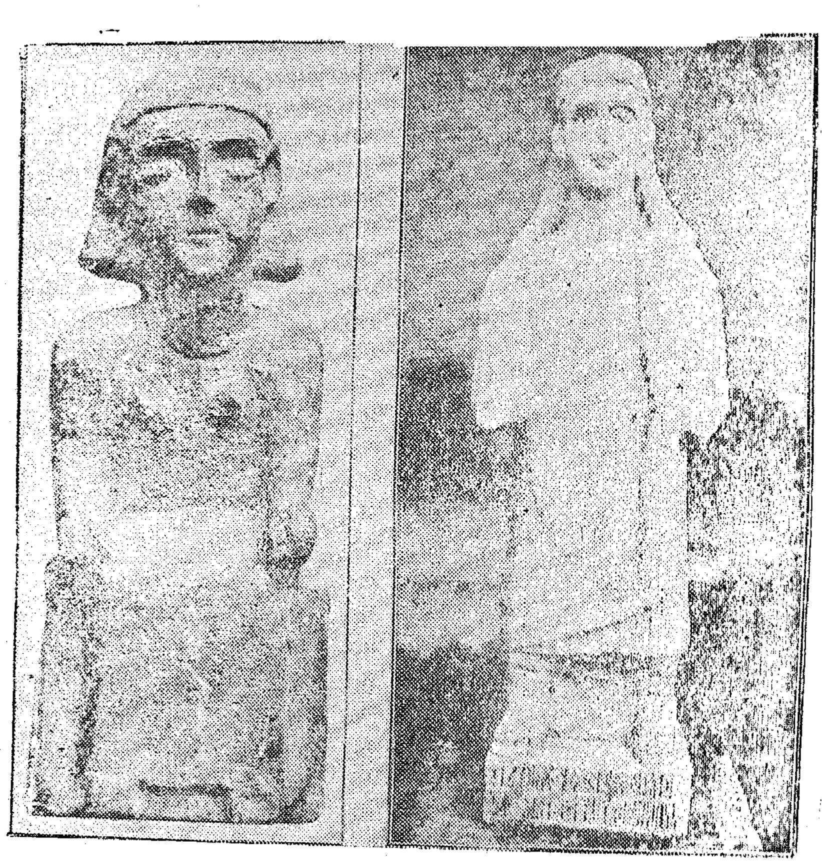
(٥١) نصب من المجموعة بفينا



(٥٢) رأس لتمثال من مارب
(عن ى . هـ . موردتمان)



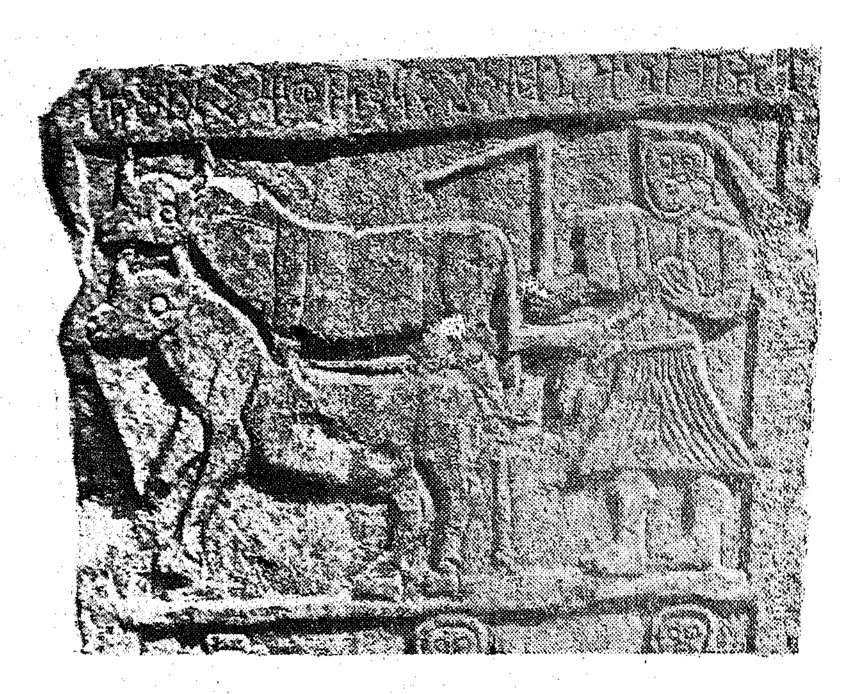
(٥٣) غطاء (ماسك)
للوجه من المجموعة الفنية
التاريخية بفينا (عن د. هـ.
ملر بلاد العرب الجنوبية القديمة س ٦١)



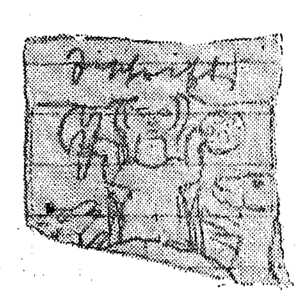
(٥٤) تمثال للسلف من المتحف
الحكومى ببرلين

(٥٥) تمثال للسلف الملك اوسانى
(عن د. س. مرجليوث)

(٥٦) لوحة بارزة (عن ك جنو)



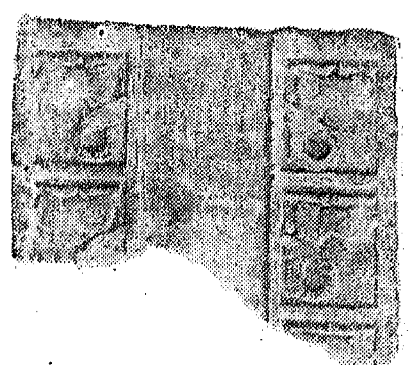
(٥٧) رسم بارز من مجموعة المجتمع العلمى للنقوش والفنون الجميلة بباريس
(عن هـ . دريندورج)



(٥٨) رسم بارز من مارب. جلازر
٧٣٨ (عن رسم لادورد جلازر)



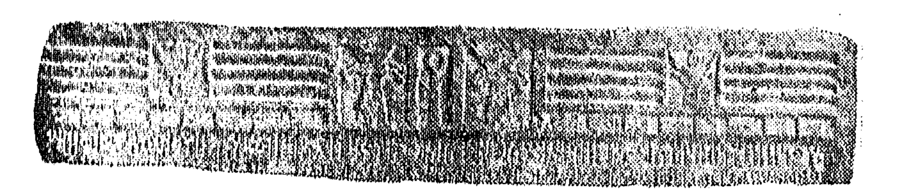
(٥٩) رسم بارز من المجموعة
الفنية التاريخية بفينا



(٦٠) لوحة بارزة من المجموعة الفنية التاريخية بفينا (عن أدولف جروهمان رموز الآلهة ص ٦٠ شكل ١٥٥)



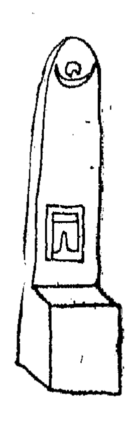
(٦١) رسم بارز بالمتحف العثمانى باستنبول



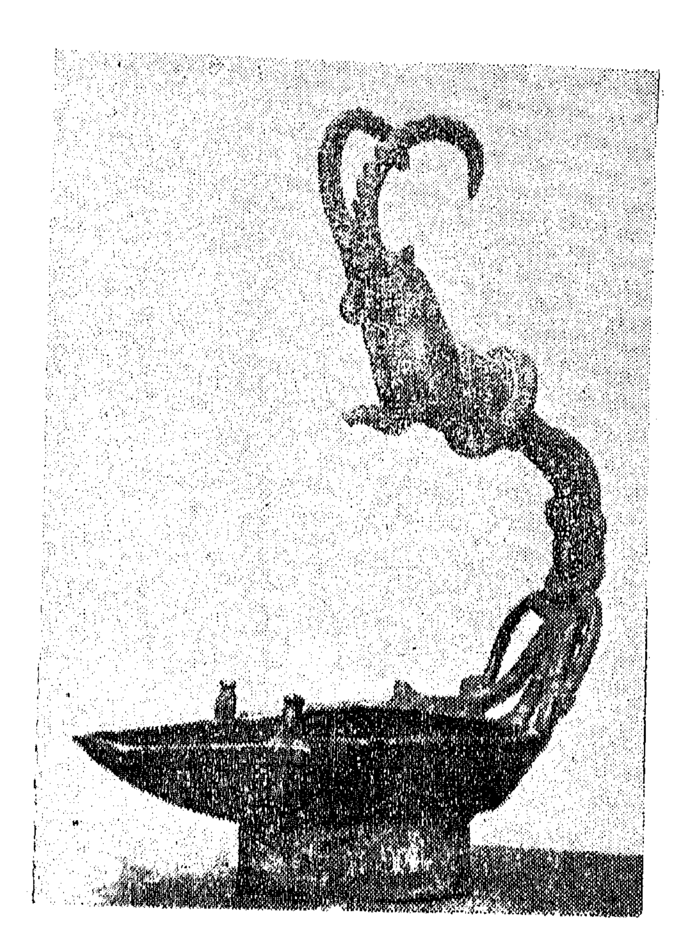
(٦٢) رسم بارز من حدقان : جلازر ٣٠٢ (عن أدولف جروهمان رموز الآلهة ص ٣٣ شكل ٦٨)



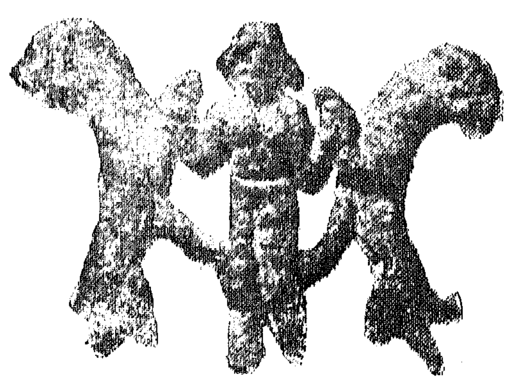
(٦٣) مذبح بمتحف مرسيليا (عن أدولف جروهمان رموز الآلهة ص ٣٩
رسم ٨٨)



(٦٤) مذبح من مارب . جلازر ٧٣٧ (عن أدولف جروهمان
رموز الآلهة ص ٣٨ شكل ٨٤)



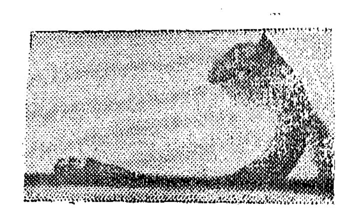
(٦٥) مصباح من البرونز من شبوه فى المجموعات الفنية التاريخية بفينا
(عن أدولف جروهمان رموز الآلهة ص ٦٠ شكل ١٥٤)



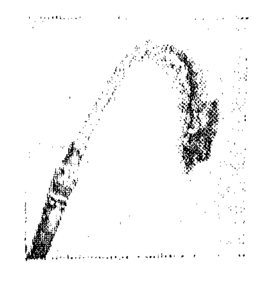
(٦٦) قطعة جبانة من البرونز من المجموعات الفنية التاريخية لفينا (عن
أدولف جروهمان رموز الآلهة ص ٦٨ شكل ١٧٩)



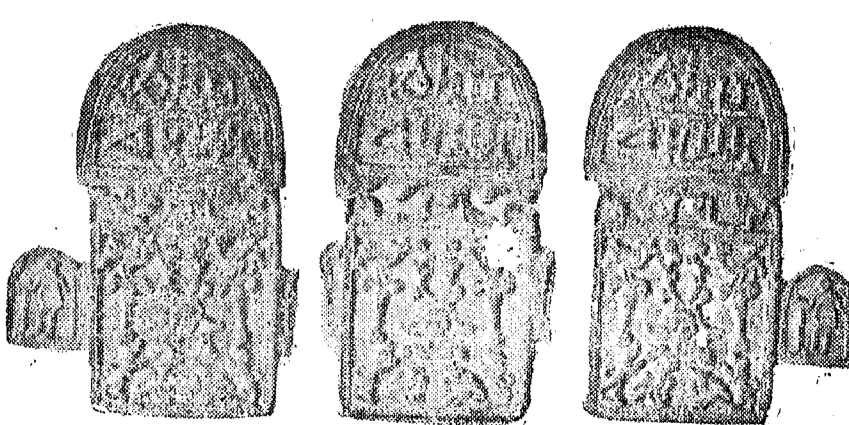
(٦٧) قفل من البرونز من المجموعات الفنية التاريخية بفينا (عن ادولف جروهمان رموز الآلهة ص ٥٨ شكل ١٤٩)



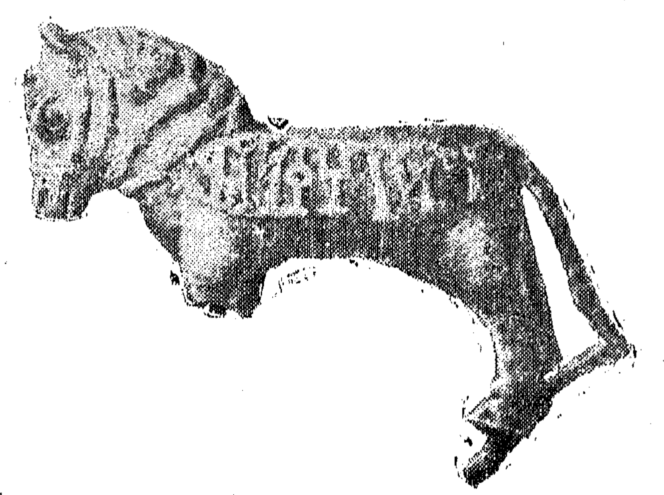
(٦٨) عصا من البرونز بمقبض يمثل تنينا من المجموعات الفنيــة التاريخية بفينا (عن أدولف جروهمان رموز الآلهة ص ٧٢ شكل ١٨٦)



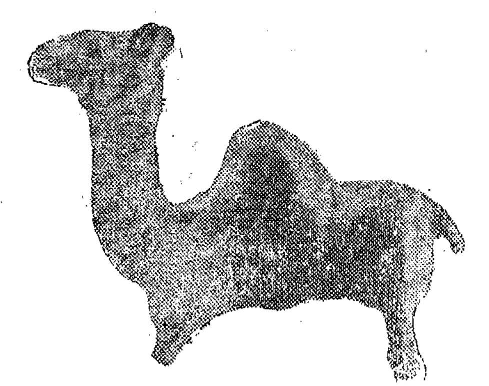
(٦٩) عصا من البرونز بمقبض يمثل أفعى تنينا من المجموعات الفنية التاريخية بفينا عن أدولف جروهمان رموز الآلهة ص ٧٣ شكل ١٩٢)



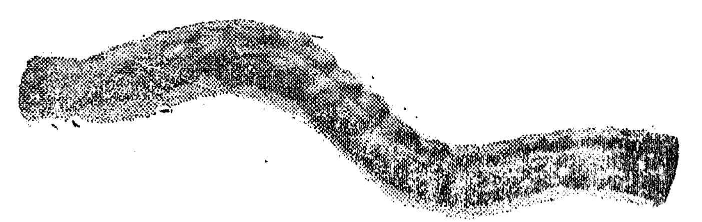
(٧٠) ألواح صغيرة من البرونز سبأية من الجاهلية من المجموعات الفنية التاريخية بفينا . جلازر ١٣٣٢



(٧١) حصان سبأى من البرونز محفوظ فى تشنلى كيوشك باستنبول (عن أدولف جروهمان رموز الآلهة ص ٧٠ شكل ١٨٤)



(٧٢) جمل للاهداء من البرونز فى المكتبة القومية بفينا



(٧٣) جزء من أفعى برنزية من المجموعات الفنية التاريخية بفينا (عن أودلف جروهمان رموز الآلهة ص ٧٣ شكل ١٩١)



(٧٤) حجر كريم سبأى بالمتحف البريطانى بلندن (عن أدولف جروهمان رموز الآلهة ص ٤٠ شكل ٩١)



(٧٥) حجر كريم سبأى فى المتحف البريطانى بلندن (عن أدولف جروهمان رموز الآلهة ص ٥٦ شكل ١٤١)

HANDBUCH

Der Altarabischen Altertumskunde

In Verdiadung mit.

Geheimrat Fr. Hommel, und Prof. Nik. Rhodokanakis.
München Graz.

Herausgegeben von

Dr. Ditlef Nielsen.

Kopenhagen

Mit Beitraegen von.

Prof. Adolf Grohmann und Geheimrat Enno Littmann.
Prag Tübingen.

1. Band

Die Altarabische Kultur Mit 76 Abbildungen

Paris Kopenhagen Leipzig

Paul Geuthner Nyt Nordisk Forlag Otto Harrasowitz

Arnold Busk 1927

Ins Arabische übertragen und ergänzt

von

Dr. Fouad Hassanein Ali

Prof. emeritus der Universität Kairo

Verlag : Librairie La Renaissance d'Egypte
9 Adly Kairo



HANDBUCH

Der Altarabischen Altertumskunde

In Verdindung mit.

Geheimrnt Fr. Hommel, und Prof. Nik. Rhodokanakis.
München Graz.

Herausgegeben von

Dr. Ditlef Nielsen.

Kopenhagen

Mit Beitraegen von.

Prof. Adolf Grohmann und Geheimrat Enno Littmann.
Prag Tübingen.

1. Band

Die Altarabische Kultur Mit 76 Abbildungen

Paris Kopenhagen Leipzig

Paul Geuthner Nyt Nordisk Forlag Otto Harrasowitz

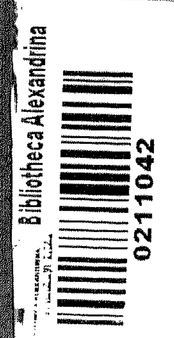
Arnold Busk 1927

Ins Arabische übertragen und ergänzt

von

Dr. Fouad Hassanein Ali

Prof. emeritus der Universität Kairo



Verlag : Librairie La Renaissance d'Egypte
9 Adly Kairo

